فتوح البلدان

الإمام أبو الحسن البلاذري

دار ومكتبة الهلال
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحیم

فتوح البلدان

كاتب:

احمد بن يحيى بلاذرى

نشرت فى الطباعة:

دارو مكتبة الهلال

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

فتوح البلدان

اشارة

سرشناسه : بلاذری، احمدبن یحیی، - ق۲۷۹
عنوان و نام پدیدآور : ... فتوح البلدان/ لاحمد بن یحیی بن جابر البغدادی (اشهیر بالبلاذری)
مشخصات نشر : [بیروت].
مشخصات ظاهری : ه، ص ۴۸۰
وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی
یادداشت : عربی
شماره کتابشناسی ملی : ۲۳۹۶۰
موضوع: جغرافیای عمومی
زبان: عربی
تعداد جلد: ۱
ناشر: دار و مکتبه الهلال
سال چاپ: ۱۹۸۸ م
نوبت چاپ: اول

الكتاب و المؤلف

اشارة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

* هذا الكتاب:

كتـاب فتوح البلـدان، لمؤلفه المؤرخ، الرحالـة، أحمـد بن يحيى بن جـابر بن داود البلاـذرى و يظهر أنه مختصـر عن كتاب أطول منه، سماه «كتاب البلدان الكبير» و لم يكمله.
و يتحـدث هـذا الكتاب عن أخبار الفتوح الإسـلامية بلـدا بلدا من أيام النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم. كما يضم فضـلا عن الفتوح أبحاثا عمرانية و سياسية لم يتطرق إليها أى من كتب التاريخ: كأحكام الخراج، و العطاء، و أمر الخاتم، و النقود، و غيرها ...
و يعتبر هذا الكتاب من أجمع كتب الفتوح و أصحها، و قد طبع عدة طبعات منها: طبعة ليدن عام ۱۸۷۰ م بعناية المستشرق «دى غويه».
و الطبعة العربية عام ۱۹۰۱ م طبع مصر.

* المؤلف:

هو المؤرخ، النسابة، الرحالة، الرواية الثقة، المحدث، الأديب،
فتوح البلدان، ص: ۶

الشاعر أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود المعروف بالبلاذرى.

مولده و تحصيله:

ولـد البلاذرى فى أواخر القرن الثانى للهجرة، نشأ فى بغـداد، و وقف حياته على العلم و الأدب و المعرفـة، و جاب البلدان و طوّف فى أنحاء المعمورة باحثا و منقبا و دارسا.

مشايخه:

نشأ البلاـذرى فى بغـداد، و تقرب من المتوكـل، و المسـتعين، و المعتز و كـانت بغـداد فى هـذا العصـر منهلاـ دفقـا من مناهل العلم و المعرفة، يرتادها طلبة العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامى، و يستقر فى كنفها العلماء و الشعراء و الأدباء و الفقهاء، ينشرون المعرفة و الفقه و الأدب.

و قد تلقى البلاذرى العلم على جمهرة من علماء هذا العصر ذكرهم ياقوت فى المعجم نقلا عن ابن عساكر فى تاريخ دمشق فقال:

«سـمع بدمشق هشام بن عمار، و أبا حفص بن عمر بن سعيد، و بحمص محمد بن مصفى، و بأنطاكية محمد بن عبد الرحمن بن سهم، و أحمـد بن برد الأنطـاكى، و بـالعراق عفـان بن مسـلم، و عبـد الأعلى بن حماد، و على بن المـدينى، و عبـد اللّه بن صالـح العجلى، و مصـعبا الزبيرى، و أبـا عبـد القاسم بن سـلام، و عثمان بن أبى شـيبة، و أبا الحسن على بن محمـد المـدائنى، و محمـد بن سـعد كاتب الواقدى. و جماعة ...».

كما درس على شـيبان بن فروخ، و أحمد بن إبراهيم الدورقى، و محمد بن الصـباح الدولابى، و محمد بن حاتم السـمين، و عباس بن الوليـد النرسـى، و عبـد الواحـد بن غيـاث، و أبى الربيع الزهرانى، و إسـحاق بن إسـرائيل، و عمرو الناقـد، و الحسن بن على بن الأسود العجلى، و خلف البزار، و غيرهم ...

فتوح البلدان، ص: ۷

تلاميذه و رواته:

افتتح البلاذرى ندوة علمية ارتادها طلاب العلم و المعرفة و تخرج منها علماء و فقهاء و أدباء منهم: عبد اللّه ابن الخليفة المعتز الشاعر و الكاتب و المترجم (عن الفارسـية)، و محمـد بن إسـحاق النديم مصـنف كتاب الفهرست الذى جود فيه مما يدل على اطلاعه و تبحره فى فنون من العلم، و جعفر بن قدامة صاحب كتاب الخراج، و يعقوب بن نعيم، و عبد اللّه بن سعد الوراق، و محمد بن خلف، و وكيع القاضى.

كما روى عنه يحيى بن النديم، و أحمد بن عبد اللّه بن عمار، و أبو يوسف، يعقوب بن نعيم قرقارة الأزنى.

رحلته:

بعد أن شبّ البلاذرى عن الطوق، و غرف بشـغف من رحيق العلم، و تضلع من معين العلم و العلماء فى بغداد، تاقت نفسه للقيام برحلة إلى الشـرق لزيادة علمه و معارفه و ثقافته. فكانت رحلته الميمونـة التى انطلق بها مغادرا بغداد بإيمان عميق فاتجه إلى حلب، و دمشق، و حمص، و العراق، و منبج، و أنطاكيه و الثغور. و زار جميع المدن الواقعة شـمال الشام، ثم تحوّل منها إلى بلاد ما بين النهرين و ساح تكريب، فكان يجمع خلال رحلته هذه الروايات التى حفظها الخلف عن السلف و يقارنها بما حفظه عن علماء بغداد.

و تعتبر رحلة البلاذرى الإنجاز الكبير فى حياته الأدبية و العلمية الحافلة و هى من أسباب نبوغه فى العلم.

كتبه و مصنفاته:

اهتم البلاذرى اهتماما كبيرا بالكتابة و التصنيف و انصرف بعقل نابغ و جهد مجد بلا كلل و لا خمول، و ورد من مناهل العلوم فسطر ببراعة ما خلد ذكره و وضعه فى مصاف الخالدين برغمه خاتمة المؤرخين. و قد وضع عدة مؤلفات منها:

فتوح البلدان، ص: ۸

۱- فتوح البلدان الكبير أو «كتاب البلدان الكبير» و هو لم يتم.

۲- فتوح البلدان أو «كتاب البلدان الصغير» و هو كتابنا هذا الذى قال فيه المستشرق «دى غويه»: «اشتغل البلاذرى منذ نعومة أظفاره بتأليف كتاب جامع لتاريخ الدول الإسلامية، أتى فيه على الحقائق التاريخية دون أن يغضب خليفة وقته ...».

۳- أنساب الأشراف. و يسمى أيضا الأخبار و الأنساب و هو كتاب مطول فى عشرين مجلدا لم يتمه و كان ضائعا. و قد عثر المستشرق الألمانى «أهلوارد» فى. مكتبة «شيفر» على الجزء الحادى عشر من كتاب فى التاريخ ليس عليه اسم، فرجح أنه أحد أجزاء كتاب أنساب الأشراف فطبعه فى «غريز ولد» عام ۱۸۸۳ م. و يقع فى أربعمائة و خمسين صفحة، و فيه كثير من أخبار بنى أمية و أخبار الخوارج.

۴- عهد أردشير: الذى ترجمه عن اللغة الفارسية دون الاكتفاء بالترجمة بل صاغه شعرا رقيقا.

۵- كتاب الأخبار.

۶- قال بعض المؤرخين أن البلاذرى قد جمع قبيل وفاته مواد كثيرة و مفيدة بقصد وضع كتاب جامع يقع فى أربعين مجلدا.

مكانة البلاذرى العلمية:

الرحلة التى قام بها البلاذرى حيث تجول فى الأقطار و الأمصار جعلته بعد عودته إلى بغداد مزودا بالعلوم و المعارف، يفضل الاستقرار و الاعتكاف فى خلوته ليلقى دروسه و محاضراته على الطلاب، الذين كانوا يرتادون مجلسه ليرتشفوا من علمه و أدبه، و رغم انشغاله بالتدريس فقد خصص الكثير من وقته للتأليف و التصنيف، حتى جاءت مؤلفاته آية فى الدقة و الروعة و السلاسة، مما جعله محط أنظار الأمراء و العلماء و الحكام.

و مما قاله عنه صاحب كتاب «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»:

«كان أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى عالما فاضلا، شاعرا، راوية،

فتوح البلدان، ص: ۹

نسابة متقنا». و قال ابن النديم فى تاريخ حلب: «كاتب، شاعر مجيد، راوية الأخبار و الآداب». و قال عبيد اللّه بن أحمد بن أبى طاهر: «كاتب، شاعر، راوية، أحد البلغاء».

و وصفه المستشرق «دى غويه» فقال: «و كما أن البلاذرى قد عرف له قدره معاصروه و مواطنوه، فنحن كذلك لا يسعنا إلا الإقرار له بالجميل، إذ يؤخذ من كثير من رواياته فى مؤلفه أنه لم يقصر قط فى جعل هذه الروايات مكانا للثقة، جديرة بالتصديق، فإنه لم يكتف بسماعه إياها من أوثق علماء بغداد، بل كان يتكبد الأسفار، و يجوب البحار، بحثا عن الحقيقة التى هى ضالته المنشودة».

و وصفه أحد المستشرقين الألمان فقال: «إن البلاذرى من المؤرخين الذين يمتازون بسلامة الذوق فى انتقاء ما يستحق الرواية من بين ما يجمعونه من المواد».

و مما يلفت النظر فى كتاب البلاذرى الحقائق التاريخية الهامة الدقيقة التى أوردها، و التى يتعذر العثور عليها فى كتاب آخر، خاصة ما يتعلق منها بوصف المدن القديمة التى اندثرت، و لم يبق من معالمها إلا الأطلال البالية، و رغم ذلك فقد اتصل بمن عاصر تلك المدن أثناء مجدها و حضارتها و أخذ عنهم كل ما يعرفونه عن تلك الأطلال.

أما معلوماته الدقیقة التی أوردها عن تاریخ الأقالیم و الأمصار و الدساکر التی فتحها العرب فقد جاءت موجزة مفیدة صادقة، باعتبار کتابه موجزا عن الکتاب الکبیر الذی کان ینوی تألیفه قبل أن یتوفاه اللّه.

و هنا لا- بد لنا من الاشارة إلی أن البلاذری رغم أنه نشأ فی کنف خلفاء الدولة العباسیة، و استفاد من خیراتهم، و اختص به بعض الخلفاء، کالمتوکل، و المستعین، اللذین کانت لهما علیه الأیادی البیضاء لما یقدماه له من مساعدات مادیة، و معنویة، فقد حرص فی مؤلفه علی إیراد الحقائق المجردة دون أن یعمد کغیره من المؤرخین إلی النفاق و المدح،

فتوح البلدان، ص: ١٠

و أخبرنی داود بن حبال الأسدی عن أشیاخ من قومه: أن عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه قال لطلیحة: أنت الکذاب علی اللّه حین زعمت أنه أنزل علیک إن اللّه لا یصنع بتعفیر وجوهکم و قبح أدبارکم شیئا فاذکروا اللّه أعفة قیاما فإن الرغوة فوق الصریح، فقال یا أمیر المؤمنین: ذلک من فتن الکفر الذی هدمه الإسلام کله، فلا تعنیف علی ببعضه فأسکت عمر، قالوا: و أتی خالد بن الولید رمان و أبانین و هناک فل بزاخة فلم یقاتلوه و بایعوه لأبی بکر، و بعث خالد بن الولید هشام بن العاصی بن وائل السهمی و أخا عمرو بن العاصی، و کان قدیم الإسلام و هو من مهاجرة الحبشة إلی بنی عامر بن صعصعة فلم یقاتلوه و أظهروا الإسلام و الأذان فانصرف عنهم، و کان قرة بن هبیرة القشیری امتنع من أداء الصدقة و أمد طلیحة فأخذه هشام بن العاصی و أتی به خالدا فحمله إلی أبی بکر، فقال: و اللّه ما کفرت مذ آمنت و لقد مر بی عمرو بن العاصی منصرفا من عمان فأکرمته و بررته فسأل أبو بکر عمرا رضی اللّه عنهما عن ذلک فصدقه فحقن أبو بکر دمه، و یقال: أن خالدا کان سار إلی بلاد بنی عامر فأخذ قرة و بعث به إلی أبی بکر.

قال: ثم سار خالد بن الولید إلی الغمر و هناک جماعة من بنی أسد و غطفان و غیرهم و علیهم خارجة بن حصن بن حذیفة، و یقال انهم کانوا متسایدین قد جعل کل قوم علیهم رئیسا منهم قالوا خالدا و المسلمین فقتلوا منهم جماعة و انهزم الباقون، و فی یوم الغمر یقول الحطیئة العبسی:

ألا کل أرماح قصار أذلة* فداء لارماح الفوارس بالغمر ثم أتی خالد جو قراقر، و یقال أتی النقرة و کان هناک جمع لبنی سلیم علیهم أبو شجرة عمرو بن عبد العزی السلمی و أمه الخنساء فقاتلوه فاستشهد رجل من المسلمین ثم فض اللّه جمع المشرکین، و جعل خالد یومئذ یحرق

فتوح البلدان، ص: ١١

تتعرض لأحد لیبقی بها وجهک علیک، و لک علیّ ألا- تحتاج ما عشت إلی شیء من أمر دنیاک، کبیر و لا صغیر، علی حسب حکمک و شهوتک.

قال: ثم أجری لی الجرایات و الأرزاق السنیة، و تابع جوائزه فما احتجت منذ ذلک و إلی الآن إلی غیر جوائزه و السبعة آلاف، فأنا أنفق من جمیع ذلک و لا أخلق نفسی بالتعرض، و أترحم علیه.

أدب البلاذری و شعره:

کان البلاذری فی طلیعة العلماء و الأدباء، ینظم الشعر الحسن، و یصوغ البیان الدقیق، یتصف بالشجاعة و الزهد و الصفاء، وصفه التاریخ بالأدیب الزاهد المنقطع النظیر، قال عنه الشافعی فی تاریخ دمشق: قال أحمد بن جابر البلاذری قال لی محمود الوراق: قل من الشعر ما یبقی ذلک ذکره، و یزول عنک إثمه، فقلت:

استعدی یا نفسی للموت و اسعی لنجاة فالحازم المستعد

قد تثبت أنه لیس للحی خلودو لا من الموت بد

إنما أنت مستعیره ما سوف تردین، و العواری ترد

أنت تسهين و الحوادث لا تسهوو تلهين، و المنايا تجد

لا ترجى البقاء فى معدن الموت، و دار حقوقها لك ورد

أى ملك فى الأرض أم أى حظلامرئ حظه من الأرض لحد

كيف تهوى امرؤ لداره رأياما عليه الأنفاس فيها تعد

و من شعره:

لما رأيتك زاهياو رأيتنى أجفى ببابك

عديت رأس مصليتىو حجبت نفسى عن حجابك

انتقاله إلى دار البقاء:

ظل البلاذرى فى عطاء مستمر، و إنتاج ضخم، حتى توفاه اللّه سنة

فتوح البلدان، ص: ۱۲

۲۷۹ هجرية، مخلفا العديد من المؤلفات التاريخية القيمة التى احتلت فيما بعد مكانا مرموقا فى كافة الأوساط العلمية و الأدبية، فخلدته شامخا إلى أبد الآبدين.

لجنة تحقيق التراث فى دار و مكتبة الهلال

فتوح البلدان، ص: ۱۳

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

هجرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من مكة إلى المدينة المنورة

اشارة

- قال أحمد بن يحيى بن جابر: أخبرنى جماعة من أهل العلم بالحديث و السيرة و فتوح البلدان- سقت حديثهم و اختصرته و رددت من بعضه على بعض- أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لما هاجر إلى المدينة من مكة نزل على كلثوم ابن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن أمية ابن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس بقباء، و كان يتحدث عنده سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك أحد بنى السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس حتى ظن قوم إنه نزل عنده.

و كان المتقدمون فى الهجرة من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و من نزلوا عليه من الأنصار بنوا بقباء مسجدا يصلون فيه، و الصلاة يومئذ إلى بيت المقدس، فلما ورد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قباء صلى بهم فيه، فأهل قباء يقولون إنه المسجد الذى يقول اللّه تعالى فيه لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، و روى أن المسجد الذى أسس على التقوى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم. حدثنا عفان بن مسلم الصفار، قال حدثنا حماد بن سلمة، قال أخبرنى هشام بن عروة عن عروة أنه قال فى هذه الآية وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَ كُفْراً وَ تَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ قال كان سعد بن خيثمة بنى مسجد قباء، و كان موضعه للبة تربط فيه حمارها، فقال أهل الشقاق أ نحن نسجد فى موضع كان يربط فيه حمار لبة لا و لكنا نتخذ مسجدا نصلى فيه حتى يجيئنا أبو عامر

فتوح البلدان، ص: ۱۴

فيصلى بنا فيه، و كان أبو عامر قد فر من اللّه و رسوله إلى أهل مكة ثم لحق بالشام فتنصر فأنزل اللّه تعالى وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً

ضِراراً وَ كُفْراً وَ تَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ يعنى أبا عامر. و حدثنا روح بن عبد المؤمن المقرى، قال حدثنى بهز بن أسد، قال حدثنا حماد بن زيد، قال أخبرنا أيوب عن سعيد بن جبير، أن بنى عمرو بن عوف ابتنوا مسجدا فصلى بهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فيه، فحسدهم أخوتهم بنو غنم بن عوف، فقالوا لو بنينا أيضا مسجدا و بعثنا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يصلى فيه كما صلى فى مسجد أصحابنا، و لعل أبا عامر أن يمر بنا إذا أتى من الشام فيصلى بنا فيه، فبنوا مسجدا و بعثوا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يسألونه أن يأتيه فيصلى فيه فلما قام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لينطلق إليهم أتاه الوحى فنزل عليه فيهم وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَ كُفْراً وَ تَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ قال هو أبو عامر لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ أ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوانٍ قال هذا مسجد قباء. و

حدثنا محمد بن حاتم بن ميمون قال حدثنا يزيد بن هارون، عن هشام عن الحسن، قال: لما نزلت هذه الآية فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا أرسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى أهل مسجد قباء، فقال: ما هذا الطهور الذى ذكرتم به، قالوا يا رسول اللّه انا نغسل أثر الغائط و البول.

و حدثنا محمد بن حاتم، قال: حدثنا وكيع عن ابن أبى الليل عن عامر، قال كان ناس من أهل قباء يستنجون بالماء، فنزلت فيهم (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) الآية.

حدثنى عمرو بن محمد الناقد و أحمد بن هشام بن بهرام، قالا حدثنا وكيع بن الجراح، قال أخبرنا ربيعة بن عثمان عن عمران بن فتوح البلدان، ص: ۱۵

أبى أنس عن سهل بن سعد، قال: اختلف رجلان على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى المسجد الذى أسس على التقوى، فقال أحدهما هو مسجد الرسول، و قال الآخر هو مسجد قباء، فأتيا النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فسألاه فقال هو مسجدى هذا.

حدثنا عمرو بن محمد و محمد بن حاتم بن ميمون، قالا حدثنا وكيع عن ربيعة بن عثمان التيمى عن عثمان بن عبيد اللّه بن أبى رافع عن ابن عمر قال المسجد الذى أسس على التقوى مسجد الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم.

حدثنا محمد بن حاتم، قال حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال: حدثنا عبد اللّه بن عامر الأسلمى، عن عمران بن أبى أنس عن سهل بن سعد عن أبى بن كعب، قال: سئل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عن المسجد الذى أسس على التقوى، فقال هو مسجدى هذا.

قال حدثنى هدبة بن خالد. قال حدثنا أبو هلال الراسبى، قال أخبرنا قتادة عن سعيد بن المسيب فى قوله لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى قال هو مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الأعظم. حدثنا على بن عبد اللّه المدينى، قال حدثنا سفيان بن عيينة عن أبى الزناد عن خارجة ابن زيد بن ثابت، قال المسجد الذى أسس على التقوى مسجد الرسول عليه السلام. حدثنا عفان، قال: حدثنا وهيب، قال حدثنا داود بن أبى هند عن سعيد بن المسيب، قال المسجد الذى أسس على التقوى مسجد المدينة الأعظم حدثنا محمد بن حاتم ابن ميمون السمين قال حدثنا وكيع، حدثنا أسامة بن زيد عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه، قال: هو مسجد الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم يعنى الذى أسس على التقوى قالوا و قد وسع مسجد قباء بعد و زيد فيه و كان عبد اللّه بن عمر إذا دخله صلى إلى الاسطوانة المخلقة و كان ذلك مصلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قالوا و أقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بقباء يوم الاثنين و الثلاثاء و الأربعاء و الخميس و ركب منها يوم الجمعة يريد المدينة فجمع فى مسجد كان بنو سالم بن عوف

فتوح البلدان، ص: ۱۶

ابن عمرو بن عوف بن الخزرج بنوه، و كانت تلك أول جمعة جمع فيها

ثم مر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بمنازل الأنصار منزلا منزلا و كلهم يسأله النزول عليه حتى إذا انتهى إلى موضع مسجده بالمدينة بركت ناقته فنزل عنها و جاء أبو أيوب، خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد ابن عوف بن غنم بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن

عمرو بن الخزرج فأخذ رحله فنزل صلى اللّه عليه و سلم عند أبى أيوب و أراده قوم من الخزرج على النزول عندهم فقال: المرء مع رحله فكان مقامه فى منزل أبى أيوب سبعة أشهر و نزل عليه تمام الصلاة بعد مقدمه بشهر و وهبت الأنصار لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كل فضل كان فى خططها و قالوا يا نبى اللّه إن شئت فخذ منازلنا فقال لهم خيرا،

قالوا: و كان أبو أمامة أسعد بن زرارة ابن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار نقيب النقباء يجمع بمن يليه من المسلمين فى مسجد له فكان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يصلى فيه ثم أنه سأل أسعد أن يبيعه أرضا متصلة بذلك المسجد كانت فى يده ليتيمين فى حجره يقال لهما سهل و سهيل، ابنا رافع ابن أبى عمرو بن عابدين ثعلبة بن غنم، فعرض عليه أن يأخذها و يغرم عنه اليتيمين ثمنها، فأبى رسول صلّى اللّه عليه و سلّم ذلك، و ابتاعها منه بعشرة دنانير أداها من مال أبى بكر الصديق رضى اللّه عنه، ثم إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أمر باتخاذ اللبن، فاتخذ و بنى به المسجد و رفع أساسه بالحجارة و سقف بالجريد و جعلت عمده جذوعا، فلما استخلف أبو بكر رضى اللّه عنه لم يحدث فيه شيئا، و استخلف عمر رضى اللّه عنه فوسعه و كلم العباس بن عبد المطلب رضى اللّه عنه فى بيع داره ليزيدها فيه فوهبها العباس للّه و المسلمين فزادها عمر رضى اللّه عنه فى المسجد، ثم أن عثمان بن عفان رضى اللّه عنه بناه

فتوح البلدان، ص: ۱۷

فى خلافته بالحجارة و القصة و جعل عمده حجارة و سقفه بالساج و زاد فيه و نقل اليه الحصباء من العقيق، و كان أول من اتخذ فيه المقصورة مروان بن الحكم ابن العاص بن أمية، بناها بحجارة منقوشة ثم لم يحدث فيه شيء إلى أن ولى الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد أبيه فكتب إلى عمر بن عبد العزيز و هو عامله على المدينة يأمره بهدم المسجد و بنائه، و بعث إليه بمال و فسيفساء و رخام و ثمانين صانعا من الروم و القبط من أهل الشام و مصر فبناه و زاد فيه و ولى القيام بأمره و النفقة عليه صالح بن كيسان مولى سعدى مولاة آل معيقيب ابن أبى فاطمة الدوسى و ذلك فى سنة سبع و ثمانين، و يقال فى سنة ثمان و ثمانين ثم لم يحدث فيه أحد من الخلفاء شيئا حتى استخلف المهدى أمير المؤمنين صلاة اللّه عليه، قال الواقدى بعث المهدى عبد الملك بن شبيب الغسانى و رجلا من ولد عمر بن عبد العزيز إلى المدينة لبناء مسجدها و الزيادة فيه و عليها يومئذ جعفر بن سليمان بن على، فمكثا فى عمله سنة و زادا فى مؤخره مائة ذراع فصار طوله ثلاثمائة ذراع و عرضه مائتى ذراع، و قال على بن محمد المدائنى ولى المهدى أمير المؤمنين جعفر بن سليمان مكة و المدينة و اليمامة فزاد فى مسجد مكة و مسجد المدينة، فتم بناء مسجد المدينة فى سنة اثنين و ستين و مائة، و كان المهدى أتى المدينة فى سنة ستين قبل الحج فأمر بقلع المقصورة و تسويتها مع المسجد، و لما كانت سنة سبع و أربعين و مائتين أمر أمير المؤمنين جعفر المتوكل على اللّه رحمه اللّه بمرمة مسجد المدينة، فحمل اليه فسيفساء كثير و فرغ منه فى سنة سبع و أربعين و مائتين.

حدثنى عمر بن حماد بن أبى حنيفة قال حدثنا مالك بن أنس، قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم «ما يفتح من مصر أو مدينة عنوة فان المدينة فتحت بالقرآن».

حدثنا شيبان بن أبى شيبة الابلى قالت: حدثنا أبو الأشهب قال أخبرنا الحسن أن

فتوح البلدان، ص: ۱۸

رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال «أن لكل نبى حرما، و أنى حرمت المدينة كما حرم إبراهيم عليه السلام مكة ما بين حرتيها لا يختلى خلاها و لا يعضد شجرها و لا يحمل فيها السلاح لقتال، فمن أحدث حدثا، أو آوى محدثا، فعليه لعنة اللّه و الملائكة و الناس أجمعين، لا يقبل منه صرف و لا عدل»

و حدثنى روح بن عبد المؤمن البصرى المقرى، قال حدثنا أبو عوانة «عن عمر بن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبى هريرة قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم «اللهم ان إبراهيم عبدك و رسولك، و أنا عبدك و رسولك، و إنى قد حرمت ما بين لابتيها

كما حرم إبراهيم مكة،

فكان أبو هريرة يقول: و الذى نفسى بيده لو أجد الظباء ببطحان ما عانيتها» و حدثنا سيبان بن أبى شيبة قال: حدثنا القاسم بن الفضل الحدانى عن محمد بن زياد عن جده، و كان مولى عثمان بن مظعون، و كانت فى يده أرض لآل مظعون بالحرة، قال. كان عمر بن الخطاب ربما أتانى نصف النهار واضعا ثوبه على رأسه فيجلس إلى و يتحدث عندى فأجيئه من القثاء و البقل، فقال لى يوما لا تبرح فقد استعملتك على ما ههنا و لا تدعن أحدا يخبط شجرة و لا يعضدها يعنى من شجر المدينة، فان وجدت أحدا يفعل ذلك فخذ حبله و فأسه، قال قلت آخذ ثوبه قال لا.

و حدثنى أبو مسعود بن القتات، قال حدثنا ابن أبى يحيى المدنى عن جعفر بن محمد عن أبيه، أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم حرم من الشجر ما بين أحد إلى عير «و أذن لصاحب الناضح فى الغضا و ما يصلح به محارثه و عربه.

و حدثنى بكر بن الهيثم، قال حدثنا عبد اللّه بن صالح، عن الليث بن سعد عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم عن أبيه، قال سمعت عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه يقول لرجل استعمله عن حمى الربذة نسى بكر اسمه اضمم جناحك عن كل مسلم، و اتق دعوة المظلوم فإنها مجابة، و أدخل رب الصريمة و الغنيمة، و دعنى من نعم ابن عفان و ابن عوف فإنهما أن تهلك ماشيتهما

فتوح البلدان، ص: ۱۹

ترجعا إلى زرع، و إن هذا البائس ان تهلك ماشيته يجىء فيصرخ يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين، فالكلاء أهون على المسلمين من غرم المال ذهبه و ورقه، و اللّه انها لأرضهم قاتلوا عليها فى الجاهلية و أسلموا عليها فى الإسلام و انهم ليرون أنى أظلمهم، و لولاء النعم التى تحمل عليها فى سبيل اللّه ما حميت عن الناس من بلادهم شيئا أبدا.

حدثنا القاسم بن سلام أبو عبيد، قال حدثنى ابن أبى مريم، على العمرى، عن نافع عن ابن عمر، قال حمى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم النقيع لخيل المسلمين، قال لى أبو عبيد بالنون و قال النقيع فيه قاع زرق و هو الخندقون.

و حدثنى مصعب بن عبد اللّه الزبيرى عن أبيه، عن ابن الدراوردى عن محمد بن ابراهيم التيمى عن أبيه عن سعد بن أبى وقاص، أنه وجد غلاما يقطع الحمى فضربه و سلبه فأسه، فدخلت مولاته أو امرأة من أهله على عمر رضى اللّه عنه فشكت إليه سعدا، فقال عمر رد الفأس و الثياب، أبا إسحاق رحاك، فأبى و قال لا أعطى غنيمة غنمنيها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، سمعته يقول: من وجدتموه يقطع الحمى فاضربوه و أسلبوه، فاتخذ من الفأس مسحاة فلم يزل يعمل بها فى أرضه حتى توفى.

و حدثنا أبو الحسن المطائنى، عن ابن جعدبة و أبى معشر، قال لما كان النبى صلى اللّه عليه و سلم بظريب التعاويل مقدمه من غزوة ذى قرد قالت له بنو حارثة من الأنصار: يا رسول اللّه، ههنا مسارح ابلنا، و مرعى غنمنا، و مخرج نسائنا، يعنون موضع الغابة، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من قطع شجرة فليغرس مكانها ودية، فغرست الغابة.

و حدثنى عبد الأعلى بن حماد النرسى، قال حدثنا حماد بن سلمة، قال أخبرنا محمد بن إسحاق، عن أبى مالك بن ثعلبة، عن أبيه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قضى فى وادى مهزور أن يحبس الماء فى الأرض الى الكعبين، فإذا بلغ الكعبين أرسل الى الأخرى، لا يمنع الأعلى الأسفل. و حدثنا إسحاق بن

فتوح البلدان، ص: ۲۰

أبى إسرائيل، قال حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن عبد الرحمن بن الحارث أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قضى فى سبيل مهزور أن الأعلى يمسك على من أسفل منه حتى يبلغ الكعبين، ثم يرسله على من أسفل منه، و حدثنى عمر بن حماد بن أبى حنيفة. قال حدثنا مالك بن أنس، عن عبد اللّه بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى عن أبيه، قال قضى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى سيل مهزور و مذينيب أن يحبس الماء حتى يبلغ الكعبين ثم يرسل الأعلى على الأسفل، قال مالك و قضى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى سيل بطحان بمثل ذلك.

و حدثنى الحسين بن الأسود العجلى، قال حدثنا يحيى بن آدم، قال حدثنا يزيد بن عبد العزيز، عن محمد بن إسحاق قال حدثنا أبو مالك بن ثعلبة بن أبى مالك عن أبيه، قال اختصم إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى مهزور وادى بنى قريظة فقضى أن الماء إلى الكعبين لا يحبسه الأعلى على الأسفل،

و حدثنى الحسين، قال حدثنا يحيى بن آدم قال حدثنا حفص ابن غياث، عن جعفر بن محمد عن أبيه قال قضى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى سيل مهزور أن لأهل النخل إلى العقبين، و لأهل الزرع إلى الشراكين. ثم يرسلون الماء إلى من هو أسفل منهم.

و حدثنى حفص بن عمر الدورى قال حدثنا عباد بن عباد، قال: حدثنا هشام بن عروة عن عروة، قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بطحان على ترع من ترع الجنة.

و حدثنى على بن محمد المدائنى أبو الحسن عن ابن جعدبة و غيره، قالوا أشرفت المدينة على الغرق فى خلافة عثمان من سيل مهزور حتى اتخذ له عثمان ردما قال أبو الحسن و جاء أيضا بماء مخوف عظيم فى سنة ست و خمسين و مائة فبعث إليه عبد الصمد بن على بن عبد اللّه بن العباس، و هو الأمير يومئذ، عبيد اللّه بن أبى سلمة العمرى، فخرج و خرج الناس بعد صلاة العصر، و قد ملأ السيل صدقات رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فدلتهم عجوز من أهل العالية على موضع كانت

فتوح البلدان، ص: ٢١

تسمع الناس يذكرونه، فحفروه فوجد الماء منسربا، فغاص منه إلى وادى بطحان، قال و من مهزور إلى مذينيب شعبة يصب فيها.

حدثنى محمد بن أبان الواسطى، قال حدثنا أبو هلال الراسبى، قال حدثنا الحسن، قال:

«دعا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم للمدينة و أهلها و سماها طيبة»، و حدثنى أبو عمر حفص بن عمر الدورى، قال حدثنا عباد بن عباد عن هشام ابن عروة، عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين قالت لما هاجر رسول صلى اللّه عليه و سلم إلى المدينة مرض المسلمون بها، فكان ممن اشتد به مرضه أبو بكر، و بلال و عامر بن فهيرة، فكان أبو بكر رضى اللّه عنه يقول فى مرضه:

كل امرئ مصبح فى أهلهو الموت أدنى من شراك نعله

و كان بلال رضى اللّه عنه يقول:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلةبفخ و حولى أذخر و جليل

و هل أردن يوما مياه مجنةو هل تبدون لى شامة و طفيل

و كان عامر بن فهيرة يقول:

لقد وجدت الموت قبل ذوقهان الجبان حتفه من فوقه

(كل امرئ مجاهد بطوقه)كالثور يحمى جلده بروقه

قال فأخبر النبى صلى اللّه عليه و سلم بذلك، فقال «اللهم طيب لنا المدينة كما طيبت لنا مكة و بارك لنا فى مدها و صاعها».

حدثنا الوليد بن صالح، قال حدثنا الواقدى، عن محمد بن عبد اللّه، عن الزهرى، عن عروة، أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير بن العوام فى اشراج الحرة، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم «اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك»

و أخبرنى على الأثرم، عن أبى عبيدة، قال الاشراج مسائل الماء فى الحرار، و الحرة أرض مفروشة بصخر، قال و قال

فتوح البلدان، ص: ٢٢

الأصمعى، مسائل من الحرار إلى السهولة. حدثنى الحسين بن على بن الأسود العجلى، قال حدثنا يحيى بن آدم، قال حدثنا يزيد بن عبد العزيز، حدثنا هشام ابن عروة عن أبيه، قال: أقطع عمر رضى اللّه عنه العقيق حتى انتهى إلى أرض فقال ما أقطعت مثلها، قال خوات بن جبير أقطعنيها فاقطعه إياها، و حدثنى الحسين، قال حدثنا يحيى بن آدم، عن يزيد بن عبد العزيز، عن هشام بن عروة عن أبيه قال أقطع عمر العقيق ما بين أعلاه إلى أسفله، و حدثنى الحسين، قال حدثنا حفص بن غياث، عن هشام بن عروة قال خرج عمر

يقطع النـاس و خرج معه الزبير فجعـل عمر يقطع حتى مر بـالعقيق، فقـال أين المسـتقطعون مـذ اليوم ما مررت بقطعـة أجود منها، فقال الزبير أقطعنيها فاقطعه إياها.

و حـدثنى الحسـين، قال حـدثنى يحيى بن آدم، قال حـدثنا أبو معاويـة الضـرير، عن هشام بن عروة عن أبيه، قال أقطع عمر العقيق كله حتى انتهى إلى قطيعة خوات بن جبير الأنصارى، فقال أين المستقطعون، ما أقطعت اليوم أجود من هذه و حدثنا خلف بن هشام البزار، قـال حـدثنا أبو بكر ابن عيـاش، قـال حـدثنا هشـام بن عروة عن أبيه، قـال أقطع عمر بن الخطاب خوات بن جبير الأنصارى أرضا مواتا فاشتريناهـا منـه، حـدثنى الحسـين بـن الأسود، قـال حـدثنا يحيى بن آدم عن أبى بكر بن عيـاش، عن هشـام عن أبيه بمثله. و حـدثنى الحسين، قال حدثنى يحيى بن آدم، حدثنا أبو معاوية، عن هشام بن عروة عن عروة، قال أقطع أبو بكر الزبير ما بين الجرف إلى قناة، و أخبرنى أبو الحسن المـدائنى، قال قناة واد يأتى من الطائف و يصب إلى الأرحضـية، و قرقرة الكـدر، ثم يأتى سـد معاويـة ثم يمر على طرف القـدوم و يصب فى أصل قبور الشـهداء بأحد. و حدثنا أبو عبيد القاسم بن سـلام، قال حدثنا إسـحاق بن عيسـى، عن مالك بن أنس، عن ربيعة، عن قوم من علمائهم، أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أقطع بلال

فتوح البلدان، ص: ۲۳

ابن الحارث المزنى معادن بناحيـة الفرع. و حدثنى عمرو الناقد و ابن سـهم الأنطاكى، قالا حدثنا الهيثم بن جميل الأنطاكى، قال حدثنا حماد بن سـلمة، عن أبى مكين، عن أبى عكرمة، مولى بلال بن الحارث المزنى، قال أقطع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بلالا أرضا فيهـا جبل و معـدن، فباع بنو بلال عمر بن عبـد العزيز أرضا منها فظهر فيها معـدن أو قال معـدنان، فقالوا إنما بعناك أرض حرث و لم نبعك المعادن، و جاءوا بكتاب النبى صلى اللّه عليه و سلم لهم فى جريدة فقبلها عمر و مسح بها عينه و قال لقيمه: أنظر ما خرج منها و ما أنفقت و قاصـهم بالنفقـة و رد عليهم الفضل. و حـدثنا أبو عبيـد، قال حدثنا نعيم ابن حماد، عن عبد العزيز بن محمد، عن ربيعة بن أبى عبـد الرحمن، عن الحـارث ابن بلال بن الحارث المزنى، عن أبيه بلال بن الحارث، أن النبى صـلى اللّه عليه و سـلم أقطعه العقيق أجمع و حدثنى مصـعب الزبيرى، قال: قال مالك بن أنس أقطع رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم بلال بن الحارث معادن بناحية الفرع لا اختلاف فى ذلك بين علمائنا، و لا أعلم بين أحـد من أصـحابنا خلافا أن فى المعـدن الزكاة ربع العشـر، قال مصـعب: و روى عن الزهرى أنه كـان يقول: فى المعـادن الزكـاة، و روى عنه أيضـا قال، فيها الخمس مثل قول أهل العراق، و هم يأخـذون اليوم من معادن الفرع، و نجران و ذى المروة، و وادى القرى، و غيرهـا الخمس، على قول سـفيان الثورى، و أبى حنيفـة، و أبى يوسف و أهل العراق و حدثنى الحسين بن الأسود، قال حدثنا وكيع بن الجراح، قال حدثنا الحسن ابن صالح بن حى، عن جعفر بن محمد أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سـلم أقطع عليا رضى اللّه عنه أربع أرضين الفقيرين، و بئر قيس، و الشجرة. و حدثنى الحسين عن يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح، عن جعفر بن محمد مثله.

و حدثنى عمرو بن محمد الناقد، قال: حدثنا حفص بن غياث، عن جعفر بن محمد

فتوح البلدان، ص: ۲۴

عن أبيه، أنه قـال: أقطع عمر بن الخطـاب عليـا رضـى اللّه عنهمـا ينبع فأضـاف إليها غيرها. و حـدثنى الحسـين، عن يحيى بن آدم، عن حفص بن غياث، عن جعفر بن محمد عن أبيه بمثله، و حدثنى من أثق به، عن مصعب بن عبد اللّه الزبيرى، أنه قال: نسبت بئر عروة بن الزبير إلى عروة بن الزبير، و نسب حوض عمرو إلى عمرو بن الزبير، و نسب خليـج بنات نائلـة إلى ولد نائلة بنت الفرافصة الكلبية امرأة عثمان بن عفان، و كان عثمان بن عفان رضـى اللّه عنه اتخذ هذا الخليج، و ساقه إلى ارض استخرجها و اعتملها بالعرضة، و أرض أبى هريرة نسـبت إلى أبى هريرة الدوسـى، و الصـهوة صدقـة عبد اللّه بن عباس رضـى اللّه عنهما فى جبل جهينة و قصـر نفيس ينسب فيما يقال إلى نفيس التاجر ابن محمـد بن زيـد بن عبيـد بن المعلى بن لوذان بن حارثـة بن زيد من الخزرج و هم حلفاء بنى ذريق بن عبد حارثـة من الخزرج و هـذا القصـر بحرة واقم بالمدينـة و استشـهد عبيـد بن المعلى يوم أحد قال و يقال أنه نفيس بن محمد بن زيد بن

عبيـد بن مرة مولى المعلى فان عبيـدا هـذا و أباه من سبى عين التمر و مات عبيـد بن مرة أيام الحرة و كان يكنى أبا عبد اللّه قال: و بئر عائشـة نسبت إلى عائشـة بن نمير بن واقف. و عائشـة رجل و هو من الأوس، و بئر المطلب على طريق العراق، نسبت إلى المطلب بن عبد اللّه بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم، و بئر ابن المرتفع نسبت إلى محمد بن المرتفع بن النضير العبدرى.

حـدثنى محمـد بن سـعد، عن الواقـدى عن عبـد اللّه بن جعفر عن شـريك ابن عبـد اللّه عن أبى نمر الليثى، عن عطـاء بن يسـار مولى ميمونة بنت الحارث ابن حزن بن بحير الهلالية قال لما أراد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أن يتخذ السوق بالمدينة قال: هذا سوقكم لا خراج عليكم فيه،

و حدثنى العباس بن

فتوح البلدان، ص: ۲۵

هشـام الكلبى، عن أبيه عن جـده، محمـد بن السائب، و شـرقى بن القطامى الكلبى، قالا لما هـدم بختنصـر بيت المقـدس، و أجلى من أجلى و سبى من سبى من بنى إسرائيل لحق قوم منهم بناحية الحجاز فنزلوا وادى القرى، و تيماء و يثرب، و كان بيثرب قوم من جرهم، و بقيـة من العمـاليق قـد اتخـذوا النخـل و الزرع، فأقاموا معهم و خالطوهم فلم يزالوا يكثرون و تقل جرهم و العماليق، حتى نفوهم عن يثرب و استولوا عليها، و صارت عمارتها و مراعيها لهم فمكثوا على ذلك ما شاء اللّه، ثم ان من كان باليمن من ولـد سـبأ ابن يشـجب بن يعرب بن قحطان بغوا و طغوا و كفروا نعمـة ربهم فيما آتاهم من الخصب و رفاهـة العيش، فخلق اللّه جرذانا جعلت تنقب سدا كان لهم بين جبلين فيه أنـابيب يفتحونهـا إذا شـاءوا فيـأتيهم الماء منها على قـدر حاجتهم و إرادتهم، و السـد العرم، فلم تزل تلك الجرذان تعمل فى ذلك العرم حتى خرقته، فأغرق اللّه تعالى جنانهم، و ذهب بأشـجارهم و أبدلهم خمطا واثلا و شـيئا من سدر قليلا، فلما رأى ذلك مزيقيا، و هو عمر بن عامر بن حارثـة بن ثعلبـة بن امرئ القيس ابن مازن بن الأزد بن غوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سـبأ ابن يشـجب بن يعرب بن قحطـان، بـاع كـل شـىء له من عقار و ماشـية و غير ذلك و دعا الأزد متى صاروا معه إلى بلادعك فأقاموا بها. و قال عمرو:

الانتجـاع قبـل العلم عجز، فلمـا رأت عـك غلبـة الأـزد على أجود مواضـعهم غمها ذلك، فقالت للأزد انتقلوا عنا، فقام رجل من الأزد أعور أصم يقال له جذع، فوثب بطائفة منهم فقتلهم و نشبت الحرب بين الأزد و عك، فانهزمت الأزد ثم كرت فقال جذع فى ذلك:

نحن بنو مازن غير شكغسان غسان و عك عك

سيعلمون أينا أرك و كانت الأزد نزلت بماء يقال له غسان، فسموا بذلك، ثم إن الأزد

فتوح البلدان، ص: ۲۶

سـارت حتى انتهت إلى بلاد حكم بن سـعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيـد ابن يشـجب بن عريب بن زيـد بن كهلان بن سـبأ بن يشـجب بن يعرب بن قحطان، فقاتلوهم فظهرت الأزد على حكم. ثم انه بدا لهم الانتقال عن بلادهم فانتقلوا و بقيت طائفة منهم معهم، ثم أتوا نجران فحاربهم أهلها فنصـروا عليهم فأقاموا بنجران ثم رحلوا عنها إلا قوم منهم تخلفوا بها لأسـباب دعتهم إلى ذلك فأتوا مكة و أهلها جرهم فنزلوا بطن مر، و سأل ثعلبة بن عمرو مزيقيا جرهم أن يعطوهم سهل مكة فأبوا، فقاتلهم حتى غلب على السهل، ثم أنه و الأزد اسـتوبوا مكانهم و رأوا شـدة العيش به فتفرقوا. فأتت طائفة منهم عمان، و طائفة السـراة و طائفة الأنبار و الحيرة، و طائفة الشام، و أقامت طائفة منهم بمكة، فقال جذع! كلما صـرتم يا معاشر الأزد إلى ناحية انخزعت منكم جماعة يوشك أن تكونوا أذنابا فى العرب، فسـمى من أقام بمكة خزاعة، و أتى ثعلبة بن عمرو، مزيقيا و ولده و من تبعه يثرب، و سكانها اليهود فأقاموا بها خارج المدينة، ثم انهم عفوا و كثروا و عزوا حتى أخرجوا اليهود منها و دخلوها فنزلت اليهود خارجها، فالأوس و الخزرج ابنا حارثـة ابن ثعلبة بن عمرو مزيقيا بن عـامر و أمهما قيلـة بنت الأرقم بن عمرو، و يقال أنها غسانيـة من الأزد و يقال أنها عذريـة، و كانت للأوس و الخزرج قبل الإسـلام وقائع و أيام تـدربوا فيها بالحروب و اعتادوا اللقاء، حتى شـهر بأسـهم، و عرفت نجـدتهم، و ذكرت شـجاعتهم، و جل فى قلوب العرب

أمرهم، و هابوا حدهم فامتنعت حوزتهم و عز جارهم، و ذلك لما أراد اللّه من إعزاز نبيه صلى اللّه عليه و سلم و إكرامهم بنصرته، قالوا و لما قدم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم المدينة كتب بينه و بين يهود يثرب كتابا، و عاهدهم عهدا، و كان أول من نقض و نكس منهم، يهود بنى قينقاع، فاجلاهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عن المدينة، و كان أول أرض افتتحها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أرض بنى النضير

.

فتوح البلدان، ص: ۲۷

أموال بنى النضير

قال: أتى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بنى النضير من يهود و معه أبو بكر، و عمر، و أسيد بن حضير، فاستعانهم فى دية رجلين من بنى كلاب ابن ربيعة موادعين له كان عمرو بن أمية الضمرى قتلهما فهموا بأن يلقوا عليه رحا فانصرف عنهم و بعث إليهم يأمرهم بالجلاء عن بلده إذ كان منهم ما كان من الغدر و النكث، فأبوا ذلك و أذنوا بالمحاربة، فزحف إليهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فحاصرهم خمس عشرة ليلة، ثم صالحوه على أن يخرجوا من بلده، و لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة و الآلة و لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أرضهم و نخلهم و الحلقة و سائر السلاح (و الحلقة الدروع) فكانت أموال بنى النضير خالصة لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و كان يزرع تحت النخل فى أرضهم فيدخل من ذلك قوت أهله و أزواجه سنة، و ما فضل جعله فى الكراع و السلاح و أقطع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من أرض بنى النضير، أبا بكر، و عبد الرحمن بن عوف، و أبا دجانة سماك ابن خرشة الساعدى و غيرهم، و كان أمر بنى النضير فى سنة أربعة من الهجرة، قال الواقدى و كان مخيريق أحد بنى النضير حبرا عالما، فآمن برسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و جعل ماله له و هو سبعة حوائط، فجعلها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم صدقة، و هى الميثب و الصافية و الدلال، و حسنى، و برقة، و الأعوف، و مشربة أم ابراهيم بن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و هى مارية القبطية.

حدثنا القاسم بن سلام، قال حدثنا عبد اللّه بن صالح، قال أخبرنا الليث ابن سعد عن عقيل عن الزهرى، أن وقيعة بنى النضير من يهود كانت على ستة أشهر من يوم أحد، فحاصرهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم حتى نزلوا

فتوح البلدان، ص: ۲۸

على الجلاء و على أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة إلا الحلقة فأنزل اللّه فيهم (سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ) إلى قوله (وَ لِيُخْزِىَ الْفاسِقِينَ) و حدثنا الحسين بن الأسود قال حدثنا يحيى بن آدم، عن ابن أبى زائدة، عن محمد بن اسحاق فى قوله (ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْهُمْ)، قال من بنى النضير (فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لا رِكابٍ وَ لكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلى مَنْ يَشاءُ)، قال أعلمهم انها لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خالصة دون الناس، فقسمها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى المهاجرين إلا أن سهل بن حنيف، و أبا دجانة ذكرا فقرا فأعطاهما، قال و أما قوله (ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ) إلى آخر الآية، قال: هذا قسم آخر بين المسلمين على ما وصفه اللّه. و حدثنى محمد بن حاتم السمين، قال حدثنا الحجاج بن محمد عن ابن جريح، عن موسى بن عقبة، عن نافع عن ابن عمر، قال أحرق رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم نخل بنى النضير و قطع و فى ذلك يقول حسان ابن ثابت:

لهان على سراة بنى لؤى حريق بالبويرة مستطير

قال ابن جريح و فى ذلك نزلت (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً عَلى أُصُولِها فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُخْزِىَ الْفاسِقِينَ) «اللينة النخلة». و حدثنا أبو عبيد قال حدثنا حجاج، عن ابن جريح، عن موسى عن نافع، عن ابن عمر بمثله و قال أبو عمر الشيبانى، الراوية و غيره من الرواة أن هذا الشعر لأبى سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب و إنما هو.

لعز على سراة بنى لؤىحريق بالبويرة مستطير

و يروى بالبويلة. فأجابه حسان بن ثابت فقال:

أدام اللّه ذلكم حريقاو ضرم فى طوائفها السعير

فتوح البلدان، ص: ۲۹ هم أوتوا الكتاب فضيعوهفهم عمى عن التوراة بور

و حدثنى عمرو بن محمد الناقد، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن معمر، عن الزهرى، عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: قال عمر بن الخطاب كانت أموال بنى النضير مما أفاء اللّه على رسوله و لم يوجف المسلمون عليه بخيل و لا ركاب فكانت له خالصة فكان ينفق منها على أهله نفقة سنة، و ما بقى جعله فى الكراع و السلاح عدة فى سبيل اللّه.

حدثنا هشام بن عمار الدمشقى، قال حدثنا حاتم بن إسماعيل قال حدثنا أسامة بن زيد، عن ابن شهاب، عن مالك بن أوس بن الحدثان أنه أخبره أن عمر بن الخطاب، قال كانت لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ثلاث صفايا، مال بنى النضير و خيبر، و فدك، فأما أموال بنى النضير فكانت حبسا لنوائبه، و أما فدك فكانت لأبناء السبيل، و أما خيبر فجزأها ثلاثة أجزاء، فقسم جزأين منها بين المسلمين و حبسر جزءا لنفسه و نفقة أهله، فما فضل من نفقتهم رده الى فقراء المهاجرين و حدثنا الحسين بن الأسود، قال حدثنا يحيى بن آدم، قال حدثنا سفيان عن الزهرى قال. كانت أموال بنى النضير مما أفاء اللّه على رسوله و لم يوجف المسلمون عليه بخيل و لا ركاب فكانت لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خالصة فقسمها بين المهاجرين و لم يعط أحدا من الأنصار منها شيئا إلا رجلين كانا فقيرين، سماك بن خرشة أبا دجانة، و سهل بن حنيف.

و حدثنا الحسين، قال حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، أبى الكلبى، قال لما ظهر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم على أموال بنى النضير، و كانوا أول من أجلى قال اللّه تبارك و تعالى (هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) و الحشر الجلاء، فكانت مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل و لا ركاب، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم للأنصار ليست لإخوانكم

فتوح البلدان، ص: ۳۰

من المهاجرين أموال، فإن شئتم قسمت هذه و أموالكم بينكم و بينهم جميعا، و إن شئتم أمسكتم أموالكم و قسمت هذه فيهم خاصة، فقالوا. بل قسم هذه فيهم و اقسم لهم من أموالنا ما شئت فنزلت (وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ)

فقال أبو بكر: جزاكم اللّه يا معشر الأنصار خيرا، فو اللّه ما مثلنا و مثلكم إلا كما قال الغنوى

جزى اللّه عنا جعفرا حين أزلقتبنا نعلنا فى الوطأتين فزلت

أبوا أن يملونا و لو أن أمناتلاقى الذى يلقون منا لملت

فذو المال موفور و كل معصبإلى حجرات أدفأت و أظلت

و حدثنا الحسين، قال حدثنا يحيى بن آدم، قال أخبرنا قيس بن الربيع، عن هشام بن عروة عن أبيه، قال أقطع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الزبير بن العوام أرضا من أرض بنى النضير ذات نخل. و حدثنا الحسين، قال حدثنا يحيى، قال حدثنا يزيد بن عبد العزيز، عن هشام بن عروة عن أبيه. قال أقطع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من أموال بنى النضير. و اقطع الزبير. و حدثنى محمد بن سعد. كاتب الواقدى. قال حدثنا أنس بن عياض. و عبد اللّه بن نمير قالا حدثنا هشام بن عروة عن أبيه، أن النبى صلى اللّه عليه و سلم أقطع الزبير أرضا من أموال بنى النضير فيها نخل. و أن أبا بكر أقطع الزبير الجرف.

قال أنس فى حديثه أرضا مواتا. و قال عبد اللّه بن نمير فى حديثه. و ان عمر أقطع الزبير العقيق أجمع.

أموال بنى قريظة

قالوا حاصر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بنى قريظة لليال من ذى القعدة و ليال من ذى الحجة سنة خمس. فكان حصارهم خمس عشرة ليلة و كانوا ممن

فتوح البلدان، ص: ۳۱

أعان على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى غزوة الخندق، و هى غزوة الأحزاب ثم انهم نزلوا على حكمه، فحكم فيهم سعد بن معاذ الأوسى، فحكم بقتل من جرت عليه المواسى، و بسبى النساء و الذرية، و ان يقسم ما لهم بين المسلمين، فأجاز رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ذلك، و قال: لقد حكمت بحكم اللّه و رسوله.

حدثنى عبد الواحد بن غياث، قال حدثنا حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لما فرغ من الأحزاب دخل مغتسلا ليغتسل، فجاءه جبريل، فقال: يا محمد قد وضعتم أسلحتكم و ما وضعنا أسلحتنا بعد، انهد إلى بنى قريظة فقالت عائشة يا رسول اللّه لقد رأيته من خلل الباب، و قد عصب التراب رأسه.

و حدثنى عبد الواحد بن غياث، قال حدثنا حماد بن سلمة عن أبى جعفر الخطمى، عن عمارة بن خزيمة، عن كثير بن السائب أن بنى قريظة عرضوا على النبى صلى اللّه عليه و سلم، فمن كان منهم محتلما أو قد نبتت عانته قتل، و من لم يكن احتلم و لا نبتت عانته ترك.

و حدثنى وهب بن بقية، قال حدثنا يزيد بن هارون، عن هشام عن الحسن قال: عاهد حيى بن أخطب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم على أن لا يظاهر عليه أحدا و جعل اللّه عليه كفيلا، فلما أتى به رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يوم قريظة و بابنه، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: لقد أوفى الكفل، ثم أمر به فضربت عنقه و عنق ابنه، حدثنى بكر بن الهيثم، قال حدثنا عبد الرزاق، عن معمر قال سألت الزهرى، هل كانت لبنى قريظة أرض، فقال سديد اقسمها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بين المسلمين على السهام. و حدثنى الحسين بن الأسود قال:

حدثنا يحيى بن آدم، عن أبى بكر بن عياش، عن الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس، قال: قسم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أموال بنى قريظة و خيبر بين المسلمين حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح،

فتوح البلدان، ص: ۳۲

كاتب الليث عن الليث بن سعد، عن عقيل، عن الزهرى أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم حاصر بنى قريظة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ فقضى بأن تقتل رجالهم، و سبى ذراريهم، و تقسم أموالهم، فقتل منهم يومئذ كذا و كذا رجلا.

غزوة خيبر

قالوا غزا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خيبر فى سنة سبع، فطاوله أهلها و ماكثوه و قاتلوا المسلمين، فحاصرهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قريبا من شهر، ثم أنهم صالحوه على حقن دمائهم، و ترك الذرية على أن يجلوا و يخلوا بين المسلمين و بين الأرض و الصفراء و البيضاء و البزة، إلا ما كان منها على الأجساد و أن لا يكتموه شيئا، ثم قالوا لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، ان لنا بالعمارة و القيام على النخل علما فأقرنا،

فأقرهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و عاملهم على الشطر من الثمر و الحب، و قال: أقركم ما أقركم اللّه،

فلما كانت خلافة عمر ابن الخطاب رضى اللّه عنه ظهر فيهم الوباء، و تعبثوا بالمسلمين، فأجلاهم عمر، و قسم خيبر بين من كان له فيها سهم من المسلمين.

حدثنى الحسين بن الأسود، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال حدثنا زياد بن عبد اللّه بن طفيل، عن محمد بن إسحاق، قال سألت بن شهاب عن خيبر، فأخبرنى أنه بلغه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم افتتحها عنوة بعد القتال، و كانت مما أفاء اللّه على رسوله صلى

اللّه علیه و سلم، فخمسها رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و قسمها بین المسلمین، و نزل من ترک من أهلها علی الجلاء، فدعاهم رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم إلی المعاملة ففعلوا. و حدثنی عبد الأعلی بن حماد النرسی، قال حدثنا حماد بن سلمة عن عبید اللّه بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، قال: أتی رسول اللّه صلی اللّه علیه

فتوح البلدان، ص: ۳۳

و سلم أهل خیبر فقاتلهم حتی ألجاهم إلی قصرهم و غلبهم علی الأرض و النخل و صالحهم علی أن یحقن دماءهم و یجلوا و لهم ما حملت رکابهم، و لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم الصفراء و البیضاء و الحلقة، و اشترط علیهم أن لا یکتموا، و لا یغیبوا شیئا فإن فعلوا فلا ذمة لهم و لا عهد، فغیبوا مسکا فیه مال و حلی لحیی ابن أخطب، و کان احتمله معه الی خیبر حین أجلیت بنو النضیر،

فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم لسعیة بن عمرو ما فعل مسک حیی الذی جاء به من قبل بنی النضیر قال أذهبته الحروب و النفقات، قال: العهد قریب، و المال کثیر،

و قد کان حیی قتل قبل ذلک، فدفع رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم سعیة إلی الزبیر فمسه بعذاب، فقال رأیت حییا یطوف فی خربة ههنا، فذهبوا الی الخربة ففتشوها فوجدوا المسک، فقتل رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم ابنی أبی الحقیق، و أحدهما زوج صفیة بنت حیی بن أخطب، و سبی نساءهم و ذراریهم، و قسم أموالهم للنکث الذی نکثوا فأراد أن یجلیهم عنها، فقالوا دعنا نکن فی هذه الأرض نصلحها و نقوم علیها، و لم یکن لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و أصحابه غلمان یقومون بها، و کانوا لا یفرغون للقیام علیها بأنفسهم، فأعطاهم رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم خیبر علی أن لهم الشطر من کل زرع و نخل و شیء ما بدا لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم،

فکان عبد اللّه بن رواحة یأتیهم فی کل عام فیخرصها علیهم ثم یضمنهم الشطر، فشکوا إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم شدة خرصه و أرادوا أن یرشوه فقال یا أعداء اللّه أ تطعموننی السحت و اللّه لقد جئتکم من عند أحب الناس إلی و أنکم لأبغض إلی من عدتکم من القرود و الخنازیر. و لن یحملنی بغضی لکم و حبی إیاه علی أن لا أعدل علیکم، فقالوا بهذا قامت السماوات و الأرض. قال و رأی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بعین صفیة بنت حیی خضرة فقال یا صفیة ما هذه الخضرة

فتوح البلدان، ص: ۳۴

فقالت کان رأسی فی حجر ابن أبی الحقیق و أنا نائمة، فرأیت کأن قمرا وقع فی حجری، فأخبرته بذلک فلطمنی، و قال أ تمنین ملک یثرب،

قالت: و کان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أبغض الناس إلی قتل زوجی و أبی و أخی، فما زال یعتذر و یقول ان أباک ألب علی العرب و فعل و فعل حتی ذهب ذلک من نفسی، قال و کان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یعطی کل امرأة من نسائه ثمانین و سقا من تمر کل عام، و عشرین و سقا من شعیر من خیبر، قال نافع فلما کان عمر بن الخطاب عاثوا فی المسلمین و غشوهم و ألقوا ابن عمر من فوق بیت و فدغوا یدیه، فقسمها عمر رضی اللّه عنه بین المسلمین ممن کان شهد خیبر من أهل الحدیبیة.

و حدثنا الحسین بن الأسود، حدثنا یحیی بن آدم، عن زیاد البکائی، عن محمد بن إسحاق، عن عبد اللّه بن أبی بکر بن محمد بن عمرو بن حزم، قال حصر رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أهل خیبر فی حصنیهم الوطیح و سلالم، فلما أیقنوا بالهلکة سألوه أن یسیرهم و یحقن دماءهم ففعل، و کان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم قد حاز الأموال کلها الشق و النطاة و الکتیبة و جمیع حصونهم إلا ما کان فی هذین الحصنین، حدثنا الحسین بن الأسود قال حدثنا یحیی بن آدم، قال حدثنا عبد السلام بن حرب، عن شعبة، عن الحکم، عن عبد الرحمن بن أبی لیلی فی قوله تعالی: (وَ أَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِیباً)، قال خیبر (وَ أُخْری لَمْ تَقْدِرُوا عَلَیْها) فارس و الروم.

حدثنا عمر و النقد، حدثنا یزید بن هارون، أخبرنا یحیی بن سعید عن بشیر بن یسار، أن النبی صلی اللّه علیه و سلم قسم خیبر علی ستة و ثلاثین سهما و جعل کل سهم مائة سهم فعزل نصفها لنوائبه و ما ینزل به و قسم النصف الباقی بین المسلمین فکان سهم رسول اللّه

صلى اللّه عليه و سلم فيما قسم الشق و النطاة و ما حيز

فتوح البلدان، ص: ۳۵

معهما، و كان فيما وقف الكتيبة و سلالم، فلما صارت الأموال فى يدى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لم يكن له من العمال من يكفيه عمل الأرض فدفعها إلى اليهود و يعملونها على نصف ما خرج منها فلم يزل على ذلك حياة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و أبى بكر، فلما كان عمرو كثر المال فى أيدى المسلمين و قووا على عمارة الأرض أجلى اليهود إلى الشام و قسم الأموال بين المسلمين.

حدثنى بكر بن الهيثم، قال: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهرى أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لما فتح خيبر كان سهم الخمس منها الكتيبة، و كان الشق و النطاة و سلالم و الوطيح للمسلمين، فاقرها فى يد يهود على الشطر فكان ما أخرج اللّه منها للمسلمين يقسم بينهم، حتى كان عمر فقسم رقبة الأرض بينهم على سهامهم. و حدثنا أبو عبيد، قال حدثنا على بن معبد، عن أبى المليح عن ميمون بن مهران، قال: حصر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أهل خيبر ما بين عشرين ليلة إلى ثلاثين ليلة.

حدثنا الحسين بن الأسود، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال أخبرنا حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار. أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قسم خيبر على ستة و ثلاثين سهما، لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ثمانية عشر سهما، لما ينوبه من الحقوق، و أمر الناس، و الوفود، و قسم ثمانية عشره سهما كل سهم لمائة رجل. و حدثنا الحسين، قال حدثنا يحيى بن آدم. عن عبد السلام ابن حرب، عن يحيى بن سعيد، قال سمعت بشير بن يسار يقول قسمت سهمان خيبر على ستة و ثلاثين سهما جمع كل سهم مائة سهم، فكان من ذلك للمسلمين ثمانية عشر سهما اقتسموها بينهم و لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مثل سهم أحدهم. و ثمانية عشر سهما لمن نزل برسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من الناس. و الوفود. و ما نابه.

فتوح البلدان، ص: ۳۶

حدثنا عمرو الناقد. و الحسين بن الأسود، قالا حدثنا وكيع بن الجراح، قال حدثنى العمرى. عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم.

بعث ابن رواحة إلى خيبر، فخرص عليهم النخل، ثم خيرهم أن يأخذوا أو يردوا، فقالوا هذا الحق و به قامت السماوات و الأرض. و حدثنا إسحاق بن أبى إسرائيل، قال: حدثنا الحجاج بن محمد، عن ابن جريح، عن رجل من أهل المدينة: أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صالح بنى أبى الحقيق على أن لا يكتموا كنزا، فكتموه، فاستحل دماءهم.

حدثنا أبو عبيد، قال حدثنا على بن معبد، عن أبى المليح عن ميمون بن مهران أن أهل خيبر أخذوا الأمان على أنفسهم. و ذراريهم. على أن لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كل شىء فى الحصن،

قال: و كان فى الحصن أهل بيت فيهم شدة على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فقال لهم: قد عرفت عداوتكم للّه، و لرسوله، و لن يمنعنى ذلك من أن أعطيكم ما أعطيت أصحابكم، و قد أعطيتمونى أنكم إن كتمتم شيئا حلت لى دماؤكم، ما فعلت آنيتكم، قالوا استهلكناها فى حربنا، قال فأمر أصحابه فأتوا المكان الذى هى فيه فاستثناؤها ثم ضرب أعناقهم.

حدثنا عمرو الناقد، و محمد بن الصباح، قالا: حدثنا هشيم، قال أخبرنا ابن أبى ليلى، عن الحكم بن عتيبة، عن مقسم، عن ابن عباس، قال دفع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خيبر بأرضها و نخلها إلى أهلها مقاسمة على النصف حدثنا محمد بن الصباح، قال: حدثنا هشيم بن بشير، قال أخبرنا داود بن أبى هند، عن الشعبى، قال: دفع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خيبر إلى أهلها بالنصف، و بعث عبد اللّه بن رواحة لخرص التمر- أو قال النخل- فحرص عليهم و جعل ذلك نصفين. فخيرهم أن يأخذوا أيهما شاءوا. فقالوا بهذا قامت السماوات

فتوح البلدان، ص: ۳۷

و الأرض، و حدثنا بعض أصحاب أبى يوسف، قال حدثنا أبو يوسف، عن مسلم الأعور، عن أنس أن عبد اللّه بن رواحة قال لأهل خيبر، ان شئتم خرصت و خيرتكم، و ان شئتم خرصتم و خيرتمونى فقالوا: بهذا قامت السماوات و الأرض و حدثنا القسم بن سلام، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح المصرى، عن ليث ابن سعد، عن يونس بن يزيد، عن الزهرى أن النبى صلى اللّه عليه و سلم فتح خيبر عنوة بعد قتال، فخمسها، و قسم أربعة أخماسها بين المسلمين.

و حدثنا عبد الأعلى بن حماد النرسى، قال قرأت على مالك بن أنس، عن ابن شهاب، قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب،

ففحص عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه عن ذلك حتى أتاه الثلج و اليقين

أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، قال: لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب

فأجلى يهود خيبر.

حدثنى الوليد بن صالح، عن الواقدى عن أشياخه، أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أطعم من سهمه بخيبر طعما فجعل لكل امرأة من نسائه ثمانين و سقا من تمر، و عشرين و سقا من شعير، و أطعم عمه العباس بن عبد المطلب رضى اللّه عنه مائتى و سق، و أطعم أبا بكر و عمر و الحسن و الحسين و غيرهم و أطعم بنى المطلب بن عبد مناف أوساقا معلومة، و كتب لهم بذلك كتابا ثابتا و حدثنى الوليد، عن الواقدى عن أفلح بن حميد. عن أبيه. قال: ولانى عمر ابن عبد العزيز الكتيبة فكنا نعطى ورثة المطعمين. و كانوا محصين عندنا و حدثنا محمد بن حاتم السمين، قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن ليث عن نافع، قال: أعطى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خيبر أهلها بالشطر فكانت فى أيديهم حياة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و أبى بكر، و صدرا من خلافة عمر ثم أن عبد اللّه بن عمر أتاهم فى حاجة فبيتوه فأخرجهم منها و قسمها بين

فتوح البلدان، ص: ۳۸

من حضرها من المسلمين و جعل لأزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم فيها نصيبا و قال أيتكن شاءت أخذت الثمرة و أيتكن شاءت أخذت الضيعة فكانت لها و لورثتها. و حدثنى الحسين بن الأسود. قال: حدثنا أبو بكر بن عياش عن الكلبى، عن أبى صالح عن ابن عباس قال: قسمت خيبر على ألف و خمسمائة سهم و ثمانين سهما. و كانوا ألفا و خمسمائة و ثمانين رجلا. الذين شهدوا الحديبية منهم ألف و خمسمائة و أربعون. و الذين كانوا مع جعفر بن أبى طالب بأرض الحبشة أربعون رجلا.

حدثنا الحسين بن الأسود. قال حدثنى يحيى بن آدم قال: حدثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه قال: أقطع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الزبير أرضا بخيبر فيها نخل و شجر.

فتح فدک

قالوا: بعث رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى أهل فدک منصرفه من خيبر محيصة بن مسعود الأنصارى يدعوهم إلى الإسلام. و رئيسهم رجل منهم، يقال له يوشع بن نون اليهودى، فصالحوا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم على نصف الأرض بتربتها فقيل ذلک منهم، فكان نصف فدک خالصا لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، لأنه لم يوجف المسلمون عليه بخيل و لا ركاب، و كان يصرف ما يأتيه منها إلى أبناء السبيل. و لم يزل أهلها بها إلى أن استخلف عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه. و أجلى يهود الحجاز فوجه أبا الهيثم مالک بن التيهان- و يقال النيهان- و سهل بن ابى حثمة، و زيد بن ثابت الأنصاريين. فقوموا بصف تربتها بقيمة عدل. فدفعها إلى اليهودى و أجلاهم إلى الشام.

فتوح البلدان، ص: ۳۹

حدثنا سعيد بن سليمان. عن الليث بن سعد. عن يحيى بن سعيد أن أهل فدک صالحوا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم على نصف

أرضهم و نخلهم. فلما أجلاهم عمر بعث من أقام لهم حظهم من النخل و الأرض فأداه إليهم.

حدثنى بكر بن الهيثم: حدثنا عبد الرزاق، عن معمرى عن الزهرى أن عمر بن الخطاب أعطى أهل فدك قيمة نصف أرضهم و تخلهم.

حدثنا الحسين بن الأسود قال: حدثنا يحيى بن آدم قال: حدثنا ابن أبى زائدة عن محمد بن إسحاق. عن الزهرى و عبد اللّه بن أبى بكر. و بعض ولد محمد بن مسلمة قالوا: بقيت بقية من أهل خيبر تحصنوا و سألوا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أن يحقن دماءهم و يسيرهم فسمع بذلك أهل فدك فنزلوا على مثل ذلك، و كانت فدك لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خاصة لأنه لم يوجف المسلمون عليها بخيل و لا ركاب.

و حدثنا الحسين عن يحيى بن آدم عن زياد البكائى عن محمد بن إسحاق، عن عبد اللّه بن أبى بكر بنحوه و زاد فيه، و كان فيمن مشى بينهم محيصة ابن مسعود.

حدثنا الحسين، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنى ابراهيم بن حميد عن أسامة بن زيد عن ابن شهاب عن مالك بن أوسى بن الحدثان عن عمر رضى اللّه عنه، قال: كانت لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ثلاث صفايا فكانت أرض بنى النضير حبسا، و كانت لنوائبه، و جزأ خيبر على ثلاثة أجزاء و كانت فدك لأبناء السبيل.

حدثنا عبد اللّه بن صالح العجلى، قال: حدثنا صفوان بن عيسى عن أسامة ابن زيد عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير، أن أزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم أرسلن عثمان بن عفان إلى أبى بكر يسألنه مواريثهن من سهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بخيبر و فدك، فقالت لهن عائشة أما تتقين اللّه، أما سمعتن

فتوح البلدان، ص: ۴۰

رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول: «لا نورث ما تركنا صدقة إنما هذا المال لآل محمد، لنائبتهم و ضيفهم، فإذا مت فهو إلى والى الأمر بعدى، قال: فأمسكن»

حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقى، حدثنا صفوان بن عيسى الزهرى عن أسامة عن ابن شهاب عن عروة بمثله. حدثنى ابراهيم بن محمد عن عرعرة عن عبد الرزاق عن معمر عن الكلبى، ان بنى أمية اصطفوا فدك و غيروا سنة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فيها، فلما ولى عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه ردها إلى ما كانت عليه.

و حدثنا عبد اللّه بن ميمون المكتب، قال: أخبرنا الفضيل بن عياض عن مالك بن جعونة عن أبيه، قال: قالت فاطمة لأبى بكر ان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم جعل لى فدك فأعطنى إياها و شهد لها على بن أبى طالب فسألها شاهدا آخر فشهدت لها أم أيمن، فقال قد علمت يا بنت رسول اللّه أنه لا تجوز إلا شهادة رجلين أو رجل و امرأتين فانصرفت.

و

و حدثنى روح الكرابيسى قال: حدثنا زيد بن الحباب، قال: أخبرنا خالد بن طهمان، عن رجل حسبه روح جعفر بن محمد أن فاطمة رضى اللّه عنها قالت لأبى بكر الصديق رضى اللّه عنه أعطنى فدك فقد جعلها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لى فسألها البينة فجاءت بأم أيمن و رباح مولى النبى صلى اللّه عليه و سلم فشهدا لها بذلك فقال إن هذا الأمر لا تجوز فيه إلا شهادة رجل و امرأتين.

حدثنا ابن عائشة التيمى، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن السائب الكلبى، عن أبى صالح باذام، عن أم هانئ أن فاطمة بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أتت أبا بكر الصديق رضى اللّه عنه، فقالت له من يرثك إذا مت قال ولدى و أهلى، قالت فما بالك ورثت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم دوننا، فقال يا بنت رسول اللّه و اللّه ما ورثت أباك ذهبا و لا فضة و لا كذا و لا كذا.

فتوح البلدان، ص: ۴۱

فقالت سهمنا بخيبر و صدقتنا فدك، فقال يا بنت رسول اللّه سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول «إنما هى طعمة أطعمنها اللّه

حياتى فإذا مت فهى بين المسلمين».

حدثنا عثمان بن أبى شيبة، قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن مغيرة أن عمر بن عبد العزيز جمع بنى أمية فقال: إن فدك كانت للنبيّ صلى اللّه عليه و سلم، فكان ينفق منها، و يأكل، و يعود على فقراء بنى هاشم، و يزوج أيمهم و أن فاطمة سألته أن يهبها لها فلب، فلما قبض عمل أبو بكر فيها كعمل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، ثم ولى عمر فعمل فيها بمثل ذلك، و إنى أشهدكم أنى قد رددتها إلى ما كانت عليه.

حدثنا سريج بن يونس، قال: أخبرنا إسماعيل بن ابراهيم عن أيوب عن الزهرى فى قول اللّه تعالى (فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لا رِكابٍ)، قال هذه قرى عربية لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فدك و كذا و كذا.

حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنا سعيد بن عفير، عن مالك بن أنس، قال أبو عبيد لا أدرى ذكره عن الزهرى أم لا، قال أجلى عمر يهود خيبر فخرجوا منها، فأما يهود فدك فكان لهم نصف الثمرة و نصف الأرض لأن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم صالحهم على ذلك، فأقام لهم عمر نصف الثمرة و نصف الأرض من ذهب و ورق و اقتاب ثم أجلاهم. و حدثنى عمرو الناقد، قال حدثنى الحجاج بن أبى منيع الرصافى، عن أبيه عن أبى برقان، ان عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة خطب، فقال: ان فدك كانت مما أفاء اللّه على رسوله، و لم يوجف المسلمون عليه بخيل و لا ركاب، فسألته إياها فاطمة رحمها اللّه تعالى، فقال: ما كان لك أن تسألينى و ما كان لى أن أعطيك فكان يضع ما يأتيه منها فى أبناء السبيل، ثم ولى أبو بكر و عمرو عثمان و على

فتوح البلدان، ص: ۴۲

رضى اللّه عنهم فوضعوا ذلك بحيث وضعه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، ثم ولى معاوية فأقطعها مروان بن الحكم فوهبها مروان لأبى و لعبد الملك فصارت لى و للوليد و سليمان، فلما ولى الوليد سألته حصته منها فوهبها لى و سألت سليمان حصته منها فوهبها لى فاستجمعتها و ما كان لى من مال أحب إلى منها، فاشهدوا أنى قد رددتها إلى ما كانت عليه، و لما كانت سنة عشر و مائتين أمر أمير المؤمنين المأمون، عبد اللّه بن هارون الرشيد فدفعها إلى ولد فاطمة و كتب بذلك إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة، أما بعد، فإن أمير المؤمنين بمكانه من دين اللّه. و خلافة رسوله صلى اللّه عليه و سلم و القرابة به أولى من استن سنته، و نفذ أمره و سلم لمن منحه منحة و تصدق عليه بصدقة منحته و صدقته، و بالله توفيق أمير المؤمنين و عصمته، و إليه فى العمل بما يقربه إليه رغبته، و قد كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أعطى فاطمة بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فدك و تصدق بها عليها، و كان ذلك أمرا ظاهرا معروفا لاختلاف فيه بين آل رسول اللّه صلى اللّه عليه، و لم تزل تدعى منه ما هو أولى به من صدق عليه فرأى أمير المؤمنين أن يردها إلى ورثتها و يسلمها إليهم تقربا إلى اللّه تعالى باقامة حقه و عدله و إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بتنفيذ أمره و صدقته، فأمر بإثبات ذلك فى دواوينه و الكتاب به إلى عماله، فلأن كان ينادى فى كل موسم بعد أن قبض اللّه نبيه صلى اللّه عليه أن يذكر كل من كانت له صدقة أو وهبة أو عدة ذلك فيقبل قوله و ينفذ عدته، أن فاطمة رضى اللّه عنها لأولى بأن يصدق قولها فيما جعل رسول صلى اللّه عليه و سلم لها، و قد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبرى مولى أمير المؤمنين يأمره برد فدك على ورثة فاطمة بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بحدودها و جميع حقوقها المنسوبة إليها و ما فيها من الرقيق

فتوح البلدان، ص: ۴۳

و الغلات و غير ذلك و تسليمها الى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، و محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب لتولية أمير المؤمنين إياهما القيام بها لأهلها فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين و ما ألهمه اللّه من طاعته و وفقه له من التقرب إليه و إلى رسوله صلى اللّه عليه و سلم و اعلمه من قبلك، و عامل محمد بن يحيى و محمد ابن عبد اللّه بما كنت تعامل به المبارك الطبرى، و أعنهما على ما فيه عمارتها و مصلحتها و وفور غلاتها إن شاء اللّه و السلام» و كتب يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ذى القعدة سنة عشر و مائتين، فلما استخلف المتوكل على اللّه رحمه اللّه أمر بردها إلى ما

كانت عليه قبل المأمون رحمه اللّه.

أمر وادى القرى و تيماء

قالوا: أتى رسول اللّه عليه و سلم منصرفه من خيبر وادى القرى فدعى أهلها إلى الإسلام فامتنعوا من ذلك و قاتلوا، ففتحها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عنوة و غنمه اللّه أموال أهلها و أصاب المسلمون منهم أثاثا و متاعا فخمس رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ذلك و ترك النخل و الأرض فى أيدى اليهود و عاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر، فقيل أن عمر أجلى يهودها و قسمها بين من قاتل عليها، و قيل: أنه لم يجلهم لأنها خارجة من الحجاز، و هى اليوم مضافة إلى عمل المدينة و أعراضها.

و أخبرنى عدة من أهل العلم: أن رفاعة بن زيد الجذامى كان أهدى لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم غلاما يقال له مدعم، فلما كانت غزاة وادى القرى أصابه سهم غرب و هو يحط رحل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم

فقيل: يا رسول اللّه هنيئا لغلامك أصابه سهم فاستشهد فقال: كلا ان الشعلة التى أخذها من المغانم يوم خيبر لتشتمل عليه نارا.

فتوح البلدان، ص: ۴۴

حدثنا شيبان بن فروخ، قال: حدثنا أبو الأشهب، عن الحسن، أنه قيل لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم استشهد فتاك فلان، فقال: انه يجر إلى النار فى عباءة غلها.

و حدثنى عبد الواحد بن غياث، قال: حدثنا حماد بن سلمة عن الجريرى عن عبد اللّه بن سفيان، قال: و حدثنا حبيب بن الشهيد، عن الحسن أنه قيل لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم هنيئا لك استشهد فتاك فلان فقال بل هو يجر إلى النار فى عباءة غلها.

قالوا: و لما بلغ أهل تيماء ما وطئ به رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أهل وادى القرى صالحوه على الجزية فأقاموا ببلادهم و أرضهم فى أيديهم و ولى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عمرو بن سعيد بن العاصى بن أمية وادى القرى، و ولى يزيد بن أبى سفيان بعد الفتح، و كان إسلامه يوم فتح تيماء و حدثنى عبد الأعلى بن حماد النرسى، قال: حدثنا حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد عن إسماعيل بن حكيم عن عمر بن عبد العزيز أن عمر بن الخطاب أجلى أهل فدك و تيماء و خيبر، قال و كان قتال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أهل وادى القرى فى جمادى الآخر سنة سبع.

حدثنى العباس بن هشام الكلبى عن أبيه عن جده، قال: أقطع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم حمزة بن النعمان بن هوذة العذرى رمية سوطه من وادى القرى، و كان سيد بنى عذرة، و هو أول أهل الحجاز قدم على النبى صلى اللّه عليه و سلم بصدقة بنى عذرة و حدثنى على بن محمد بن عبد اللّه مولى قريش عن العباس بن عامر عن عمه، قال أتى عبد الملك بن مروان يزيد بن معاوية فقال يا أمير المؤمنين ان أمير المؤمنين معاوية كان ابتاع من بعض اليهود أرضا وادى القرى، و أحيا إليها أرضا. و ليست لك بذلك المال عناية. فقد ضاع و قلت

فتوح البلدان، ص: ۴۵

غلته فاقطعنيه فانه لا خطر له، فقال يزيد: انا لا نبخل بكبير و لا نخدع عن صغير فقال يا أمير المؤمنين: غلته كذا، قال: هو لك، فلما ولى قال يزيد: هذا الذى يقال انه بلى بعدنا فان بكن ذلك حقا فقد صانعناه و ان يكن باطلا فقد وصلناه

فتح مكة المكرمة

قالوا: لما قاضى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قريشا عام الحديبية و كتب القضية على الهدنة، و أنه من أحب أن يدخل فى عهد محمد صلى اللّه عليه و سلم دخل و من أحب أن يدخل فى عهد قريش دخل و انه من أتى قريشا من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لم يردوه و من أتاه منهم و من حلفائهم رده قام من كان من كنانة فقالوا ندخل فى عهد قريش و مدتها و قامت خزاعة

فقالت ندخل فى عهد محمد و عقده و قد كان بين عبد المطلب و خزاعة حلف قديم فلذلك قال عمرو بن سالم بن حصيرة الخزاعى.

لاهم انى ناشد محمداحلف أبينا و أبيه الأتلدا

ثم ان رجلا من خذاعة سمع رجلا من كنانة ينشد هجاء فى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فوثب عليه فشجه فهاج ذلك بينهم الشر و القتال، و أعانت قريش بنى كنانة، و خرج منهم رجال معهم فبيتوا خزاعة فكان ذلك مما نقضوا العهد و القضية، و قدم على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عمرو بن سالم بن حصيرة الخزاعى يستنصر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فدعاه ذلك إلى غزو مكة.

و حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام، قال: حدثنا عثمان بن صالح، عن بن لهيعة عن أبى الأسود، عن عروة فى حديث طويل، قال: فهادنت قريش رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم على أن يأمن بعضهم بعضا على الأغلال و الإسلال- أو قال إرسال- فمن قدم مكة حاجا أو معتمرا أو مجتازا الى اليمن و الطائف فهو آمن

فتوح البلدان، ص: ۴۶

و من قدم المدينة من المشركين عامدا إلى الشام و المشرق فهو آمن، قال:

فادخل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى عهده بنى كعب، و أدخلت قريش فى عهدها حلفاءها من بنى كنانة و حدثنا عبد الواحد بن غياث، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنا أيوب، عن عكرمة أن بنى بكر من كنانة كانوا فى صلح قريش و كانت خزاعة فى صلح رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فاقتتلت بنو بكر و خزاعة بعرفة، فامدت قريش بنى بكر بالسلاح و سقوهم الماء و ظللوهم، فقال بعضهم لبعض: نكثتم العهد فقالوا ما نكثنا و اللّه ما قاتلنا انما مددناهم و سقيناهم و ظللناهم، فقالوا لأبى سفيان بن حرب: انطلق فأجد الحلف و أصلح بين الناس فقدم أبو سفيان المدينة فلقى أبا بكر فقال له: يا أبا بكر أجد الحلف و أصلح بين الناس فقال عمر: قطع اللّه منه ما كان متصلا، و أبلى ما كان جديدا، فقال أبو سفيان تاللّه ما رأيت شاهد عشيرة شرا منك، فانطلق إلى فاطمة فقالت: الق عليا فلقيه فذكر له مثل ذلك،

فقال على: أنت شيخ قريش و سيدها فأجد الحلف و أصلح بين الناس،

فضرب أبو سفيان يمينه على شماله، و قال: قد جددت الحلف و أصلحت بين الناس، ثم انطلق حتى أتى مكة، و قد كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال إن أبا سفيان قد أقبل و سيرجع راضيا بغير قضاء حاجة فلما رجع إلى أهل مكة أخبرهم الخبر، فقالوا تاللّه ما رأينا أحمق منك ما جئتنا بحرب فنحذر و لا بسلم فتأمن،

و جاءت خزاعة إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فشكوا ما أصابهم، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إنى قد أمرت بإحدى القريتين مكة أو الطائف و أمر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بالمسير فخرج فى أصحابه و قال «اللهم اضرب على آذانهم فلا يسمعوا حتى نبغتهم بغتة»

و أغذ المسير حتى نزل مر الظهران، و قد كانت قريش قالت لأبى سفيان: ارجع، فلما بلغ مر الظهران و رأى النيران و الأخبية،

فتوح البلدان، ص: ۴۷

قال: ما شأن الناس، كأنهم أهل عشية عرفة، و غشيته خيول رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فأخذوه أسيرا فأتى النبى صلى اللّه عليه و سلم، و جاء عمر فأراد قتله فمنعه العباس و أسلم، فدخل على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. فلما كان عند صلاة الصبح تحشحش الناس وضوءا للصلاة، فقال أبو سفيان للعباس بن عبد المطلب: ما شأنهم يريدون قتلى. قال: لا و لكنهم قاموا إلى الصلاة، فلما دخلوا فى صلاتهم رآهم إذا ركع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ركعوا، و إذا سجد سجدوا فقال: تاللّه ما رأيت كاليوم طواعية قوم جاءوا من ههنا و ههنا و لا فارس الكرام و لا الروم ذات القرون،

فقال العباس: يا رسول اللّه ابعثنى إلى أهل مكة أدعهم إلى الإسلام، فلما بعثه أرسل فى أثره و قال: ردوا على عمى لا يقتله المشركون،

فأبى أن يرجع حتى أتى مكـة، فقال أى قوم اسلموا تسلموا أتيتم أتيتم و استبطنتم بأشـهب بازل، هذا خالد بأسـفل مكة، و هذا الزبير بأعلى مكة، و هذا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى المهاجرين و الأنصار و خزاعة، فقال قريش: و ما خزاعة المجدعة الأنوف.

و حدثنا عبد الواحد بن غياث، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن أبى هريرة أن قائل خزاعة، قال للنبىّ صلى اللّه عليه و سلم:

لاهم انى ناشد محمداحلف أبينا و أبيه الأتلدا

فانصر هداك اللّه نصرا أيداوادع عباد اللّه يأتوا مددا

قال حماد: فحـدثنى على بن زيـد، عن عكرمـة أن خزاعة نادوا النبى صـلى اللّه عليه و سـلم، و هو يغتسل فقال لبيكم، و قال الواقدى و غيره، تسلح قوم من قريش يوم الفتح، و قالوا: لا يدخلها محمد إلا عنوة، فقاتلهم خالد بن الوليد، و كان أول من أمره رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بالدخول،

فتوح البلدان، ص: ۴۸

فقتل أربعة و عشرين رجلا من قريش، و أربعة نفرا من هذيل، و يقال:

قتل يومئذ ثلاثة و عشـرين رجلا من قريش، و انهزم الباقون فاعتصـموا برءوس الجبال و توغلوا فيها و استشـهد من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سـلم يومئذ كرز بن جابر الفهرى، و خالد الأشعر الكعبى، و قال هشام ابن الكلبى: هو حبيشّ الأشعر ابن خالد الكعبى من خزاعة.

و حدثنا شيبان بن أبى شيبة الأبلى، حدثنا سليمان بن المغيرة، قال:

حدثنا ثابت البنانى، عن عبد اللّه بن رباح، قال، وفدت إلى وفود معاوية و ذلك فى شـهر رمضان، و كان بعضنا يصنع لبعض الطعام، و كان أبو هريرة مما يكثر أن يدعونا إلى رحله، قال: فصنعت لهم طعاما و دعوتهم، فقال:

أبو هريرة ألا أعللكم بحديث من حديثكم معشـر الأنصار ثم ذكر فتح مكة، فقال أقبل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم حتى قدم مكة، فبعث الزبير على إحدى المجنبتين، و بعث خالد بن الوليد على الأخرى، و بعث أبا عبيدة بن الجراح على الحصر،

فأخـذوا بطن الوادى و رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم فى كتيبته فرآنى، فقال: يا أبا هريرة قلت لبيك يا رسول اللّه، قال: ناد الأنصار فلاـ يأت إلا انصارى، قال: فناديتهم فأطافوا به و جمعت قريش أوباشـها و أتباعها، و قالوا نقـدم هؤلاء، فإن أصابوا ظفرا كنا معهم و إن أصـيبوا أعطينا الذى يسأل، فقال رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سلم. أ ترونا أوباش قريش قالوا نعم فقال بإحدى يديه على الأخرى يشير. ان اقتلوهم، ثم قـال: وافونى بالصـفا، قـال فانطلقنـا فما يشاء أحـد أن يقتل أحـدا إلا يقتله، فجاء أبو سـفيان، فقال يا رسول اللّه أبيـدت خضـراء قريش لا قريش بعد اليوم، فقال رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سلم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن، و من القى السـلاح فهو آمن، فقال بعض الأنصار لبعض، أما الرجل فأدركته رغبة فى قرابته و رأفة بعشيرته، و جاء رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الوحى، و كان إذا جاءه لم يخف علينا،

فتوح البلدان، ص: ۴۹

فقـال. يـا معشـر الأنصار قلتم كـذا و كـذا قالوا قـد كان ذلك يا رسول اللّه، قال،. كلا انى عبـد اللّه و رسوله هاجرت إلى اللّه و إليكم فالمحيا محياكم و الممات مماتكم، فجعلوا يبكون و يقولون، و اللّه ما قلنا الذى قلنا إلا للضن برسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، قال، و أقبل الناس إلى دار أبى سفيان و أغلقوا أبوابها و وضعوا سلاحهم: و أقبل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى الحجر فاستلمه ثم طاف بالبيت و أتى على صـنم كان إلى جنب الكعبـة و فى يده قوس قد أخذ بسـيتها فجعل يطعن فى عين الصـنم و يقول (جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً) قال، فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلاه حتى نظر إلى البيت ثم رفع يده يحمد اللّه و يدعو.

حدثنا محمد بن الصـباح، قال. أخبرنا هشـيم، عن أبى حصـين، عن عبيد اللّه ابن عبد اللّه بن عتبة، قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و

سلم يوم فتح مكة لا تجهزن على جريح، و لا يتبعن مدبر. و لا يقتلن أسير، و من أغلق بابه فهو آمن.

قال الواقدى. كانت غزوة الفتح فى شهر رمضان سنة ثمان فأقام رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بمكة إلى الفطر. ثم توجه لغزوة حنين. و ولى مكة عتاب ابن أسيد بن أبى العيص بن أمية،

و أمر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بهدم الأصنام و محو الصور التى كانت فى الكعبة و قال: اقتلوا بن خطل و لو كان متعلقا بأستار الكعبة،

فقتله أبو برزة الأسلمى. قال أبو اليقظان. و اسم ابن خطل قيس، و قتله أبو شرياب الأنصارى، و كان لابن خطل قينتان تغنيان بهجاء رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فقتلت إحداهما و بقيت الأخرى حتى كسرت لها ضلع أيام عثمان فماتت، و قتل نميلة بن عبد اللّه الكنانى مقيس بن صبابة الكبانى، و كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قد أمر من وجده أن يقتله

فتوح البلدان، ص: ۵۰

و ذلك لأن أخاه هاشم بن صبابة بن حزن أسلم و شهد غزوة المريسيع مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فقتله رجل من الأنصار خطأ و هو يظنه مشركا فقدم مقيس على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فقضى له بالدية على عاقلة القاتل، فأخذها و أسلم، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله و هرب مرتدا، و قال:

شفى النفس أن قد بات بالقاع مسندايضرج ثوبيه دماء الأخادع

ثأرت به قهرا و حملت عقلهسراة بنى النجار أرباب فارع

حالت به و ترى و أدركت ثورتىو كنت عن الإسلام أول راجع

و قتل على بن أبى طالب رضى اللّه عنه الحويرث بن نقيذ بن بجير بن عبد بن قصى، و كان النبى صلى اللّه عليه و سلم أمر أن يقتله من وجده و حدثنى بكر بن الهيثم، عن عبد الرزاق، عن مغمر، عن الكلبى، قال:

جاءت قينة لهلال بن عبد اللّه، و هو ابن خطل الأردمى من بنى تيم إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم متنكرة فأسلمت و بايعت و هو لا يعرفها فلم يعرض لها و قتلت قينة له أخرى، و كانتا تغنيان بهجاء رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، قال: و أسلم ابن الزعبرى السهمى قبل أن يقدر عليه، و مدح رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و كان قد أباح دمه يوم الفتح و لم يعرض له.

حدثنا محمد بن الصباح البزار،، قال: حدثنا هشيم، قال أخبرنا خالد الحذاء عن القاسم بن ربيعة،

أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خطب يوم مكة فقال «الحمد للّه الذى صدق وعده و نصر جنده، و هزم الأحزاب وحده ألا أن كل مأثرة كانت فى الجاهلية و كل دم و دعوى موضوعة تحت قدمى إلا سدانة البيت، و سقاية الحاج».

و حدثنا خلف البزار، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد اللّه بن عبد الرحمن عن أشياخه، قالوا: «لما كان يوم فتح مكة قال النبى صلى اللّه عليه

فتوح البلدان، ص: ۵۱

و سلم لقريش ما تظنون، قالوا: نظن خيرا و نقول خيرا أخ كريم و ابن أخ كريم و قد قدرت قال: فانى أقول كما قال أخى يوسف عليه السلام (لاـ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) ألاـ كل دين و مال و مأثرة كانت فى الجاهلية فهى تحت قدمى الاسدانة البيت و سقاية الحاج».

حدثنا شيبان، قال: حدثنا جرير بن حازم، قال حدثنا عبد اللّه بن عبيد ابن عمير، قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى خطبته «ألاـ أن مكة حرام ما بين أخشبيها لم يحل لأحد قبلى و لا يحل لأحد بعدى، و لم تحل لى إلا ساعة من نهار لا يختلى خلاها و لا تعضد عضاهها و لا ينفر صيدها و لا تلتقط لقطتها إلا أن يعرف- أو يعرف- فقال العباس رحمه اللّه إلا الإذخر فإنه لصاغتنا و قيوننا و طهور بيوتنا، فقال صلى اللّه عليه و سلم إلا الإذخر».

حدثنا يوسف بن موسى القطان، قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس أن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال «لا يختلى خلا مكة و لا يعضد شجرها، فقال العباس: الا الإذخر فإنه القيون و طهور البيوت فرخص فى ذلك».

حدثنا شيبان، قال: حدثنا أبو هلال الراسبى عن الحسن، قال. أراد عمر أن يأخذ كنز الكعبة فينفقه فى سبيل اللّه، فقال له أبى بن كعب الأنصارى، يا أمير المؤمنين قد سبقك صاحباك، و لو كان هذا فضلا لفعلاه

و حدثنا عمرو الناقد، قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد قال:

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم «مكة حرام لا يحل بيع رباعها و لا أجور بيوتها».

حدثنا محمد بن حاتم المروزى، قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن يوسف بن ماهك عن أبيه عن عائشة

فتوح البلدان، ص: ۵۲

قالت قلت يا رسول اللّه. ابن لك بناء يظلك من الشمس بمكة، فقال، «إنما هى مناخ من سبق».

حدثنا خلف بن هشام البزار، حدثنا إسماعيل عن ابن جريح، قال قرأت كتاب عمر بن عبد العزيز ينهى عن كراء بيوت مكة. حدثنا أبو عبيد حدثنا إسماعيل بن جعفر عن إسرائيل عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر، قال الحرم كله مسجد.

حدثنا عمرو الناقد، قال: حدثنا إسحاق الأزرق عن عبد الملك بن أبى سليمان، قال. كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمير مكة أن لا تدع أهل مكة يأخذون على بيوت مكة أجرا فإنه لا يحل لهم.

حدثنا عثمان بن أبى شيبة، قال. حدثنا جرير عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الرحمن بن سابط فى قوله (سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَ الْبادِ)، قال البادى من يخرج من الحجاج و المعتمرين، هم سواء فى المنازل، ينزلون حيث شاءوا، غير ألا يخرج أحد من بيته.

حدثنا عثمان، قال حدثنا جرير، عن منصور عن مجاهد فى هذه الآية، قال أهل مكة و غيرهم فى المنازل سواء. و حدثنا عثمان و عمرو، قالا. حدثنا وكيع عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد أن عمر بن الخطاب، قال لأهل مكة لا تتخذوا لدوركم أبوابا لينزل البادى حيث شاء. و حدثنا عثمان بن أبى شيبة، و بكر بن الهيثم، قالا. حدثنا يحيى بن ضريس الرازى عن سفيان، عن أبى حصين قال قلت لسعيد بن جبير و هو بمكة إنى أريد أن أعتكف، فقال: أنت عاكف ثم قرأ (سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَ الْبادِ).

حدثنا عثمان، قال: حدثنا حفص بن غياث عن عبد اللّه بن مسلم عن سعيد بن جبير فى قوله (سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَ الْبادِ) قال: خلق اللّه فيه سواء أهل مكة و غيرها، و حدثنى محمد بن سعيد عن الواقدى، قال. كان يتخاصم إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم فى أجور الدور بمكة فيقضى بها على من

فتوح البلدان، ص: ۵۳

اكتراها و هو قول مالك و ابن أبى ذئب، قال و قال ربيعة، و أبو الزناد، لا بأس بأكل كراء بيوت مكة و بيع رباعها، و قال الواقدى، رأيت ابن أبى ذئب يأتيه كراء داره بمكة بين الصفا و المروة، و قال الليث بن سعيد ما كان من دار فاجرها طيب لصاحبها، فاما القاعات، و السكك، و الأفنية و الخرابات، فمن سبق نزل ذلك بغير كراء و أخبرنى عبد الرحمن الأودى، عن الشافعى بمثل ذلك، و قال سفيان ابن سعيد الثورى، كراء بيوت مكة حرام، و كان يشدد فى ذلك. و قال الأوزاعى و ابن أبى ليلى. و أبو حنيفة أن كراها فى ليالى الحج فالكراء باطل، و إن كان فى غير ليالى الحج، و كان المكترى مجاورا أو غير ذلك فلا بأس، و قال بعض أصحاب أبى يوسف كراؤها حل طلق، و إنما يستوى العاكف و البادى فى الطواف بالبيت.

حدثنا الحسين بن على بن الأسود، قال حدثنا عبيد اللّه بن موسى، عن الحسن بن صالح عن العلاء بن المسيب، عن عبد الرحمن بن الأسود، أنه كان لا يرى ببقل مكة و لا بالزرع الذى يزرع فيها و لا بشىء مما أنبته الناس بها من شجر أو نخل بأسا أن تقطعه و تأكله و تصنع فيه ما شئت، قال و إنما كره ما أنبتت الأرض بمكة من شجر و غيره مما لم يعمله الناس إلا الإذخر، قال الحسن بن صالح. و قد

رخص فی الشجر البالی الذی قد یبس و تکسر. و قال محمد بن عمر الواقدی. قال مالک. و ابن أبی ذئب فی محرم أو حلال قطع شجرا من الحرم أنه قد أساء. فإن کان جاهلا علم و لا شیء علیه. و إن کان عالما خالعا عوقب و لا قیمة علیه. و من قطع من ذلک شیئا فلا بأس أن ینتفع انه قال و قال سفیان الثوری و أبو یوسف. علیه فی الشجرة لقطعها قیمة و لا ینتفع بذلک. و هو قول أبی حنیفة. و قال مالک بن أنس. و ابن أبی ذئب. لا بأس بالضغابیس. و أطراف السنا. تؤخذ من الحرم للدواء و السواک. و قال سفیان بن سعید. و أبو حنیفة

فتوح البلدان، ص: ۵۴

و أبو یوسف: کل شیء أنبته الناس فی الحرم أو کان مما ینبتون فلا شیء علی قاطعه و کل شیء مما لا ینبته الناس فعلی قاطعه قیمته، و قال الواقدی سألت الثوری، و أبا یوسف عن رجل أنبت فی الحرم ما لا ینبته الناس، فقام علیه حتی نبت له أله أن یقطعه، قالا نعم، قلت فان نبتت فی بستانه شجرة مما لا ینبت الناس من غیر أن یکون أنبتها، قالا یصنع بها ما شاء.

و حدثنی محمد بن سعد، عن الواقدی، قال: روی لنا أن ابن عمر کان یأکل بمکة بقلا زرع فی الحرم، و حدثنی محمد بن سعد، قال حدثنی الواقدی، عن معاذ بن محمد، قال رأیت علی مائدة الزهری بقلا من الحرم، قال أبو حنیفة لا یرعی الرجل المحرم بعیره فی الحرم و لا یحتش له، و هو قول زفر، و قال مالک و ابن أبی ذئب، و سفیان، و أبو یوسف، و ابن أبی سبرة. لا بأس بالرعی و لا یحتش، و قال ابن أبی لیلی لا بأس بان یحتش. و حدثنی عفان، و العباس بن الولید النرسی، قال: حدثنا عبد الواحد بن زیاد، قال: حدثنا لیث، قال کان عطاء لا یری بأسا ببقل الحرم و ما زرع فیه و بالقضیب و السواک، قال و کان مجاهد یکرهه، قال: و لم یکن للمسجد الحرام علی عهد رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و أبی بکر جدار یحیط به، فلما استخلف عمر بن الخطاب و کثر الناس وسع المسجد و اشتری دورا فهدمها و زادها فیه و هدم علی قوم من جیران المسجد أبوا أن یبیعوا و وضع لهم الأثمان حتی أخذوها بعد، و اتخذ للمسجد جدارا قصیرا دون القامة. فکانت المصابیح توضع علیه. فلما استخلف عثمان بن عفان ابتاع منازل وسع المسجد بها و أخذ منازل أقوام و وضع لهم الأثمان فضجوا به عند البیت فقال إنما جرأکم علی حلمی عنکم و لینی لکم لقد فعل بکم عمر مثل هذا فأقررتم و رضیتم، ثم أمر بهم إلی الحبس حتی کلمه فیهم عبد اللّه ابن خالد بن أسید بن أبی العیص فخلی سبیلهم.

فتوح البلدان، ص: ۵۵

و یقال: إن عثمان أول من اتخذ للمسجد الأروقة، و اتخذها حین وسعه قالوا: و کان باب الکعبة علی عهد ابراهیم علیه السلام و جرهم و العمالیق بالأرض حتی بنته قریش، فقال أبو حذیفة ابن المغیرة یا قوم ارفعوا باب الکعبة حتی لا یدخل إلا بسلم فإنه لا یدخلها حینئذ إلا من أردتم، فإن جاء أحد ممن تکرهون رمیتم به فسقط فکان نکالا لمن وراءه، فعملت قریش بذلک.

قال: و لما تحصن عبد اللّه بن الزبیر بن العوام فی المسجد الحرام و استعاذ به- و الحصین بن نمیر السکونی إذ ذاک یقاتله فی أهل الشام- أخذ ذات یوم رجل من أصحابه نارا علی لیفة فی رأس رمح، و کانت الریح عاصفا، فطارت شرارة فتعلقت بأستار الکعبة فأحرقتها، فتصدعت حیطانها و اسودت، و ذلک فی سنة أربع و ستین حتی إذا مات یزید بن معاویة، و انصرف الحصین بن نمیر إلی الشام أمر ابن الزبیر بما فی المسجد من الحجارة التی رمی بها فأخرج، ثم هدم الکعبة و بناها علی أساسها و أدخل الحجر فیها و جعل لها بابین موضوعین بالأرض شرقیا و غربیا یدخل من واحد و یخرج من الآخر، و کان قد وجد أساس الکعبة متصلا بالحجر، و إنما التمس إعادتها إلی بناء ابراهیم علیه السلام علی ما کانت عائشة أم المؤمنین أخبرته عن النبی صلی اللّه علیه و سلم، و جعل علی بابها صفائح الذهب و جعل مفاتیحها من ذهب، فلما حاربه الحجاج بن یوسف من قبل عبد الملک ابن مروان و قتله کتب إلیه عبد الملک یأمره ببناء الکعبة و المسجد الحرام، و قد کانت الحجارة حلحلت الکعبة فهدمها الحجاج و بناها فردها إلی بناء قریش و أخرج الحجر، فکان عبد الملک یقول بعد ذلک: وددت أنی کنت حملت ابن الزبیر أمر الکعبة و بناءها ما تحمل.

قالوا: و کانت کسوة الکعبة فی الجاهلیة الأنطاع و المغافر فکساها رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم الثیاب الیمانیة، ثم کساها عمر و

عثمان رضی اللّه عنهما

فتوح البلدان، ص: ۵۶

القباطی، ثم کساها یزید بن معاویة الدیباج الخسروانی، و کساها ابن الزبیر و الحجاج بعده الدیباج، و کساها بنو أمیة فی بعض أیامهم الحلل التی کان أهل نجران یؤدونها و أخذوهم بتجریدها و فوقها الدیباج، ثم أن الولید بن عبد الملک وسع المسجد الحرام و حمل إلیه عمد الحجارة و الرخام و الفیسفساء، قال الواقدی فلما کانت خلافة أمیر المؤمنین المنصور رحمه اللّه زاد فی المسجد و بناه و ذلک فی سنة تسع و ثلاثین و مائة. و قال علی بن محمد ابن عبد اللّه المدائنی، ولی المهدی جعفر بن سلیمان بن علی بن عبد اللّه بن العباس مکة و المدینة و الیمامة فوسع مسجدی مکة و المدینة و بناهما، و قد جدد أمیر المؤمنین المتوکل علی اللّه جعفر بن أبی إسحاق المعتصم بالله ابن الرشید هارون بن المهدی رضوان اللّه علیهم رخام الکعبة و أزرها بفضة، و ألبس سائر حیطانها و سقفها الذهب. و لم یفعل ذلک أحد قبله و کسا أساطینها الدیباج.

ذکر حفائر مکة

قالوا: کانت قریش قبل جمع قصی إیاها و قبل دخولها مکة تشرب من حیاض و مصانع علی رؤوس الجبال، و من بئر حفرها لؤی بن غالب خارج الحرم تدعی الیسیرة، و من بئر حفرها مرة بن کعب تدعی الروی، و هی مما یلی عرفة ثم حفر کلاب بن مرة خم و رم، و الجفر بظاهر مکة، ثم أن قصی بن کلاب حفر بئرا سماها العجول و اتخذ سقایة، و فیها یقول بعد رجاز الحاج.

نروی علی العجول ثم ننطلققبل صدور الحاج من کل أفق

ان قصیا قد و فی و قد صدقبالشبع للناس وری مغتبق

ثم إنه سقط فی العجول بعد ممات قصی رجل من بنی نصر بن معاویة

فتوح البلدان، ص: ۵۷

فعطلت، و حفر هاشم بن عبد مناف بذر، و هی عند الخندمة علی فم شعب أبی طالب، و حفر هاشم أیضا سجلة فوهبها أسد بن هاشم لعدی بن نوفل بن عبد مناف بن المطعم، و یقال: بل ابتاعها منه، و یقال ان عبد المطلب وهبها له حین حفر زمزم و کثر الماء بمکة، فقالت خالدة بنت هاشم:

نحن و هبنا لعدی سجلهفی تربة ذات عذاة سهله

تروی الحجیج زعلة فزعلة و قد دخلت سجلة فی المسجد، و حفر عبد شمس بن عبد مناف الطوی و هی بأعلی مکة، و حفر أیضا لنفسه الجفر، و حفر میمون بن الحضرمی حلیف بنی عبد شمس بن عبد مناف بئره و هی آخر بئر حفرت فی الجاهلیة بمکة، و عندها قبر أمیر المؤمنین المنصور رحمه اللّه، و اسم الحضرمی عبد اللّه ابن عماد، و احتفر عبد شمس أیضا بئرین و سماهما خم و رم، علی ما سمی کلاب بن مرة بئریه، فأما خم فهی عند الردم، و أما رم فعند دار خدیجة بنت خویلد، و قال عبد شمس:

حفرت خما و حفرت رماحتی أری المجد لنا قد تما

و قالت سبیعة بنت عبد شمس فی الطوی:

إن الطوی إذا شربتم ماءهاصوب الغمام عذوبة و صفاء

و حفرت بنو أسد بن عبد العزی بن قصی شفیة بئر بنی أسد، و قال الحویرث بن أسد:

ماء شفیة کماء المزنو لیس ماؤها بطرق أجن

و حفر بنو عبد الدار بن قصی أم احراد، فقالت أمیمة بنت عمیلة بن السباق بن عبد الدار:

نحر حفرنا البحر أم احرادلیست کبذر النذر و الجماد

فتوح البلدان، ص: ۵۸

فأجابتها صفیة بنت عبد المطلب:

نحن حفرنا بذر تروی الحجیج الأکبر من مقبل و مدبر

و أم أحراد بشر فیها الجراد و الذر و قذر لا یذکر

و حفر بنو جمح السنبلة و هی بئر خلف بن وهب الجمحی فقال قائلهم:

نحن حفرنا للحجیج سنبلهصوب سحاب ذو الجلال أنزله

و حفر بنو سهم الغمر و هی بئر العاصی بن وائل فقال بعضهم:

نحن حفرنا الغمر للحجیجتثج ماء أیما ثجیج

قال ابن الکلبی قالها ابن الربعی، و حفرت بنو عدی الحفیر فقال شاعرهم:

نحن حفرنا بئرنا الحفیرابحرا یجیش ماؤه غزیرا

و حفرت بنو مخزوم السقیا بئر هشام بن المغیرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم، و حفرت بنو تیم الثریا، و هی بئر عبد اللّه بن جدعان بن عمرو بن کعب بن سعد بن تیم، و حفرت بنو عامر بن لؤی النقع، قالوا و کانت لجبیر بن مطعم بئر و هی بئر بنی نوفل فأدخلت حدیثا فی دار القواریر التی بناها حماد البربری فی خلافة أمیر المؤمنین هارون الرشید، و کان عقیل بن أبی طالب حفر فی الجاهلیة بئرا و هی فی دار ابن یوسف، فکانت للأسود ابن أبی البختری ابن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزی بئر علی باب الأسود عند الحناطین فدخلت فی المسجد، بئر عکرمة، نسبت إلی عکرمة ابن خالد بن العاصی بن هاشم بن المغیرة، بئر عمرو، نسبت إلی عمرو بن عبد اللّه بن صفوان بن أمیة بن خلف الجمحی، و کذلک شعب عمرو الطلوب أسفل مکة کانت لعبد اللّه بن صفوان، بئر حویطب نسبت إلی حویطب بن عبد العزی بن أبی قیس من بنی عامر بن لؤی، و هی بفناء داره ببطن الوادی، بئر أبی موسی کانت لأبی موسی الأشعری بالمعلاة، بئر شوذب نسبت إلی شوذب مولی معاویة، و قد دخلت فی المسجد، و یقال: إن

فتوح البلدان، ص: ۵۹

شوذبا کان مولی طارق بن علقمة بن عریج بن جذیمة الکنانی، و یقال کان مولی لنافع بن علقمة بن صفوان بن أمیة بن محرث بن خمل بن شق الکنانی، خال مروان بن الحکم بن أبی العاصی بن أمیة، و بئر بکار نسبت إلی رجل سکن مکة من أهل العراق، و هی بذی طوی، و بئر وردان نسبت إلی وردان مولی السائب بن أبی وداعة بن ضبیرة السهمی، و سقایة سراج بفخ، کانت لسراج مولی بنی هاشم، و بئر الأسود نسبت إلی الأسود بن سفیان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم، و هی بقرب بئر خالصة مولاة أمیر المؤمنین المهدی، و البرود بفخ لمخترش الکعبی من خزاعة، و قال ابن الکلبی صاحب دار ابن علقمة بمکة طارق بن علقمة بن عریج بن خزیمة الکنانی، و قال أبو عبیدة معمر بن المثنی، و عبد الملک بن قریب الأصمعی و غیرهما، بستان ابن عامر لعمر بن عبد اللّه بن معمر بن عثمان ابن عمرو بن کعب بن سعد بن تیم بن مرة ابن کعب بن لؤی، و لکن الناس غلطوا فیها فقالوا بستان ابن عامر و بستان بنی عامر، و إنما هو بستان ابن معمر، و قوم یقولون نسب إلی ابن عامر الحضرمی، و آخرون یقولون نسب إلی ابن عامر ابن کریز و ذلک ظن و ترجیم.

حدثنی مصعب بن عبد اللّه الزبیر، قال کانت فی الجاهلیة مکة تدعی صلاح، قال أبو سفیان بن حرب الحضرمی:

أبا مطر هلم إلی صلاحلکفیک الندامی من قریش

و تنزل بلدة عزت قدیماو تأمن أن ینالک رب جیش

و حدثنی العباس بن هشام الکلبی، قال کتب بعض الکندیین إلی أبی یسأله عن سجن ابن سباع بالمدینة إلی من نسب، و عن قصة دار الندوة و دار العجلة و دار القواریر بمکة، فکتب إلیه: أما سجن ابن سباع فإنه کان دارا لعبد اللّه بن سباع بن عبد العزی بن نضلة بن

عمرو بن غبشان

فتوح البلدان، ص: ۶۰

الخزاعی، و كـان سـباع یکنی أبـا نیار، و کانت أمه قابلـة بمکـة فبارزه حمزة بن عبـد المطلب یوم أحـد فقال له هلم إلی یا ابن مقطعة البظور ثم قتله و أكب علیه لیأخذ درعه فزرقه و حشـی و أم طریح بن إسـماعیل الثقفی الشاعر بنت عبد اللّه بن سـباع و هو حلیف بنی زهرة.

و أما دار الندوة فبناها قصـی بن كلاب. فكانوا یجتمعون إلیه فتقضی فیها الأمور، ثم كانت قریش بعده تجتمع فیها فتتشاور فی حروبها و أمورها و تعقد الألویة و تزوج من أراد التزویج، و كانت أول دار بنیت بمكة من دور قریش ثم دار العجلة، و هی دار سعید بن سعد بن سهم، و بنو سهم یدعون أنها بنیت قبل دار الندوة و ذلك باطل، فلم تزل دار الندوة لبنی عبد الدار ابن قصی حتی باعها عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصـی من معاویة بن أبی سفیان فجعلها دارا للامارة، و أما دار القواریر فكانت لعتبة بنت ربیعـة بن عبـد شـمس بن عبـد مناف ثم صارت للعباس ابن عتبـة بن أبی لهب بن عبد المطلب، و قد صارت بعد لأم جعفر زبیدة بنت أبی الفضـل بن المنصور أمیر المؤمنین، و اسـتعمل فی بعض فرشـها و حیطانها شـیء من قواریر فقیل دار القواریر و كان حماد البربری بناهـا فی خلافـة الرشـید أمیر المؤمنین رحمه اللّه، و قـال هشـام ابن محمـد الكلبی، كـان عمرو بن مضاض الجرهمی حارب رجلا من جرهم یقال له السـمیدع فخرج عمرو فی السـلاح یتقعقع فسمی الموضع الذی خرج منه قعیقعان و خرج السمیدع مقلدا خیله الأجراس فی أجیادهـا فسـمی الموضع الـذی خرج منه أجیاد و قال ابن الكلبی. و یقال، إنه خرج بالجیاد المسومـة فسـمی الموضع أجیاد و عامة أهل مكة یقولون جیاد الصغیر و جیاد الكبیر.

حدثنا الولید ابن صالح، عن محمد بن عمر الأسـلمی، عن كثیر بن عبد اللّه عن أبیه عن جده، قال قدمنا مع عمر بن الخطاب فی عمرته سنة سبع عشرة فكلمه

فتوح البلدان، ص: ۶۱

أهل المیاه فی الطریق أن یبتنوا منازل فیما بین مكـة و المدینة و لم تكن قبل ذلك فإذن لهم و اشترط علیهم ان ابن السبیل أحق بالماء و الظل.

أمر السیول بمكة

حـدثنا العباس بن هشام عن أبیه هشام بن محمـد عن ابن خربوز المكی و غیره، قالوا كانت السـیول بمكة أربعة، منها سـیل أم نهشل و كان فی زمن عمر ابن الخطاب أقبل السـیل حتی دخل المسجد من أعلی مكة فعمل عمر الردمین جمیعا إلا علی بین داربیة، و هو عبد اللّه بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف الذی ولی البصـرة فی فتنة ابن الزبیر اصـطلح أهلها علیه، و دار أبان بن عثمان بن عفان، و الأسـفل عند الحمارین، و هو الذی یعرف بردم آل أسـید فتراد السـیل عن المسـجد الحرام. قال و أم نهشل بنت عبیدة بن سعید بن العاصی بن أمیة ذهب بها السیل من أعلی مكة فنسب إلیها، و منها سیل الجحاف و الجراف فی سنة ثمانین فی زمن عبد الملك ابن مروان صبح الحاج یوم اثنین فذهب بهم و بأمتعتهم و أحاط بالكعبة فقال الشاعر.

لم تر غسان كیوم الاثنینأكثر محزونا و أبكی للعین

إذ ذهب السیل بأهل المصرینو خرج المخبآت یسعین

شواردا فی الجبلین یرقین فكتب عبـد الملك إلی عبـد اللّه بن سـفیان المخزومی عامله علی مكة، و یقال بل كان عامله یومئذ الحارث بن خالد المخزومی الشاعر یأمره بعمل ضـفائر الدور الشارعة علی الوادی، و ضفائر المسجد، و عمل الردم علی أفواه السكك لتحصن دور النـاس، و بعث لعمـل ذلـك رجلاـ نصـرانیا فاتخـذ الضـفائر و ردم الردم الـذی یعرف بردم بنی قراد، و هـو یعرف ببنی جمـح، و

اتخذت ردوم بأسفل مكة

فتوح البلدان، ص: ۶۲

قال الشاعر.

سأملك عبرة و أفيض أخرىإذا جاوزت ردم بنى قراد

و منها السيل الذى يدعى المخبل أصاب الناس فى أيامه مرض فى أجسادهم و خبل فى ألسنتهم فسمى المخبل، و منها سيل أتى بعد ذلك فى خلافة هشام ابن عبد الملك فى سنة عشرين و مائة يعرف بسيل أبى شاكر و هو مسلمة بن هشام و كان على الموسم ذلك العام فنسب إليه، قال و سيل وادى مكة يأتى من موضع يعرف بسدرة عتاب بن أسيد بن أبى العيص.

قال عباس بن هشام، و قد كان فى خلافة المأمون عبد اللّه بن الرشيد رحمه اللّه سيل عظيم بلغ ماؤه قريبا من الحجر، فحدثنى العباس، قال:

حدثنى أبى عن أبيه محمد بن السائب الكلبى، عن أبى صالح عن عكرمة، قال درس شىء من معالم الحرم على عهد معاوية بن أبى سفيان، فكتب إلى مروان ابن الحكم- و هو عامله على المدينة- يأمره إن كان كرز بن علقمة الخزاعى حيا أن يكلفه اقامة معالم الحرام لمعرفته بها، و كان معمرا فأقامها عليه فهى مواضع الأنصاب اليوم.

قال الكلبى، هذا كرز بن علقمة بن هلال بن جربية بن عبدنهم بن حليل ابن حبشية الخزاعى، و هو الذى قفا اثر النبى صلى اللّه عليه و سلم حين انتهى إلى الغاز الذى استخفى فيه و أبو بكر الصديق معه حين أراد الهجرة إلى المدينة فرأى عليه نسج العنكبوت و رأى دونه قدم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فعرفها، فقال، هذه قدم محمد صلى اللّه عليه و سلم و ههنا انقطع الأثر.

فتح الطائف

قال لما هزمت هوازن يوم حنين و قتل دريد بن الصمة أتى فلهم أوطاس،

فتوح البلدان، ص: ۶۳

فبعث إليهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أبا عامر الأشعرى فقتل، فقام بأمر الناس أبو موسى عبد اللّه بن قيس الأشعرى، و أقبل المسلمون إلى أوطاس، فلما رأى ذلك مالك بن عوف بن سعد أحد بنى دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، و كان رئيس هوازن يومئذ، هرب إلى الطائف فوجد أهلها مستعدين للحصار، قد رموا حصنهم و جمعوا فيه الميرة، فأقام بها، و سار رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بالمسلمين حتى نزل الطائف فرمتهم ثقيف بالحجارة و النبل، و نصب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم منجنيقا على حصنهم، و كانت مع المسلمين دبابة من جلود البقر فألقت عليها ثقيف سكك الحديد المحماة فأحرقتها فأصيب من تحتها من المسلمين و كان حصار رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الطائف خمس عشرة ليلة، و كان غزوه إياها فى شوال سنة ثمان قالوا: و نزل إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم رقيق من رقيق أهل الطائف، منهم أبو بكر بن مسروح مولى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و أسمه نفيع، و منهم الأزرق الذى نسبت الأزارقة إليه. كان عبدا روميا حدادا و هو أبو نافع بن الأزرق الخارجى فاعتقوا بترولهم، و يقال أن نافع بن الأزرق الخارجى من بنى حنيفة. و إن الأزرق الذى نزل من الطائف غيره. ثم إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم انصرف إلى الجعرانة ليقسم سبى أهل حنين و غنائمهم فخافت ثقيف أن يعود إليهم فبعثوا إليه و فدهم فصالحهم على أن يسلموا و يقرهم على ما فى أيديهم من أموالهم و ركازهم. و اشترط عليهم أن لا يرابوا. و لا يشربوا الخمر. و كانوا أصحاب ربا و كتب لهم كتابا قال. و كانت الطائف تسمى وج فلما حصنت و بنى سورها سميت الطائف.

حدثنى المدائنى، عن أبى إسماعيل الطائفى، عن أبيه. عن أشياخ من أهل الطائف. قال كان بمخلاف الطائف قوم من اليهود طردوا من اليمن و يثرب

فتوح البلدان، ص: ۶۴

فأقاموا بها للتجارة فوضعت عليهم الجزية و من بعضهم ابتاع معاوية أمواله بالطائف. قالوا و كانت للعباس بن عبد المطلب رحمه اللّه أرض بالطائف.

و كان الزبيب يحمل منها فينبذ فى السقاية للحاج، و كانت لعامة قريش أموال بالطائف يأتونها من مكة فيصلحونها فلما فتحت مكة و أسلم أهلها طمعت ثقيف فيها حتى إذا فتحت الطائف أقرت فى أيدى المكيين، و صارت أرض الطائف مخلافا من مخاليف مكة. قالوا و فى يوم الطائف أصيبت عين أبى سفيان بن حرب.

حدثنا الوليد بن صالح. قال حدثنا الواقدى، عن محمد بن عبد اللّه، عن الزهرى، عن ابن المسيب، عن عتاب بن أسيد أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أمر أن تخرص أعناب ثقيف كخرص النخل ثم يأخذ زكاتهم زبيبا كما تؤدى زكاة النخل، قال الواقدى، قال أبو حنيفة لا- يخرص و لكنه إذا وضع بالأرض أخذت الصدقة من قليله و كثيره، و قال يعقوب إذا وضع بالأرض فبلغت مكيلته خمسة أوسق ففيه الزكاة العشر أو نصف العشر.

و هو قول سفيان بن سعيد الثورى. و الوسق ستون صاعا. و قال مالك بن أنس. و ابن أبى ذئب: السنة أن تؤخذ منه الزكاة على الخرص كما يؤخذ التمر من النخل.

حدثنا شيبان بن أبى شيبة. قال حدثنا حماد بن سلمة قال: حدثنا يحيى ابن سعيد. عن عمرو بن شعيب أن عاملا لعمر بن الخطاب رضى اللّه عنه على الطائف كتب إليه أن أصحاب العسل لا يرفعون إلينا ما كانوا يرفعون إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و هو من كل عشرة زقاق زق، فكتب إليه عمر إن فعلوا فأحموا لهم أوديتهم و إلا فلا تحموها. حدثنا عمرو بن محمد الناقد، قال حدثنا إسماعيل بن ابراهيم، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن أبيه، عن جده، عن عمر أنه جعل فى العسل العشر.

حدثنا داود بن عبد الحميد قاضى الرقة عن مروان بن شجاع عن خصيف

فتوح البلدان، ص: ۶۵

عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عماله على مكة و الطائف: أن فى الخلايا صدقة فخذوها منها قال: و الخلايا الكواثر و قال الواقدى و روى عن ابن عمر أنه قال ليس فى الخلايا صدقة، و قال مالك و الثورى: لا زكاة فى العسل و إن كثر، و هو قول الشافعى، و قال أبو حنيفة فى قليل العسل و كثيره إذا كان فى أرض العشر، العشر، و إذا كان فى أرض الخراج فلا شىء عليه، لأنه لا يجتمع الزكاة و الخراج على رجل، و قال الواقدى: أخبرنى القاسم بن معن، و يعقوب، عن أبى حنفية أنه قال فى العسل يكون فى أرض ذمى و هى من أرض العشر أنه لا عشر عليه فيه و على أرضه الخراج، و إذا كان فى أرض تغلبى أخذ منه الخمس، و قول زفر مثل قول أبى حنيفة، و قال أبو يوسف: إذا كان العسل فى أرض الخراج فلا شىء فيه و إذا كان فى أرض العشر ففى كل عشرة أرطال رطل، و قال محمد بن الحسن ليس فيما دون خمسة أفراق صدقة، و هو قول ابن أبى ذئب.

و روى خالد بن عبد اللّه الطحان عن ابن أبى ليلى أنه قال إذا كان فى أرض الخراج أو العشر ففى كل عشرة أرطال رطل، و هو قول الحسن بن صالح ابن حى. و حدثنى أبو عبيد، قال: حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعى، عن الزهرى، قال: فى كل عشرة زقاق زق، و حدثنا. الحسين بن على بن الأسود قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا عبد الرحمن بن حميد الرقاشى، عن جعفر بن نجيح المدينى، عن بشر بن عاصم، و عثمان بن عبد اللّه بن أوس، أن سفيان بن عبد اللّه الثقفى كتب إلى عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه، و كان عاملا له على الطائف يذكر إن قبله حيطانا فيها كروم و فيها من الفرسك و الرمان، و ما هو أكثر غلة من الكروم أضافا و استأمره فى العشر، فقال فكتب إليه عمر: ليس عليها عشر.

قال يحيى بن آدم، و هو قول سفيان بن سعيد، سمعته يقول ليس فيما

فتوح البلدان، ص: ۶۶

أخرجت الأرض صدقة إلا أربعة أشياء الحنطة، و الشعير، و التمر و الزبيب إذا بلغ كل واحد من ذلك خمسة أوسق، قال و قال أبو حنيفة فيما أخرجت أرض العشر العشر و لو دستجة بقل، و هو قول زفر، و قال مالك، و ابن أبى ذئب و يعقوب. ليس فى القبول و ما أشبهها صدقة، و قالوا ليس فيما دون خمسة أوسق من الحنطة و الشعير، و الذرة، و السلت، و الزوان، و التمر و الزبيب، و الأرز، و السمسم، و الجلبان، و أنواع الحبوب التى تكال و تدخر مع العدس، و اللوبيا، و الحمص، و الماش، و الدخن، صدقة، فإذا بلغت خمسة أوسق ففيها صدقة، قال الواقدى، و هذا قول ربيعة بن أبى عبد الرحمن و قال الزهرى. التوابل و القطانى كلها تزكى، و قال مالك. لا شيء فى الكمثرى و الفرسك. و هو الخوخ. و لا فى الرمان و سائر أصناف الفواكه الرطبة من صدقة. و هو قول ابن أبى ليلى. قال أبو يوسف ليس الصدقة إلا فيما وقع عليه القفيز. و جرى عليه الكيل. و قال أبو الزناد. و ابن أبى ذئب. و ابن أبى سبرة لا شيء فى الخضر و الفواكه من صدقة و لكن الصدقة فى أثمانها ساعة تباع و حدثنى عباس بن هشام. عن أبيه عن جده أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم استعمل عثمان بن أبى العاصى الثقفى على الطائف.

فتح تبالة و جرش

حدثنى بكر بن القيثم، عن عبد الرزاق عن معمر، عن الزهرى، قال:

أسلم أهل تبالة و جرش من غير قتال، فأمرهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم على ما أسلموا عليه و جعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب دينارا.

و اشترط عليهم ضيافة المسلمين. و ولى أبا سفيان بن حرب جرش

فتوح البلدان، ص: ۶۷

غزوة تبوك و أيلة و ذرح و مقنا و الجرباء

قالوا: لما توجه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى تبوك من أرض الشام لغزو من انتهى إليه أن قد تجمع له من الروم و عاملة و لخم و جذام و غيرهم و ذلك فى سنة تسع من الهجرة لم يلق كيدا، فأقام بتبوك أياما فصالحه أهلها على الجزية و أتاه و هو بها يحنة بن رؤبة صاحب أيلة فصالحه على أن جعل له على كل حالم بأرضه فى السنة دينارا فبلغ ذلك ثلاثمائة دينار، و اشترط عليهم قرى من مر بهم من المسلمين، و كتب لهم كتابا بأن يحفظوا و يمنعوا.

فحدثنى محمد بن سعد، قال: حدثنا الواقدى، عن خالد بن ربيعة، عن طلحة الأبلى أن عمر بن عبد العزيز كان لا يزداد من أهل أيلة على ثلاثمائة دينار شيئا، و صالح رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أهل اذرح على مائة دينار فى كل رجب، و صالح أهل الجرباء على الجزية و كتب لهم كتابا، و صالح أهل مقنا على ربع عروكهم و غزولهم و العروك خشب يصطاد عليه و ربع كراعهم و حلقتهم و على ربع ثمارهم، و كانوا يهودا و أخبرنى بعض أهل مصر أنه رأى كتابهم بعينه فى جلد أحمر دارس الخط فنسخه و أملى نسخته

بسم اللّه الرحمن الرحيم: من محمد رسول اللّه إلى بنى حبيبة، و أهل مقنا، سلم أنتم فإنه أنزل على انكم راجعون إلى قريتكم، فإذا جاءكم كتابى هذا فإنكم آمنون و لكم ذمة اللّه و ذمة رسوله، و إن رسول اللّه قد غفر لكم ذنوبكم. و كل دم اتبعتم به لا شريك لكم فى قريتكم إلا رسول اللّه. أو رسول رسول اللّه. و انه لا ظلم عليه و لا عدوان. و ان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يجيركم مما يجير منه نفسه فإن لرسول اللّه بزتكم و رقيقكم و الكراع و الحلقة الا ـ ما عفا عنه رسول اللّه، أو رسول رسول اللّه، و إن عليكم بعد ذلك ربع ما أخرجت نخيلكم

فتوح البلدان، ص: ۶۸

و ربع ما صادت عرككم، و ربع ما اغتزلت نساؤكم. و انكم قد ثريتم بعد ذلكم و رفعكم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عن كل

جزية و سخرة. فإن سمعتم و أطعتم فعلى رسول اللّه أن يكرم كريمكم و يعفو عن مسيئكم، و من ائتمر في بنى حبيبة، و أهل مقنا من المسلمين خيرا فهو خير له. و من أطلعهم بشر فهو شر له، و ليس عليكم أمير إلا من أنفسكم أو من أهل بيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و كتب على بن أبو طالب فى سنة تسع

فتح دومة الجندل

قال. بعث رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى إلى أكيدر بن عبد الملك الكندى ثم السكونى بدومة الجندل فأخذه أسيرا و قتل أخاه و سلبه قباء ديباج منسوجا بالذهب. قدم بأكيدر على النبى صلى اللّه عليه و سلم فأسلم و كتب له و لأهل دومة كتابا نسخته

هذا كتاب من محمد رسول اللّه لاكيدر. حين أجاب إلى الإسلام، و خلع

فتوح البلدان، ص: ۶۹

الأنداد و الأصنام، و لأهل دومة أن لنا الضاحية من الضحل، و البور و المعامى. و أغفال الأرض و الحلقة و السلاح و الحافر و الحصن، و لكم الضامنة من النخل، و المعين من المعمور، لا تعدل سارحتكم و لا تعد فاردتكم ، و لا يحظر عليكم النبات ، تقيمون الصلاة لوقتها، و تؤتون الزكاة بحقها، عليكم بذلك عهد اللّه و الميثاق، و لكم به الصدق و الوفاء، شهد اللّه و من حضر من المسلمين.

و حدثنى العباس بن هشام الكلبى، عن أبيه عن جده، قال: وجه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خالد بن الوليد إلى أكيدر، فقدم به عليه فاسلم، فكتب له كتابا، فلما قبض النبى صلى اللّه عليه و سلم منع الصدقة و نقض العهد و خرج من دومة الجندل فلحق بالحيرة، و ابتنى بها بناء سماه دومة بدومة الجندل، و أسلم حريث بن عبد الملك أخوه على ما فى يده، فسلم ذلك له، فقال سويد بن شبيب الكلبى:

لا يأمنن قوم عثار جدودهم كما زال من خبث ظعائن اكدرا

قال: و تزوج يزيد بن معاوية ابنة حريث أخى أكيدر، قال العباس

فتوح البلدان، ص: ۷۰

و أخبرنى أبى عن عوانة بن الحكم أن أبا بكر كتب إلى خالد بن الوليد و هو بعين التمر يأمره أن يسير إلى أكيدر، فسار اليه فقتله، و فتح دومة، و كان قد خرج منها بعد وفاة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ثم عاد إليها، فلما قتله خالد مضى إلى الشام، و قال الواقدى. لما شخص خالد من العراق يريد الشام مر بدومة الجندل ففتحها و أصاب سبايا، فكان فيمن سبا منها ليلى بنت الجودى الغسانى و يقال أنها أصيبت فى حاضر من غسان أصابتها خيل له، و ابنة الجودى هى التى كان عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق هويها و قال فيها:

تذكرت ليلى و السماوة بينناو ما لابنة الجودى ليلى و ماليا

فصارت له فتزوجها و غلبت عليه حتى أعرض عمن سواها من نسائه ثم انها اشتكت شكوى شديدة فتغيرت فقلاها، فقيل له متعها وردها إلى أهلها ففعل، و قال الواقدى: كان النبى صلى اللّه عليه و سلم غزا دومة الجندل فى سنة خمس فلم يلق كيدا و وجه خالد بن الوليد إلى أكيدر فى شوال سنة تسع بعد إسلام خالد بن الوليد بعشرين شهرا، و سمعت بعض أهل الحيرة يذكر أن أكيدر و أخوته كانوا ينزلون دومة الحيرة، و كانوا يزورون أخوالهم من كلب فيتغربون عندهم، فإنهم لمعهم و قد خرجوا للصيد إذ رفعت لهم مدينة متهدمة لم يبق إلا بعض حيطانها، و كانت مبنية بالجندل فأعادوا بناءها و غرسوا فيها الزيتون و غيره و سموها دومة الجندل، تفرقة بينها و بين دومة الحيرة.

و حدثنى عمرو بن محمد الناقد، عن عبد اللّه بن وهب المصرى، عن يونس الأيلى، عن الزهرى، قال: بعث رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خالد ابن الوليد ابن المغيرة إلى أهل دومة الجندل، و كانوا من عباد الكوفة فأسر أكيدر رأسهم فقاضاه على الجزية

.

فتوح البلدان، ص: ٧١

صلح نجران

حدثنى بكر بن الهيثمى، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح، عن الليث بن سعد عن يونس بن يزيد الابلى، عن الزهرى، قال: أتى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم السيد و العاقب و فد أهل نجران اليمن فسألاه الصلح، فصالحهما عن أهل نجران على ألفى حلة فى صفر و ألف حلة فى رجب، ثمن كل حلة أوقية و الأوقية وزن أربعين درهما، فان أدوا حلة بما فوق الأوقية حسب لهم فضل ذلك، و أن أدوها بما دون الأوقية أخذ منهم النقصان، و على أن يأخذ منهم ما أعطوا من سلاح أو خيل أو ركاب أو عرض من العروض بقيمته قصاصا من الحلل، و على أن يضيفوا رسل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم شهرا فما دونه، و لا يحبسوهم فوق أن شهر، و على عليهم عارية ثلاثين درعا و ثلاثين فرسا، و ثلاثين بعيرا أن كان باليمن كيد، و أن ما هلك من تلك العارية فأرسل ضامنون له حتى يردوه، و جعل لهم ذمة اللّه و عهده، و أن لا يفتنوا عن دينهم و مراتبهم فيه و لا يحشروا و لا يعشروا و اشترط عليهم أن لا يأكلوا الربا و لا يتعاملوا به. حدثنى الحسين ابن الأسود: حدثنا وكيع، قال: حدثنا مبارك بن فضالة، عن الحسن، قال جاء راهبا نجران إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم فعرض عليهما الإسلام، فقالا أنا قد أسلمنا قبلك، فقال: كذبتما يمنعكما من الإسلام ثلاث، أكلكما الخنزير و عبادتكما الصليب، و قولكما اللّه ولد قالا فمن أبو عيسى، قال الحسن، و كان صلى اللّه عليه و سلم لا يعجل حتى يأمره ربه فأنزل اللّه تعالى (ذلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآياتِ وَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) إلى قوله (الْكاذِبِينَ) فقرأها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عليهما ثم دعاهما إلى المباهلة و أخذ بيد فاطمة و الحسن و الحسين، فقال أحدهما لصاحبه

فتوح البلدان، ص: ٧٢

اصعد الجبل و لا تباهله فإنك إن باهلته بؤت باللعنة، قال فما ترى، قال:

أرى أن نعطيه الخراج و لا نباهله.

حدثنى الحسين، قال. حدثنى يحيى بن آدم، قال أخذت نسخة كتاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لأهل نجران من كتاب رجل، عن الحسن بن صالح رحمه اللّه، و هى. بسم اللّه الرحمن الرحيم، هذا ما كتب النبى رسول اللّه محمد لنجران إذ كان له عليهم حكمة فى كل ثمرة و صفراء و بيضاء و سوداء رقيق فأفضل عليهم و ترك ذلك الفى حلة حلل الأواقى، فى كل رجب ألف حلة، و فى كل صفر ألف حلة كل حلة أوقية، و ما زادت حلل الخراج أو نقصت عن الأواقى فبالحساب، و ما نقصوا من درع أو خيل أو ركاب أو عرض أخذ منهم بالحساب و على نحران مثواة رسلى شهرا فدونه، و لا يحبس رسلى فوق شهر و عليهم عارية ثلاثين درعا، و ثلاثين فرسا، و ثلاثين بعيرا، إذا كان كيد باليمن ذو مغدرة أى إذا كان كيد بغدر منهم، و ما هلك مما أعاروا رسلى من خيل أو ركاب فهم ضمن حتى يردوه إليهم، و لنجران و حاشيتها جوار اللّه و ذمة محمد النبى رسول اللّه على أنفسهم، و ملتهم، و أرضهم، و أموالهم. و غائبهم و شاهدهم و عيرهم و بعثهم. و أمثلتهم لا يغير ما كانوا عليه و لا يغير حق من حقوقهم. و أمثلتهم لا يفتن أسقف من أسقفيته. و لا راهب من رهبانيته. و لا واقه من وقاهيته على ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، و ليس عليهم رهق و لا دم جاهلية، و لا يحشرون و لا يعشرون و لا يطأ أرضهم جيش. من سأل منهم حقا فبينهم النصف. غير ظالمين و لا مظلومين بنجران. و من أكل منهم ربا من ذى قبل فذمتى منه بريئة. و لا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر و لهم على ما فى هذه الصحيفة جوار اللّه. و ذمة محمد النبى أبدا حتى يأتى أمر اللّه ما نصحوا و أصلحوا فيما عليهم غير مكلفين شيئا بظلم شهد أبو سفيان بن حرب و غيلان بن عمرو و مالك

فتوح البلدان، ص: ٧٣

ابن عوف من بنى نصر، و الأقرع بن حابس الحنظلى، و المغيرة و كتب.

و قال يحيى بن آدم، و قد رأيت كتابا فى أيدى النجرانيين كانت نسخته شبيهة بهذه النسخة و فى أسفله، و كتب على بن أبى طالب، و لاـ أدرى ما أقول فيه، قالوا و لما استخلف أبو بكر الصديق رضى اللّه عنه حملهم على ذلك فكتب لهم كتابا على نحو كتاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فلما استخلف عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه أصابوا الربا و كثر فخافهم على الإسلام فاجلاهم و كتب لهم.

«أما بعد» فمن وقعوا به من أهل الشام و العراق فليوسعهم من حرث الأرض، و ما اعتملوا من شىء فهو لهم مكان أرضهم باليمن، فتفرقوا فنزل بعضهم الشام و نزل بعضهم النجرانية بناحية الكوفة، و بهم سميت و دخل يهود نجران مع النصارى فى الصلح، و كانوا كالأتباع لهم، فلما استخلف عثمان بن عفان كتب إلى الوليد بن عقبة بن أبى معيط و هو عامله على الكوفة.

«أما بعد» فإن العاقب، و الأسقف، و سراة نجران، أتونى بكتاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و أرونى شرط عمر، و قد سألت عثمان بن حنيف عن ذلك فأنبأنى أنه كان بحث عن أمرهم فوجده ضارا للدهاقين، لردعهم عن أرضهم، و إنى قد وضعت عنهم من جزيتهم مائتى حلة لوجه اللّه، و عقبى لهم من أرضهم، و إنى أوصيك بهم، فإنهم قوم لهم ذمة، و سمعت بعض العلماء يذكر أن عمر كتب لهم.

«أما بعد» فمن وقعوا به من أهل الشام و العراق فليوسعهم من حرث الأرض، و سمعت بعضهم يقول من خريب الأرض،

و حدثنى عبد الأعلى ابن حماد النرسى، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن يحيى بن سعيد، عن إسماعيل ابن حكيم، عن عمر بن عبد العزيز أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال فى مرضه: لا يبقين دينان فى أرض العرب،

فلما استخلف عمر بن الخطاب

فتوح البلدان، ص: ۷۴

رضى اللّه عنه أجلى أهل نجران إلى النجرانية، و اشترى عقاراتهم و أموالهم.

و حدثنى العباس بن هشام الكلبى عن أبيه عن جده، قال: سميت نجران اليمن بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

و حدثنى الحسين بن الأسود، قال حدثنا وكيع بن الجراح، قال حدثنا الأعمش عن سالم بن أبى الجعد. قال: كان أهل نجران قد بلغوا أربعين ألفا فتحاسدوا بينهم: فاتوا عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه فقالوا: أجلنا، و كان عمر قد خافهم على المسلمين فاغتنمها فاجلاهم فندموا بعد ذلك و أتوه فقالوا: أقلنا فأبى ذلك،

فلما قام على بن أبى طالب رضى اللّه عنه أتوه فقالوا: ننشدك خطك بيمينك و شفاعتك لنا عند نبيك إلا أقلتنا، فقال إن عمر كان رشيد الأمر، و أنا أكره خلافه.

و حدثنى أبو مسعود الكوفى، قال حدثنى محمد بن مروان، و الهيثم بن عدى، عن الكلبى، أن صاحب النجرانية بالكوفة كان يبعث رسله إلى جميع من بالشام و النواحى، من أهل نجران، فيجبونهم مالا يقسمه عليهم لإقامة الحلل، فلما ولى معاوية أو يزيد بن معاوية، شكوا إليه تفرقهم و موت من مات و إسلام من أسلم منهم و أحضروه كتاب عثمان بن عفان بما حطهم من الحلل و قالوا إنما ازددنا نقصانا و ضعفا، فوضع عنهم مائتى حلة يتمه أربعمائة حلة، فلما ولى الحجاج بن يوسف العراق، و خرج ابن الأشعث عليه اتهم الدهاقين بموالاته و اتهمهم معهم فردهم إلى ألف و ثمانمائة حلة و أخذهم بحلل وشى فلما ولى عمر بن عبد العزيز شكوا إليه فناءهم و نقصانهم و إلحاح الأعراب بالغارة عليهم و تحميلهم إياهم المؤمن المجحفة بهم و ظلم الحجاج إياهم، فأمر فأحصوا فوجدوا على العشر من عدتهم الأولى، فقال أرى هذا الصلح جزية على رؤسهم و ليس هو بصلح عن أرضهم و جزية الميت و المسلم ساقطة فألزمهم مائتى حلة قيمتها ثمانية ألف درهم، فلما ولى يوسف بن عمر العراق، فى أيام

فتوح البلدان، ص: ۷۵

الوليد بن يزيد ردهم إلى أمرهم الأول عصبية للحجاج، فلما استخلف أمير المؤمنين أبو العباس رحمه اللّه عمدوا إلى طريقه يوم ظهر بالكوفة فألقوا فيه الريحان و نثروا عليه و هو منصرف إلى منزله من المسجد، فأعجبه ذلك من فعلهم، ثم أنهم رفعوا إليه فى أمرهم و

أعلموه قلتهم و ما كان من عمر بن عبد العزيز و يوسف بن عمر و قالوا: أن لنا نسبا فى أخوالك بنى الحارث بن كعب، و تكلم فيهم عبد اللّه بن الربيع الحارثى، و صدقهم الحجاج بن أرطاة فيما أدعوا، فردهم أبو العباس صلوات اللّه عليه إلى مائتى حلة قيمتها ثمانية ألف درهم.

قال أبو مسعود: فلما استخلف الرشيد هارون أمير المؤمنين، و شخص إلى الكوفة يريد الحج رفعوا إليه فى أمرهم، و شكوا تعنت العمال إياهم، فأمر فكتب لهم كتاب بالمائتى حلة قد رأيته، و أمر أن يعفوا من معاملة العمال و أن يكون مؤداهم بيت المال بالحضرة.

حدثنا عمرو الناقد، قال: أخبرنا عبد اللّه بن وهب المصرى، عن يونس ابن يزيد، عن ابن شهاب الزهرى. قال: أنزلت فى كفار قريش و العرب «وَ قاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ» و أنزلت فى أهل الكتاب (قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ. وَ لا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ. وَ لا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ) إلى قوله (صاغِرُونَ). فكان أول من أعطى الجزية من أهل الكتاب أهل نجران فيما علمنا. و كانوا نصارى. ثم أعطى أهل أيلة. و أذرح. و أهل أذرعات الجزية فى غزوة تبوك.

وفود أهل اليمن إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم و إسلامهم

قالوا: لما بلغ أهل اليمن ظهور رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. و علو حقه أتته وفودهم. فكتب لهم كتابا بإقرارهم على ما أسلموا عليه من أموالهم،

فتوح البلدان، ص: ۷۶

و أرضيهم، و ركازهم، فأسلموا و وجه إليهم رسله و عماله، لتعريفهم شرائع الإسلام و سننه. و قبض صدقاتهم. و جز رءوس من أقام على النصرانية و اليهودية و المجوسية منهم.

حدثنا الحسين بن الأسود، قال: حدثنا وكيع بن الجراح، قال: حدثنا يزيد ابن ابراهيم التسترى، عن الحسن، قال: كتب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى أهل اليمن، من صلى صلاتنا، و استقبل قبلتنا. و أكل ذبيحتنا. فذلكم المسلم له ذمة اللّه و ذمة رسوله صلى اللّه عليه و سلم، و من أبى فعليه الجزية

* و حدثنى هدبة، قال: حدثنا يزيد بن ابراهيم، عن الحسن بمثله، قال الواقدى: وجه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خالد بن سعيد ابن العاص أميرا إلى صنعاء و أرضها قال، و قال بعضهم: ولى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم المهاجرين أبى أمية ابن المغيرة المخزومى صنعاء فقبض و هو عليها، قال و قال آخرون إنما ولى المهاجر صنعاء أبو بكر الصديق رضى اللّه عنه، و ولى خالد بن سعيد مخاليف أعلى اليمن.

و قال هشام بن الكلبى، و الهيثم بن عدى: ولى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم المهاجر كندة و الصدف. فلما قبض رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم:

كتب أبو بكر إلى زياد بن لبيد البياضى من الأنصار بولاية كندة و الصدف إلى ما كان يتولى من حضرموت. و ولى المهاجر صنعاء ثم كتب إليه بإنجاد زياد بن لبيد. و لم يعزله عن صنعاء.

و أجمعوا جميعا: إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ولى زياد بن لبيد حضرموت. قالوا و ولى النبى صلى اللّه عليه و سلم أبا موسى الأشعرى زبيد.

و رمع و عدن و الساحل: و ولى معاذ بن جبل الجند و صير إليه القضاء و قبض جميع الصدقات باليمن: و ولى نجران عمرو بن حزم الأنصارى، و يقال:

إنه ولى أبا سفيان بن حرب نجران بعد عمرو بن حزم.

فتوح البلدان، ص: ۷۷

و أخبرنى عبد اللّه بن صالح المقرئ، قال: حدثنى الثقة ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة بن الزبير أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كتب إلى ذرعة بن ذى يزن.

«أما بعد» فإذا أتاكم رسولى معاذ بن جبل و أصحابه فاجمعوا ما عندكم من الصدقة و الجزية فأبلغوه ذلك، فإن أمير رسلى معاذ و هو من صالحى من قبلى، و أن مالك بن مرارة الرهاوى حدثنى أنك قد استلمت أول حمير، و فارقت المشركين، فابشر بخير، و أنا آمركم يا معشر حمير ألا تخونوا، و لا تحادوا، فإن رسول اللّه مولى غنيكم و فقيركم، و أن الصدقة لا تحل لمحمد و لا لآله، إنما هى زكاة تزكون بها: هى لفقراء المسلمين و المؤمنين، و أن مالكا قد بلغ الخبر و حفظ الغيب و أن معاذا من صالحى أهلى و ذوى دينهم، فآمركم به خيرا فإنه منظور إليه و السلام.

و حدثنى الحسين بن الأسود، قال حدثنى يحيى بن آدم، قال: حدثنا يزيد بن عبد العزيز، عن عمرو بن عثمان بن موهب، قال: سمعت موسى بن طلحة يقول: بعث رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم معاذ بن جبل على صدقات اليمن، و أمره أن يأخذ من النخل و الحنطة و الشعير و العنب أو قال الزبيب العشر و نصف العشر.

و حدثنى الحسين، قال حدثنى يحيى بن آدم، قال:

حدثنا زياد عن محمد بن إسحاق أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كتب لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن.

بسم اللّه الرحمن الرحيم: هذا بيان من اللّه و رسوله (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود): عهد من محمد النبى رسول اللّه، لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن، أمره بتقوى اللّه فى أمره كله، و ان يأخذ من المغانم خمس اللّه، و ما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار عشر ما سقى البعل و سقت السماء و نصف

فتوح البلدان، ص: ۷۸

العشر مما سقى الغرب.

و

حدثنى الحسين، قال: حدثنى يحيى بن آدم، قال:

حدثنا زياد بن عبد اللّه البكائى، عن محمد بن إسحاق، قال: كتب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى ملوك حمير.

بسم اللّه الرحمن الرحيم، من محمد النبى رسول اللّه، إلى الحارث بن عبد كلال، و نعيم بن عبد كلال، و شرح بن كلال، و إلى النعمان قيل ذى رعين، و معافر و همدان، أما بعد فإن اللّه قد هداكم بهدايته، أن أصلحتم و أطعتم اللّه و رسوله و أقمتم الصلاة، و أتيتم الزكاة، و أعطيتم من المغانم خمس اللّه، و سهم النبى وصفيه و ما كتب اللّه على المؤمنين من الصدقة من العقار عشر ما سقت العين و سقت السماء و ما سقى بالغرب نصف العشر.

و قال هشام بن محمد الكلبى، كان كتاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى عريب، و الحارث ابنى عبد كلال بن عريب بن ليشرح.

و حدثنا يوسف ابن موسى القطان، قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد قال: حدثنا منصور عن الحكم، قال: كتب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى معاذ بن جبل و هو باليمن أن فيما سقت السماء أو سقى غيلا العشر، و فيما سقى بالغرب و الدالية نصف العشر، و إن على كل حالم دينارا أو عدل ذلك من المعافر، و إن لا يفتن يهودى عن يهوديته، قالوا الغيل السيح: و الغرب الدلو يعنى ما سقى بالسوانى، و الدوالى. و الدواليب، و الغرافات، و البعل السيح أيضا: و المعافر ثياب لهم.

حدثنا أبو عبيد قال: حدثنا مروان بن معاوية، عن الأعمش، عن أبى وائل عن مسروق، قال: بعث رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم معاذ إلى اليمن و أمره أن يأخذ من كل ثلاثين بقرة تبيعا، و من كل أربعين مسنة، و من كل حالم دينارا أو عدل ذلك من المعافر.

و حدثنى الحسين بن الأسود، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنى شيبان البرجمى، عن عمرو، عن الحسن، قال: أخذ رسول اللّه صلى اللّه

فتوح البلدان، ص: ۷۹

علیه و سلم الجزیة من مجوس هجر، و مجوس أهل الیمن، و فرض علی کل من بلغ الحلم من مجوس الیمن من رجل أو امرأة دینارا أو قیمته من المعافر.

حدثنا عمرو الناقد، عن عبد اللّه بن وهب، عن مسلمة بن علی، عن المثنی بن الصباح، عن عمرو بن شعیب، عن أبیه عن جده، أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فرض الجزیة علی کل محتلم من أهل الیمن دینارا.

حدثنا شیبان بن أبی شیبة الإبلی، قال: حدثنا قزعة بن سوید الباهلی، قال: سمعت زکریا بن إسحاق یحدث عن یحیی بن صیفی، أو أبی معبد «عن ابن عباس، قال: لما بعث رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم معاذ ابن جبل إلی الیمن قال: أما أنک تأتی قوما من أهل الکتاب، فقل لهم.

إن اللّه فرض علیکم فی الیوم و اللیلة خمس صلوات، فإن أطاعوک فقل:

إن اللّه فرض علیکم فی السنة صوم شهر رمضان، فإن أطاعوک فقل:

إن اللّه فرض علیکم حج البیت من استطاع إلیه سبیلا، فإن أطاعوک فقل: إن اللّه قد فرض علیکم فی أموالکم صدقة تؤخذ من أغنیائکم فترد فی فقرائکم، فإن أطاعوک فإیاک و کرائم أموالهم. و إیاک و دعوة المظلوم، فإنه لیس بینها و بین اللّه حجاب و لا ستر».

حدثنا شیبان، قال: حدثنا حماد بن مسلمة. قال: حدثنا الحجاج بن أرطاة. عن عثمان بن عبد اللّه. أن المغیرة بن عبد اللّه قال: قال الحجاج صدقوا کل خضراء. فقال أبو بردة بن أبی موسی: صدق. فقال موسی بن طلحة لأبی بردة: هذا الآن یزعم أن أباه کان من أصحاب النبی صلی اللّه علیه و سلم، بعث رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم معاذ بن جبل إلی الیمن فأمره أن یأخذ الصدقة من التمر و البر و الشعیر و الزبیب. و حدثنی عمرو الناقد. قال: حدثنا وکیع عن عمرو بن عثمان. عن موسی بن طلحة بن عبید اللّه. قال: قرأت کتاب معاذ بن جبل حین بعثه رسول اللّه صلی اللّه

فتوح البلدان، ص: ۸۰

علیه و سلم إلی الیمن فکان فیه، أن تؤخذ الصدقة من الحنطة، و الشعیر، و التمر، و الزبیب، و الذرة.

حدثنا علی بن عبد اللّه المدینی، قال: حدثنا سفیان بن عیینة عن ابن أبی نجیح، قال: سألت مجاهدا لم وضع عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه علی أهل الشام من الجزیة أکثر مما وضع علی أهل الیمن، فقال للیسار. حدثنا الحسین بن علی بن الأسود، قال حدثنا وکیع عن سفیان عن ابراهیم بن میسرة عن طاوس، قال: لما أتی معاذ الیمن أتی بأوقاص البقر، و العسل، فقال لم أومر فی هذا بشیء.

و حدثنا الحسین بن الأسود، قال: حدثنا یحیی بن آدم، قال: حدثنا عبد اللّه بن المبارک عن معمر عن یحیی بن قیس المازنی عن رجل عن أبیض ابن حمال أنه استقطع رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم الملح الذی بما رب، فقال رجل إنه کالماء العد، فأبی أن یقطعه إیاه. و حدثنی القاسم بن سلام و غیره عن إسماعیل بن عیاش عن عمرو بن یحیی بن قیس المازنی عن أبیه عمن حدثه عن أبیض بن حمال بمثله. و حدثنی أحمد بن ابراهیم الدورقی، قال: حدثنا أبو داود الطیالسی، قال حدثنا شعبة عن سماک عن علقمة بن وائل الحضرمی عن أبیه أن النبی صلی اللّه علیه و سلم أقطعه أرضا بحضرموت.

و حدثنی علی بن محمد بن عبد اللّه بن أبی سیف، مولی قریش، عن مسلمة ابن محارب، قال: لما ولی محمد بن یوسف أخو الحجاج بن یوسف الیمن، أساء السیرة، و ظلم الرعیة، و أخذ أراضی الناس بغیر حقها، فکان مما اغتصبه الحرجة، قال: و ضرب علی أهل الیمن خراجا جعله وظیفة علیهم، فلما ولی عمر بن عبد العزیز کتب إلی عامله یأمره بالغاء تلک الوظیفة و الاقتصار علی العشر، و قال: و اللّه لأن لا تأتینی من الیمین حفنة کتم أحب إلی من اقرار هذه الوظیفة، فلما ولی یزید بن عبد الملک أمر بردها.

فتوح البلدان، ص: ۸۱

حدثنی الحسن بن محمد الزعفرانی عن الشافعی عن أبی عبد الرحمن هشام بن یوسف قاضی صنعاء، أن أهل خفاش أخرجوا کتابا من أبی بکر الصدیق رضی اللّه عنه فی قطعة أدیم یأمرهم فیه أن یؤدوا صدقة الورس، و قال مالک، و ابن أبی ذئب، و جمیع أهل الحجاز من الفقهاء، و سفیان الثوری، و أبو یوسف: لا زکاة فی الورس، و الوسمة، و القرط، و الکتم، و الحناء، و الورد، و قال أبو حنیفة: فی قلیل ذلک و کثیره الزکاة، و قال مالک فی الزعفران. إذا بلغ ثمنه مائتی درهم و بیع خمسة دراهم، و هو قول أبی الزناد، و روی عنه أیضا أنه قال: لا شیء فی الزعفران، و قال أبو حنیفة و زفر فی قلیله و کثیره الزکاة، و قال أبو یوسف و محمد بن الحسن.

إذا بلغ ثمنه أدنی ثمن خمسة أوسق تمر أو حنطة أو شعیر أو ذرة أو صنف من أصناف الحبوب ففیه الصدقة، و قال ابن أبی لیلی لیس فی الخضر شیء، و هو قول الشعبی، و قال عطاء، و ابراهیم النخعی: فیما أخرجت أرض العشر من قلیل و کثیر العشر أو نصف العشر.

و حدثنی الحسین بن الأسود، قال: حدثنا یحیی بن آدم عن سعید بن سالم، عن الصلت بن دینار، عن ابن أبی رجاء العطاردی، قال: کان ابن عباس بالبصرة یأخذ صدقاتنا حتی دساتج الکراث. و حدثنا الحسین، قال:

حدثنا یحیی بن آدم قال: حدثنا ابن المبارک. عن معمر، عن طاوس، و عکرمة أنهما قالا: لیس فی الورس و العطب- و هو القطن- زکاة، و قال أبو حنیفة و بشر فی الذمة یملکون الأرضین من الأراضی العشر مثل الیمن التی أسلم علیها أهلها و البصرة التی أحیاها المسلمون و ما أقطعته الخلفاء من القطائع التی لا حق فیها لمسلم و لا معاهد أنهم یلزمون الجزیة فی رقابهم، و یوضع الخراج علی أرضهم بقدر احتمالها، و یکون مجری ما یجتبی منهم مجری مال الخراج، فإن أسلم منهم مسلم وضعت عنه الجزیة، و الزم الخراج فی أرضه أبدا علی قیاس السواد، و هو قول ابن ابی لیلی.

فتوح البلدان، ص: ۸۲

و قال ابن شبرمة، و أبو یوسف: توضع علیهم الجزیة فی رقابهم و علیهم الضعف مما علی المسلمین فی أرضهم. و هو الخمس أو العشر، و قاسا ذلک علی أمر نصاری بنی تغلب، و قال أبو یوسف: ما أخذ منهم فسبیله الخراج، فان أسلم الذمی أو خرجت أرضه إلی مسلم صارت عشریة، و قد روی ذلک عن عطاء، و الحسن، و قال ابن أبی ذئب، و ابن أبی سبرة، و شریک بن عبد اللّه النخعی، و الشافعی: علیهم الجزیة فی رقابهم و لا خراج و لا عشر فی أرضهم، لأنهم لیسوا ممن تجب علیه الزکاة و لیست أرضهم بأرض خراج، و هو قول الحسن بن صالح بن حی الهمدانی، و قال سفیان الثوری، و محمد بن الحسن: علیهم العشر غیر مضعف، لأن الحکم حکم الأرض و لا ینظر إلی مالکها.

و قال الأوزاعی، و شریک بن عبد اللّه، إن کانوا ذمة مثل یهود الیمن التی أسلم أهلها و هم بها: لم تؤخذ منهم شیئا غیر الجزیة و لا تدع الذمی یبتاع أرضا من أراضی العشر و لا یدخل فیها- یعنی یملکها به- و قال الواقدی:

سألت مالکا عن الیهودی من یهود الحجاز یبتاع أرضا بالجرف فیزرعها، قال: یؤخذ منه العشر، قلت أو لست تزعم إنه لا عشر علی أرض ذمی إذا ملک أرض عشر، فقال: ذاک إذا أقاموا ببلادهم فأما إذا خرجوا من بلادهم فإنها تجارة، و قال أبو الزناد، و مالک بن أنس، و ابن أبی ذئب، و الثوری، و أبو حنیفة و یعقوب، فی التغلبی یزرع أرضا من أرض العشر إنه یؤخذ منه ضعف العشر و إذا اکتری رجل مزرعة عشریة فإن مالکا. و الثوری و ابن أبی ذئب، و یعقوب، قالوا: العشر علی صاحب الزرع، و قال أبو حنیفة: هو علی رب الأرض، و هو قول زفر، و قال أبو حنیفة إذا لم یؤد رجل عشر أرضه سنتین فإن السلطان یأخذ منه العشر لما یستأنف، و کذلک أرض الخراج، و قال أبو شمر: یأخذ ذلک منه لما مضی لأنه حق وجب فی ماله

.

فتوح البلدان، ص: ۸۳

فتح عمان

قالوا: كان الأغلبين على عمان الأزد و كان بها من غيرهم بشر كثير فى البوادى فلما كانت سنة ثمان بعث رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أبا زيد الأنصارى أحد الخزرج، و هو أحد من جمع القرآن على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و اسمه فيما ذكر الكلبى: قيس بن سكن بن زيد بن حرام، و قال بعض البصريين اسمه عمرو بن أخطب، جد عروة بن ثابت بن عمرو ابن أخطب، و قال سعيد بن أوس الأنصارى: اسمه ثابت بن زيد، و بعث عمرو بن العاصى السهمى إلى عبيد، و جيفر ابنى الجلندى بكتاب منه يدعوهما فيه إلى الإسلام، و قال: إن أجاب القوم إلى شهادة الحق، و أطاعوا اللّه و رسوله فعمرو الأمير و أبو زيد على الصلاة، و أخذ الإسلام على الناس و تعليمهم القرآن و السنن، فلما قدم أبو زيد، و عمرو عمان و جدا عبيدا، و جيفرا بصحار على ساحل البحر، فأوصلا كتاب النبى صلى اللّه عليه و سلم إليهما فأسلما و دعوا العرب هناك إلى الإسلام فأجابوا إليه و رغبوا فيه، فلم يزل عمرو و أبو زيد بعمان حتى قبض النبى صلى اللّه عليه و سلم، و يقال: إن أبا زيد قدم المدينة قبل ذلك.

قالوا: و لما قبض رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، ارتدت الأزد و عليها لقيط بن مالك ذو التاج و انحازت إلى دبا و بعضهم يقول دما فى دبا فوجه أبو بكر رضى اللّه عنه إليهم حذيفة بن محصن البارقى من الأزد، و عكرمة ابن أبى جهل ابن هشام المخزومى، فواقعا لقيطا و من معه فقتلاه و سبيا من أهل دبا سبيا بعثا به إلى أبى بكر رحمه اللّه، ثم أن الأزد راجعت الإسلام و ارتدت طوائف من أهل عمان و لحقوا بالشحر فسار إليهم عكرمة فظفر بهم و أصاب منهم مغنما و قتل بشرا، و جمع قوم من مهرة بن حيدان بن

فتوح البلدان، ص: ۸۴

عمرو بن الحاف بن قضاعة جمعا فأتاهم عكرمة فلم يقاتلوه و أدوا الصدقة، و ولى أبو بكر رضى اللّه عنه حذيفة بن محصن عمان، فمات أبو بكر و هو عليها، و صرف عكرمة و وجه إلى اليمن.

و لم تزل عمان مستقيمة الأمر يؤدى أهلها صدقات أموالها، و يؤخذ ممن بها من الذمة جزية رؤسهم حتى كانت خلافة الرشيد صلوات اللّه عليه فولاها عيسى بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد اللّه بن العباس، فخرج إليها بأهل البصرة فجعلوا يفجرون بالنساء و يسلبونهم و يظهرون المعازف فبلغ ذلك أهل عمان و جلهم شراة، فحاربوه و منعوه من دخولها، ثم قدروا عليه فقتلوه و صلبوه و امتنعوا على السلطان فلم يعطوه طاعة، و ولوا أمرهم رجلا منهم، و قد قال قوم إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كان وجه أبا زيد بكتابه إلى عبيد، و جيفر ابنى الجلندى الأزديين فى سنة ست و وجه عمرا فى سنة ثمان بعد إسلامه بقليل، و كان إسلامه، و إسلام خالد بن الوليد، و عثمان بن طلحة العبدى فى صفر سنة ثمان أقبل من الحبشة حتى أتى إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم و أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال لأبى زيد: خذ الصدقة من المسلمين و الجزية من المجوس

حدثنى أبو الحسن المدائنى عن المبارك بن فضالة، قال: كتب عمر ابن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة الفزارى عامله على البصرة. «أما بعد» فإنى كنت كتبت إلى عمرو بن عبد اللّه أن يقسم ما وجد بعمان من عشور التمر و الحب فى فقراء أهلها، و من سقط إليها من أهل البادية، و من إضافته إليها الحاجة و المسكنة و انقطاع السبيل، فكتب إلى أنه سأل عاملك قبله عن ذلك الطعام و التمر فذكر أنه قد باعه و حمل إليك ثمنه، فأردد إلى عمرو ما كان حمل إليك عاملك على عمان من ثمن التمر و الحب ليضعه فى المواضع التى أمرته بها و يصرفه فيها إن شاء اللّه و السلام

.

فتوح البلدان، ص: ۸۵

غزوة البحرين

قالوا: و كانت أرض البحرين من مملكة الفرس، و كان بها خلق كثير من العرب من عبد القيس، و بكر بن وائل و تميم مقيمين فى باديتها و كان على العرب بها من قبل الفرس على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم المنذر بن ساوى أحد بنى عبد اللّه بن زيد بن

عبد اللّه بن دارم بن مالك بن حنظلة، و عبد اللّه بن زيد هذا هو الأسبذى نسب إلى قرية بهجر يقال لها الأسبذ، و يقال: أنه نسب إلى الأسبذيين و هم قوم كانوا يعبدون الخيل بالبحرين فلما كانت سنة ثمان وجه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم العلاء بن عبد اللّه بن عماد الحضرمى حليف بنى عبد الشمس إلى البحرين ليدعو أهلها إلى الإسلام أو الجزية، و كتب معه إلى المنذر بن ساوى و إلى سيبخت مرزبان هجر يدعوهما إلى الإسلام أو الجزية فأسلما و أسلم معهما جميع العرب هناك و بعض العجم. فأما أهل الأرض من المجوس و اليهود و النصارى فإنهم صالحوا العلاء و كتب بينه و بينهم كتابا نسخته.

بسم اللّه الرحمن الرحيم: هذا ما صالح عليه العلاء بن الحضرمى أهل البحرين صالحهم على أن يكفونا العمل و يقاسمونا التمر، فمن لم يف فعليه لعنة اللّه و الملائكة و الناس أجمعين. و أما جزية الرءوس فإنه أخذ لها من كل حالم دينارا. حدثنى عباس بن هشام عن أبيه عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال: كتب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى البحرين.

«أما بعد» فإنكم إذا أقمتم الصلاة و آتيتم الزكاة و نصحتم للّه و رسوله و آتيتم عشر النخل و نصف عشر الحب و لم تمجسوا أولادكم فلكم ما أسلمتم عليه غير أن بيت النار للّه و رسوله، و أن أبيتم فعليكم الجزية.

فتوح البلدان، ص: ۸۶

فكره المجوس و اليهود الإسلام و أحبوا أداء الجزية، فقال منافقو العرب: زعم محمد إنه لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب و قد قبلها من مجوس هجر و هم غير أهل كتاب فنزلت (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)، و قد قيل أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم وجه العلاء حين وجه رسله إلى الملوك فى سنة ست.

و حدثنى محمد بن مصفى الحمصى، قال: حدثنا محمد بن المبارك، قال: حدثنا عتاب بن زياد قال: حدثنى محمد بن ميمون عن مغيرة الأزدى عن محمد بن زيد بن حيان الأعرج عن العلاء بن الحضرمى، قال: بعثنى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى البحرين- أو قال هجر- و كنت آتى الحائط بين الأخوة قد أسلم بعضهم فأخذ من المسلم العشر و من المشرك الخراج.

و حدثنا القاسم ابن سلام، قال: حدثنا عثمان ابن صالح عن عبد اللّه بن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة بن الزبير أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كتب إلى أهل هجر.

بسم اللّه الرحمن الرحيم، من محمد النبى إلى أهل هجر سلم أنتم فإنى أحمد إليكم اللّه الذى لا إله إلّا هو، أما بعد فإنى أوصيكم بالله و بأنفسكم ألا تضلوا بعد إذا هديتم و لا تنوا بعد إذ رشدتم، أما بعد فإنه قد أتانى الذى صنعتم و أنه من يحسن منكم لا يحمل عليه ذنب المسيء، فإذا جاءكم أمرائى فأطيعوهم و انصروهم و أعينوهم على أمر اللّه و فى سبيله، فإنه من يعمل منكم عملا صالحا فلن يضل له عند اللّه و عندى، و أما بعد فقد جاءنى وفدكم فلم آت إليهم إلا ما سرهم و إنى لو جهدت حقى فيكم كله أخرجتكم من هجر فشفعت غائبكم و أفضلت على شاهدكم «ف اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ».

حدثنى الحسين بن الأسود، قال: حدثنا عبيد اللّه بن موسى، عن شيبان النحوى عن قتادة، قال: لم يكن بالبحرين فى أيام رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم

فتوح البلدان، ص: ۸۷

قتال، و لكن بعضهم أسلم و بعضهم صالح العلاء على انصاف الحب و التمر، و حدثنى الحسين، قال: حدثنى يحيى بن آدم، قال: حدثنا الحسن بن صالح عن أشعث عن الزهرى أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أخذ الجزية من مجوس هجر. و حدثنى الحسين، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا قيس بن الربيع عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد، قال: كتب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى مجوس هجر يدعوهم إلى الإسلام، فان أسلموا فلهم مالنا و عليهم ما علينا، و من أبى فعليه الجزية فى غير أكل لذبائحهم و لا نكاح لنسائهم.

و حدثنى الحسين، قال: حدثنا يحيى بن آدم عن ابن المبارك عن يونس بن يزيد الأيلى عن الزهرى عن سعيد بن المسيب، قال: أخذ

رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الجزية من مجوس هجر، و أخذها عمر من مجوس فارس، و أخذها عثمان من بربر. و حدثنا الحسين، قال: حدثنا عبد اللّه بن إدريس عن مالك بن أنس عن الزهرى بمثله.

و حدثنا عمرو الناقد، قال: أخبرنا عبد اللّه بن وهب عن يحيى بن عبد اللّه ابن سالم بن عبد اللّه بن عمر عن موسى بن عقبة أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كتب إلى منذر بن ساوى.

من محمد النبى إلى منذر بن ساوى سلم أنت فإنى أحمد إليك اللّه الذى لا إله إلا هو، أما بعد فإن كتابك جاءنى و سمعت ما فيه، فمن صلى صلاتنا و استقبل قبلتنا، و أكل ذبيحتنا فذلك المسلم، و من أبى ذلك فعليه الجزية.

و حدثنى عباس بن هشام الكلبى عن أبيه عن جده عن أبى صالح عن ابن عباس قال: كتب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى المنذر بن ساوى فأسلم و دعا أهل هجر فكانوا بين راض و كاره، أما العرب فأسلموا، و أما المجوس و اليهود فرضوا بالجزية فأخذت منهم.

فتوح البلدان، ص: ۸۸

و حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا سليمان بن المغيرة، قال: حدثنا حميد بن هلال قال: بعث العلاء بن الحضرمى إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مالا من البحرين يكون ثمانين ألفا أتاه أكثر منه قبله و لا بعده فأعطى منه العباس عمه.

حدثنى هشام بن عمار عن إسماعيل بن عياش عن عبد العزيز بن عبيد اللّه، قال: بعث رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى وضائع كسرى بهجر فلم يسلموا فوضع عليهم الجزية دينارا على كل رجل منهم. قالوا: و عزل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم العلاء ثم ولى البحرين أبان بن سعيد بن العاصى بن أمية، و قوم يقولون: إن العلاء كان على ناحية من البحرين منها القطيف و إن أبان كان على ناحية أخرى فيها الخط: و الأول أثبت.

قالوا: و لما توفى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خرج أبان من البحرين فأتى المدينة، فسأل أهل البحرين أبا بكر رضى اللّه عنه أن يرد العلاء عليهم ففعل، فيقال: إن العلاء لم يزل واليا حتى توفى بها سنة عشرين، فولى عمر مكانه أبا هريرة الدوسى، و يقال أيضا: إن عمر رضى اللّه عنه ولى أبا هريرة قبل موت العلاء فأتى العلاء توج من أرض فارس و عزم على المقام بها، قال:

ثم رجع إلى البحرين فمات هناك و كان أبو هريرة يقول: دفنا العلاء ثم احتجنا إلى رفع لبنة فرفعناها فلم نجده فى اللحد.

و قال أبو مخنف: كتب عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه إلى العلاء بن الحضرمى و هو عامله على البحرين يأمره بالقدوم عليه، و ولى عثمان بن أبى العاصى الثقفى البحرين و عمان فلما قدم العلاء المدينة ولاه البصرة مكان عتبة بن غزوان، فلم يصل إليها حتى مات و ذلك فى سنة أربعة عشر أو فى أول سنة خمسة عشر ثم أن عمر ولى قدامة بن مظعون الجمحى جباية البحرين، و ولى أبا هريرة

فتوح البلدان، ص: ۸۹

الأحداث و الصلاة، ثم عزل قدامة وحده على شرب الخمر، و ولى أبا هريرة الصلاة و الاحداث، ثم عزله و قاسمه ماله، ثم ولى عثمان بن أبى العاصى البحرين و عمان.

حدثنى العمرى عن الهيثم، قال: كان قدامة بن مظعون على الجباية و الاحداث، و أبو هريرة على الصلاة و القضاء، فشهد على قدامة بما شهد به ثم ولاه عمر البحرين بعد قدامة ثم عزله و قاسمه و أمره بالرجوع فأبى فولاها عثمان بن أبى العاص فمات عمر و هو و اليه عليها، و كان خليفته على عمان و البحرين و هو بفارس أخوه مغيرة بن أبى العاصى، و يقال: حفص بن أبى العاصى حدثنا شيبان بن فروخ، قال حدثنا أبو هلال الراسبى، قال: حدثنا محمد بن سيرين عن أبى هريرة، قال استعملنى عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه على البحرين فاجتمعت لى اثنا عشر ألفا فلما قدمت على عمر قال لى يا عدو اللّه و عدو المسلمين- أو قال و عدو كتابه- سرقت مال اللّه، قال: قلت لست بعدو للّه و لا للمسلمين- أو قال لكتابه- و لكنى عدو من عاداهما و لكن خيلا تناتجت و سهامها اجتمعت، قال فأخذ منى اثنا عشر ألفا فلما صليت الغداة قلت. اللهم اغفر لعمر، قال. فكان يأخذ منهم و يعطيهم أفضل من ذلك حتى إذا كان بعد ذلك،

قال: ألا تعمل يا أبا هريرة، قلت. لا قال و لم قد عمل من هو خير منك يوسف «قالَ اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الْأَرْضِ» فقلت يوسف نبى ابن نبى و أنا أبو هريرة بن أمية و أخاف منكم ثلاثا و اثنتين، قال فهلا قلت خمسا، قلت. أخشى أن تضربوا ظهرى و تشتموا عرضى و تأخذوا مالى و أكره أن أقول بغير حلم و أحكم بغير علم.

حدثنا القاسم بن سلام و روح بن عبد المؤمن، قال حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمى عن يزيد بن ابراهيم التسترى عن ابن سيرين عن أبى هريرة أنه لما قدم من البحرين، قال له عمر يا عدو اللّه و عدو كتابه أ سرقت مال اللّه.

فتوح البلدان، ص: ۹۰

قال لست عدو اللّه و لا عدو كتابه و لكنى عدو من عاداهما و لم أسرق مال اللّه قال فمن أين اجتمعت لك عشرة ألف درهم. قال خيل تناسلت و عطاء تلاحق و سهام اجتمعت فقبضها منه و ذكر من باقى الحديث نحو الذى روى أبو هلال.

قالوا. و لما مات المنذر بن ساوى بعد وفاة النبى صلى اللّه عليه و سلم بقليل ارتد من البحرين من ولد قيس بن ثعلبة بن عكابة مع الحطم و هو شريح بن ضبيعة بن عمر بن مرثد أحد بنى قيس بن ثعلبة و انما سمى الحطم بقوله:

قد لفها الليل بسواق حطم و ارتد سائر من بالبحرين من ربيعة خلا الجارودى و هو بشر بن عمرو العبدى و من تابعه من قومه. و أمروا عليهم ابنا للنعمان بن المنذر يقال له المنذر فصار الحطم حتى لحق بربيعة فانضم إليها بمعن معه. و بلغ العلاء بن الحضرمى الخبر فسار بالمسلمين حتى نزل جواثا. و هو حصن البحرين فدلفت إليه ربيعة فخرج إليها بمن معه من العرب و العجم فقاتلها قتالا شديدا. ثم إن المسلمين لجأوا إلى الحصن فحصرهم فيه عدوهم. ففى ذلك يقول عبد اللّه ابن حذف الكلابى؟

ألا أبلغ أبا بكر ألوكاو فتيان المدينة أجمعينا

فهل لك فى شباب منك أمسواأسارى فى جواثا محصرينا

ثم إن العلاء خرج بالمسلمين ذات ليلة فبيت ربيعة فقاتلوا قتالا شديدا و قتل الحطم. و قال غير هشام بن الكلبى: أتى الحطم ربيعة و هو بجواثا و قد كفر أهلها جميعا و أمروا عليهم المنذر بن النعمان فأقام معهم فحصرهم العلاء حتى فتح جواثا و فض ذلك الجمع و قتل الحطم: و الخبر الأول أثبت. و فى قتل الحطم يقول مالك بن ثعلبة العبدرى

تركنا شريحا قد علته بصيرةكحاشية البرد اليمانى المحبر

فتوح البلدان، ص: ۹۱

«البصيرة من الدم ما وقع فى الأرض»

و نحن فجعنا أم غضبان بابنهاو نحن كسرنا الرمح فى عين حبتر

و نحن تركنا مسمعا متجدلارهينة ضبع تعتريه و أنسر

قالوا: و كان المنذر بن النعمان يسمى الغرور فلما ظهر المسلمون، قال:

لست بالغرور و لكنى المغرور و لحق هو و فل ربيعة بالخط فأتاها العلاء ففتحها و قتل المنذر و من معه، و يقال: إن المنذر نجا فدخل إلى المشقر و أرسل الماء حوله فلم يوصل إليه حتى صالح الغرور على أن يخلى المدينة فخلاها و لحق بمسيلمة فقتل معه، و قال قوم: قتل المنذر يوم جواثا، و قوم يقولون: أنه استأمن ثم هرب فلحق فقتل، و كان العلاء كتب إلى أبى بكر يستمده فكتب إلى خالد بن الوليد يأمره بالنهوض إليه من اليمامة و انجاده مقدم عليه و قد قتل الحطم فحصر معه الخط، ثم أتاه كتاب أبى بكر بالشخوص إلى العراق فشخص إليه من البحرين و ذلك فى سنة اثنى عشر، و قال الواقدى يقول أصحابنا: إن خالدا قدم المدينة ثم توجه منها إلى العراق.

و استشهد بحواثا عبد اللّه بن سهيل بن عمرو أحد بنى عامر بن لؤى و يكنى أبا سهيل و أمه فأخته بنت عامر بن نوفل بن عبد مناف، و كان عبد اللّه أقبل مع المشركين يوم بدر ثم إلى المسلمين مسلما و شهد بدرا مع النبى صلى اللّه عليه و سلم، فلما بلغ أباه سهيل بن

عمرو خبره، قال: عند اللّه أحتسبه، و لقيه أبو بكر و كان بمكة حاجا فعزاه به،
فقال سهيل: أنه بلغنى أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال: يشفع الشهيد فى سبعين من أهله
و أنى لأرجو أن لا يبدأ ابنى بأحد قبلى، و كان يوم استشهد ابن ثمان و ثلاثين سنة.
و استشهد عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبى يوم جواثا، و قال غير الواقدى.
استشهد يوم اليمامة، قالوا: و تحصن المكعبر الفارسى صاحب كسرى الذى
فتوح البلدان، ص: ۹۲
كان وجهه لقتل بنى تميم حين عرضوا لعيره و اسمه فيروز بن جشيش بالزارة و انضم إليه مجوس كانوا تجمعوا بالقطيف و امتنعوا من أداء الجزية فأقام العلاء على الزارة فلم يفتحها فى خلافة أبى بكر و فتحها فى أول خلافة عمر، و فتح العلاء السابون و دارين فى خلافة عمر عنوة و هناك موضع يعرف بخندق العلاء.
و قال معمر بن المثنى. غزا العلاء بعبد القيسر قرى من السابون فى خلافة عمر بن الخطاب ففتحها، ثم غزا مدينة الغابة فقتل من بها من العجم، ثم أتى الزارة و بها المكعبر فحصره، ثم أن مرزبان الزارة دعا إلى البراز فبارزه البراء بن مالك فقتله و أخذ سلبه فبلغ أربعين ألفا، ثم خرج رجل من الزارة مستأمنا على أن يدل على شرب القوم فدله على العين الخارجة من الزارة فسدها العلاء فلما رأوا ذلك صالحوه على أن له ثلث المدينة و ثلث ما فيها من ذهب و فضة و على أن يأخذ النصف مما كان لهم خارجها، و أتى الأخنس العامرى العلاء، فقال له. إنهم لم يصالحوك على ذراريهم و هم بدارين و دله كراز النكرى على المخاضة إليهم فتقحم العلاء فى جماعة من المسلمين البحر فلم يشعر أهل دارين إلا بالتكبير فخرجوا فقاتلوهم من ثلاثة أوجه فقتلوا مقاتلهم و حووا الذرارى و السبى، و لما رأى المكعبر ذلك أسلم و قال كراز.
هاب العلاء حياض البحر مقتحمافخضت قدما إلى كفار دارينا
حدثنا خلف البزار و عفان، قالا. حدثنا هشيم، قال: أخبرنا ابن عون و يونس، عن محمد بن سيرين، قال بارز البراء بن مالك مرزبان الزارة فطعنه فوق صلبه و صرعه ثم نزل فقطع يديه و أخذ سواريه و يلمقا كان عليه و منطقة فخمسه عمر لكثرته، و كان أول سلب خمس فى الإسلام
.
فتوح البلدان، ص: ۹۳

دعوة النبى صلى اللّه عليه و سلم أهل اليمامة إلى الإسلام

قالوا: و كانت اليمامة تدعى جو فصلبت امرأة من جديس يقال لها اليمامة بنت مر على بابها فسميت باسمها و اللّه أعلم، و قالوا. و لما كتب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى ملوك الآفاق فى أول سنة سبع و يقال فى سنة ست كتب إلى هوزة بن على الحنفى و أهل اليمامة يدعوهم إلى الإسلام و أنفذ كتابه بذلك مع سليط بن قيس بن عمرو الأنصارى ثم الخزرجى فبعثوا إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و فدهم و كان فى الوفد مجاعة بن مرارة فأقطعه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أرضا مواتا سأله إياها و كان فيها أيضا الرجال بن عنفوة فاسلم و قرأ سورة البقرة و سورا من القرآن ألا أنه ارتد بعد، و كان فيهم مسيلمة الكذاب ثمامة بن كبير بن حبيب، فقال مسيلمة لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. أن شئت خلينا لك الأمر و بايعناك على أنه لنا بعدك، فقال له رسول صلى اللّه عليه و سلم. لا و لا نعمة عين و لكن اللّه قاتلك.
و كان هوزة بن على الحنفى قد كتب إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم يسأله أن يجعل الأمر له من بعده على أن يسلم و يصير إليه فينصره، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. لا و لا كرامة اللهم اكفنيه فمات بعد قليل، فلما انصرف وفد بنى حنيفة إلى اليمامة

أدعى مسيلمة الكذاب النبوة و شهد له الرجال بن عنفوة بأن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أشركه فى الأمر معه فاتبعه بنو حيفة و غيرهم ممن باليمامة و كتب إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مع عبادة بن الحارث أحد بنى عامر بن حنيفة و هو ابن النواحة الذى قتله عبد اللّه بن مسعود بالكوفة و بلغه أنه و جماعة معه يؤمنون بكذب مسيلمة، من مسيلمة رسول اللّه إلى محمد رسول اللّه، أما بعد فإن لنا نصف الأرض و لقريش نصفها و لكن قريشا لا ينصفون و السلام عليك، و كتب

فتوح البلدان، ص: ۹۴

عمرو بن الجارود الحنفى فكتب إليه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم:

بسم اللّه الرحمن الرحيم. من محمد النبى إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد فإن الأرض للّه يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين و السلام على من اتبع الهدى،

و كتب أبى بن كعب.

فلما توفى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و استخلف أبو بكر فأوقع بأهل الردة من أهل نجد و ما والاه فى أشهر يسيرة بعث خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى إلى اليمامة و أمره بمحاربة الكذاب مسيلمة فلما شارفها ظفر بقوم من بنى حنيفة فيهم مجاعة بن مرارة بن سلمى فقتلهم و استبقى مجاعة و حمله معه موثقا، و عسكر خالد على ميل من اليمامة فخرج إليه بنو حنيفة و فيهم الرجال و محكم بن الطفيل بن سبيع الذى يقال له محكم اليمامة فرأى خالد البارقة فيهم، فقال، يا معشر المسلمين قد كفاكم اللّه مؤنة عدوكم ألا ترونهم و قد شهر بعضهم السيوف على بعض و أحسبهم قد اختلفوا و وقع بأسهم بينهم، فقال مجاعة و هو فى حديدة. كلا و لكنها الهندوانية خشوا تحطمها فابرزوها للشمس لتلين متونها ثم التقى الناس فكان أو من لقيهم الرجال بن عنفوة فقتله اللّه، و استشهد وجوه الناس و قراء القرآن، ثم أن المسلمين فاءوا و ثابوا فأنزل اللّه عليهم نصره و هزم أهل اليمامة فأتبعوهم يقتلونهم قتلا ذريعا، و رمى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق أخو عائشة لأبيها محكما بسهم فقتله و ألجئوا و الكفرة إلى الحديقة فسميت يومئذ حديقة الموت، و قتل اللّه مسيلمة فى الحديقة، فبنو عامر بن لؤى بن غالب يقولون قتله خداش بن بشير بن الأصم أحمد بنى معيص بن عامر بن لؤى، و بعض الأنصار يقولون. قتله عبد اللّه بن زيد بن ثعلبة أحد بنى الحارث بن الخزرج و هو الذى أرى الأذان، و بعضهم يقول. قتله أبو دجانة سماك بن خرشة ثم استشهد، و قال بعضهم. بل قتله عبد اللّه بن زيد بن عاصم أخو حبيب

فتوح البلدان، ص: ۹۵

ابن زيد من بنى مبذول من بنى النجار، و قد كان مسيلمة قطع يدى حبيب و رجليه، و كان وحشى بن حرب الحبشى قاتل حمزة رضى اللّه عنه يدعى قتله و يقول: قتلت خير الناس و شر الناس، و قال قوم: أن هؤلاء جميعا شركوا فى قتله و كان معاوية بن أبى سفيان يدعى أنه قتله و يدعى ذلك له بنو أمية.

حدثنى أبو حفص الدمشقى، قال: حدثنا الوليد بن مسلم عن خالد بن دهقان عن رجل حضر عبد الملك بن مروان سأل رجلا من بنى حنيفة ممن شهد وقعة اليمامة عن قاتل مسيلمة فقال: قتله رجل من صفته كذا و كذا، فقال عبد الملك: قضيت و اللّه لمعاوية بقتله، قال: و جعل الكذاب يقول حين أخذ منه بالمخنق يا بنى حنيفة: قاتلوا عن أحسابكم فلم يزل يعيدها حتى قتله اللّه.

و حدثنى عبد الواحد بن غياث، قال: حدثنا حماد بن سلمة عن هشام عن عروة عن أبيه، قال: كفرت العرب فبعث أبو بكر خالد بن الوليد فلقيهم ثم قال و اللّه لا أنتهى حتى اناطح مسيلمة فقالت الأنصار: هذا رأى تفردت به لم يأمرك به أبو بكر ارجع إلى المدينة حتى نريح كراعنا، فقال:

و اللّه لا أنتهى حتى أناطحه فرجعت عنه الأنصار، ثم قالوا. إذا صنعنا لئن ظهر أصحابنا لقد خسسنا و لئن هربوا لقد خذلناهم، فرجعوا و مضوا معه فالتقى المسلمون و المشركون، فولى المسلمون مدبرين حتى بلغوا الرحال، فقام السائب بن العوام، فقال: أيها الناس قد بلغتم الرحال فليس لامرئ مفر بعد رحله فهزم اللّه المشركين و قتل مسيلمة، و كان شعارهم يومئذ يا أصحاب سورة البقرة. و حدثنى بعض

أهل الیمامة أن رجلا کان مجاورا فی بنی حنیفة فلما قتل محکم أنشأ یقول:

فإن أنج منها أنج منها عظیمةو إلا فإنی شارب کأس محکم

قالوا: و کانت الحرب قد نهکت المسلمین و بلغت منهم، فقال مجاعة لخالد أن أکثر أهل الیمامة لم یخرجوا لقتالکم و إنما قتلتم منهم القلیل و قد بلغوا

فتوح البلدان، ص: ۹۶

منکم ما أری و أنا مصالحک عنهم فصالحه علی نصف السبی و نصف الصفراء و البیضاء و الحلقة و الکراع، ثم أن خالدا توثق منه و بعثه إلیهم فلما دخل الیمامة أمر الصبیان و النساء و من بالیمامة من المشایخ أن یلبسوا السلاح و یقوموا علی الحصون ففعلوا ذلک، فلم یشک خالد و المسلمون حین نظروا إلیهم أنهم مقاتلة، فقالوا: لقد صدقنا مجاعة ثم أن مجاعة خرج حتی أتی عسکر المسلمین فقال: أن القوم لم یقبلوا مصالحتک علیه عنهم و استعدوا لحربک و هذه حصون العرض مملوءة رجالا- و لم أزل بهم حتی رضوا بأن یصالحوا علی ربع السبی و نصف الصفراء و البیضاء و الحلقة و الکراع فاستقر الصلح علی ذلک و رضی خالد به و أمضاه و أدخل مجاعة خالدا الیمامة، فلما رأی من بقی بها قال خدعتنی یا مجاع و أسلم أهل الیمامة فأخذت منهم الصدقة، و أتی خالدا کتاب أبی بکر رضی اللّه عنه بإنجاد العلاء بن الحضرمی، فسار إلی البحرین و استخلف علی الیمامة سمرة ابن عمرو العنبری، و کان فتح الیمامة سنة اثنی عشرة.

حدثنی أبو ریاح الیمامی، قال. حدثنی أشیاخ من أهل الیمامة أن مسیلمة الکذاب کان قصیرا شدید الصفرة أخنس الأنف أفطس، یکنی أبا ثمامة و قال غیره: کان یکنی أبا ثمالة و کان له مؤذن یسمی حجیرا فکان إذا أذن یقول أشهد أن مسیلمة یزعم أنه رسول اللّه، فقال، أفصح حجیر فمضت مثلا، و کان ممن استشهد بالیمامة أبو حذیفة بن عتبة بن ربیعة بن عبد شمس و اسمه هشیم و یقال مهشم، و سالم مولی أبی حذیفة و یکنی أبا عبد اللّه و هو مولی ثبیتة بنت یعار الأنصاریة، و بعض الرواة یقول نبیثة و هی امرأة، و خالد بن أسید ابن أبی العیص بن أمیة، و عبد اللّه و هو الحکم بن سعید بن العاصی بن أمیة و یقال. أنه قتل یوم موته، و شجاع بن وهب الأسدی حلیف بنی أمیة، یکنی أبا وهب، و الطفیل بن عمرو الدوسی من الأزد، و یزید بن رقیش الأسدی

فتوح البلدان، ص: ۹۷

حلیف بنی أمیة، و مخرمة بن شریح الحضرمی حلیف بنی أمیة، و السائب بن العوام أخو الزبیر بن العوام، و الولید بن عبد شمس بن المغیرة المخزومی، و السائب بن عثمان بن مظعون الجمحی، و زید بن الخطاب بن نفیل أخو عمر ابن الخطاب یقال قتله أبو مریم الحنفی و اسمه صبیح بن محرش، و قال ابن الکلبی قتله لبید بن برغث العجلی فقدم بعد ذلک علی عمر رضی اللّه عنه فقال: أنت الجوالق «و اللبید»: هو الجوالق، و کان زید یکنی أبا عبد الرحمن و کان أسن من عمر.

و قال بعضهم اسم أبی مریم إیاس بن صبیح و هو أول من قضی بالبصرة زمن عمر و توفی بسنبیل من الأهواز و أبو قیس بن الحارث بن عدی بن سهم، و عبد اللّه بن الحارث بن قیس، و سلیط بن عمرو أخو سهیل بن عمرو أحد بنی عامر بن لؤی، و إیاس بن البکیر الکنانی، و من الأنصار عباد بن الحارث بن عدی أحد بنی جحجبی من الأوس، و عباد بن بشر بن وقش الأشهلی من الأوس و یکنی أبا الربیع و یقال أنه کان یکنی أبا بشر، و مالک بن أوس بن عتیک الأشهلی، و أبو عقیل بن عبد اللّه بن ثعلبة بن بیحان البلوی حلیف بنی جحجبی کان اسمه عبد العزی فسماه النبی صلی اللّه علیه و سلم عبد الرحمن عدو الأوثان و سراقة بن کعب بن عبد العزی النجاری من الخزرج، و عمارة بن حزم بن زید بن لوذان النجاری، و یقال أنه مات زمن معاویة، و حبیب بن عمرو بن محصن النجاری، و معن بن عدی بن الجد بن العجلان البلوی من قضاعة حلیف الأنصار، و ثابت بن قیس بن شماس بن أبی زهیر خطیب النبی صلی اللّه علیه و سلم أحد بنی الحارث بن الخزرج و یکنی أبا محمد و کان علی الأنصار یومئذ و أبو حنة بن غزیة بن عمرو احد بنی مازن بن النجار و العاصی بن ثعلبة الدروسی من الأزد حلیف الأنصار، و أبو دجانة سماک بن أوس بن خرشة بن لوذان

الساعدى من

فتوح البلدان، ص: ٩٨

الخزرج، و أبو أسيد مالك بن ربيعة الساعدى، و يقال أنه مات سنة ستين بالمدينة، و عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبى بن مالك و كان اسمه الحباب فسماه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم باسم أبيه، و كان أبوه منافقا: و هو الذى يقال له ابن أبى بن سلول، و سلول أم أبى و هى خزاعية نسب إليها، و أبوه مالك بن الحارث أحد بنى الخزرج، و يقال أنه استشهد يوم جواثا من البحرين، و عقبة بن عامر نابى من بنى سلمة من الخزرج، و الحارث بن كعب بن عمرو أحد بنى النجار.

و كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بعث حبيب بن زيد بن عاصم أحد بنى مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار، و عبد اللّه بن وهب الأسلمى إلى مسيلمة فلم يعرض لعبد اللّه و قطع يدى حبيب و رجليه، و أم حبيب نسيبة بنت كعب.

و قال الواقدى: إنما أقبل مع عمرو بن العاصى من عمان فكفتهما مسيلمة فنجا عمرو و من معه غير هذين فأخذا و قاتلت نسيبة يوم اليمامة فانصرفت و بها جراحات و هى أم حبيب، و عبد اللّه البنى زيد، و قد قاتلت يوم أحد أيضا و هى إحدى المرأتين المبايعتين يوم العقبة، و استشد يوم اليمامة عائذ بن ما عص الزرقى من الخزرج، و يزيد بن ثابت الخزرجى أخو زيد بن ثابت صاحب الفرائض، و قد اختلفوا فى عدة من استشهد باليمامة فأقل ما ذكروا من مبلغها سبعمائة، و أكثر ذلك ألف و سبعمائة، و قال بعضهم: إن عدتهم ألف و مائتان.

و حدثنا القاسم بن سلام، قال: حدثنا الحارث بن مرة الحنفى عن هشام بن إسماعيل. أن مجاعة اليمامى أتى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فأقطعه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و كتب له كتابا.

بسم اللّه الرحمن الرحيم: هذا كتاب كتبه محمد رسول اللّه لمجاعة بن مرارة بن سلمى انى اقطعتك الغورة و غرابة و الحبل فمن حاجك فإلى «الغورة»

فتوح البلدان، ص: ٩٩

قرية الغرابات تلت قارات،

قال: ثم وفد بعد ما قبض النبى صلى اللّه عليه و سلم على أبى بكر فأقطعه الخضرمة، ثم قدم على عمر فأقطعه الرياء، ثم قدم على عثمان فأقطعه قطيعة، قال الحارث: لا أحفظ اسمها.

و حدثنا القاسم بن سلام، قال: حدثنا أبو أيوب الدمشقى عن سعدان ابن يحيى عن صدقه بن أبى عمران عن أبى إسحاق الهمدانى «عن عدى بن حاتم أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أقطع فرات بن حيان العجلى أرضا باليمامة» حدثنى محمد بن ثمال اليمامى عن أشياخهم، قال: سميت الحديقة حديقة الموت لكثرة من قتل بها، قال: و قد بنى إسحاق بن أبى خميصة مولى قيس فيها أيام المأمون مسجدا جامعا، و كانت الحديقة تسمى أباض، و قال محمد بن ثمال: قصر الورد نسب إلى الورد بن السمين بن عبيد الحنفى، و قال غيره سمى الحصن معتقا لحصانته يريدون أن من لجأ إليه عتق من عدوه، و قال الريا عين منها شرب الصعفوقة و هى ضيعة نسبت إلى وكيل كان عليها يقال له صعفوق و شرب الخيبة و الخضرمة منها.

خبر ردة العرب فى خلافة أبى بكر الصديق رضى اللّه عنه

قالوا: لما استخلف أبو بكر رحمه اللّه ارتدت طوائف من العرب و منعت الصدقة، و قال قوم منهم: نقيم الصلاة و لا نؤدى الزكاة، فقال أبو بكر رضى اللّه عنه: لو منعونى عقالا لقاتلتهم، و بعض الرواة يقول: لو منعونى عناقا. «و العقال» صدقة السنة. و حدثنى عبد اللّه بن صالح العجلى عن يحيى بن آدم عن عوانة ابن الحكم عن جرير بن يزيد عن الشعبى، قال: قال عبد اللّه ابن مسعود: لقد قمنا بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مقاما كدنا نهلك

فتوح البلدان، ص: ۱۰۰

فيه لو لا- إن اللّه من علينا بأبى بكر اجتمع رأينا جميعا عن أن لا نقاتل على بنت مخاض و ابن لبون و ان نأكل قرى عربية و نعبد اللّه حتى يأتينا اليقين، و عزم اللّه لأبى بكر رضى اللّه عنه على قتالهم فو اللّه ما رضى منهم إلا بالخطة المخزية أو الحرب المجلية: فأما الخطة المخزية فإن أقروا بأن من قتل منهم فى النار و إن ما أخذوا من أموالنا مردود علينا، و أما الحرب المجلية فإن يخرجوا من ديارهم.

حدثنا ابراهيم بن محمد عن عرعرة، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدى، قال: أخبرنا سفيان الثورى عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب، قال:

قدم وفد بزاخة على أبى بكر فخيرهم بين الحرب المجلية و السلم المخزية، فقالوا قد عرفنا الحرب المجلية فما السلم المخزية، قال: أن ننزع منكم الحلقة و الكراع و نغنم ما أصبنا منكم و تردوا إلينا ما أصبتم منا و تدوا قتلانا و يكون قتلاكم فى النار.

حدثنا شجاع بن مخلد الفلاس، قال. حدثنا بشر بن المفضل مولى بنى رقاش قال. حدثنا عبد العزيز بن عبد اللّه بن أبى سلمة الماجشوش عن عبد الواحد عن القاسم بن محمد بن أبى بكر عن عمته عائشة أم المؤمنين رضى اللّه عنها أنها قالت. توفى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فنزل بأبى ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها اشرأب النفاق بالمدينة و ارتدت العرب فو اللّه ما اختلفوا فى واحدة الإطار أبى بحظها و غنائها عن الإسلام، قالوا. فخرج أبو بكر رضى اللّه عنه إلى القصة من أرض محارب لتوجيه الزحوف إلى أهل الردة و معه المسلمون فصار إليهم خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى و منظور بن زبان ابن سيار الفزارى أحد بنى العشراء فى غطفان فقاتلوهم قتالا شديدا فانهزم المشركون و اتبعهم طلحة بن عبيد اللّه التيمى فلحقهم بأسفل ثنايا عوسجة فقتل منهم رجلا وفاته الباقون فأعجزوه هربا فجعل خارجة بن حصن يقول: ويل

فتوح البلدان، ص: ۱۰۱

للعرب من ابن أبى قحافة، ثم عقد أبو بكر و هو بالقصة لخالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى على الناس، و جعل على الأنصار ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى، و هو أحد من استشهد يوم اليمامة إلا أنه كان من تحت يد خالد و أمر خالدا أن يصمد لطليحة بن خويلد الأسدى، و كان قد أدعى النبوة و هو يومئذ ببزاخة و بزاخة ماء لبنى أسد بن خزيمة فسار إليه خالد، و قدم أمامه عكاشة بن محصن الأسدى حليف بنى عبد شمس، و ثابت بن أقرم البلوى حليف الأنصار فلقيهما حبال بن خويلد فقتلاه، و خرج طليحة و سلمة أخوه و قد بلغهما الخبر فلقيا عكاشة و ثابتا فقتلاهما فقال طليحة:

ذكرت أخى لما عرفت وجوههمو أيقنت أنى ثائر بحبال

عشية غادرت ابن أقرم ثاوياو عكاشة الغنمى عند مجال

ثم التقى المسلمون و عدوهم و اقتتلوا قتالا شديدا، و كان عيينة بن حصن ابن حذيفة بن بدر مع طلحة فى سبعمائة من بنى فزارة، فلما رأى سيوف المسلمين قد استحملت المشركين أتاه فقال له: أما ترى ما يصنع جيش أبى الفصيل فهل جاءك جبريل بشيء قال: نعم جاءنى فقال: إن لك رحا كرحاه و يوما لا تنساه، فقال عيينة: أرى و اللّه أن لك يوما لا تنساه يا بنى فزارة هذا كذاب و ولى عن عسكره، من فانهزم الناس و ظهر المسلمون و أسر عيينة بن حصن فقدم به المدينة فحقن أبو بكر دمه و خلى سبيله، و هرب طليحة بن خويلد فدخل خباء له فاغتسل و خرج فركب فرسه و أهل بعمرة ثم مضى إلى مكة ثم أتى المدينة مسلما، و قيل بل أتى الشام فأخذه المسلمون ممن كان غازيا، و بعثوا به إلى أبى بكر بالمدينة فأسلم و ابلى بعد فى فتح العراق و نهاوند، و قال له عمر: أقتلت العبد الصالح عكاشة بن محصن، فقال: أن عكاشة بن محصن سعد بى و شقيت به و أنا أستغفر اللّه.

فتوح البلدان، ص: ۱۰۲

و أخبرنى داود بن حبال الأسدى عن أشياخ من قومه: أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه قال لطليحة: أنت الكذاب على اللّه حين

زعمت أنه أنزل علیک إن اللّه لا یصنع بتعفیر وجوهکم و قبح أدبارکم شیئا فاذکروا اللّه أعفة قیاما فإن الرغوة فوق الصریح، فقال یا أمیر المؤمنین: ذلک من فتن الکفر الذی هدمه الإسلام کله، فلا تعنیف علی ببعضه فأسکت عمر، قالوا: و أتی خالد بن الولید رمان و أبانین و هناک فل بزاخة فلم یقاتلوه و بایعوه لأبی بکر، و بعث خالد بن الولید هشام بن العاصی بن وائل السهمی و أخا عمرو بن العاصی، و کان قدیم الإسلام و هو من مهاجرة الحبشة إلی بنی عامر بن صعصعة فلم یقاتلوه و أظهروا الإسلام و الأذان فانصرف عنهم، و کان قرة بن هبیرة القشیری امتنع من أداء الصدقة و أمد طلیحة فأخذه هشام بن العاصی و أتی به خالدا فحمله إلی أبی بکر، فقال: و اللّه ما کفرت مذ آمنت و لقد مربی عمرو بن العاصی منصرفا من عمان فأکرمته و بررته فسأل أبو بکر عمرا رضی اللّه عنهما عن ذلک فصدقه فحقن أبو بکر دمه، و یقال: أن خالدا کان سار إلی بلاد بنی عامر فأخذ قرة و بعث به إلی أبی بکر.

قال: ثم سار خالد بن الولید إلی الغمر و هناک جماعة من بنی أسد و غطفان و غیرهم و علیهم خارجة بن حصن بن حذیفة، و یقال انهم کانوا متسایدین قد جعل کل قوم علیهم رئیسا منهم قالوا خالدا و المسلمین فقتلوا منهم جماعة و انهزم الباقون، و فی یوم الغمر یقول الحطیئة العبسی:

ألا کل أرماح قصار أذلةفداء لارماح الفوارس بالغمر

ثم أتی خالد جو قراقر، و یقال أتی النقرة و کان هناک جمع لبنی سلیم علیهم أبو شجرة عمرو بن عبد العزی السلمی و أمه الخنساء فقاتلوه فاستشهد رجل من المسلمین ثم فض اللّه جمع المشرکین، و جعل خالد یومئذ یحرق

فتوح البلدان، ص: ۱۰۳

المرتدین فقیل لأبی بکر فی ذلک فقال لا أشیم سیفا سله اللّه علی الکفار، و أسلم أبو شجرة فقدم علی عمر و هو یعطی المساکین فاستعطاه فقال له أ لست القائل:

و رویت رمحی من کتیبة خالدو إنی لأرجو بعدها أن أعمرا

و علاه بالدرة فقال: قد محا الإسلام ذلک یا أمیر المؤمنین قالوا: و أتی الفجاءة و هو بجیر بن إیاس بن عبد اللّه السلمی أبا بکر فقال: احملنی و قونی أقاتل المرتدین فحمله و أعطاه سلاحا. فخرج یعترض الناس فیقتل المسلمین و المرتدین. و جمع جمعا. فکتب أبو بکر إلی طریفة بن حاجزة أخی معن بن حاجزة یأمره بقتاله فقاتله و أسره ابن حاجزة فبعث به إلی أبی بکر فأمر أبو بکر بإحراقه فی ناحیة المصلی. و یقال: إن أبا بکر کتب إلی معن فی أمر الفجاءة فوجه معن إلیه طریفة أخاه فأسره، ثم سار خالد إلی سن بالبطاح و البعوضة من بنی تمیم فقاتلوه ففض جمعهم و قتل مالک بن نویرة أخا متمم بن نویرة و کان مالک عاملا للنبیّ صلی اللّه علیه و سلم علی صدقات بنی حنظلة، فلما قبض صلی اللّه علیه و سلم خلی ما کان فی یده من الفرائض و قال: شأنکم بأموالکم یا بنی حنظلة و قد قیل: إن خالدا لم یلق بالبطاح و البعوضة أحدا و لکنه بث السرایا فی بنی تمیم و کان منها سریة علیها ضرار ابن الأزور الأسدی فلقی ضرار مالکا فاقتتلوا و أسره و جماعة معه فأتی بهم خالدا فأمر بهم فضربت أعناقهم و تولی ضرار ضرب عنق مالک. فتوح البلدان ؛ ص۱۰۳

یقال: إن مالکا قال لخالد: إنی و اللّه ما ارتددت و شهد أبو قتادة الأنصاری أن بنی حنظلة وضعوا السلاح و أذنوا فقال عمر بن الخطاب لأبی بکر رضی اللّه عنهما: بعثت رجلا یقتل المسلمین و یعذب بالنار.

و قد روی أن متمم بن نویرة دخل علی عمر بن الخطاب فقال له: ما بلغ من

فتوح البلدان، ص: ۱۰۴

وجدک علی أخیک مالک قال: بکیته حولا حتی أسعدت عینی الذاهبة عینی الصحیحة و ما رأیت نارا إلا کدت انقطع لها أسفا علیه لأنه کان یوقد ناره إلی الصبح مخافة أن یأتیه ضیف فلا یعرف مکانه. قال: فصفه لی قال کان یرکب الفرس الجرور و یقود الجمل الثفال و هو بین المزادتین النضوحین فی اللیلة القرة و علیه شملة فلوت معتقلا ـ رمحا خطلا فیسری لیلته ثم یصبح و کان وجهه فلقة قمر، قال فأنشدنی بعض ما قلت فیه فأنشده مرثیته التی یقول فیها:

و كنا كندمانى جذيمة حقبةمن الدهر حتى قيل: لن يتصدعا

فقال عمر: لو كنت أحسن قول الشعر لرثيت أخى زيدا، فقال متمم:

و لا سواء يا أمير المؤمنين: لو كان أخى صرع مصرع أخيك ما بكيته فقال عمر ما عزانى أحد بأحسن مما عزيتنى.

قالوا: و تنبأت أم صادر سجاح بنت أوس بن أسامة بن العنبر بن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، و يقال: هى سجاح بنت الحارث ابن عقفان بن سويد بن خالد بن أسامة و تكهنت فأتبعها قوم من بنى تميم و قوم من أخوالها بنى تغلب ثم انها سجعت ذات يوم فقالت: إن رب السحاب، يأمركم أن تغزوا الرباب، فغزتهم فهزموها و لم يقاتلها أحد غيرهم فأتت مسيلمة الكذاب و هو بحجر فتزوجته و جعلت دينها و دينه واحدا، فلما قتل صارت إلى أخوالها فماتت عندهم، و قال ابن الكلبى: أسلمت سجاح و هاجرت إلى البصرة و حسن إسلامها، و قال عبد الأعلى بن حماد النرسى، سمعت مشايخ من البصريين إن سمرة بن جندب الفزارى صلى عليها و هو يلى البصرة من قبل معاوية قبل قدوم عبيد اللّه بن زياد من خراسان و ولايته البصرة، و قال ابن الكلبى كان مؤذن سجاح الجنبة بن طارق بن عمرو بن حوط الرياحى، و قوم يقولون: إن شبث بن ربعى الرياحى كان يؤذن لها.

فتوح البلدان، ص: ۱۰۵

قالوا: و ارتدت خولان باليمن فوجه أبو بكر إليهم يعلى بن منية و هى أمه و هى من بنى مازن بن منصور بن عكرمة بن حصفة بن قيس بن عيلان بن مضر و أبوه أمية بن أبى عبيدة من ولد مالك بن حنظلة بن مالك حليف بنى نوفل بن عبد مناف نظفر بهم و أصاب منهم غنيمة و سبايا، و يقال: لم يلق حربا فرجع القوم إلى الإسلام.

ردة بنى وليعة و الأشعث بن قيس ابن معدى كرب بن معاوية الكندى

قالوا: ولى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم زياد بن لبيد البياضى من الأنصار حضرموت، ثم ضم إليه كندة، و يقال، إن الذى ضم إليه كندة أبو بكر الصديق رضى اللّه عنه، و كان زياد بن لبيد رجلا حازما صليبا فأخذ فى الصدقة من بعض كندة قلوصا فسأله الكندى ردها عليه و أخذ غيرها و كان قد و سمها بميسم الصدقة فأبى ذلك، و كلمه الأشعث بن قيس فيه فلم يجبه، و قال: لست براد شيئا قد وقع الميسم عليه فانتقضت عليه كندة كلها إلا السكون فإنهم كانوا معه فقال شاعرهم:

و نحن نصرنا الدين إذ ضل قومناشقاء، و شايعنا ابن أم زياد

و لم نبغ عن حق البياضى مزحلاو كان تقى الرحمن أفضل زاد

و جمع له بنو عمرو بن معاوية بن الحارث الكندى فبيتهم فيمن معه من المسلمين فقتل منهم بشرا فيهم مخوس و مشرح و جمد و أبضعة بنو معدى كرب بن وليعة بن شرحبيل بن معاوية بن حجر القرد «و القرد» الجواد فى كلامهم بن الحارث بن الولادة بن عمرو بن معاوية بن الحارث، و كانت لها ولاء الأخوة أودية يملكونها فسموا الملوك الأربعة، و كانوا و فدوا على النبى صلى اللّه عليه و سلم ثم ارتدوا، و قتلت أخت لهم يقال لها العمردة

فتوح البلدان، ص: ۱۰۶

و قاتلها يحسبها رجلا، ثم أن زيادا أقبل بالسبى و الأموال فمر على الأشعث ابن قيس و قومه فصرخ النساء و الصبيان و بكوا فحمى الأشعث أنفا و خرج فى جماعة من قومه فعرض لزياد و معه فأصيب ناس من المسلمين ثم هزموهم فاجتمعت عظماء كندة إلى الأشعث بن قيس، فلما رأى زياد ذلك كتب إلى أبى بكر يستمده.

و كتب أبو بكر إلى المهاجر بن أبى أمية يأمره بإنجاده فلقيا الأشعث بن قيس فيمن معهما من المسلمين ففضا جمعه و أوقعا بأصحابه فقتلا منهم مقتلة عظيمة ثم انهم لجأوا إلى النجير- و هو حصن لهم- فحصرهم المسلمون حتى جهدوا فطلب الأشعث الأمان لعدة منهم و أخرج نفسه من العدة و ذلك أن الجفشيش الكندى و أسمه معدان بن الأسود بن معدى كرب أخذ بحقوه، و قال: اجعلنى من

العدة فأدخله و أخرج نفسه و نزل إلى زياد بن لبيد و المهاجر فبعثا به إلى أبى بكر الصديق فمن عليه و زوجه أخته أم فروة بنت أبى قحافة فولدت له محمدا و اسحاق و قريبة و حبابة و جعدة، و بعضهم يقول: زوجه أخته قريبة، و لما تزوجها أتى السوق فلم يربها جزورا إلا كشف عرقوبيها و أعطى ثمنها و أطعمها الناس و أقام بالمدينة ثم سار إلى الشام و العراق غازيا، و مات بالكوفة و صلى عليه الحسن بن أبى طالب بعد صلحه معاوية، و كان الأشعث يكنى أبا محمد و يلقب عرف النار.

و قال بعض الرواة: ارتد بنو وليعة قبل وفاة النبى صلى اللّه عليه و سلم فلما بلغت زياد بن لبيد وفاته صلى اللّه عليه و سلم دعا الناس إلى بيعة أبى بكر فبايعوه خلابنى وليعة فبيتهم و ارتد الأشعث و تحصن فى النجير فحاصره زياد بن لبيد و المهاجر اجتمعا عليه و أمدهما أبو بكر رضى اللّه عنه بعكرمة ابن أبى جهل بعد انصرافه من عمان فقدم عليهما و قد فتح النجير فسأل أبو بكر المسلمين أن يشركوه فى الغنيمة ففعلوا، قالوا: و كان بالنجيرة نسوة

فتوح البلدان، ص: ۱۰۷

شمتن بوفاة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فكتب أبو بكر رضى اللّه عنه فى قطع أيديهن و أرجلهن منهن الثبجاء الحضرمية، و هند بنت يامين اليهودية.

و حدثنى بكر بن الهيثم، قال: حدثنى عبد الرزاق بن همام اليمانى عن مشايخ حدثوه من أهل اليمن أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ولى خالد بن سعيد بن العاصى صنعاء فأخرجه العنسى الكذاب عنها، و أنه ولى المهاجر بن أبى أمية على كندة و زياد بن لبيد الأنصارى على حضرموت و الصدف و هم ولد مالک بن مرتع بن معاوية بن كندة و انما سمى صدفا لأن مرتعا تزوج حضرمية و شرط لها أن تكون عنده فإذا ولدت ولدا لم يخرجها من دار قومها فولدت له مالكا فقضى الحاكم عليه بأن يخرجها إلى أهلها، فلما خرج مالک عنه معها قال: صدف عنى مالک فسمى الصدف، و قال عبد الرزاق فأخبرنى مشايخ من أهل اليمن، قالوا: كتب أبو بكر إلى زياد بن لبيد و المهاجر ابن أبى أمية المخزومى و هو يومئذ على كندة يأمرهما أن يجتمعا فتكون أيديهما يدا و أمرهما واحدا فيأخذ له البيعة و يقاتلا من امتنع من أداء الصدقة و أن يستعينا بالمؤمنين على الكافرين و بالمطيعين على العاصين و المخالفين فأخذا من رجل من كندة فى الصدقة بكرة من الإبل فسألهما أخذ غيرها فسامحه المهاجر و أبى زياد إلا أخذها و قال: ما كنت لأردها بعد أن وقع عليها ميسم الصدقة، فجمع بنو عمرو بن معاوية جمعا فقال زياد بن لبيد للمهاجر: قد ترى هذا الجمع و ليس الرأى أن نزول جميعا عن مكاننا و لكن انفصل عن العسكر فى جماعة فيكون ذلک أخفى للأمر و أستر ثم أبيت هؤلاء الكفرة، و كان زياد حازما صليبا فصار إلى بنى عمرو و ألفاهم فى الليل فبيتهم فأتى على أكثرهم و جعل بعضهم يقتل بعضا ثم اجتمع و المهاجر و معهما السبى و الأسارى فعرض لهما الأشعث بن قيس و وجوه كندة فقاتلاهم قتالا شديدا، ثم إن الكنديين

فتوح البلدان، ص: ۱۰۸

تحصنوا بالنجير فحاصراهم حتى جهدهم الحصار و أضربهم و نزل الأشعث على الحكم قالوا: و كانت حضرموت أتت كندة منجدة لها فواقعهم زياد و المهاجر فظفرا بهم و ارتدت خولان فوجه إليهم أبو بكر يعلى بن منية فقاتلهم حتى أذعنوا و أقروا بالصدقة، ثم أتى المهاجر كتاب أبى بكر بتوليته صنعاء و مخاليفها و جمع عمله لزياد إلى ما كان فى يده فكانت اليمن بين ثلاثة المهاجر، و زياد، و يعلى و ولى أبو سفيان بن حرب ما بين آخر حد الحجاز و آخر حد بحران.

و حدثنى أبو التمار، قال: حدثنى شريک قال أنبأنا ابراهيم بن مهاجر عن ابراهيم النخعى، قال: ارتد الأشعث بن قيس الكندى فى ناس من كندة فحوصرا فأخذ الأمان لسبعين منهم و لم يأخذه لنفسه فأتى به أبو بكر فقال:

أنا قاتلوک لأنه لا أمان لک إذ أخرجت نفسک من العدة، فقال: بل تمن على يا خليفة رسول اللّه و تزوجنى فعل و زوجه أخته. و حدثنى القاسم بن سلام أبو عبيد، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح كاتب الليث بن سعد عن علوان بن صالح عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن عوف عن أبى بكر الصديق أنه قال: ثلاث تركتهن و ودت أنى لم أفعل، وددت أنى يوم

أتيت بالأشعث بن قيس ضربت عنقه فإنه تخيل إلى أنه لا يرى شرا إلا سعى فيه و أعان عليه، و وددت أنى يوم أتيت بالفجاءة قتلته و لم أحرقه، و وددت أنى حيث وجهت خالدا إلى الشام وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق فأكون قد بسطت يمينى و شمالى جميعا فى سبيل اللّه.

أخبرنى عبد اللّه بن صالح العجلى، عن يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح عن فراس أو بنان، عن الشعبى أن أبا بكر رد سبايا النجير بالفداء لكل رأس أربعمائة درهم، و ان الأشعث بن قيس استسلف من تجار المدينة فداءهم ففداهم ثم رده لهم، و قال الأشعث بن قيس يرثى بشير بن الأودح، و كان ممن

فتوح البلدان، ص: ۱۰۹

وفد على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ثم ارتد و يزيد بن أماناة و من قتل يوم النجير.

لعمرى و ما عمرى على بهينلقد كنت بالقتلى أحق ضنين

فلا غرو إلا يوم يقسم سبيهمو ما الدهر عندى بعدهم بأمين

و كنت كذات البوّ ريعت فأقبلتعلى بوها إذ طربت بحنين

عن ابن أماناة الكريم و بعدهبشير الندى فليجر دمع عيون

أمر الأسود العنسى و من ارتد معه باليمن

قالوا: كان الأسود بن كعب بن عوف العنسى قد تكهن و ادعى النبوة فاتبعه عنس، و اسم عنس زيد بن مالك بن ادد بن يشجب بن غريب بن زيد ابن كهلان بن سبا، و عنس أخو مراد بن مالك، و خالد بن مالك و سعد العشيرة ابن مالك، و اتبعه أيضا قوم من غير عنس، و سمى نفسه رحمان اليمن كما تسمى مسيلمة رحمان اليمامة، و كان له حمار معلم يقول له اسجد لربك فيسجد و يقول له ابرك فيبرك فسمى ذا الحمار، و قال بعضهم: هو ذو الخمار لأنه كان متخمرا معتما أبدا. و أخبرنى بعض أهل اليمن أنه كان أسود الوجه فسمى الأسود للونه و إن اسمه عهلة.

قالوا: فبعث رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم جرير بن عبد اللّه البجلى فى السنة التى توفى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فيها، و فيها كان إرسال جرير إلى الأسود يدعوه إلى الإسلام فلم يجبه، و بعض الرواة ينكر بعثة النبى صلى اللّه عليه و سلم جريرا إلى اليمن، قالوا، و أتى الأسود صنعاء فغلب عليها و أخرج خالد بن سعيد بن العاصى عنها، و يقال، أنه إنما أخرج المهاجرين أبى أمية و انحاز إلى ناحية زياد بن لبيد البياضى، و كان عنده حتى أتاه كتاب أبى بكر يأمره

فتوح البلدان، ص: ۱۱۰

بمعاوية زياد، فلما فرغ من أمرهما ولاه صنعاء و أعمالها، و كان الأسود متجبرا فاستذل الأبناء، و هم أولاد أهل فارس الذين وجههم. كسرى إلى اليمن مع ابن ذى يزن و عليهم و هرز و استخدمهم فأضر بهم، و تزوج المرزبانة امرأة باذام ملكهم و عامل أبرويز عليهم فوجه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قيس بن هبيرة المكشوح المرادى لقتاله، و انما سمى المكشوح لأنه كوى على كشحه من داء كان به، و أمره باستمالة الأبناء و بعث معه فروة بن مسيك المرادى، فلما صار إلى اليمن بلغتهما وفاة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فأظهر قيس للأسود أنه على رأيه حتى خلى بينه و بين دخول صنعاء فدخلها فى جماعة من مذحج و همدان و غيرهم ثم استمال فيروز بن الديلمى أحد الأبناء، و كان فيروز قد أسلم ثم أتيا باذام رأس الأبناء، و يقال:

ان باذام قد كان مات و رأس الأبناء بعده خليفة له يسمى داذوية، و ذلك أثبت فأسلم داذويه و لقى قيس ثات بن ذى الحرة الحميرى فاستماله و بث داذويه دعاته فى الأبناء فأسلموا، فتطابق هؤلاء جميعا على قتل الأسود و اغتياله و دسوا إلى المرزبانة امرأته من أعلمها الـذى هم عليه و كانت شانئة له فدلتهم على جدول يدخل إليه منه فدخلوا سحرا و يقال: بل نقبوا جدار بيته بالخل نقبا ثم دخلوا عليه

فى السحر و هو سكران نائم فذبحه قيس ذبحا فجعل يخور خوار الثور حتى أفزع ذلك حرسه، فقالوا: ما شأن رحمان اليمن فبدرت امرأته فقالت: إن الوحى ينزل عليه فسكنوا و أمسكوا و احتز قيس رأسه ثم علا سور المدينة حين أصبح فقال: اللّه أكبر اللّه أكبر أشهد أن لا إلا اللّه و أشهد أن محمدا رسول اللّه و أن الأسود كذاب عدو اللّه، فاجتمع أصحاب الأسود فألقى إليهم رأسه فتفرقوا إلا قليلا، و خرج أصحاب قيس ففتحوا الباب و وضعوا فى بقية أصحاب العنسى السيف فلم ينجح إلا من أسلم منهم.

فتوح البلدان، ص: ۱۱۱

و ذكر بعض الرواة أن الذى قتل الأسود العنسى فيروز بن الديلمى و أن قيسا أجهز عليه و احتز رأسه. و ذكر بعض أهل العلم إن قتل الأسود كان قبل وفاة النبى صلى اللّه عليه و سلم بخمسة أيام

فقال فى مرضه. قد قتل اللّه الأسود العنسى قتله الرجل الصالح فيروز بن الديلمى،

و أن الفتح ورد على أبى بكر بعد ما استخلف بعشر ليال.

و أخبرنى بكر بن الهيثم. قال. حدثنى ابن انس اليمانى، عمن أخبره عن النعمان ابن برزج أحد الأبناء أن عامل النبى صلى اللّه عليه و سلم الذى أخرجه الأسود عن صنعاء أبان بن العاصى، و أن الذى قتل الأسود العنسى فيروز بن الديلمى و أن قيسا و فيروزا ادعيا قتله و هما بالمدينة فقال عمر. قتله هذا الأسد يعنى فيروز. قالوا: ثم ان قيسا اتهم بقتل داذويه و بلغ أبا بكر أنه على اجلاء الأبناء عن صنعاه فأغضبه ذلك، و كتب إلى المهاجر بن أبى أمية حين دخل صنعاء و هو عامله عليها يأمره بحمل قيس إلى ما قبله فلما قدم به عليه أحلفه خمسين يمينا عند منبر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أنه ما قتل داذويه فحلف فخلى سبيله و وجه إلى الشام مع من انتدب لغز الروم من المسلمين.

فتوح الشام

قالوا: لما فرغ أبو بكر رضى اللّه عنه من أمر أهل الردة رأى توجيه الجيوش إلى الشام فكتب إلى أهل مكة، و الطائف، و اليمن، و جميع العرب بنجد و الحجاز يستنفرهم للجهاد و يرغبهم فيه و فى غنائم الروم، فسارع الناس إليه من بين محتسب و طامع و أتو المدينة من كل أوب فعقد ثلاثة ألوية لثلاثة رجال خالد ابن سعيد بن العاصى بن أمية، و شرحبيل بن حسنة حليف بنى جمح، و شرحبيل فيما ذكر الواقدى ابن عبد اللّه بن المطاع الكندى. و حسنة أمه و هى مولاة

فتوح البلدان، ص: ۱۱۲

معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح. و قال الكلبى: هو شرحبيل ابن ربيعة بن المطاع من ولد صوفة و هم الغوث بن مر بن اد بن طابخة، و عمرو بن العاصى بن وائل السهمى، و كان عقده هذه الألوية يوم الخميس المستهل صفر سنة ثلاث عشرة و ذلك بعد مقام الجيوش معسكرين بالجرف المحرم كله، و أبو عبيدة بن الجراح يصلى بهم. و كان أبو بكر أراد أبا عبيدة أن يعقد له فاستعفاه من ذلك، و قد روى قوم أنه عقد له و ليس ذلك بثبت و لكن عمر ولاه الشام كله حين استخلف.

و ذكر أبو مخنف أن أبا بكر قال للأمراء: إن اجتمعتم على قتال فأميركم أبو عبيدة عامر بن عبد اللّه بن الجراح الفهرى و إلا فيزيد بن أبى سفيان و ذكر أن عمرو بن العاصى إنما كان مددا للمسلمين و أميرا على من ضم إليه.

قال: و لما عقد أبو بكر لخالد بن سعيد كره عمر ذلك فكلم أبا بكر فى عزله، و قال: أنه رجل فخور يحمل أمره على المغالبة و التعصب فعزله أبو بكر و وجه أبا أروى الدوسى لأخذ لوائه فلقيه بذى المروة فأخذ اللواء منه و ورد به على أبى بكر فدفعه أبو بكر رضى اللّه عنه إلى يزيد بن أبى سفيان فسار به و معاوية أخوه يحمله بين يديه، و يقال: بل سلم إليه اللواء بذى المروة فمضى على جيش خالد و سار خالد بن سعيد محتسبا فى جيش شرحبيل.

و أمر أبو بكر رضى اللّه عنه عمرو بن العاصى أن يسلك طريق أيلة عامدا لفلسطين، و أمر يزيد أن يسلك طريق تبوك، و كتب إلى

شرحبیل أن یسلک أیضا طریق تبوک، و کان العقد لکل أمیر فی بدء الأمر علی ثلاثة آلاف رجل فلم یزل أبو بکر یتبعهم الأمداد حتی صار مع کل أمیر سبعة آلاف و خمسمائة ثم تتام جمعهم بعد ذلک أربعة و عشرین ألفا. و روی عن الواقدی أن أبا بکر ولی عمرا فلسطین، و شرحبیل الأردن، و یزید دمشق،

فتوح البلدان، ص: ۱۱۳

و قال إذا کان بکم قتال فأمیرکم الذی تکونون فی عمله. و روی أیضا أنه أمر عمرا مشافهة أن یصلی بالناس إذا اجتمعوا، و إذا تفرقوا صلی کل أمیر بأصحابه و أمر الأمراء أن یعقدوا لکل قبیلة لواء یکون فیهم، قالوا: فلما صار عمرو بن العاصی إلی أول عمل فلسطین کتب إلی أبی بکر یعلمه کثرة عدد العدو و عدتهم و سعة أرضهم و نجدة مقاتلتهم، فکتب أبو بکر إلی خالد ابن الولید بن المغیرة المخزومی و هو بالعراق یأمره بالمسیر إلی الشام فیقال:

أنه جعله أمیرا علی الأمراء فی الحرب، و قال قوم: کان خالد أمیرا علی أصحابه الذین شخصوا معه، و کان المسلمون إذا اجتمعوا لحرب أمره الأمراء فیها لبأسه و کیده و یمن نقیبته. قالوا: فأول وقعة کانت بین المسلمین و عدوهم بقریة من قری غزة یقال لها داثن کانت بینهم و بین بطریق غزة فاقتتلوا فیها قتالا شدیدا ثم ان اللّه تعالی أظهر أولیاءه و هزم أعداءه و فض جمعهم و ذلک قبل قدوم خالد بن الولید الشام، و توجه یزید بن أبی سفیان فی طلب ذلک البطریق فبلغه أن بالعربة من أرض فلسطین جمعا للروم فوجه إلیهم أبا أمامة الصدی بن عجلان الباهلی فأوقع بهم و قتل عظیمهم ثم انصرف.

و روی أبو مخنف فی یوم العربة أن ستة قواد من قواد الروم نزلوا العربة فی ثلاثة آلاف فسار إلیهم ابو أمامة فی کثف من المسلمین فهزمهم و قتل أحد القواد ثم اتبعهم فصاروا إلی الدبیة- و هی الدابیة- فهزموهم و غنم المسلمون غنما حسنا.

و حدثنی أبو حفص الشامی عن مشایخ من أهل الشام قالوا: کانت أول وقائع المسلمین وقعة العربة و لم یقاتلوا قبل ذلک مذ فصلوا من الحجاز، و لم یمروا بشیء من الأرض فیما بین الحجاز و موضع هذه الوقعة إلا غلبوا علیه بغیر حرب و صار فی أیدیهم

.

فتوح البلدان، ص: ۱۱۴

شخوص خالد بن الولید إلی الشام و ما فتح فی طریقه

قالوا: لما أتی خالد بن الولید کتاب أبی بکر و هو بالحیرة خلف المثنی ابن حارثة الشیبانی علی ناحیة الکوفة، و سار فی شهر ربیع الآخر سنة ثلاث عشرة فی ثمانمائة، و یقال فی ستمائة، و یقال فی خمسمائة، فأتی عین التمر ففتحها عنوة، و یقال. إن کتاب أبی بکر وافاه و هو بعین التمر و قد فتحها، فسار خالد من عین التمر فأتی صندوداء و بها قوم من کندة و إیاد و العجم، فقاتله أهلها و خلف بها سعد بن عمرو بن حرام الأنصاری فولده الیوم بها، و بلغ خالدا أن جمعا لبنی تغلب بن وائل بالمضیح و الحصید مرتدین علیهم ربیعة بن بجیر فأتاهم فقاتلوه فهزمهم و سبی و غنم و بعث بالسبی إلی أبی بکر، فکانت منهم أم حبیب الصهباء بنت حبیب بن بجیر، و هی أم عمر بن علی ابن أبی طالب، ثم أغار خالد علی قراقر و هو ماء لکلب ثم فوز منه إلی سوی و هو ماء لکلب أیضا و معهم فیه قوم من بهراء فقتل حرقوص بن النعمان البهرانی من قضاعة و اکتسح أموالهم و کان خالد لما رکب المفازة عمد إلی الرواحل فأرواها من الماء ثم قطع مشافرها و أجرها لئلا تجتر فتعطش ثم استکثر من الماء و حمله معه فنفد فی طریقه فجعل ینحر تلک الرواحل راحلة راحلة و یشرب و أصحابه الماء من أکراشها، و کان له دلیل یقال له. رافع بن عمیر الطائی ففیه یقول الشاعر.

للّه در نافع إنی أهتدیفوز من قراقر إلی سوی

ماء إذا ما رامه الجیش انثنیما جازها قبلک من أنس یری

و کان المسلمون لما انتهوا إلی سوی وجدوا حرقوصا و جماعة معه یشربون و یتغنون و حرقوص یقول:

ألا عللانی قبل جیش أبی بکرلعل منایانا قریب و لا ندری

فتوح البلدان، ص: ۱۱۵

فلما قتله المسلمون جعل دمه یسیل فی الجفنة التی کان فیها شرابه و یقال إن رأسه سقط فیها أیضا. و قال بعض الرواة أن المغنی بهذا البیت رجل ممن کان أغار خالد علیه من بنی تغلب مع ربیعة بن بجیر.

و قال الواقدی: خرج خالد من سوی إلی الکواثل ثم أتی قرقیسیا فخرج إلیه صاحبها فی خلق فترکه و انحاز إلی البر و مضی لوجهه و أتی خالد أرکة- و هی أرک- فأغار علی أهلها و حاصرهم ففتحها صلحا علی شیء أخذه منهم للمسلمین، و أتی دومة الجندل ففتحها، ثم أتی قصم فصالحه بنو مشجعة ابن التیم بن النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة و کتب لهم أمانا، ثم أتی تدمر فامتنع أهلها و تحصنوا ثم طلبوا الأمان فأمنهم علی أن یکونوا ذمة و علی أن قروا المسلمین و رضخوا لهم، ثم أتی القریتین فقاتله أهلها فظفر و غنم، ثم أتی حوارین من سنیر فأغار علی مواشی أهلها فقاتلوه و قد جاءهم مدد أهل بعلبک و أهل بصری و هی مدینة حوران فظفر بهم فسبی و قتل، ثم أتی مرج راهط فأغار علی غسان فی یوم فصحهم و هم نصاری فسبی و قتل، و وجه خالد بسر بن أبی أرطاة العامری من قریش و حبیب بن مسلمة الفهری إلی غوطة دمشق فأغارا علی قری من قراها، و صار خالد إلی الثنیة التی تعرف بثنیة العقاب بدمشق فوقف علیها ساعة ناشرا رایته و هی رایة کانت لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم سوداء فسمیت ثنیة العقاب یومئذ و العرب تسمی الرایة عقابا، و قوم یقولون:

إنها سمیت بعقاب من الطیر کانت ساقطة علیها، و الخبر الأول أصح، و سمعت من یقول: کان هناک مثال عقاب من حجارة و لیس ذلک بشیء، قالوا:

و نزل خالد بالباب الشرقی من دمشق، و یقال: بل نزل بباب الجابیة فأخرج إلیه اسقف دمشق نزلا و خدمة فقال. احفظ لی هذا العهد فوعده بذلک، ثم سار خالد حتی انتهی إلی المسلمین و هم بقناة بصری

فتوح البلدان، ص: ۱۱۶

و یقال: أنه أتی الجابیة و بها أبو عبیدة فی جماعة من المسلمین فالتقیا و مضیا جمیعا إلی بصری.

فتح بصری

قالوا: لما قدم خالد بن الولید علی المسلمین بصری اجتمعوا علیها و أمروا خالدا فی حربها، ثم الصقوا بها و حاربوا بطریقها حتی ألجئوه و کماة أصحابه إلیها و یقال: بل کان یزید بن أبی سفیان المتقلد لأمر الحرب لأن ولایتها و إمرتها کانت إلیه لأنها من دمشق ثم أن أهلها صالحوا علی أن یؤمنوا علی دمائهم و أموالهم و أولادهم علی أن یؤدوا الجزیة.

و ذکر بعض الرواة أن أهل بصری صالحوا علی أن یؤدوا عن کل حالم دینارا و جریب حنطة، و افتتح المسلمون جمیع أرض کورة حوران و غلبوا علیها قال: و توجه أبو عبیدة بن الجراح فی جماعة من المسلمین کثیفة من أصحاب الأمراء ضموا إلیه فأتی مآب من أرض البلقاء، و بها جمع العدو فافتتحها صلحا علی مثل صلح بصری، و قال بعضهم: أن فتح مآب قبل فتح بصری، و قال بعضهم: أن أبا عبیدة فتح مآب و هو أمیر علی جمیع الشام أیام عمر.

یوم أجنادین

ثم کانت وقعة أجنادین و شهدها من الروم زهاء مائة ألف سرب هرقل أکثرهم و تجمع باقوهم من النواحی، و هرقل یومئذ مقیم بحمص فقاتلهم المسلمون قتالا شدیدا، و أبلی خالد بن الولید یومئذ بلاء حسنا، ثم أن اللّه هزم

فتوح البلدان، ص: ۱۱۷

أعداءه و مزقهم ممزق و قتل منهم خلق كثير، و استشهد يومئذ عبد اللّه ابن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم، و عمرو بن سعيد بن العاصى بن أمية، و أخوه أبان بن سعيد و ذلك الثبت، و يقال: بل توفى أبان فى سنة تسع و عشرين و طليب بن عمير بن وهب بن عبد بن قصى بارزه علج فضربه ضربة أبانت يده اليمنى فسقط سيفه مع كفه، ثم غشيه الروم فقتلوه، و أمه أروى بنت عبد المطلب عمة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و كان يكنى أبا عدى، و سلمة بن هشام بن المغيرة و يقال: أنه قتل بمرج الصفر، و عكرمة ابن أبى جهل بن هشام المخزومى، و هبار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومى و يقال: بل قتل يوم مؤتة، و نعيم بن عبد اللّه النحام العدوى، و يقال. قتل يوم اليرموك، و هشام بن العاصى بن وائل السهمى، و يقال: قتل يوم اليرموك، و عمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسى، و يقال: قتل يوم اليرموك و جندب بن عمرو الدوسى. و سعيد بن الحارث، و الحارث بن الحارث، و الحجاج بن الحارث بن قيس بن عدى السهمى، و قال هشام بن محمد الكلبى:

قتل النحل يوم مؤتة، و قتل سعيد بن الحارث بن قيس يوم اليرموك، و قتل تميم بن الحارث يوم أجنادين، و قتل عبيد اللّه بن عبد الأسد أخوه يوم اليرموك قال: و قتل الحارث بن هشام بن المغيرة يوم أجنادين.

قالوا: و لما انتهى خبر هذه الوقعة إلى هرقل نخب قلبه و سقط فى يده و ملئ رعبا فهرب من حمص إلى انطاكية، و قد ذكر بعضهم أن هربه من حمص إلى انطاكية كان عند قدوم المسلمين الشام، و كانت وقعة أجناين يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة، و يقال:

لليلتين خلتا من جمادى الآخرة، و يقال: لليلتين بقيتا منه.

قالوا: ثم جمعت الروم جمعا بالياقوصة- و الياقوصة واد فمه الفوارة- فلقيهم المسلمون هناك فكشفوهم و هزموهم و قتلوا كثيرا منهم و لحق

فتوح البلدان، ص: ۱۱۸

فلهم بمدن الشام و توفى أبو بكر رضى اللّه عنه فى جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة فأتى المسلمين نعيه و هم بالياقوصة.

يوم فحل من الأردن

قالوا: و كانت وقعة «فحل» من «الأردن» لليلتين بقيتا من ذى القعدة، بعد خلافة عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه بخمسة أشهر، و أمير الناس أبو عبيدة بن الجراح، و كان عمر قد كتب إليه بولايته الشام و أمره الأمراء مع عامر بن أبى وقاص أخى سعد بن أبى وقاص، و قوم يقولون، أن ولاية أبى عبيدة الشام أتته و الناس محاصرون دمشق فكتمها خالدا أياما لأن خالدا كان أمير الناس فى الحرب فقال له خالد، ما دعاك- رحمك اللّه- إلى ما فعلت قال: كرهت أن أكسرك و أوهن أمرك و أنت بازاء عدو.

و كان سبب هذه الوقعة أن هرقل لما صار إلى أنطاكية استنفر الروم و أهل الجزيرة و بعث عليهم رجلا من خاصته و ثقاته فى نفسه فلقوا المسلمين بفحل من الأردن فقاتلوهم أشد قتال و أبرحه حتى أظهرهم اللّه عليهم و قتل بطريقهم و زهاء عشرة آلاف معه، و تفرق الباقون فى مدن الشام و لحق بعضهم بهرقل و تحصن أهل «فحل» فحصرهم المسلمون حتى سألوا الأمان على أداء الجزية عن رؤسهم و الخراج عن أرضهم، فأمنوهم على أنفسهم و أموالهم و أن لا تهدم حيطانهم، و تولى عقد ذلك أبو عبيدة بن الجراح، و يقال: تولاه شرحبيل بن حسنة.

أمر الأردن

حدثنى حفص بن عمر العمرى، عن الهيثم بن عدى، قال: افتتح

فتوح البلدان، ص: ۱۱۹

شرحبيل بن حسنة «الأردن» عنوة ما خلا طبرية فإن أهلها صالحوه على انصاف منازلهم و كنائسهم. و حدثنى أبو حفص الدمشقى، عن سعيد بن عبد العزيز التنوخى عن عدة منهم أبو بشر مؤذن مسجد دمشق أن المسلمين لما قدموا الشام كان كل أمير منهم يقصد لناحية ليغزوها و يبث غاراته فيها فكان عمرو بن العاصى يقصد لفلسطين، و كان شرحبيل يقصد الأردن، و كان يزيد بن أبى سفيان يقصد لأرض دمشق، و كانوا إذا اجتمع لهم العدو اجتمعوا عليه و إذا احتاج أحدهم إلى معاضدة صاحبه و انجاده سارع إلى ذلك، و كان أميرهم عند الاجتماع فى حربهم أول أيام أبى بكر رضى اللّه عنه عمرو بن العاصى حتى قدم خالد بن الوليد الشام فكان أمير المسلمين فى كل حرب، ثم ولى أبو عبيدة بن الجراح أمر الشام كله، و أمره الأمراء فى الحرب و السلم من قبل عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه، و ذلك أنه لما استخلف كتب إلى خالد بعزله و ولى أبا عبيدة.

ففتح شرحبيل بن حسنة طبرية صلحا بعد حصار أيام على أن أمن أهلها على أنفسهم و أموالهم و أولادهم و كنائسهم و منازلهم إلا ما جلوا عنه و خلوه و استثنى لمسجد المسلمين موضعا ثم أنهم نقضوا فى خلافة عمر و اجتمع إليهم قوم من الروم و غيرهم، فأمر أبو عبيدة عمر بن العاصى بغزوهم فسار إليهم فى أربعة آلاف ففتحها على مثل صلح شرحبيل، و يقال: بل فتحها شرحبيل ثانية، و فتح شرحبيل جميع مدن الأردن و حصونها على هذا الصلح فتحا يسيرا بغير قتال ففتح بليسان، و فتح سوسية، و فتح أفيق، و جرش، و بيت رأس. و قدس و الجولان، و غلب على سواد الأردن و جميع أرضها.

قال أبو حفص، قال أبو محمد سعيد بن عبد العزيز، و بلغنى أن الوضين ابن عطاء، قال، فتح شرحبيل عكا و صور، و صفورية، و قال أبو بشر المؤذن

فتوح البلدان، ص: ۱۲۰

أن أبا عبيدة وجه عمرو بن العاصى إلى سواحل الأردن فكثر به الروم و جاءهم المدد من ناحية هرقل و هو بالقسطنطينية، فكتب إلى أبى عبيدة يستمده فوجه أبو عبيدة يزيد بن أبى سفيان فسار يزيد و على مقدمته معاوية أخوه ففتح يزيد و عمرو سواحل الأردن، فكتب أبو عبيدة بفتحهما لها و كان لمعاوية فى ذلك بلاء حسن و أثر جميل.

و حدثنى أبو اليسع الأنطاكى، عن أبيه عن مشايخ أهل أنطاكية و الأردن، قالوا: نقل معاوية قوما من فرس بلعبك، و حمص، و أنطاكية إلى سواحل الأردن، و صور، و عكا، و غيرها سنة اثنتين و أربعين و نقل من أساورة البصرة و الكوفة و فرس بعلبك و حمص إلى أنطاكية فى هذه السنة أو قبلها أو بعدها بسنة جماعة، فكان من قواد الفرس مسلم بن عبد اللّه جد عبد اللّه بن حبيب بن النعمان بن مسلم الأنطاكى. و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى، و أخبرنى هشام بن الليث الصورى، عن مشايخ من أهل الشام، قالوا: رم معاوية عكا عند ركوبه منها إلى قبرص: ورم صور ثم أن عبد الملك بن مروان جددهما و قد كانتا خربتا. و حدثنى هشام بن الليث قال: حدثنى أشياخنا، قالوا: نزلنا صور و السواحل و بها جند من العرب و حلق من الروم ثم نزع إلينا أهل بلدان شتى فنزلوها معنا و كذلك جميع سواحل الشام.

و حدثنى محمد بن سهم الأنطاكى عن مشايخ أدركهم قالوا: لما كانت سنة تسع و أربعين خرجت الروم إلى السواحل و كانت الصناعة بمصر فقط فأمر معاوية بن أبى سفيان بجمع الصناع و النجارين فجمعوا و رتبهم فى السواحل و كانت الصناعة فى الأردن بعكا قال: فذكر أبو الخطاب الأزدى أنه كانت لرجل من ولد أبى معيط بعكا أرحاء و مستغلات فأراده هشام بن عبد الملك على

فتوح البلدان، ص: ۱۲۱

أن يبيعه إياها فأبى المعطى ذلك عليه فنقل هشام الصناعة إلى صور و اتخذ بصور فندقا و مستغلا.

و قال الواقدى: لم تزل المراكب بعكا حتى ولى بنو مروان فنقلوها إلى صور فهى بصور إلى اليوم و أمر أمير المؤمنين المتوكل على اللّه فى سنة سبع و أربعين و مائتين بترتيب المراكب بعكا و جميع السواحل و شحنها بالمقاتلة

. يوم مرج الصفر

قالوا: ثم اجتمعت الروم جمعا عظيما و أمدهم هرقل بمدد فلقيهم المسلمون بمرج الصفر و هم متوجهون إلى دمشق و ذلك لهلال المحرم سنة أربع عشرة فاقتتلوا. قتالا شديدا حتى جرت الدماء فى الماء و طحنت بها الطاحونة و جرح من المسلمين زهاء أربعة آلاف ثم ولى الكفرة منهزمين مفلولين لا يلوون على شىء حتى أتوا دمشق و بيت المقدس و استشهد يومئذ خالد بن سعيد بن العاصى بن أمية، و يكنى أبا سعيد، و كان قد أعرس فى الليلة التى كانت الواقعة فى صبيحتها بأم حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومى امرأة عكرمة ابن أبى جهل، فلما بلغها مصابه: انتزعت عمود الفسطاط فقاتلت به، فيقال: انها قتلت يومئذ سبعة نفر و أن بها لردع الخلوق.

و فى رواية أبى مخنف أن وقعة المرج بعد أجنادين بعشرين ليلة و أن فتح مدينة دمشق بعدها ثم بعد فتح مدينة دمشق وقعة فحل، و رواية الواقدى أثبت، و فى يوم المرج يقول خالد بن سعيد بن العاصى:

من فارس كره الطعان يعيرنى رمحا إذا نزلوا بمرج الصفر

و قال عبد اللّه بن كامل بن حبيب بن عميرة بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم:

شهدت قبائل مالك و تغيبت عنى عميرة يوم مرج الصفر

فتوح البلدان، ص: ١٢٢

يعنى مالك بن خفاف، و قال هشام بن محمد الكلبى: استشهد خالد بن سعيد يوم المرج و فى عنقه الصمصامة سيفه، و كان النبى صلى اللّه عليه و سلم وجهه إلى اليمن عاملا فمر برهط عمرو بن معدى كرب الزبيدى من مذحج فأغار عليهم فسبى امرأة عمرو و عدة من قومه فعرض عليه عمرو أن يمن عليهم و يسلموا ففعل و فعلوا فوهب له عمرو سيفه الصمصامة و قال:

خليل لم أهبه من قلاه و لكن المواهب للكرام

خليل لم أخنه و لم يخنى كذلك ما خلالى أو ندامى

حبوت به كريما من قريش فسر به و صين عن اللئام

قال: فأخذ معاوية السيف من عنق خالد يوم المرج حين استشهد فكان عنده، ثم نازعه فيه سعيد بن العاصى بن سعيد بن العاصى بن أمية فقضى له به عثمان فلم يزل عنده، فلما كان يوم الدار و ضرب مروان على قفاه و ضرب سعيد فسقط صريعا أخذ الصمصامة منه رجل من جهينة فكان عنده، ثم أنه دفعه إلى صيقل ليجلوه فأنكر الصيقل أن يكون للجهنى مثله فأتى به مروان ابن الحكم و هو والى المدينة فسأل الجهنى عنه فحدثه حديثه، فقال: أما و اللّه لقد سلبت سيفى يوم الدار و سلب سعيد بن العاصى سيفه، فجاء سعيد فعرف السيف فأخذه و ختم عليه و بعث به إلى عمرو بن سعيد الأشدق و هو على مكة فهلك سعيد فبقى السيف عند عمرو بن سعيد، ثم أصيب عمرو بن سعيد بدمشق و انتهت متاعه فأخذ السيف محمد بن سعيد أخو عمرو لأبيه، ثم صار إلى يحيى ابن سعيد، ثم مات فصار إلى عنبسة بن سعيد بن العاصى، ثم إلى سعيد بن عمرو بن سعيد، ثم هلك فصار إلى محمد بن عبد اللّه بن سعيد و ولده ينزلون ببارق ثم صار إلى أبان بن يحيى بن سعيد فحلاه بحلية ذهب فكان عند أم ولد له، ثم أن أيوب بن أبى أيوب بن سعيد بن عمرو بن سعيد باعه من المهدى أمير المؤمنين بنيف و ثمانين ألفا فرد المهدى حيلته عليه، و لما صار

فتوح البلدان، ص: ١٢٣

الصمصامة إلى موسى الهادى أمير المؤمنين أعجب به و أمر الشاعر- و هو أبو الهول- أن ينعته فقال:

حاز صمصامة الزبيدى عمرو خير هذا الأنام موسى الأمين

سيف عمرو و كان فيما علمنا خير ما أطبقت عليه الجفون

أخضر اللون بين حديه بردمن زعاف تميس فيه المنون

فإذا ما سللته بهر الشمس ضياء فلم تكد تستبين

ما یبالی إذا الضریبهٔ حانتأشمال سطت به أم یمین

نعم مخراق ذی الحفیظهٔ فی الهیجا یعصا به و نعم القرین ثم أن أمیر المؤمنین الواثق بالله دعا له بصیقل و أمره أن یسقنه فلما فعل ذلک تغیر.

فتح مدینهٔ دمشق و أرضها

قالوا: لما فرغ المسلمون من قتال من اجتمع لهم بالمرج أقاموا خمس عشرهٔ لیلهٔ ثم رجعوا إلی مدینهٔ دمشق لأربع عشرهٔ لیلهٔ بقیت من المحرم سنهٔ أربع عشرهٔ فأخذوا الغوطهٔ و کنائسها عنوهٔ و تحصن أهل المدینهٔ و أغلقوا بابها فنزل خالد بن الولید علی الباب الشرقی فی زهاء خمسهٔ آلاف ضمهم إلیه أبو عبیدهٔ و قوم یقولون: أن خالدا کان أمیرا و إنما أتاه عزله و هم محاصرون دمشق، سمی الدیر الذی نزل عنده خالد دیر خالد. و نزل عمرو بن العاصی علی باب توما و نزل شرحبیل علی باب الفرادیس، و نزل أبو عبیدهٔ علی باب الجابیهٔ، و نزل یزید بن أبی سفیان علی الباب الصغیر إلی الباب الذی یعرف بکیسان، و جعل أبو الدرداء عویمر بن عامر الخزرجی علی مسلحهٔ ببرزهٔ، و کان الأسقف الذی أقام لخالد النزل فی بدأته ربما وقف علی السور فدعا له خالد

فتوح البلدان، ص: ۱۲۴

فإذا أتی سلم علیه و حادثه، فقال له ذات یوم: یا أبا سلیمان أن أمرکم مقبل ولی علیک عده فصالحنی عن هذه المدینهٔ فدعا خالد بدواهٔ و قرطاس فکتب.

بسم اللّه الرحمن الرحیم: هذا ما أعطی خالد بن الولید أهل دمشق إذا دخلها أعطاهم أمانا علی أنفسهم و أموالهم و کنائسهم و سور مدینتهم لا یهدم و لا یسکن شیء من دورهم، لهم بذلک عهد اللّه و ذمهٔ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و الخلفاء و المؤمنین لا یعرض لهم إلا بخیر إذا أعطوا الجزیهٔ.

ثم أن بعض أصحاب الأسقف أتی خالدا فی لیلهٔ من اللیالی فأعلمه أنها لیلهٔ عید لأهل المدینهٔ و أنهم فی شغل و أن الباب الشرقی قد ردم بالحجارهٔ و ترک و أشار علیه أن یلتمس سلما، فأتاه قوم من أهل الدیر الذی عند عسکره بسلمین فرقی جماعهٔ من المسلمین علیهما إلی أعلی السور و نزلوا إلی الباب و لیس علیه إلا رجل أو رجلان فتعاونوا علیه و فتحوه و ذلک عند طلوع الشمس، و قد کان أبو عبیدهٔ بن الجراح عانی فتح باب الجابیهٔ و أصعد جماعهٔ من المسلمین علی حائطه فأنصب مقاتلهٔ الروم إلی ناحیته فقاتلوا المسلمین قتالا شدیدا، ثم أنهم و لوا مدبرین، و فتح أبو عبیدهٔ و المسلمون معه باب الجابیهٔ عنوهٔ و دخلوا منه، فالتقی أبو عبیدهٔ و خالد بن الولید بالمقسلاط، و هو موضع النحاسین بدمشق، و هو البریص الذی ذکره حسان بن ثابت فی شعره حین یقول:

یسقون من ورد البریص علیهمبردی یصفق بالرحیق السلسل

و قد روی أن الروم أخرجوا میتا لهم من باب الجابیهٔ لیلا و قد أحاط بجنازته خلق من شجعانهم و کماتهم و أنصب سائرهم إلی الباب فوقفوا علیه لیمنعوا المسلمین من فتحه و دخوله إلی رجوع أصحابهم من دفن المیت و طمعوا فی غفلهٔ المسلمین عنهم و أن المسلمین نذروا بهم فقاتلوهم علی الباب أشد قتال

فتوح البلدان، ص: ۱۲۵

و أبرحه حتی فتحوه فی وقت طلوع الشمس. فلما رأی الأسقف أن أبا عبیدهٔ قد قارب دخول المدینهٔ بدر إلی خالد فصالحه و فتح له الباب الشرقی فدخل و الأسقف معه ناشرا کتابه الذی کتبه له، فقال بعض المسلمین: و اللّه ما خالد بأمیر فکیف یجوز صلحه، فقال أبو عبیدهٔ: أنه یجیز علی المسلمین أدناهم، و أجاز صلحه و أمضاه و لم یلتفت إلی ما فتح عنوهٔ فصارت دمشق صلحا کلها، و کتب أبو عبیدهٔ بذلک إلی عمرو أنفذه، و فتحت أبواب المدینهٔ فالتقی القوم جمیعا و فی روایهٔ أبی مخنف و غیره أن خالدا دخل دمشق بقتال، و أن أبا عبیدهٔ دخلها بصلح فالتقیا بالزیاتین و الخبر الأول أثبت.

و زعم الهيثم بن عدى أن أهل دمشق صولحوا على انصاف منازلهم و كنائسهم، و قال محمد بن سعد قال أبو عبد اللّه الواقدى: قرأت كتاب خالد ابن الوليد لأهل دمشق فلم أر فيه أنصاف المنازل و الكنائس، و قد روى ذلك و لا أدرى من أين جاء به من رواه، و لكن دمشق لما فتحت لحق بشر كثير من أهلها بهرقل و هو بأنطاكية فكثرت فضول منازلها فنزلها المسلمون، و قد روى قوم أن أبا عبيدة كان بالباب الشرقى و ان خالدا كان بباب الجابية و هذا غلط .

فتوح البلدان، ص: ۱۲۶

قال الواقدى: و كان فتح مدينة دمشق فى رجب سنة أربع عشرة و تاريخ كتاب خالد بصلحها فى شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة و ذلك أن خالدا كتب الكتاب بغير تاريخ فلما اجتمع المسلمون للنهوض إلى من تجمع لهم باليرموك أتى الأسقف خالدا فسأله أن يجدد له كتابا و يشهد عليه أبا عبيدة و المسلمين ففعل و أثبت فى الكتاب شهادة أبى عبيدة و يزيد بن أبى سفيان و شرحبيل بن حسنة و غيرهم فأرخه بالوقت الذى جدده.

و حدثنى القاسم بن سلام، قال. حدثنا أبو مسهر، عن سعيد بن عبد العزيز التنوخى قال. دخل يزيد دمشق من الباب الشرقى صلحا فالتقيا بالمقسلاط فأمضيت كلها على الصلح.

و حدثنى القاسم، قال. حدثنا أبو مسهر عن يحيى بن حمزة عن أبى الملهب الصنعانى، عن أبى الأشعث الصنعانى أو أبى عثمان الصنعانى أن أبا عبيدة أقام بباب الجابية محاصرا لهم أربعة أشهر.

حدثنى أبو عبيد، قال، حدثنا نعيم بن حماد عن ضمرة بن ربيعة عن رجاء ابن أبى سلمة، قال. خاصم حسان بن مالك عجم أهل دمشق إلى عمر بن عبد العزيز فى كنيسة كان رجل من الأمراء اقطعه إياها، فقال عمران كانت من الخمس عشرة كنيسة التى فى عهدهم فلا سبيل لك عليها، قال ضمرة عن على بن أبى حملة خاصمنا عجم أهل دمشق إلى عمر بن عبد العزيز فى كنيسة كان فلان قطعها لبنى نصر بدمشق. فأخرجنا عمر عنها وردها إلى النصارى، فلما ولى يزيد بن عبد الملك ردها إلى بنى نصر.

حدثنى أبو عبيد، قال حدثنا هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن

فتوح البلدان، ص: ۱۲۷

الأوزاعى، أنه قال كانت الجزية بالشام فى بدء الأمر جريبا و دينارا على كل جمجمة، ثم وضعها عمر بن الخطاب على أهل الذهب أربعة دنانير، و على أهل الورق أربعين درهما، و جعلهم طبقات لغنى الغنى، و إقلال المقل، و توسط المتوسط قال هشام: و سمعت مشايخنا يذكرون أن اليهود كانوا كالذمة للنصارى يؤدون إليهم الخراج فدخلوا معهم فى الصلح.

و قد ذكر بعض الرواة: أن خالد بن الوليد صالح أهل دمشق فيما صالحهم عليه على أن ألزم كل رجل من الجزية دينارا و جريب حنطة و خلا و زيتا لقوت المسلمين.

حدثنا عمرو الناقد قال: حدثنا عبد اللّه بن وهب المصرى، عن عمر بن محمد عن نافع عن أسلم مولى عمر بن الخطاب أن عمر كتب إلى أمراء الأجناد يأمرهم أن يضربوا الجزية على كل من جرت عليه الموسى، و أن يجعلوها على أهل الورق على كل رجل أربعين درهما، و على أهل الذهب أربعة دنانير، و عليهم من أرزاق المسلمين من الحنطة و الزيت مدان حنطة، و ثلاثة أقساط زيتا كل شهر لكل انسان بالشام و الجزيرة و جعل عليهم و دكا عسلا لا و أدرى كم هو، و جعل لكل انسان بمصر فى كل شهر أردبا و كسوة و ضيافة ثلاثة أيام.

و حدثنا عمرو بن حماد بن أبى حنيفة قال: حدثنا مالك بن أنس عن نافع عن أسلم أن عمر ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير، و على أهل الورق أربعين درهما مع ذلك أرزاق المسلمين و ضيافة ثلاثة أيام.

و حدثنى مصعب عن أبيه عن مالك عن نافع عن أسلم بمثله، قالوا: و لما ولى معاوية بن أبى سفيان أراد أن يزيد كنيسة يوحنا فى المسجد بدمشق فأبى النصارى ذلك فأمسك، ثم طلبها عبد الملك بن مروان فى أيامه للزيادة فى المسجد و بذل لهم مالا فأبوا أن

يسلموها إليه، ثم إن الوليد بن عبد الملك جمعهم

فتوح البلدان، ص: ۱۲۸

فى أيامه و بذل لهم مالا ـ عظيما على أن يعطوه إياها فأبوا، فقال: لئن لم تفعلوا لأهدمنها، فقال بعضهم: يا أمير المؤمنين إن من هدم كنيسة جن و أصابته عاهة فاحفظه قوله و دعا بمعول و جعل يهدم بعض حيطانها بيده و عليه قباء خز أصفر ثم جمع الفعلة و النقاضين فهدموها و أدخلها فى المسجد. فلما استخلف عمر ابن عبد العزيز شكا النصارى إليه ما فعل الوليد بهم فى كنيستهم، فكتب إلى عامله يأمره برد ما زاده فى المسجد عليهم فكره أهل دمشق ذلك و قالوا:

نهدم مسجدنا بعد أن أذنا فيه و صلينا و يرد بيعة، و فيهم يومئذ سليمان بن حبيب المحاربى و غيره من الفقهاء و أقبلوا على النصارى فسألوهم أن يعطوا جميع كنائس الغوطة التى أخذت عنوة و صارت فى أيدى المسلمين على أن يصفحوا عن كنيسة يوحنا و يمسكوا عن المطالبة بها فرضوا بذلك و أعجبهم، فكتب به إلى عمر فسره و أمضاه، و بمسجد دمشق فى الرواق القبلى مما يلى المئذنة كتاب فى رخامة بقرب السقف مما أمر ببنيانه أمير المؤمنين الوليد سنة ست و ثمانين، و سمعت هشام بن عمار يقول: لم يزل سور مدينة دمشق قائما حتى هدمه عبد اللّه بن على بن عبد اللّه بن العباس بعد انقضاء أمر مروان و بنى أمية.

و حدثنى أبو حفص الدمشقى، عن سعيد بن عبد العزيز عن مؤذن مسجد دمشق و غيره قالوا: اجتمع المسلمون عند قدوم خالد على بصرى ففتحوها صلحا و انبثوا فى أرض حوران جميعا فغلبوا عليها، و أتاهم صاحب أذرعات فطلب الصلح على مثل ما صولح عليه أهل بصرى على أن جميع أرض البثنية أرض خراج فأجابوهم إلى ذلك و مضى يزيد بن أبى سفيان حتى دخلها و عقد لأهلها و كان المسلمون يتصرفون بكورتى حوران و البثنية، ثم مضوا إلى فلسطين و الأردن و غزوا ما لم يكن فتح، و سار يزيد إلى عمان ففتحها فتحا يسيرا بصلح على مثل صلح بصرى و غلب على أرض البلقاء و ولى أبو عبيدة

فتوح البلدان، ص: ۱۲۹

و قد فتح هذا كله فكان أمير الناس حين فتحت دمشق إلا أن الصلح كان لخالد و أجاز صلحه، و توجه يزيد بن أبى سفيان فى ولاية أبى عبيدة ففتح عرندل صلحا و غلب على أرض الشراة و جبالها، قال: و قال سعيد بن عبد العزيز:

أخبرنى الوضين أن يزيد أتى بعد فتح مدينة دمشق صيدا و عرقة و جبيل و بيروت و هى سواحل، و على مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحا يسير و جلا كثيرا من أهلها و تولى فتح عرقة معاوية نفسه فى ولاية يزيد، ثم أن الروم غلبوا على بعض هذه السواحل فى آخر خلافة عمر بن الخطاب أو أول خلافة عثمان بن عفان فقصد لهم معاوية حتى فتحها ثم رمها و شحنها بالمقاتلة و أعطاهم القطائع، قالوا: فلما استخلف عثمان و ولى معاوية الشام وجه معاوية سفيان بن مجيب الأزدى إلى طرابلس، و هى ثلاثة مدن مجتمعة فبنى فى مرج على أميال منها حصنا سمى حصن سفيان و قطع المادة عن أهلها من البحر و غيره و حاصرهم فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا فى أحد الحصون الثلاثة و كتبوا إلى ملك الروم يسألونه أن يمدهم أو يبعث إليهم بمراكب يهربون فيها إلى ما قبله فوجه إليهم بمراكب كثيرة فركبوها ليلا و هربوا، فلما أصبح سفيان، و كان يبيت كل ليلة فى حصنه و يحصن المسلمين فيه ثم يغدو على العدو وجد الحصن الذى كانوا فيه خاليا فدخله و كتب بالفتح إلى معاوية فأسكنه معاوية جماعة كبيرة من اليهود، و هو الذى فيه الميناء اليوم، ثم أن عبد الملك بناه بعد و حصنه، قالوا: و كان معاوية يوجه فى كل عام إلى طرابلس جماعة كثيفة من الجند يشحنها بهم و يوليها عاملا فإذا انغلق البحر قفل و بقى العامل فى جمعية منهم يسيرة فلم يزل الأمر فيها جاريا على ذلك حتى ولى عبد الملك فقدم فى أيامه بطريق من بطارقة الروم و معه بشر منهم كثير فسأل أن يعطى الأمان على أن يقيم بها و يؤدى الخراج فأجيب

فتوح البلدان، ص: ۱۳۰

إلى مسألته، فلم يلبث إلا سنتين أو أكثر منهما بأشهر حتى تحين قفول الجند عن المدينة ثم أغلق بابها و قتل عاملها و أسر من معه من الجند و عدة من اليهود و لحق و أصحابه بأرض الروم، فقدر المسلمون بعد ذلك عليه فى البحر و هو متوجه إلى ساحل للمسلمين فى

مراكب كثيرة فقتلوه، و يقال:

بل أسروه و بعثوا به إلى عبد الملك فقتله و صلبه، و سمعت من يذكر أن عبد الملك بعث إليه من حصره بطرابلس ثم أخذه سلمان و حمله إليه فقتله و صلبه و هرب من أصحابه جماعة فلحقوا ببلاد الروم، و قال على بن محمد المدائنى قال عتاب بن ابراهيم: فتح طرابلس سفيان بن مجيب ثم نقض أهلها أيام عبد الملك ففتحها الوليد بن عبد الملك فى زمانه.

و حدثنى أبو حفص الشامى عن سعيد عن الوضين، قال: كان يزيد بن أبى سفيان وجه معاوية إلى سواحل دمشق سوى طرابلس فإنه لم يكن يطمع فيها فكان يقيم على الحصن اليومين و الأيام اليسيرة فربما قوتل قتالا- غير شديد و ربما رمى ففتحها، قال: و كان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها قدر من يحتاج لها إليه من المسلمين فإن حدث فى شىء منها حدث من قبل العدو سربوا إليها الأمداد، فلما استخلف عثمان بن عفان رضى عنه كتب إلى معاوية يأمره بتحصين السواحل و شحنتها و إقطاع من ينزله إياها القطائع ففعل.

و حدثنى أبو حفص عن سعيد بن عبد العزيز، قال: أدركت الناس و هم يتحدثون أن معاوية كتب إلى عمر بن الخطاب بعد موت أخيه يزيد يصف له حال السواحل، فكتب إليه فى مرمة حصونها و ترتيب المقاتلة فيها و إقامة الحرس على مناظرها و اتخاذ المواقيد لها، و لم يأذن له فى غزو البحر و أن معاوية لم يزل بعثمان حتى أذن له فى الغزو بحرا و أمره أن يعد فى السواحل إذا غزا أو أغزى جيوشا سوى من فيها من الرتب و أن يقطع

فتوح البلدان، ص: ۱۳۱

الرتب أرضين و يعطيهم ما جلا عنه أهله من المنازل و يبنى المساجد و يكبر ما كان ابتنى منها قبل خلافته، قال الوضين: ثم أن الناس بعد انتقلوا إلى السواحل من كل ناحية.

حدثنى العباس بن هشام الكلبى عن أبيه عن جعفر بن كلاب الكلابى أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه ولى علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص ابن جعفر بن كلاب حوران و جعل ولايته من قبل معاوية فمات بها و له يقول الحطيئة العبسى و خرج إليه فكان موته قبل وصوله و بلغه أنه فى الطريق يريده فأوصى له بمثل سهم من سهام ولده:

فما كان بينى لو لقيتك سالماو بين الغنى إلا ليال قلائل

و حدثنى عدة من أهل العلم منهم جار لهشام بن عمار، أنه كانت لأبى سفيان بن حرب أيام تجارته إلى الشام فى الجاهلية ضيعة بالبقاء تدعى بقبش فصارت لمعاوية و ولده ثم قبضت فى أول الدولة و صارت لبعض ولد أمير المؤمنين المهدى رضى اللّه عنه ثم صارت لقوم من الزياتين يعرفون ببنى نعيم من أهل الكوفة.

و حدثنا عباس بن هشام عن أبيه عن جده قال: وفد تميم بن أوس أحد بنى الدار بن هانئ بن حبيب من لحم و يكنى أبا رقية على النبى صلى اللّه عليه و سلم و معه أخوه نعيم بن أوس فأقطعهما رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم حبرى و بيت عينون و مسجد ابراهيم عليه السلام فكتب بذلك كتابا، فلما افتتح الشام دفع ذلك إليهما فكان سليمان بن عبد الملك إذا مر بهذه القطعة لم يعرج، و قال: أخاف أن يصيبنى دعوة النبى صلى اللّه عليه و سلم.

و حدثنى هشام بن عمار. أنه سمع المشايخ يذكرون أن عمر بن الخطاب عند مقدمه الجابية من أرض دمشق مر بقوم مجذمين من النصارى فأمر أن يعطوا من الصدقات و أن يجرى عليهم القوت، و قال هشام: سمت الوليد

فتوح البلدان، ص: ۱۳۲

ابن مسلم يذكر أن خالد بن الوليد شرط لأهل الدير الذى يعرف بدير خالد شرطا فى خراجهم بالتخفيف عنهم حين أعطوه سلما صعد عليه فأنفذه لهم أبو عبيدة، و لما فرغ أبو عبيدة من أمر مدينة دمشق سار إلى حمص فمر ببعلبك، فطلب أهلها الأمان و الصلح فصالحهم على أن أمنهم على أنفسهم و أموالهم و كنائسهم و كتب لهم.

بسم اللّه الرحمن الرحيم: هذا كتاب أمان لفلان بن فلان، و أهل بعلبك رومها و فرسها و عربها، على أنفسهم و أموالهم و كنائسهم و دورهم، داخل المدينة و خارجها و على أرحائهم، و للروم أن يرعوا سرحهم ما بينهم و بين خمسة عشر ميلا، و لا ينزلوا قرية عامرة، فإذا مضى شهر ربيع و جمادى الأولى ساروا إلى حيث شاءوا، و من أسلم منهم فله ما لنا و عليه ما علينا، و لتجارهم أن يسافروا إلى حيث أرادوا من البلاد التى صالحنا عليها، و على من أقام منهم الجزية و الخراج شهد اللّه و كفى بالله شهيدا.

أمر حمص

حدثنى عباس بن هشام عن أبيه عن أبى مخنف: أن أبا عبيدة بن الجراح لما فرغ من دمشق، قدم أمامه خالد بن الوليد، و ملحان بن زياد الطائى، ثم اتبعهما فلما توافوا بحمص قاتلهم أهلها ثم لجأوا إلى المدينة و طلبوا الأمان و الصلح فصالحوه على مائة ألف و سبعين دينار، قال الواقدى و غيره: بينا المسلمون على أبواب مدينة دمشق إذ أقبلت خيل للعدو كثيفة فخرجت إليهم جماعة من المسلمين فلقوهم بين بيت لهيا و الثنية فولوا منهزمين نحو حمص على طريق قارا و اتبعوهم حتى وافوا حمص فألقوهم قد عدلوا عنها و رآهم الحمصيون و كانوا منخوبين لهرب هرقل عنهم و ما كان يبلغهم من قوة كيد المسلمين

فتوح البلدان، ص: ۱۳۳

و بأسهم و ظفرهم فأعطوا بأيديهم و هتفوا بطلب الأمان فأمنهم المسلمون و كفوا أيديهم عنهم فأخرجوا إليهم العلف و الطعام و أقاموا على الأرند «يريد الأرند»- و هو النهر الذى يأتى انطاكية ثم يصب فى البحر بساحلها- و كان على المسلمين السمط بن الأسود الكندى، فلما فرغ أبو عبيدة من أمر دمشق: استخلف عليها يزيد بن أبى سفيان ثم قدم حمص على طريق بلعبك فنزل بباب الرستن فصالحه أهل حمص على أن أمنهم على أنفسهم و أموالهم و سور مدينتهم و كنائسهم و ارحائهم و استثنى عليهم ربع كنيسة يوحنا للمسجد و اشترط الخراج على من أقام منهم.

و ذكر بعض الرواة أن السمط بن الأسود الكندى كان صالح أهل حمص، فلما قدم أبو عبيدة أمضى صلحه و أن السمط قسم حمص خططا بين المسلمين حتى نزلوها و أسكنهم فى كل مرفوض جلا أهله أو ساحة متروكة.

و حدثنى أبو حفص الدمشقى عن سعيد بن عبد العزيز، قال: لما افتتح أبو عبيدة بن الجراح دمشق استخلف يزيد بن أبى سفيان على دمشق، و عمرو بن العاصى على فلسطين، و شرحبيل على الأردن، و أتى حمص فصالح أهلها على نحو صلح بلعبك، ثم خلف بحمص عبادة بن الصامت الأنصارى، و مضى نحو حماة فتلقاه أهلها مذعنين فصالحهم على الجزية فى رؤسهم و الخراج فى أرضهم، فمضى نحو شيزر فخرجوا يكفرون و معهم المقطسون و رضوا بمثل ما رضى به أهل حماه و بلغت خيله الزراعة و القسطل.

و مر أبو عبيدة بمعرة حمص- و هى التى تنسب إلى النعمان بن بشير فخرجوا يقلسون بين يديه ثم أتى فامية ففعل أهلها مثل ذلك و أذعنوا بالجزية و الخراج و استتم أمر حمص فكانت حمص و قنسرين شيئا واحدا. و قد اختلفوا فى تسمية الأجناد، فقال بعضهم: سمى المسلمون فلسطين جندا لأنه

فتوح البلدان، ص: ۱۳۴

جمع كورا، و كذلك دمشق، و كذلك الأردن، و كذلك حمص مع قنسرين.

و قال بعضهم: سميت كل ناحية لها جند يقبضون اطماعهم بها جندا و ذكروا أن الجزيرة كانت إلى قنسرين فجندها عبد الملك بن مروان أى أفردها فصار جندها يأخذون اطماعهم بها من خراجها، و أن محمد بن مروان كان سأل عبد الملك تجنيدها ففعل، و لم تزل قنسرين و كورها مضمومة إلى حمص حتى كان يزيد بن معاوية فجعل قنسرين و أنطاكية و منبج و زواتها جندا.

فلما استخلف أمير المؤمنين الرشيد هارون بن المهدى أفرد قنسرين بكورها فصير ذلك جندا واحدا، و أفرد منبج، و دلوك، و رعبان و قورس و أنطاكية و تيزين، و سماها العواصم لأن المسلمين يعتمون بها فتعصمهم و تمنعهم إذا انصرفوا من غزوهم و خرجوا من الثغر

و جعل مدينة العواصم منبج فسكنها عبد الملك بن صالح بن على فى سنة ثلاث و سبعين و مائة و بنى بها أبنية.

و حدثنى أبو حفص الدمشقى، عن سعيد بن عبد العزيز: و حدثنى موسى ابن ابراهيم التنوخى عن أبيه عن مشايخ من أهل حمص، قال: استخلف أبو عبيدة عبادة بن الصامت الأنصارى على حمص، فأتى اللاذقية.

فقاتله أهلها فكان بها باب عظيم لا يفتحه إلا جماعة من الناس، فلما رأى صعوبة مرامها عسكر على بعد من المدينة ثم أمر أن تحفر حفائر كالأسراب يستتر الرجل و فرسه فى الواحدة منها، فاجتهد المسلمون فى حفرها حتى فرغوا منها، ثم أنهم أظهروا القفول إلى حمص، فلما جن عليهم الليل عادوا إلى معسكرهم و حفائرهم و أهل اللاذقية غارون يرون انهم قد انصرفوا عنهم، فلما أصبحوا فتحوا بابهم و أخرجوا سرحهم فلم يرعهم إلا تصبيح المسلمين إياهم و دخولهم من باب المدينة ففتحت عنوة، و دخل عبادة الحصن ثم علا حائطه فكبر عليه، و هرب قوم من نصارى اللاذقية إلى

فتوح البلدان، ص: ۱۳۵

اليسيد، ثم طلبوا الأمان على أن يتراجعوا إلى أرضهم فقوطعوا على خراج يؤدونه قلوا أو كثروا و تركت لهم كنيستهم، و بنى المسلمون باللاذقية مسجدا جامعا بأمر عبادة ثم أنه وسع بعد.

و كانت الروم أغارت فى البحر على ساحل اللاذقية فهدموا مدينتها و سبوا أهلها و ذلك فى خلافة عمر بن عبد العزيز سنة مائة فأمر عمر ببنائها و تحصينها و وجه إلى الطاغية فى فداء من أسر من المسلمين فلم يتم ذلك حتى توفى عمر فى سنة أحد و مائة فأتم المدينة و شحنها يزيد بن عبد الملك.

و حدثنى رجل من أهل اللاذقية قال: لم يمت عمر بن عبد العزيز حتى حرز مدينة اللاذقية و فرغ منها، و الذى أحدث يزيد بن عبد الملك فيها مرمة و زيادة فى الشحنة، و حدثنى أبو حفص الدمشقى، قال: حدثنى سعيد بن عبد العزيز، و سعيد بن سليمان الحمصى، قالا: ورد عبادة و المسلمون السواحل ففتحوا مدينة تعرف ببلدة على فرسخين من جبلة عنوة، ثم إنها خربت و جلا عنها أهلها فأنشأ معاوية بن أبى سفيان جبلة و كانت حصنا للروم جلوا عنه عند فتح المسلمين حمص و شحنها. و حدثنى سفيان بن محمد البهرانى عن أشياخه قالوا: بنى معاوية لجبلة حصنا خارجا من الحصن الرومى القديم و كان سكان الحصن الرومى رهبانا و قوما يتعبدون فى دينهم.

و حدثنى سفيان ابن محمد، قال حدثنى أبى و أشياخنا، قالوا: فتح عبادة المسلمون معه أنطرطوس: و كان حصنا ثم جلا عنه أهله فبنى معاوية أنطرطوس و مصرها و أقطع بها القطائع، و كذلك فعل بمرقية و بلنياس.

و حدثنى أبو حفص الدمشقى، عن أشياخه قالوا: افتتح أبو عبيدة اللاذقية و جبلة و أنطرطوس على يدى عبادة بن الصامت، و كان يوكل بها حفظة إلى انغلاق البحر، فلما كانت شحنة معاوية السواحل و تحصينه إياها شحنها و حصنها

فتوح البلدان، ص: ۱۳۶

و أمضى أمرها على ما أمضى عليه أمر السواحل. و حدثنى شيخ من أهل حمص قال: بقرب سلمية مدينة تدعى المؤتفكة و انقلبت بأهلها فلم يسلم منهم إلا مائة نفس فبنوا مائة منزل و سكنوها فسميت حوزتهم التى بنوا فيها سلم مائة، ثم حرف الناس اسمها فقالوا سليمة، ثم أن صالح بن على بن عبد اللّه بن عباس اتخذها و بنى و ولده فيها و مصروها و نزلها قوم من ولده. و قال ابن سهم الأنطاكى: سلمية اسم رومى قديم. و حدثنى محمد بن مصفى الحمصى، قال:

هدم مروان بن محمد سور حمص، و ذلك أنهم كانوا خالفوا عليه فلما مر بأهلها هاربا من أهل خراسان اقتطعوا بعض ثقله و ماله و خزائن سلاحه.

و كانت مدينة حمص مفروشة بالصخر، فلما كانت أيام أحمد بن محمد بن أبى إسحاق المعتصم بالله شغبوا على عاملهم الفضل بن قارن الطبرى أخى مايزديار بن قارن فأمر بقلع ذلك الفرش فقلع ثم أنهم أظهروا المعصية و أعادوا ذلك الفرش و حاربوا الفضل بن قارن حتى قدروا عليه و نهبوا ماله و نساءه و أخذوه فقتلوه و صلبوه فوجه أحمد بن محمد إليهم موسى بن بغا الكبير مولى أمير

المؤمنين المعتصم بالله فحاربوه و فيهم خلق من نصارى المدينة و يهودها فقتل منهم مقتلة عظيمة و هزم باقيهم حتى ألحقهم بالمدينة و دخلها عنوة و ذلك فى سنة خمسين و مائتين و بحمص هرى يرده قمح و زيت من السواحل و غيرها مما قوطع أهله عليه، و أسجلت لهم السجلات بمقاطعتهم.

يوم اليرموك

قالوا: جمع هرقل جموعا كثيرة من الروم و أهل الشام و أهل الجزيرة و أرمينية تكون زهاء مائتى ألف و ولى عليهم رجلا من خاصته، و بعث على مقدمته جبلة بن الأيهم الغسانى فى مستعربة الشام من لخم و جذام و غيرهم، و عزم على محاربة المسلمين فإن ظهروا و إلا دخل بلاد الروم، فأقام

فتوح البلدان، ص: ۱۳۷

بالقسطنطينية و اجتمع المسلمون فرجعوا إليهم فاقتتلوا على اليرموك أشد قتالا و أبرحه و اليرموك نهر- و كان المسلمون يومئذ أربعة و عشرين ألفا و تسلسلت الروم و أتباعهم يومئذ لئلا يطعموا أنفسهم فى الهرب، فقتل اللّه منهم زهاء سبعين ألفا و هرب فلهم فلحقوا بفلسطين و أنطاكية و حلب و الجزيرة و أرمينية. و قاتل يوم اليرموك نساء من نساء المسلمين قتالا شديدا، و جعلت هند بنت عتبة أم معاوية بن أبى سفيان تقول: عضدوا الغلفان بسيوفكم.

و كان زوجها أبو سفيان خرج إلى الشام تطوعا و أحب مع ذلك أن يرى ولده و حملها معه، ثم أنه قدم المدينة فمات بها سنة إحدى و ثلاثين و هو ابن ثمان و ثمانين سنة، و يقال: إنه مات بالشام فلما أتى أم حبيبة بنته نعيه دعت فى اليوم الثالث بصفرة فمسحت بها ذراعيها و عارضتها، و قالت: لقد كنت عن هذا غنية لو لا

أنى سمعت النبى صلى اللّه عليه و سلم يقول «لاتحد امرأة على ميت سوى زوجها أكثر من ثلاث»

و يقال: إنها فعلت هذا الفعل حين أتاها نعى أخيها يزيد و اللّه أعلم.

و كان أبو سفيان بن حرب أحد العوران ذهبت عينه يوم الطائف، قالوا: و ذهبت يوم اليرموك عين الأشعث بن قيس، و عين هاشم بن عتبة ابن أبى وقاص الزهرى، و هو المرقال: و عين قيس بن مكشوح. و استشهد عامر بن أبى وقاص الزهرى، و هو الذى كان قدم الشام بكتاب عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة بولايته الشام، و يقال: بل مات فى الطاعون، و قال بعض الرواة استشهد يوم أجنادين و ليس ذلك بثبت.

قال: و عقد أبو عبيدة لحبيب بن مسلمة الفهرى على خيل الطلب فجعل يقتل من أدرك، و انحاز جبلة بن الأيهم إلى الأنصار فقال: أنتم إخوتنا

فتوح البلدان، ص: ۱۳۸

و بنو أبينا و أظهر الإسلام، فلما قدم عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه الشام سنة سبع عشرة لاحى جلة رجلا من مزينة فلطم عينه فأمره عمر بالاقتصاص منه، فقال: أو عينه مثل عينى و اللّه لا أقيم ببلد على به سلطان، فدخل بلاد الروم مرتدا، و كان جبلة ملك غسان بعد الحارث بن أبى شمر، و روى أيضا أن جبلة أتى عمر بن الخطاب و هو على نصرانيته فعرض عمر عليه الإسلام و أداء الصدقة فأبى ذلك و قال: أقيم على دينى و أؤدى الصدقة.

فقال عمر: إن أقمت على دينك فأد الجزية فانف منها، فقال عمر:

ما عندنا لك إلا واحدة من ثلاث، أما الإسلام، و أما أداء الجزية، و أما الذهاب إلى حيث شئت: فدخل بلاد الروم فى ثلاثين ألفا، فلما بلغ ذلك عمر ندم و عاتبه عبادة بن الصامت فقال لو قبلت منه الصدقة ثم تألفته لأسلم، و أن عمر رضى اللّه عنه وجه فى سنة إحدى و عشرين عمير بن سعد الأنصارى إلى بلاد الروم فى جيش عظيم و ولاه الصائفة- و هى أول صائفة كانت- و أمره أن يتلطف

لجبلة بن الأيهم و يستعطفه بالقرابة بينهما و يدعوه إلى الرجوع إلى بلاد الإسلام على أن يؤدى ما كان بذل من الصدقة و يقيم على دينه، فسار عمير حتى دخل بلاد الروم و عرض على جبلة ما أمره عمر بعرضه عليه فأبى إلا المقام فى بلاد الروم، و انتهى عمير إلى موضع يعرف بالحمار، و هو واد فأوقع بأهله، و أخربه فقيل أخرب من جوف حمار.

قالوا: و لما بلغ هرقل خبر أهل اليرموك و إيقاع المسلمين بجنده هرب من انطاكية إلى قسطنطينية، فلما جاوز الدرب قال: عليك يا سورية السلام و نعم البلد هذا للعدو يعنى أرض الشام لكثرة مراعيها. و كانت وقعة اليرموك فى رجب سنة خمس عشرة. قال هشام بن الكلبى: شهد اليرموك حباس بن قيس القشيرى فقتل من العلوج خلقا و قطعت رجله و هو لا يشعر، ثم جعل ينشدها

فتوح البلدان، ص: ۱۳۹

فقال سوار بن أوفى:

و منا ابن عتاب و ناشد رجلهو منا الذى أدى إلى الحى حاجبا

يعنى ذا الرقيبة. و حدثنى أبو حفص الدمشقى قال: حدثنا سعيد بن عبد العزيز، قال: بلغنى أنه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع و بلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج و قالوا: قد شغلنا عن نصرتكم و الدفع عنكم فأنتم على أمركم، فقال أهل حمص: لولايتكم و عدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم و الغشم و لندفعن جند هرقل عن المدينة مع عملكم و نهض اليهود فقالوا. و التوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نغلب و نجهد، فأغلقوا الأبواب و حرسوها و كذلك فعل أهل المدن التى صولحت من النصارى و اليهود، و قالوا: إن ظهر الروم و أتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه و إلا فإنا على أمرنا ما بقى للمسلمين عدد، فلما هزم اللّه الكفرة و أظهر المسلمين فتحوا مدنهم و أخرجوا المقلسين فلعبوا و أدوا الخراج، و سار أبو عبيدة إلى جند قنسرين و أنطاكية ففتحها.

و حدثنى العباس بن هشام الكلبى عن أبيه عن جده، قال. أبلى السمط ابن الأسود الكندى بالشام و بحمص خاصة و فى يوم اليرموك و هو الذى قسم منازل حمص بين أهلها، و كان ابنه شرحبيل بن السمط بالكوفة مقاوما للأشعث بن قيس الكندى فى الرياسة فوفد السمط إلى عمر، فقال له: يا أمير المؤمنين إنك لا تفرق بين السبى، و قد فرقت بينى و بين ولدى فحوله إلى الشام أو حولنى إلى الكوفة فقال: بل أحوله إلى الشام فنزل حمص مع أبيه

.

فتوح البلدان، ص: ۱۴۰

أمر فلسطين

حدثنى أبو حفص الدمشقى، عن سعيد بن عبد العزيز عن أشياخه، و عن بقية بن الوليد عن مشايخ من أهل العلم، قالوا: كانت أول وقعة واقعها المسلمون الروم فى خلافة أبى بكر الصديق رضى اللّه عنه أرض فلسطين، و على الناس عمرو بن العاصى، ثم أن عمروا بن العاصى فتح غزة فى خلافه أبى بكر رضى اللّه عنه، ثم فتح بعد ذلك سبسطية و نابلس على أن أعطاهم الأمان على أنفسهم و أموالهم و منازلهم و على أن الجزية على رقابهم و الخراج على أرضهم، ثم فتح مدينة لد و ارضها ثم فتح يبنى و عمواس و بيت جبرين و اتخذ بها ضيعة تدعى عجلان باسم مولى له، و فتح يافا و يقال.

فتحها معاوية، و فتح عمرو رفح على مثل ذلك. و قدم عليه أبو عبيدة بعد ان فتح قنسرين و نواحيها و ذلك فى سنة ست عشرة و هو محاصر إيلياء، و إيلياء مدينة بيت المقدس، فيقال: إنه وجهه إلى انطاكية من إيلياء و قد غدر أهلها ففتحها، ثم عاد فأقام يومين أو ثلاثة ثم طلب أهل إيلياء من أبى عبيدة الأمان و الصلح على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام من أداء الجزية و الخراج و الدخول فيما دخل فيه نظراؤهم على ان يكون المتولى للعقد لهم عمر بن الخطاب نفسه، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك فقدم عمر فنزل

الجابیة من دمشق ثم صار إلی إیلیاء فأنفذ صلح أهلها و کتب لهم به، و کان فتح إیلیاء فی سنة سبع عشرة.
و قد روی فی فتح إیلیا وجه آخر. حدثنی القاسم بن سلام، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح عن اللیث بن سعد عن یزید بن ابی حبیب ان عمر بن الخطاب بعث خالد بن ثابت الفهمی إلی بیت المقدس فی جیش و هو یومئذ بالجابیة فقاتلهم فأعطوه علی ما أحاط به حصنهم شیئا یؤدونه و یکون للمسلمین

فتوح البلدان، ص: ۱۴۱

ما کان خارجا فقدم عمر فأجاز ذلک ثم رجع إلی المدینة. و حدثنی هشام بن عمار، عن الولید عن الأوزاعی: أن أبا عبیدة فتح قنسرین و کورها سنة ست عشرة ثم أتی فلسطین فنزل إیلیا فسألوه أن یصالحهم فصالحهم فی سنة سبع عشرة علی أن یقدم عمر رحمه اللّه فینفذ ذلک و یکتب لهم به.
حدثنی هشام بن عمار، قال: حدثنی الولید بن مسلم عن تمیم بن عطیة عن عبد اللّه بن قیس، قال: کنت فیمن یلقی عمر مع أبی عبیدة مقدمه الشام فبینما عمر یسیر إذ لقیه المقلسون من أهل أذرعات بالسیوف و الریحان، فقال عمر: مه امنعوهم فقال أبو عبید: یا أمیر المؤمنین هذه سنتهم- أو کلمة نحوها- و إنک إن منعتهم منها یروا أن فی نفسک نقضا لعهدهم فقال دعوهم.
قال: فکان طاعون عمواس سنة ثمان عشرة فتوفی فیه خلق من المسلمین منهم أبو عبیدة بن الجراح مات و له ثمان و خمسین سنة، و هو أمیر و معاذ ابن جبل أحد بنی سلمة من الخزرج، و یکنی أبا عبد الرحمن توفی بناحیة الأقحوانة من الأردن و له ثمان و ثلاثین سنة، و کان أبو عبیدة لما احتضر استخلفه، و یقال استخلف عیاض بن غنم الفهری، و یقال: بل استخلف عمرو بن العاصی فاستخلف عمرو ابنه و مضی إلی مصر و الفضل بن العباس ابن عبد المطلب و یکنی أبا محمد، و قوم یقولون أنه استشهد باجنادین و الثبت أنه توفی فی طاعون عمواس، و شرحبیل بن حسنة و یکنی أبا عبد اللّه مات و هو ابن تسع و ستین سنة، و سهیل بن عمرو أحد بنی عامر بن لؤی و یکنی أبا یزید، و الحارث بن هشام بن المغیرة المخزومی، و قیل: أنه استشهد یوم اجنادین.
قالوا: و لما أتت عمر بن الخطاب وفاة أبی عبیدة کتب إلی یزید بن أبی سفیان بولایة الشام مکانه و أمره أن یغزو قیساریة. و قال قوم: إن عمر إنما ولی یزید الأردن و فلسطین، و أنه ولی دمشق أبا الدرداء، و ولی حمص عبادة

فتوح البلدان، ص: ۱۴۲

ابن الصامت و حدثنی محمد بن سعد، قال: حدثنی الواقدی، قال: اختلف علینا فی أمر قیساریة فقال قائلون: فتحها معاویة، و قال آخرون: بل فتحها عیاض بن غنم بعد وفاة أبی عبیدة و هو خلیفته، و قال قائلون: بل فتحها عمرو بن العاصی. و قال قائلون: خرج عمرو بن العاصی إلی مصر و خلف ابنه عبد اللّه فکان الثبت من ذلک، و الذی اجتمع علیه العلماء: أن أول الناس الذی حاصرها عمرو بن العاصی نزل علیها فی جمادی الأولی سنة ثلاث عشرة فکان یقیم علیها ما أقام، فإذا کان للمسلمین اجتماع فی أمر عدوهم سار إلیهم فشهد أجنادین و فحل و المرج و دمشق و الیرموک ثم رجع إلی فلسطین فحاصرها بعد إیلیاء ثم خرج إلی مصر من قیساریة، و ولی یزید ابن أبی سفیان بعد أبی عبیدة فوکل أخاه معاویة بمحاصرتها و توجه إلی دمشق مطعونا فمات بها.
و قال غیر الواقدی: ولی عمر یزید بن أبی سفیان فلسطین مع ما ولاه من أجناد الشام و کتب إلیه یأمره بغزو قیساریة، و قد کانت حوصرت قبل ذلک فنهض إلیها فی سبعة عشر ألفا فقاتله أهلها ثم حصرهم و مرض فی آخر سنة ثمانی عشرة فمضی إلی دمشق و استخلف علی قیساریة أخاه معاویة ابن سفیان ففتحها و کتب إلیه بفتحها فکتب به یزید إلی عمر. و لما توفی یزید بن أبی سفیان کتب عمر إلی معاویة بتولیته ما کان یتولاه فشکر أبو سفیان ذلک له و قال: وصلتک یا أمیر المؤمنین رحم.
و حدثنی هشام بن عمار، قال: حدثنی الولید بن مسلم عن تمیم بن عطیة قال: ولی عمر معاویة بن أبی سفیان الشام بعد یزید، و ولی معه رجلین من أصحاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم الصلاة و القضاء: فولی أبا الدرداء قضاء دمشق و الأردن و صلاتهما. و ولی عبادة قضاء حمص و قنسرین و صلاتهما

فتوح البلدان، ص: ۱۴۳

و حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی فی اسناده قال: لما ولی عمر بن الخطاب معاوية الشام حاصر قيسارية حتى فتحها، و قد كانت حوصرت نحوا من سبع سنين و كان فتحها فی شوال سنة تسع عشرة. و حدثنی محمد بن سعد عن محمد ابن عمر عن عبد اللّه بن عامر فی اسناده قال: حاصر معاوية قيسارية حتى يئس من فتحها، و كان عمرو بن العاصی و ابنه حاصراها ففتحها معاوية قسرا فوجد بها من المرتزقة سبعمائة ألف، و من السامرة ثلاثين ألفا، و من اليهود مائتی ألف، و وجد بها ثلاثمائة سوق قائمة كلها، و كان يحرسها فی كل ليلة على سورها مائة ألف.

و كان سبب فتحها إن يهوديا يقال له يوسف أتى المسلمين ليلا فدلهم على طريق فی سرب فيه الماء إلى حقو الرجل على أن أمنوه و أهله و أنفذ معاوية ذلك و دخلها المسلمون فی الليل و كبروا فيها فأراد الروم أن يهربوا من السرب فوجدوا المسلمين عليه، و فتح المسلمون الباب فدخل معاوية و من معه و كان بها خلق من العرب، و كانت فيهم شقراء التی يقول فيها حسان بن ثابت:

تقول شقراء لو صحوت عن الخمرلأصبحت مثری العدد

و يقال: أن اسمها شعثاء. و حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی فی اسناده أن سبی قيسارية بلغوا أربعة آلاف رأس، فلما بعث به معاوية إلى عمر بن الخطاب أمر بهم فأنزلوا الجرف ثم قسمهم على يتامى الأنصار و جعل بعضهم فی الكتاب و الأعمال للمسلمين، و كان أبو بكر الصديق رضی اللّه عنه أخدم بنات أبی أمامة أسعد بن زرارة خادمين من سبی عين التمر فماتا فأعطاهن عمر مكانهما من سبی قيسارية.

قالوا: و وجه معاوية بالفتح مع رجلين من جذام ثم خاف ضعفهما

فتوح البلدان، ص: ۱۴۴

عن المسير فوجه رجلا من خثعم، فكان الخثعمی يجهد نفسه فی السير و السرى و هو يقول:

أرق عينی أخو جذامأخی جشم و أخو حرام

كيف أنام و هما أمامیإذ يرحلان و الهجير طام

فسبقهما و دخل على عمر فكبر عمر. و حدثنی هشام بن عمار فی إسناد له لم أحفظه أن قيسارية فتحت قسرا فی سنة تسع عشرة فلما بلغ عمر فتحها نادى أن قيسارية فتحت قسرا و كبر و كبر المسلمون، و كانت حوصرت سبع سنين و فتحها معاوية.

قالوا: و كان موت يزيد بن أبی سفيان فی آخر سنة ثمان عشرة بدمشق فمن قال: أن معاوية فتح قيسارية فی حياة أخيه قال: إنما فتحت فی آخر سنة ثمان عشرة و من قال: أنه فتحها فی ولايته الشام قال. فتحت فی سنة تسع عشرة و ذلك الثبت. و قال بعض الرواة أنها فتحت فی أول سنة عشرين.

قالوا. و كتب عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه إلى معاوية يأمره بتتبع ما بقی من فلسطين ففتح عسقلان صلحا بعد كيد. و يقال. إن عمر بن العاصی كان فتحها ثم نقض أهلها و أمدهم الروم ففتحها معاوية و أسكنها الروابط وكل بها الحفظة.

و حدثنی بكر بن الهيثم قال: سمعت محمد بن يوسف الفريابی يحدث عن مشايخ من أهل عسقلان أن الروم أخربت عسقلان و أجلت أهلها عنها فی أيام من الزبير، فلما ولی عبد الملك بن مروان بناها و حصنها ورم أيضا قيسارية. و حدثنی محمد بن مصفی، قال حدثنی أبو سليمان الرملی عن أبيه أن الروم خرجت فی أيام ابن الزبير إلى قيسارية فشعثتها و هدمت مسجدها، فلما استقام لعبد الملك بن مروان الأمر رم قيسارية و أعاد مسجدها و أشحنها

فتوح البلدان، ص: ۱۴۵

بالرجال و بنی صور و عكا الخارجة، و كانت سبيلهما مثل سبيل قيسارية.

و حدثنی جماعة من أهل العلم بأمر الشام، قالوا: ولی الوليد بن عبد الملك سليمان بن عبد الملك جند فلسطين فنزل لد، ثم أحدث

مدينة الرملة و مصرها و كان أول ما بنى منها قصره و الدار التى تعرف بدار الصباغين، و جعل فى الدار صهريجا متوسطا لهائم اختط للمسجد خطة و بناه، فولى الخلافة قبل استمامه ثم بنى فيه بعد فى خلافته، ثم أتمه عمر بن عبد العزيز و نقص من الخطة، و قال: أهل الرملة يكتفون بهذا المقدار الذى اقتصرت بهم عليه.

و لما بنى سليمان لنفسه أذن للناس فى البناء فبنوا، و احتفر لأهل الرملة قناتهم التى تدعى بردة و احتفر آبارا و ولى النفقة على بنائها بالرملة و مسجد الجماعة كاتبا له نصرانيا من أهل لد يقال له البطريق بن النكا، و لم تكن مدينة الرملة قبل سليمان، و كان موضعها رملة.

قالوا: و قد صارت دار الصباغين لورثة صالح بن على بن عبد اللّه بن العباس لأنها قبضت مع أموال بنى أمية قالوا: و كان بنو أمية ينفقون على آبار الرملة و قناتها بعد سليمان بن عبد الملك فلما استخلف بنو العباس أنفقوا عليها، و كان الأمر فى تلك النفقة يخرج فى كل سنة من خليفة بعد خليفة، فلما استخلف أمير المؤمنين أبو إسحاق المعتصم بالله اسجل بتلك النفقة سجلا فانقطع الاستئمار و صارت جارية يحتسب بها العمال فيحسب لهم قالوا:

و بفلسطين فروز بسجلات من الخلفاء مفردة من خراج العامة، و بها التخفيف و الردود، و ذاك إن ضباعا رفضت فى خلافة الرشيد و تركها أهلها فوجه أمير المؤمنين الرشيد هرثمة بن أعين لعمارتها، فدعا قوما من مزارعيها و أكرتها إلى الرجوع إليها على أن يخفف عنهم من خراجهم و لين معاملتهم فرجعوا، فأولئك

فتوح البلدان، ص: ۱۴۶

أصحاب التخافيف، و جاء قوم منهم بعد فردت عليهم أرضهم على مثل ما كانوا عليه فهم أصحاب الردود.

و حدثنى بكر بن الهيثم، قال: لقيت رجلا من العرب بعسقلان فأخبرنى أن جده ممن أسكنه إياها عبد الملك و أقطعه بها قطيعة مع من أقطع من المرابطة قال، و أرانى أرضا فقال: هذه من قطائع عثمان بن عفان. قال بكر: و سمعت محمد بن يوسف الفريابى يقول بعسقلان ههنا قطائع أقطعت بأمر عمر و عثمان لو دخل فيها رجل لم أجد بذلك بأسا.

أمر جند قنسرين و المدن التى تدعى العواصم

قالوا: سار أبو عبيدة بن الجراح بعد فراغه من أرض اليرموك إلى حمص فاستقراها، ثم أتى قنسرين و على مقدمته خالد بن الوليد فقاتله أهل مدينة قنسرين، ثم لجأوا إلى حصنهم و طلبوا الصلح فصالحهم أبو عبيدة على مثل صلح حمص و غلب المسلمون على أرضها و قراها، و كان حاضر قنسرين لتنوخ مذ أول ما تنخوا بالشام نزلوه و هم فى خيم الشعر، ثم ابتنوا به المنازل: فدعاهم أبو عبيدة إلى الإسلام فأسلم بعضهم و أقام على النصرانية بنو سليح بن حلوان ابن عمران ابن الحاف بن قضاعة، فحدثنى بعض ولد يزيد بن حنين الطائى الأنطاكى عن أشياخهم: ان جماعة من أهل ذلك الحاضر أسلموا فى خلافة أمير المؤمنين المهدى فكتب على أيديهم بالحضرة قنسرين، ثم سار أبو عبيدة يريد حلب فبلغه أن أهل قنسرين قد نقضوا و غدروا فوجه إليهم السمط بن الأسود الكندى فحصرهم ثم فتحها.

حدثنى هشام بن عمار الدمشقى، قال: حدثنا يحيى بن حمزة عن أبى عبد العزيز عن عبادة بن نسى عن عبد الرحمن بن غنم، قال: رابطنا مدينة قنسرين مع

فتوح البلدان، ص: ۱۴۷

السمط- أو قال شرحبيل بن السمط- فلما فتحها أصاب فيها بقرا و غنما، فقسم فينا طائفة و جعل بقيتها فى المغنم، و كان حاضر طىء قديما نزلوه بعد حرب الفساد التى كانت بينهم حين نزلوا الجبلين من نزل منهم و تفرق باقوهم فى البلاد، فلما ورد أبو عبيده عليهم أسلم بعضهم و صالح كثير منهم على الجزية ثم أسلموا بعد ذلك بيسير إلا من شذ عن جماعتهم، و كان بقرب مدينة حلب حاضر

تدعى حاضر حلب يجمع أصنافا من العرب من تنوخ و غيرهم فصالحهم أبو عبيدة على الجزية، ثم أنهم أسلموا بعد ذلك فكانوا مقيمين و أعقابهم به إلى بعيد وفاة أمير المؤمنين الرشيد، ثم إن أهل ذلك الحاضر حاربوا أهل مدينة حلب و أرادوا إخراجهم عنها، فكتب الهاشميون من أهلها إلى جميع من حولهم من قبائل العرب يستنجدونهم فكان أسبقهم إلى انجادهم و إغاثتهم العباس ابن زفر بن عاصم الهلالى بالخؤولة، لأن أم عبد اللّه ابن العباس لبابة بنت الحارث بن حزن بن بحير بن الهزم هلالية، فلم يكن لأهل ذلك الحاضر به و بمعن معه طاقة فأجلوهم عن حاضرهم و أخربوه، و ذلك فى أيام فتنة محمد بن الرشيد، فانتقلوا إلى قنسرين فتلقاهم أهلها بالأطعمة و الكسى فلما دخلوها أرادوا التغلب عليها فأخرجوهم عنها فتفرقوا فى البلاد، فمنهم قوم بتكريت قد رأيتهم و منهم قوم بأرمينية و فى بلدان كثيرة متباينة.

و أخبرنى أمير المؤمنين المتوكل رحمه اللّه قال: سمعت شيخا من مشايخ بنى صالح بن على بن عبد اللّه بن عباس يحدث أمير المؤمنين المعتصم بالله رحمه اللّه سنة غزا عمورية، قال لما ورد العباس بن زفر الهلالى حلب لاغاثة الهاشمين ناداه نسوة منهم: يا خال نحن بالله ثم بك، فقال: لا خوف عليكم إن شاء اللّه خذلنى اللّه إن خذلتكم، قال: و كان حيار بنى القعقاع بلدا معروفا قبل الإسلام، و به كان مقيل المنذر بن ماء السماء اللخمى ملك الحيرة فنزله

فتوح البلدان، ص: ۱۴۸

بنو القعقاع بن خليد بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعه بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض أوطنوه لنسب إليهم.

و كان عبد الملك بن مروان أقطع القعقاع به قطيعة و أقطع عمه العباس ابن جزء بن الحارث قطائع أوغرها له إلى اليمن فأوغرت بعده، و كانت أو أكثرها موانا، و كانت ولادة بنت العباس بن جزء عند عبد الملك فولدت له الوليد و سليمان. قالوا و رحل أبو عبيدة إلى حلب و على مقدمته عياض ابن غنم الفهرى، و كان أبوه يسمى عبد غنم، فلما أسلم عياض كره أن يقال عبد غنم فقال: أنا عياض بن غنم فوجد أهلها قد تحصنوا فنزل عليها فلم يلبثوا أن طلبوا الصلح و الأمان على أنفسهم و أموالهم و سور مدينتهم و كنائسهم و منازلهم و الحصن الذى بها فأعطوا ذلك فاستثنى عليهم موضع المسجد، و كان الذى صالحهم عليه عياض فأنفذ أبو عبيدة صلحه، و زعم بعض الرواة أنهم صالحوا على حقن دمائهم و أن يقاسموا أنصاف منازلهم و كنائسهم، و قال بعضهم: أن أبا عبيدة لم يصادف بحلب أحدا و ذلك أن أهلها انتقلوا إلى انطاكية و أنهم إنما صالحوه عن مدينتهم و هم بأنطاكية راسلوه فى ذلك فلما تم صلحهم رجعوا إلى حلب، قالوا: و سار أبو عبيدة من حلب إلى انطاكية و قد تحصن بها خلق من أهل جند قنسرين فلما صار بمهروية و هى على قريب فرسخين من مدينة انطاكية لقيه جمع للعدو ففضهم و ألجأهم إلى المدينة و حاصر أهلها من جميع أبوابها، و كان معظم الجيش على باب فارس و الباب الذى يدعى باب البحر، ثم أنهم صالحوه على الجزية و الجلاء فجلا بعضهم و أقام بعضهم فأمنهم و وضع على كل حالم منهم دينارا و جريبا ثم نقضوا العهد فوجه إليهم أبو عبيدة عياض بن غنم و حبيب بن مسلمة ففتحاها على الصلح الأول، و يقال: بل نقضوا بعد رجوعه إلى فلسطين فوجه عمرو بن

فتوح البلدان، ص: ۱۴۹

العاصى من إيليا ففتحها ثم رجع فمكث يسيرا حتى طلب أهل إيليا الأمان و الصلح و اللّه أعلم.

و حدثنى محمد بن سهم الأنطاكى، عن أبى صالح الفراء قال، قال مخلد بن الحسين سمعت مشايخ الثغر يقولون: كانت انطاكية عظيمة الذكر و الأمر عند عمر و عثمان فلما فتحت: كتب عمر إلى أبى عبيدة أن رتب بأنطاكية جماعة من المسلمين أهل نيات و حسبة و أجعلهم بها مرابطة و لا تحبس عنهم العطاء، ثم لما ولى معاوية كتب إليه بمثل ذلك ثم أن عثمان كتب إليه يأمره أن يلزمها قوما و أن يقطع قطائع ففعل، قال ابن سهم: و كنت واقفا على جسر انطاكية على الأرنط فسمعت شيخا مسنا من أهل انطاكية و أنا يومئذ غلام يقول: هذه الأرض قطيعة من عثمان لقوم كانوا فى بعث أبى عبيدة أقطعهم إياها أيام ولاية عثمان معاوية الشام، قالوا: و

نقل معاوية ابن أبى سفيان إلى انطاكية فى سنة اثنتين و أربعين جماعة من الفرس و أهل بعلبك و حمص و من المصرين فكان منهم مسلم بن عبد اللّه جد عبد اللّه بن حبيب بن النعمان بن مسلم الأنطاكى و كان مسلم قتل على باب من أبواب انطاكية يعرف اليوم بباب مسلم، و ذلك أن الروم خرجت من الساحل فأناخت على انطاكية فكان مسلم على السور فرماه علج بحجر فقتله.

و حدثنى جماعة من مشايخ أهل انطاكية منهم ابن برد الفقيه. أن الوليد ابن عبد الملك أقطع جندا بأنطاكية أرض سلوقية عند الساحل و صير الفلثر و هو الجريب- بدينار و مدى قمح فعمروها، و جرى ذلك لهم و بنى حصن سلوقية، قالوا: و كانت أرض بغرلمس لمسلمة بن عبد الملك فوقفها فى سبيل البر، و كانت عين السلور و بحيرتها له ايضا، و كانت الاسكندرية له ثم صارت لرجاء مولى المهدى اقطاعا يورثه منصور و إبراهيم ابنا المهدى، ثم صارت لإبراهيم ابن سعيد الجوهرى، ثم لأحمد بن أبى داود الإيادى ابتياعا، ثم

فتوح البلدان، ص: ١٥٠

انتقل مليكها إلى أمير المؤمنين المتوكل على اللّه رحمه اللّه فحدثنى ابن برد الأنطاكى و غيره قالوا: أقطع مسلمة بن عبد الملك قوما من ربيعة قطائع فقبضت و صارت بعد للمأمون و جرى أمرها على يد صالح الخازن صاحب الدار بأنطاكية، قالوا: و بلغ أبا عبيدة أن جمعا للروم بين معرة مصرين و حلب فلقيهم و قتل عدة بطارقة و فض ذلك الجيش و سبى و غنم و فتح معرة مصرين على مثل صلح حلب و جالت خيوله فبلغت بوقا و فتحت قرى الجومة و سرمين و مرتحوان و تيزين و صالحوا أهل دير طايا و دير الفسيلة على أن يضيفوا من مر بهم من المسلمين، و أتاه نصارى خناصرة فصالحهم و فتح أبو عبيدة جميع أرض قنسرين و انطاكية.

حدثنى العباس بن هشام عن أبيه، قال: خناصرة نسبت إلى خناصر بن عمرو بن الحارث الكلبى: ثم الكنانى، و كان صاحبها و بطنان حبيب نسب إلى حبيب بن مسلمة الفهرى، و ذلك أن أبا عبيدة أو عياض بن غنم وجهه من حلب ففتح حصنا بها فنسب إليه، قالوا: و سار أبو عبيدة يريد قورس و قدم أمامه عياضا فتلقاه راهب من رهبانها يسأل الصلح عن أهلها، فبعث به إلى أبى عبيدة و هو بين جبرين و تل أعزاز فصالحه ثم أتى قورس فعقد لأهلها عهدا و أعطاهم مثل الذى أعطى انطاكية و كتب للراهب كتابا فى قرية له تدعى شرقينا و بث خيله فغلب على جميع أرض قورس إلى آخر حد نقابلس، قالوا: و كانت قورس كالمسلحة لانطاكية يأتيها فى كل عام طالعة من جند انطاكية و مقاتلتها ثم حول إليها ربع من أرباع انطاكية و قطعت الطوالع عنها و يقال: أن سليمان بن ربيعة الباهلى كان فى جيش أبى عبيدة مع أبى أمامة الصدى بن عجلان صاحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فنزل حصنا بقورس فنسب إليه و هو يعرف بحصن سلمان، ثم قفل من الشام فيمن أمد به سعد بن أبى وقاص و هو بالعراق، و قيل: سلمان بن ربيعة كان غزا

فتوح البلدان، ص: ١٥١

الروم بعد فتح العراق و قبل شخوصه إلى أرمينية فعسكر عند هذا الحصن و قد خرج من ناحية مرعش فنسب إليه، و سلمان و زياد من الصقالبة الذين رتبهم مروان بن محمد فى الثغور، و سمعت من يذحر أن سلمان هذا رجل من الصقالبة نسب إليه الحصن و اللّه أعلم.

قالوا: و أتى أبو عبيدة حلب الساجور و قدم عياضا إلى منبج ثم لحقه و قد صالح أهلها على مثل صلح أنطاكية فأنفذ أبو عبيدة ذلك و بعث عياض ابن غنم إلى ناحية دلوك و رعبان فصالحه أهلها على مثل صلح منبج و اشترط عليهم أن يبحثوا عن أخبار الروم و يكاتبوا بها المسلمين و ولى أبو عبيدة كل كورة فتحها عاملا و ضم إليه جماعة من المسلمين و شحن النواحى المخوفة، قالوا: ثم سار أبو عبيدة حتى نزل عراجين و قدم مقدمته إلى بالس، و بعث جيشا عليه حبيب بن مسلمة إلى قاصرين و كانت بالس و قاصرين لأخوين من أشراف الروم أقطعا القرى التى بالقرب منهما و جعلا حافظين لما بينهما من مدن الروم بالشام، فلما نزل المسلمون بها صالحهم أهلها على الجزية و الجلاء فجلا أكثرهم إلى بلاد الروم و أرض الجزيرة و قرية جسر منبح، و لم يكن الجسر يومئذ إنما اتخذ فى خلافة عثمان بن عفان رضى اللّه عنه للصوائف، و يقال: بل كان له رسم قديم قالوا: و رتب أبو عبيدة ببالس جماعة من المقاتلة و أسكنها قوما من العرب الذين كانوا بالشام فأسلموا بعد قدوم المسلمين الشام و قوما لم يكونوا من البعوث نزعوا من البوادى من قيس

و أسكن قاصرين قوما ثم رفضوها أو أعقابهم و بلغ أبو عبيدة الفرات ثم رجع إلى فلسطين و كانت بالس و القرى المنسوبة إليها فى حدها الأعلى و الأوسط و الأسفل اعذاء عشرية.

فلما كان مسلمة بن عبد الملك بن مروان: توجه غازيا للووم من نحو الثغور الجزرية عسكر ببالس فأتاه أهلها و أهله بوبلس و قاصرين و عابدين

فتوح البلدان، ص: ۱۵۲

و صفين، و هى قرى منسوبة إليها فأتاه أهل الحد الأعلى فسألوه جميعا أن يحفر لهم نهرا من الفرات يسقى أرضهم على أن يجعلوا له الثلث من غلاتهم بعد عشر السلطان الذى كان يأخذه ففعل فحفر النهر المعروف بنهر مسلمة و وفوا له بالشرط و رم سور المدينة و أحكمه.

و يقال: بل كان ابتداء الغرض من مسلمة و أنه دعاهم إلى هذه المعاملة فلما مات مسلمة صارت بالس و قراها لورثته فلم تزل فى أيديهم إلى أن جاءت الدولة المباركة و قبض عبد اللّه بن على أموال بنى أمية فدخلت فيها فأقطعها أمير المؤمنين أبو العباس سليمان بن على بن عبد اللّه بن العباس فصارت لابنه محمد بن سليمان، و كان جعفر بن سليمان أخوه يسعى به إلى أمير المؤمنين الرشيد رحمه اللّه و يكتب إليه فيعلمه أنه لا مال له و لا ضيعة إلا و قد اجتاز أضعاف قيمته و أنفقه فيما يرشح له نفسه و على من اتخذ من الخول و أن أمواله حل طلق لأمير المؤمنين، و كان الرشيد يأمر بالاحتفاظ بكتبه، فلما توفى محمد بن سليمان أخرجت كتبه إلى جعفر و احتج عليه بها و لم يكن لمحمد أخ لأبيه و أمه غيره فأقر بها و صارت أمواله للرشيد فأقطع بالس و قراها المأمون رحمه اللّه فصارت لولده من بعده.

حدثنى هشام بن عمار، قال: حدثنا يحيى بن حمزة عن تميم بن عطية عن عبد اللّه بن قيس الهمدانى، قال: قدم عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه الجابية فأراد قسمة الأرض بين المسلمين لأنها فتحت عنوة، فقال معاذ بن جبل:

و اللّه لأن قسمتها ليكونن ما نكره و يصير الشيء الكثير فى أيدى القوم ثم يبيدون فيبقى ذلك لواحد ثم يأتى من بعدهم قوم يسدون الإسلام مسدا فلا يجدون شيئا فانظر أمرا يسع أولهم و آخرهم فصار إلى قول معاذ.

حدثنى الحسين بن على بن الأسود العجلى، عن يحيى بن آدم عن مشايخ

فتوح البلدان، ص: ۱۵۳

من الجزريين عن سليمان بن عطاء عن سلمة الجهنى عن عمه أن صاحب بصرى ذكر أنه كان صالح المسلمين على طعام و زيت و خل فسأل عمر أن يكتب له بذلك و كذبه أبو عبيدة، و قال إنما صالحناه على شيء يتبع به المسلمون لمشتاهم ففرض عليهم الجزية على الطبقات و الخراج على الأرض.

و حدثنى الحسين قال: حدثنا محمد بن الأحدب، قال: أخبرنا عبد اللّه ابن عمر عن نافع عن أسلم مولى عمر أن عمر كتب إلى أمراء الجزية أن لا يضربوها إلا على من جرت عليه الموسى و جعلها على أهل الذهب أربعة دنانير و جعل عليهم لأرزاق المسلمين من الحنطة لكل رجل مدين و من الزيت ثلاثة أقساط بالشام و الجزيرة مع إضافة من نزل بهم ثلاثا. و حدثنى أبو حفص الشامى، عن محمد بن راشد عن مكحول، قال: كل عشرى بالشام فهو مما جلا عنه أهله فأقطعه المسلمون فأحيوه و كان مواتا لا حق فيه لأحد فأحيوه بإذن الولاة.

أمر قبرص

قالوا الواقدى و غيره: غزا معاوية بن أبى سفيان فى البحر غزوة قبرس الأولى، و لم يركب المسلمون بحر الروم قبلها و كان معاوية استأذن عمر فى غزو البحر فلم يأذن له، فلما ولى عثمان بن عفان كتب إليه يستأذنه فى غزوة قبرس و يعلمه قربها و سهولة الأمر فيها،

فكتب إليه أن قد شهدت مارد عليك عمر- رحمه اللّه- حين استأمرته فى غزو البحر. فلما دخلت سنة سبع و عشرين كتب إليه يهون عليه ركوب البحر إلى قبرس، فكتب إليه عثمان، فإن ركبت البحر و معك امرأتك فأركبه مأذونا لك و إلا فلا، فركب البحر من عكا و معه مراكب كثيرة و حمل امرأته فاختة بنت قرظة بن عبد

فتوح البلدان، ص: ۱۵۴

عمرو بن نوفل بن عبد مناف ابن قصى و حمل عبادة بن الصامت امرأته أم حرام بنت ملحان الأنصارية و ذلك فى سنة ثمان و عشرين بعد انحسار الشتاء و يقال فى سنة تسع و عشرين فلما صار المسلمون إلى قبرس فأرقوا إلى ساحلها- و هى جزيرة فى البحر يكون فيما يقال ثمانين فرسخا فى مثلها- بعث إليهم أركونها يطلب الصلح و قد أذعن أهلها به فصالحهم على سبعة آلاف و مائتى دينار يؤدونها فى كل عام، و صالحهم الروم على مثل ذلك فهم يؤدون خراجين و اشترطوا أن لا يمنعهم المسلمون أداء الصلح إلى الروم و اشترط عليهم المسلمون أن لا يقاتلوا عنهم من أرادهم من ورائهم و أن يؤذنوا المسلمين بسير عدوهم من الروم، فكان المسلمون إذا ركبوا البحر لم يعرضوا لهم و لم ينصرهم أهل قبرس و لم ينصروا عليهم.

فلما كان سنة اثنتين و ثلاثين أعانوا الروم على الغزاة فى البحر بمراكب أعطوهم إياها فغزاهم معاوية سنة ثلاث و ثلاثين فى خمسمائة مركب ففتح قبرس عنوة فقتل و سبى، ثم أقرهم على صلحهم و بعث إليها باثنى عشر ألفا كلهم أهل ديوان فبنوا بها المساجد، و نقل إليها جماعة من بعلبك و بنى بها مدينة و أقاموا يعطون الأعطية إلى أن توفى معاوية و ولى بعده ابنه يزيد فاقفل ذلك البعث و أمر بهدم المدينة و بعض الرواة يزعم أن غزوة معاوية الثانية قبرس فى سنة خمس و ثلاثين.

و حدثنى محمد بن مصفى الحمصى عن الوليد، قال: بلغنا أن يزيد بن معاوية رشا مالا عظيما ذا قدر حتى أقفل جند قبرس، فلما قفلوا هدم أهل قبرس مدينتهم و مساجدهم. و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن عبد السلام بن موسى عن أبيه، قال: لما غزيت قبرس الغزوة الأولى ركبت أم حرام بنت ملحان مع زوجها عبادة بن الصامت فلما انتهوا إلى قبرس خرجت من المركب و قدمت إليها دابة لتركبها فعثرت بها فقتلتها فقبرها بقبرس يدعى قبر المرأة

فتوح البلدان، ص: ۱۵۵

الصالحة، قالوا: و غزا مع معاوية، أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصارى و أبو الدرداء، و أبو ذر الغفارى، و عبادة بن الصامت، و فضالة بن عبيد الأنصارى و عمير بن سعد بن عبيد الأنصارى، و واثلة بن الأسقع الكنانى و عبد اللّه بن بشر المازنى، و شداد بن أوس بن ثابت، و هو ابن أخى حسان ابن ثابت، و المقداد، و كعب الحبر بن ماتع، و جبير بن نفير الحضرمى.

و حدثنى هشام بن عمار الدمشقى، قال: حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان ابن عمرو: أن معاوية بن أبى سفيان غزا قبرس بنفسه و معه امرأته ففتحها اللّه فتحا عظيما و غنم المسلمين غنما حسنا، ثم لم يزل المسلمون يغزونهم حتى صالحهم معاوية فى أيامه صلحا دائما على سبعة آلاف دينار و على النصيحة للمسلمين و إنذارهم عدوهم من الروم هذا أو نحوه. قالوا: و كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك أجلى منهم خلقا إلى الشام لأمر اتهمهم به فأنكر الناس ذلك فزدهم يزيد بن الوليد بن عبد الملك إلى بلدهم و كان حميد معيوف الهمدانى غزاهم فى خلافة الرشيد لحدث أحدثوه فأسر منهم بشرا، ثم أنهم استقاموا للمسلمين فأمر الرشيد برد من أسر منهم فردوا.

حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى فى اسناده، قال: لم يزل أهل قبرس على صلح معاوية حتى ولى عبد الملك بن مروان فزاد عليهم ألف دينار فجرى ذلك إلى خلافة عمر بن عبد العزيز فحطها عنهم، ثم لما ولى هشام بن عبد الملك ردها فجرى ذلك إلى خلافة أبى جعفر المنصور، فقال: نحن أحق من أنصفهم و لم نتكثر بظلمهم فردهم إلى صلح معاوية.

و حدثنى بعض أهل العلم من الشاميين و أبو عبيد القاسم بن سلام، قالوا:

أحدث أهل قبرس حدثا فى ولاية عبد الملك بن صالح بن على بن عبد اللّه ابن عباس الثغور فأراد نقض صلحهم و الفقهاء متوافرون:

فكتب إلى الليث

فتوح البلدان، ص: ۱۵۶

ابن سعد، و مالك بن أنس، و سفيان بن عيينة، و موسى بن أعين، و إسماعيل بن عياش، و يحيى بن حمزة، و أبى إسحاق الفزارى، و مخلد بن الحسين فى أمرهم فأجابوه، و كان فيما كتب به الليث بن سعد: أن أهل قبرس قوم لم نزل نتهمهم بغش أهل الإسلام و مناصحة أعداء اللّه الروم، و قد قال اللّه تعالى «وَ إِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ» و لم يقل لا تنبذ إليهم حتى تستيقن خيانتهم، و إنى أرى أن تنبذ إليهم و ينظروا سنة يأتمرون، فمن أحب منهم اللحاق ببلاد المسلمين على أن يكون ذمة يؤدى الخراج قبلت ذلك منه، و من أراد أن ينتحى إلى بلاد الروم فعل، و من أراد المقام بقبرس على الحرب أقام فكانوا عدوا يقاتلون و يغزون، فإن فى إنظار سنة قطعا لحجتهم و وفاء بعهدهم.

و كان فيما كتب به مالك بن أنس: أن أمان أهل قبرس كان قديما متظاهرا من الولاة لهم، و ذلك لأنهم رأوا أن إقرارهم على حالهم ذل و صغار لهم و قوة للمسلمين عليهم بما يأخذون من جزيتهم و يصيبون به من الفرصة فى عدوهم، و لم أجد أحدا من الولاة نقض صلحهم و لا أخرجناهم عن بلدهم، و أنا أرى: أن لا تعجل بنقض عهدهم و منابذتهم حتى تتجه الحجة عليهم، فإن اللّه يقول «فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلى مُدَّتِهِمْ» فإن هم لم يستقيموا بعد ذلك و يدعوا غشهم و رأيت أن العذر ثابت منهم أوقعت بهم، فكان ذلك بعد الأعذار فرزقت النصر، و كان بهم الذل و الخزى إن شاء اللّه تعالى.

و كتب سفيان بن عيينة: أنا لا نعلم النبى صلى اللّه عليه و سلم عاهد قوما فنقضوا العهد إلا استحل قتلهم غير أهل مكة فإنه من عليهم و كان نقضهم أنهم نصروا حلفاءهم على حلفاء رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من خزاعة، و كان فيما أخذ على أهل نجران أن لا يأكلوا الربا فحكم فيهم عمر- رحمه اللّه- حين أكلوه باجلائهم فإجماع القوم أنه من نقض عهدا فلا ذمة له.

فتوح البلدان، ص: ۱۵۷

و كتب موسى بن أعين: قد كان يكون مثل هذا فيما خلا فيعمل الولاة فيه النظر، و لم أر أحدا ممن مضى نقض عهد أهل قبرس و لا غيرها و لعل عامتهم و جماعتهم لم يمالئوا على ما كان من خاصتهم، و أنا أرى الوفاء لهم و التمام على شرطهم و إن كان منهم الذى كان، و قد سمعت الأوزاعى يقول فى قوم صالحوا المسلمين ثم أخبروا المشركين بعورتهم و دلوهم عليها: إنهم إن كانوا ذمة فقد نقضوا عهدهم و خرجوا من ذمتهم، فإن شاء الوالى قتل و صلب، و إن كانوا صلحا لم يدخلوا فى ذمة المسلمين نبذ إليهم الوالى على سواء (أَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخائِنِينَ).

و كتب إسماعيل بن عياش: أهل قبرس أذلاء مقهورون يغلبهم الروم على أنفسهم و نسائهم فقد يحق علينا أن نمنعهم و نحميهم.

و قد كتب حبيب بن مسلمة لأهل تفليس فى عهده أنه إن عرض للمسلمين شغل عنكم و قهركم عدوكم فإن ذلك غير ناقض عهدكم بعد أن تفوا للمسلمين و أنا أرى أن يقروا على عهدهم و ذمتهم، فإن الوليد بن يزيد قد كان أجلاهم إلى الشام فاستقطع ذلك المسلمون و استعظمه الفقهاء، فلما ولى يزيد بن الوليد بن عبد الملك ردهم إلى قبرس فاستحسن المسلمون ذلك من فعله و رأوه عدلا.

و كتب يحيى بن حمزة: إن أمر قبرس كأمر عربسوس فإن فيها قدوة حسنة و سنة متبعة و كان من أمرها أن عمير بن سعد قال لعمر بن الخطاب و قدم عليه: إن بيننا و بين الروم مدينة يقال لها عربسوس، و أنهم يخبرون عدونا بعوراتنا و لا يظهرونا على عورات عدونا، فقال عمر: فإذا قدمت فخيرهم أن تعطيهم مكان كل شاة شاتين، و مكان كل بقرة بقرتين، و مكان كل شىء شيئين فإذا رضوا بذلك فأعطهم إياه و أجلهم و أخربها فإن أبوا فانبذ إليهم و أجلهم سنة ثم أخربها، فانتهى عمير إلى ذلك فأبوا فأجلهم سنة ثم أخربها، و كان لهم

فتوح البلدان، ص: ۱۵۸

عهد كعهد أهل قبرس و ترك أهل قبرس على صلحهم و الاستعانة بما يؤدون على أمور المسلمين أفضل، و كل أهل عهد لا يقاتل المسلمون من ورائهم و يجرون عليهم أحكامهم في دارهم فليسوا بذمة و لكنهم أهل فدية يكف عنهم ما كفوا و يوفى لهم بعهدهم ما وفوا و رضوا و يقبل عفوهم ما أدوا.

و قد روى عن معاذ بن جبل: أنه كره أن يصالح أحد من العدو على شيء معلوم إلا أن يكون المسلمون مضطرين إلى صلحهم لأنه لا يدرى لعل صلحهم نفع و عز للمسلمين.

و كتب أبو إسحاق الفزارى، و مخلد بن الحسين: إنا لم نر شيئا أشبه بأمر قبرس من أمر عربسوس و ما حكم به فيها عمر بن الخطاب فانه عرض عليهم ضعف ما لهم على أن يخرجوا منها أو نظرة سنة بعد نبذ عهدهم إليهم فأبوا الأولى فأنظروا ثم أخربت، و قد كان الأوزاعي يحدث: أن قبرس فتحت فتركوا على حالهم و صولحوا على أربعة عشر ألف دينار، سبعة آلاف للمسلمين، و سبعة آلاف للروم على أن لا يكتموا الروم أمر المسلمين، و كان يقول: ما وفى لنا أهل قبرس قط و إنا لنرى أنهم أهل عهد و أن صلحهم وقع على شيء فيه شرط لهم و شرط عليهم و لا يستقيم نقضه الا بأمر يعرف فيه غدرهم و نكثهم.

أمر السامرة

حدثنى هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو: أن أبا عبيدة بن الجراح صالح السامرة بالأردن و فلسطين، و كانوا عيونا و أدلاء للمسلمين على جزية رؤوسهم و أطعمهم أرضهم فلما كان يزيد بن معاوية وضع الخراج على أرضهم.

فتوح البلدان، ص: ۱۵۹

و أخبرنى قوم من أهل المعرفة بأمر جندى الأردن و فلسطين: أن يزيد ابن معاوية وضع الخراج على أراضى السامرة بالأردن و جعل على رأس كل امرئ منهم دينارين و وضع الخراج أيضا على أرضهم بفلسطين و جعل على رأس كل امرئ منهم خمسة دنانير. و السامرة يهود و هم صنفان يقال لهم:

الدستان و صنف يقال لهم: الكوشان.

قالوا: و كان بفلسطين فى أول خلافة أمير المؤمنين الرشيد- رحمه اللّه- طاعون جارف ربما أتى على جميع أهل البيت فخربت أرضهم و تعطلت فوكل السلطان بها من عمرها و تألف الأكرة و المزارعين إليها فصارت ضياعا للخلافة و بها السامرة فلما كانت سنة ست و أربعين و مائتين رفع أهل قرية من تلك الضياع تدعى بيت ماما من كورة نابلس و هم سامرة يشكون ضعفهم و عجزهم عن أداء الخراج على خمسة دنانير فأمر المتوكل على اللّه بردهم الى ثلاثة دنانير ثلاثة دنانير.

حدثنى هشام بن عمار، قال: حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو و سعيد بن عبد العزيز: أن الروم صالحت معاوية على أن يؤدى إليهم مالا و ارتهن معاوية منهم رهناء فوضعهم ببعلبك، ثم أن الروم غدرت فلم يستحل معاوية و المسلمون قتل من فى أيديهم من رهنهم و خلوا سبيلهم، و قالوا: وفاء بغدر خير من غدر بغدر، قال هشام: و هو قول العلماء الأوزاعى و غيره.

أمر الجراجمة

حدثنى مشايخ من أهل انطاكية: ان الجراجمة من مدينة على جبل اللكام عند معدن الزاج فيما بين بياس و بوقا، يقال لها الجرجومة و أن أمرهم كان فى أيام استيلاء الروم على الشام و انطاكية إلى بطريق انطاكية

فتوح البلدان، ص: ۱۶۰

و واليها، فلما قدم أبو عبيدة انطاكية و فتحها لزموا مدينتهم و هموا باللحاق بالروم إذ خافوا على أنفسهم، فلم ينتبه المسلمون لهم و لم ينبههم عليهم، ثم أن أهل انطاكية نقضوا و غدروا فوجه إليهم أبو عبيدة من فتحها ثانية و ولاها بعد فتحها حبيب بن مسلمة الفهرى

فغزا الجرجومة فلم يقاتله أهلها و لكنهم بدروا بطلب الأمان و الصلح فصالحوه على أن يكونوا أعوانا للمسلمين، و عيونا و مسالح فى جبل اللكام و أن لا يؤخذوا بالجزية و ان ينفلوا أسلاب من يقتلون من عدو المسلمين إذا حضروا معهم حربا فى مغازيهم و دخل من كان فى مدينتهم من تاجر و أجير و تابع من الأنباط و غيرهم و أهل القرى فى هذا الصلح فسموا الرواديف لأنهم تلوهم و ليسوا منهم، و يقال: أنهم جاءوا إلى عسكر المسلمين و هم أرداف لهم فسموا رواديف فكان الجراجمة يستقيمون للولاة مرة و يعرجون أخرى فيكاتبون الروم و يمالئونهم، فلما كانت أيام ابن الزبير و موت مروان بن الحكم و طلب عبد الملك الخلافة بعده لتوليته إياه عهده و استعداده للشخوص إلى العراق لمحاربة المصعب ابن الزبير خرجت خيل للروم إلى جبل اللكام، و عليها قائد من قوادهم ثم صارت إلى لبنان و قد ضوت إليها جماعة كثيرة من الجراجمة و أنباط و عبيد أباق من عبيد المسلمين فاضطر عبد الملك إلى أن صالحهم على ألف دينار فى كل جمعة، و صالح طاغية الروم على مال يؤديه إليه لشغله عن محاربته و تخوفه أن يخرج إلى الشام فيغلب عليه، و اقتدى فى صلحه بمعاوية حين شغل بحرب أهل العراق فإنه صالحهم على أن يؤدى إليهم مالا و ارتهن منهم رهناء وضعهم ببعلبك و وافق ذلك أيضا طلب عمرو بن سعيد بن العاصى الخلافة و إغلاقه أبواب دمشق حين خرج عبد الملك عنها فازداد شغلا و ذلك فى سنة سبعين ثم أن عبد الملك وجه إلى الرومى سحيم بن المهاجر

فتوح البلدان، ص: ۱۶۱

فتلطف حتى دخل عليه متنكرا فأظهر الممالأة له و تقرب إليه بذم عبد الملك و شتمه و توهين أمره حتى أمنه و اغتر به ثم أنه انكفى عليه بقوم من موالى عبد الملك و جنده كان أعدهم لمواقعته و رتبهم بمكان عرفه فقتله و من كان معه من الروم و نادى فى سائر من ضوى إليه بالأمان فتفرق الجراجمة بقرى حمص و دمشق و رجع أكثرهم إلى مدينتهم باللكام و أتى الأنباط قراهم فرجع العبيد إلى مواليهم، و كان ميمون الجرجمانى عبدا روميا لبنى أم الحكم أخت معاوية بن أبى سفيان و هم ثقفيون، و إنما نسب إلى الجراجمة لاختلاطه بهم و خروجه بجبل لبنان معهم فبلغ عبد الملك عنه بأس و شجاعة فسأل مواليه أن يعتقوه ففعلوا و قوره على جماعة من الجند و صيره بأنطاكية فغزا مع مسلمة بن عبد الملك الطوانة و هو على ألف من أهل انطاكية فاستشهد بعد بلاء حسن و موقف مشهود فغم عبد الملك مصابه و أغزى الروم جيشا عظيما طلبا بثاره.

قالوا: و لما كانت سنة تسع و ثمانين اجتمع الجراجمة إلى مدينتهم و أتاهم قوم من الروم من قبل الاسكندرونة و روسس، فوجه الوليد بن عبد الملك إليهم مسلمة بن عبد الملك فأناخ عليهم فى خلق من الخلق فافتتحها على أن ينزلوا بحيث أحبوا من الشام و يجرى على كل امرئ منهم ثمانية دنانير و على عيالاتهم القوت من القمح و الزيت و هو مدان من قمح و قسطان من زيت، و على أن لا يكرهوا و لا أحد من أولادهم و نسائهم على ترك النصرانية، و على أن يلبسوا لباس المسلمين و لا يؤخذ منهم و لا من أولادهم و نسائهم جزية و على أن يغزوا مع المسلمين فينفلوا اسلاب من يقتلونه مبارزة و على أن يؤخذ من تجاراتهم و أموال موسريهم ما يؤخذ من أموال

فتوح البلدان، ص: ۱۶۲

المسلمين فأخرب مدينتهم و أنزلهم فأسكنهم جبل الحوار و سنح اللولون و عمق تيزين و صار بعضهم إلى حمص و نزل بطريق الجرجومة فى جماعة معه انطاكية ثم هرب الى بلاد الروم، و قد كان بعض العمال ألزم الجراجمة بأنطاكية جزية رؤسهم فرفعوا ذلك إلى الواثق بالله رحمه اللّه و هو خليفة فأمر بإسقاطها عنهم.

و حدثنى بعض من أثق به من الكتاب: أن المتوكل على اللّه رحمه اللّه أمر بأخذ الجزية من هؤلاء الجراجمة و أن يجرى عليهم الأرزاق إذ كانوا ممن يستعان به فى المسالح و غير ذلك، و زعم أبو الخطاب الأزدى: أن أهل الجرجومة كانوا يغيرون فى أيام عبد الملك على قرى انطاكية و العمق و إذا غزت الصوائف قطعوا على المتخلف و اللاحق و من قدروا عليه ممن فى أواخر العسكر و غالوا فى المسلمين فأمر عبد الملك ففرض لقوم من أهل انطاكية و انباطها و جعلوا مسالح و أردفت بهم عساكر الصوائف ليؤذنوا

الجراجمة عن أواخرها فسموا الرواديف، و أجرى على كل امرء منهم ثمانية دنانير:

و الخبر الأول أثبت.

و حدثنى أبو حفص الشامى عن محمد بن راشد عن مكحول، قال: نقل معاوية فى سنة تسع و أربعين أو سنة خمسين إلى السواحل قوما من زط البصرة و السباتجة و أنزل بعضهم انطاكية، قال أبو حفص فبانطاكية محلة تعرف بالزط و ببوقا من عمل انطاكية قوم من أولادهم يعرفون بالزط.

و قد كان الوليد بن عبد الملك نقل إلى انطاكية قوما من الزط السند ممن حمله محمد بن القاسم إلى الحجاج فبعث بهم الحجاج إلى الشام.

و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى، قال: خرج بجبل لبنان قوم شكوا عامل خراج بعلبك، فوجه صالح بن على بن عبد اللّه بن عباس من قتل

فتوح البلدان، ص: ۱۶۳

مقاتلتهم و أقر من بقى منهم على دينهم و ردهم إلى قراهم و أجلى قوما من أهل لبنان. فحدثنى القاسم بن سلام أن محمد بن كثير حدثه، أن الأوزاعى:

كتب إلى صالح رسالة طويلة حفظ منها، و قد كان من أجلاء أهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئا لمن خرج على خروجه ممن قتلت بعضهم و رددت باقيهم الى قراهم ما قد علمت فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم و أموالهم، و حكم اللّه تعالى (أَلَّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى) و هو أحق ما وقف عنده و اقتدى به، و أحق الوصايا أن تحفظ و ترعى

وصية رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فإنه قال: «من ظلم معاهدا و كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه»

ثم ذكر كلاما.

حدثنى محمد بن سهم الأنطاكى، قال: حدثنى معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق الفزارى، قال: كانت بنو أمية تغزو الروم بأهل الشام و الجزيرة صائفة و شاتية مما يلى ثغور الشام و الجزيرة و تنيم للراكب الغزو و ترتب الحفظة فى السواحل و يكون الإغفال و التفريط خلال الحزر و التيقظ فلما ولى أبو جعفر المنصور تتبع حصون السواحل و مدنها فعمرها و حصنها و بنى ما احتاج إلى البناء منها و فعل مثل ذلك بمدن الثغور، ثم لما استخلف المهدى استتم ما كان بقى من المدن و الحصون و زاد فى شحنها، قال معاوية ابن عمرو: و قد رأينا من اجتهاد أمير المؤمنين هارون فى الغزو نفاذ بصيرته فى الجهاد أمرا عظيما أقام من الصناعة ما لم يقم قبله و قسم الأموال فى الثغور و السواحل و أشجى الروم و قمعهم و أمر المتوكل على اللّه بترتيب المراكب فى جميع السواحل و أن تشحن بالمقاتلة و ذلك فى سنة سبع و أربعين و مائتين

.

فتوح البلدان، ص: ۱۶۴

فتح الثغور الشامية

حدثنى مشايخ من أهل انطاكية و غيرهم، قالوا: ثغور المسلمين الشامية أيام عمر و عثمان رضى اللّه عنهما و ما بعد ذلك انطاكية و غيرها من المدن التى سماها الرشيد عواصم، فكان المسلمون يغزون ما وراءها كغزوهم اليوم ما وراء طرسوس، و كان فيما بين الاسكندرونة و طرسوس حصون و مسالح للروم كالحصون و المسالح التى يمر بها المسلمون اليوم فربما أخلاها أهلها و هربوا إلى بلاد الروم خوفا و ربما نقل إليها من مقاتلة الروم من تشحن به، و قد قيل: إن هرقل أدخل أهل هذه المدن معه عند انتقاله من انطاكية لئلا يسير المسلمون فى عمارة ما بين انطاكية و بلاد الروم و اللّه أعلم:

و حدثنی ابن طسون البغراسی عن أشیاخهم أنهم قالوا: الأمر المتعالم عندنا أن هرقل نقل أهل هذه الحصون معه و شعثها فکان المسلمون إذا غزوا لم یجدوا بها أحدا و ربما کمن عندها القوم من الروم فأصابوا غرة المتخلفین عن العسکر و المنقطعین عنها، فکان ولاة الشواتی و الصوائف إذا دخلوا بلاد الروم خلفوا بها جندا کثیفا إلی خروجهم .

و قد اختلفوا فی أول من قطع الدرب و هو درب بغراس، فقال بعضهم:

قطعه میسرة بن مسروق العبسی وجهه أبو عبیدة بن الجراح فلقی جمعا للروم و معهم مستعربة من غسان و تنوخ و إیاد یریدون اللحاق بهرقل فأوقع بهم و قتل منهم مقتلة عظیمة، ثم لحق به مالک الأشتر النخعی مددا من قبل أبی عبیدة و هو بأنطاکیة، و قال بعضهم: أول من قطع الدرب عمر بن سعد الأنصاری حین توجه فی أمر جبلة بن الأیهم و قال أبو الخطاب الأزدی: بلغنی أن أبا

فتوح البلدان، ص: ۱۶۵

عبیدة نفسه غزا الصائفة فمر بالمصیصة و طرسوس و قد جلا أهلها و أهل الحصون التی تلیها فأدرب فبلغ فی غزاته زندة، و قال غیره: إنما وجه میسرة بن مسروق فبلغ زندة.

حدثنی أبو صالح الفراء عن رجل من أهل دمشق یقال له عبد اللّه بن الولید بن هشام بن الغاز عن عبادة بن نسی فیما یحسب أبو صالح، قال: لما غزا معاویة غزوة عموریة فی سنة خمس و عشرین وجد الحصون فیما بین انطاکیة و طرسوس خالیة فوقف عندها جماعة من أهل الشام و الجزیرة و قنسرین حتی انصرف من غزاته، ثم أغزی بعد ذلک بسنة أو سنتین یزید ابن الحر العبسی الصائفة و أمره ففعل مثل ذلک، و کانت الولاة تفعله، و قال هذا الرجل: و وجدت فی کتاب مغازی معاویة أنه غزا سنة إحدی و ثلاثین من ناحیة المصیصة فبلغ درولیة فلما خرج جعل لا یمر بحصن فیما بینه و بین انطاکیة إلا هدمه.

و حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی و غیره، قال، لما کانت سنة أربع و ثمانین غزا علی الصائفة عبد اللّه بن عبد الملک بن مروان فدخل من درب انطاکیة و أتی المصیصة فبنی حصنها علی أساسه القدیم و وضع بها سکانا من الجند فیهم ثلاثمائة رجل انتخبهم من ذوی البأس و النجدة المعروفین و لم یکن المسلمون سکنوها قبل ذلک و بنی فیها مسجدا فوق تل الحصن ثم سار فی جیشه حتی غزا حصن سنان ففتحه و وجه یزید بن حنین الطائی الأنطاکی فأغار ثم انصرف إلیه، و قال أبو الخطاب الأزدی: کان أول من ابتنی حصن المصیصة فی الإسلام عبد الملک بن مروان علی ید ابنه عبد اللّه بن عبد الملک فی سنة أربع و ثمانین علی أساسها القدیم فتم بناؤها و شحنها فی سنة خمس و ثمانین و کانت فی الحصن کنیسة جعلت هریا و کانت الطوالع من انطاکیة تطلع علیها فی کل عام فتشتو بها ثم تنصرف و عدة من کان یطلع إلیها ألف و خمسمائة إلی الألفین،

فتوح البلدان، ص: ۱۶۶

قال: و شخص عمر بن عبد العزیز حتی نزل هری المصیصة و أراد هدمها و هدم الحصون بینها و بین انطاکیة، و قال: اکره أن یحاصر الروم أهلها فاعلمه الناس أنها إنما عمرت لیدفع من بها من الروم عن انطاکیة و أنه إن أخربها لم یکن للعدو ناحیة دون انطاکیة فأمسک و بنی لأهلها مسجدا جامعا من ناحیة کفربیا و اتخذ فیه صهریجا و کان اسمه علیه مکتوبا، ثم أن المسجد خرب فی خلافة المعتصم بالله و هو یدعی مسجد الحصن، قال: ثم بنی هشام بن عبد الملک الربض ثم بنی مروان بن محمد الخصوص فی شرقی جیحان و بنی علیها حائطا و أقام علیه باب خشب و خندق خندقا فلما استخلف أبو العباس فرض بالمصیصة لأربعمائة رجل زیادة فی شحنتها و أقطعهم، ثم لما استخلف المنصور فرض بالمصیصة لأربعمائة رجل ثم لما دخلت سنة تسع و ثلاثین و مائة أمر بعمران مدینة المصیصة، و کان حائطها متشعثا من الزلازل و أهلها قلیل فی داخل المدینة فبنی سور المدینة و أسکنها أهلها سنة أربعین و مائة و سماها المعمورة و بنی فیها مسجدا جامعا فی موضع هیکل کان بها و جعله مثل مسجد عمر مرات، ثم زاد فیه المأمون أیام ولایة عبد اللّه بن طاهر بن الحسین المغرب و فرض المنصور فیها لألف رجل، ثم نقل أهل الخصوص و هم فرس و صقالبة و أنباط نصاری، و کان مروان أسکنهم إیاها و أعطاهم خططا فی المدینة عوضا عن منازلهم علی ذرعها و نقض منازلهم و أعانهم علی البناء و أقطع

الفرض قطائع و مساكن، و لما استخلف المهدى فرض بالمصيصة لألفى رجل و لم يقطعهم لأنها قد كانت شحنت من الجند و المطوعة، و لم تزل الطوالع تأتيها من أنطاكية فى كل عام حتى وليها سالم البرلسى و فرض موضعه لخمسمائة مقاتل على خاصة عشرة دنانير عشرة دنانير فكثر من بها و قووا و ذلك فى خلافة المهدى.

و حدثنى محمد بن سهم عن مشايخ الثغر، قالوا: ألحت الروم على أهل

فتوح البلدان، ص: ۱۶۷

المصيصة فى أول أيام الدولة المباركة حتى جلوا عنها فوجه صالح بن على جبريل بن يحيى البجلى إليها فعمرها و أسكنها الناس فى سنة أربعين و مائة و بنى الرشيد كفربيا و يقال بل كانت ابتدئت فى خلافة المهدى ثم غير الرشيد بناءها و حصنها بخندق ثم رفع إلى المأمون فى أمر غلة كانت على منازلها فابطلها و كانت منازلها كالخانات و أمر فجعل لها سور فرفع فلم يستتم حتى توفى فأمر المعتصم بالله بإتمامه و تشريفه، قالوا: و كان الذى حصن المثقب هشام بن عبد الملك على يد حسان بن ماهويه الأنطاكى، و وجد فى خندقه حين حضر ساق مفرط الطول فبعث به إلى هشام، و بنى هشام حصن قطر غاش على يدى عبد العزيز بن حيان الأنطاكى، و بنى هشام حصن مورة على يدى رجل من أهل انطاكية و كان سبب بنائه إياه أن الروم عرضوا لرسول له فى درب اللكام عند العقبة البيضاء و رتب فيه أربعين رجلا و جماعة من الجراجمة و أقام ببغراس مسلحة فى خمسين رجلا و ابتنى لها حصنا و بنى هشام حصن يوقا من عمل انطاكية ثم جدد و أصلح حديثا، و بنى محمد بن يوسف المروزى المعروف بأبى سعيد حصنا بساحل انطاكية بعد غارة الروم على ساحلها فى خلافه المعتصم بالله رحمه اللّه.

حدثنى داود بن عبد الحميد قاضى الرقة عن أبيه عن جده أن عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه أراد هدم المصيصة و نقل أهلها عنها لما كانوا يلقون من الروم فتوفى قبل ذلك.

و حدثنى بعض أهل انطاكية و بغراس: أن مسلمة بن عبد الملك لما غزا عمورية حمل معه نساءه و حمل ناس ممن معه نساءهم و كانت بنو أمية تفعل ذلك ارادة الجد فى القتال للغيرة على الحرم فلما صار فى عقبة بغراس عند الطريق المستدقة التى تشرف على الوادى سقط محمل فيه امرأة إلى الحضيض

فتوح البلدان، ص: ۱۶۸

فأمر مسلمة أن تمشى سائر النساء فمشين فسميت تلك العقبة عقبة النساء، و قد كان المعتصم بالله رحمه اللّه بنى على حد تلك الطريق حائطا قصيرا من حجارة و قال أبو النعمان الأنطاكى: كان الطريق فيما بين انطاكية و المصيصة مسبعة يعترض للناس فيها الأسد، فلما كان الوليد بن عبد الملك شكا ذلك إليه فوجه أربعة آلاف جاموسة و جاموس فنفع اللّه بها، و كان محمد بن القاسم الثقفى عامل الحجاج على السند بعث منها بألوف جواميس فبعث الحجاج إلى الوليد منها بما بعث من الأربعة آلاف و القى باقيها فى آجام كسكر، و لما خلع يزيد بن المهلب فقتل و قبض يزيد بن عبد الملك أموال بنى المهلب أصاب لهم أربعة آلاف جاموسة كانت بكور دجلة و كسكر فوجه بها يزيد بن عبد الملك إلى المصيصة أيضا مع زطها فكان أصل الجواميس بالمصيصة ثمانية آلاف جاموسة و كان أهل انطاكية و قنسرين قد غلبوا على كثير منها و اختاروه لأنفسهم فى أيام فتنة مروان بن محمد بن مروان، فلما استخلف المنصور أمر بردها إلى المصيصة و أما جواميس انطاكية فكان أصلها ما قدم به الزط، معهم و كذلك جواميس بوقا، و قال أبو الخطاب بنى الجسر الذى على طريق أذنة من المصيصة و هو على تسعة أميال من المصيصة سنة خمس و عشرين و مائة و يدعى جسر الوليد و هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك المقتول، و قال أبو النعمان الأنطاكى و غيره: بنيت أذنة فى سنة إحدى و أربعين و مائة أو اثنتين و أربعين و مائة و الجنود من أهل خراسان معسكرون عليها مع مسلمة بن يحيى البجلى و من أهل الشام بن مالك بن أدهم الباهلى و وجههما صالح بن على.

قالوا: و لما كانت سنة خمس و ستين و مائة أغزى المهدى ابنه هارون الرشيد بلاد الروم فنزل على الخليج ثم خرج فرم المصيصة و

مسجدها و زاد فی شحنتها و قوی أهلها و بنی القصر الذی عند جسر أذنة علی سیحان، و قد کان

فتوح البلدان، ص: ۱۶۹

المنصور أغزی صالح بن علی بلاد الروم فوجه هلال بن ضیغم فی جماعة من أهل دمشق و الأردن و غیرهم فبنی ذلک القصر و لم یکن بناؤه محکما فهدمه الرشید و بناه ثم لما کانت سنة أربع و تسعین و مائة بنی أبو سلیم فرج الخادم أذنة فاحکم بناءها و حصنها و ندب إلیها رجالا من أهل خراسان و غیرهم علی زیادة فی العطاء و ذلک بأمر محمد بن الرشید فرم قصر سیحان و کان الرشید توفی سنة ثلاث و تسعین و مائة و عامله علی أعشار الثغور أبو سلیم فأقره محمد و أبو سلیم هذا هو صاحب الدار بأنطاکیة.

و حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی، قال: غزا الحسن بن قحطبة الطائی بلاد الروم سنة اثنتین و ستین و مائة فی أهل خراسان و أهل الموصل و الشام و أمداد الیمن و مطوعة العراق و الحجاز خرج مما یلی طرسوس فأخبر المهدی بما فی بنائها و تحصینها و شحنتها بالمقاتلة من عظیم الغناء عن الإسلام و الکبت العدو و الوقم له فیما یحاول و یکید. و کان الحسن قد أبلی فی تلک الغزاة بلاء حسنا و دوخ أرض الروم حتی سموه الشیتن، و کان معه فی غزاته مندل العنزی المحدث الکوفی و معتمر بن سلیمان البصری.

و حدثنی محمد بن سعد، قال: حدثنی سعد بن الحسن، قال لما خرج الحسن من بلاد الروم نزل مرج طرسوس فرکب إلی مدینتها و هی خراب فنظر إلیها و أطاف بها من جمیع جهاتها و حزر عدة من یسکنها فوجدهم مائة ألف فلما قدم علی المهدی وصف له أمرها و ما فی بنائها و شحنتها من غیظ العدو و کبته و عز الإسلام و أهله و أخبره فی الحدث أیضا بخبر رغبه فی بناء مدینتها فأمره ببناء طرسوس و أن یبدأ بمدینة الحدث فبنیت و أوصی المهدی ببناء طرسوس.

فلما کانت سنة إحدی و سبعین و مائة بلغ الرشید أن الروم ائتمروا

فتوح البلدان، ص: ۱۷۰

بینهم بالخروج إلی طرسوس لتحصینها و ترتیب المقاتلة فیها فأغزی الصائفة فی سنة إحدی و سبعین و مائة هرثمة بن أعین و أمره بعمارة طرسوس و بنائها و تمصیرها ففعل و أجری أمرها علی ید فرج بن سلیم الخادم بأمر الرشید فوکل فرج ببنائها و توجه أبو سلیم إلی مدینة السلام فأشخص الندبة الأولی من أهل خراسان و هم ثلاثة آلاف رجل فوردوا طرسوس ثم أشخص الندبة الثانیة و هم ألفا رجل ألف من أهل المصیصة و ألف من أهل انطاکیة علی زیادة عشرة دنانیر عشرة دنانیر لکل رجل فی أصل عطائه فعسکروا مع الندبة الأولی بالمدائن علی باب الجهاد فی مستهل المحرم سنة اثنتین و سبعین و مائة إلی أن استتم بناء طرسوس و تحصینها و بناء مسجدها و مسح فرج ما بین النهر إلی النهر فبلغ ذلک أربعة آلاف خطة کل خطة عشرون ذراعا فی مثلها و أقطع أهل طرسوس الخطط و سکنتها الندبتان فی شهر ربیع الآخر سنة اثنتین و سبعین و مائة.

قالوا: و کان عبد الملک بن صالح قد استعمل یزید بن مخلد الفزاری علی طرسوس فطرده بها من أهل خراسان و استوحشوا منه للهبیریة فاستخلف أبا الفوارس فأقره عبد الملک بن صالح و ذلک فی سنة ثلاث و سبعین و مائة.

قال محمد بن سعد حدثنی الواقدی، قال: جلا أهل سیسیة و لحقوا بأعلی الروم فی سنة أربع و تسعین و مائة أو ثلاث و تسعین و مائة و سیسیة مدینة تل عین زربة و قد عمرت فی خلافة المتوکل علی اللّه علی یدی علی بن یحیی الأرمنی ثم أخربتها الروم. قالوا: فکان الذی أحرق انطاکیة المحترقة ببلاد الروم عباس بن الولید بن عبد الملک.

قالوا: و تل جبیر نسبت إلی رجل من فرس انطاکیة کانت له عنده وقعة و هو من طرسوس علی أقل من عشرة أمیال، قالوا: و الحصن المعروف بذی الکلاع إنما هو الحصن ذو القلاع لأنه علی ثلاث قلاع فحرف اسمه

فتوح البلدان، ص: ۱۷۱

و تفسیر اسمه بالرومیة الحصن الذی مع الکواکب، و قالوا: سمیت کنیسة الصلح لأن الروم لما حملوا صلحهم إلی الرشید نزلوها، و نسب مرج حسین إلی حسین بن مسلم الأنطاکی، و ذلک أنه کانت له به وقعة و نکایة فی العدو قالوا. و أغزی المهدی ابنه هارون

الرشید فی سنة ثلاث و ستین و مائة فحاصر أهل ضمالو و هی التی تدعوها العامة سمالو فسألوا الأمان لعشرة أهل أبیات فیهم القومس فأجابهم إلی ذلک، و کان فی شرطهم أن لا یفوق بینهم فانزلوا ببغداد علی باب الشماسیة فسموا موضعهم سمالو فهو معروف، و یقال بل نزلوا علی حکم المهدی فاستحیاهم و جمعهم بذلک الموضع و أمر أن یسمی سمالو و أمر الرشید فنودی علی من بقی فی الحصن فبیعوا و أخذ حبشی کان یشتم الرشید و المسلمین فصلب علی برج من أبراجه.

و حدثنی أحمد بن الحارث الواسطی عن محمد بن سعد عن الواقدی، قال: لما کانت سنة ثمانین و مائة أمر الرشید بابتناء مدینة عین زربة و تحصینها و ندب إلیها ندبة من أهل خراسان و غیرهم فأقطعهم بها المنازل ثم لما کانت سنة ثلاث و ثمانین و مائة أمر ببناء الهارونیة فبنیت و شحنت أیضا بالمقاتلة و من نزح إلیها من المطوعة و نسبت إلیه، و یقال إنه بناها فی خلافة المهدی ثم أنمت فی خلافته، قالوا: و کانت الکنیسة السوداء من حجارة سود بناها الروم علی وجه الدهر، و لها حصن قدیم أخرب فیما أخرب فأمر الرشید ببناء مدینة الکنیسة السوداء و تحصینها و ندب إلیها المقاتلة فی زیادة العطاء.

و أخبرنی بعض أهل الثغر عزون بن سعد: أن الروم أغارت علیها و القاسم بن الرشید مقیم بدابق فاستاقوا مواشی أهلها و أسروا عدة منهم فنفر إلیهم أهل المصیصة و مطوعتها فاستنقذوا جمیع ما صار إلیهم و قتلوا منهم بشرا و رجع الباقون منکوبین مفلولین، فوجه القاسم من حصن المدینة

فتوح البلدان، ص: ۱۷۲

و زمها و زاد فی شحنتها، و قد کان المعتصم بالله نقل إلی عین زربة و نواحیها بشرا من الزط الذین قد کانوا غلبوا علی البطائح بین واسط و البصرة فانتفع أهلها بهم.

حدثنی أبو صالح الأنطاکی، قال: کان أبو إسحاق الفزاری یکره شراء أرض بالثغر، و یقول غلب علیه قوم فی بدء الأمر و أجلوا الروم عنه فلم یقسموه و صار إلی غیرهم و قد دخلت فی هذا الأمر شبهة العاقل حقیق بترکها.

و کانت بالثغارات قد تحیفت ما یرتفع من أعشاره حتی قصرت عن نفقاته فأمر المتوکل فی سنة ثلاث و أربعین و مائتین بإبطال تلک الایغارات فأبطلت.

فتوح الجزیرة

حدثنی داود بن عبد الحمید قاضی الرقة عن أبیه عن جده عن میمون ابن مهران، قال: الجزیرة کلها فتوح عیاض بن غنم بعد وفاة أبی عبیدة ولاه إیاها عمر بن الخطاب و کان أبو عبیدة استخلفه علی الشام فولی عمر ابن الخطاب یزید بن أبی سفیان ثم معاویة من بعده الشام و أمر عیاضا بغزو الجزیرة و حدثنی الحسین بن الأسود، قال: حدثنا یحیی بن آدم عن عدة من الجزریین عن سلیمان بن عطاء القرشی، قال: بعث أبو عبیدة عیاض بن غنم إلی الجزیرة فمات أبو عبیدة و هو بها فولاه عمر إیاها بعد.

و حدثنی بکر بن الهیثم، قال: حدثنا النفیلی عبد اللّه بن محمد، قال: حدثنا سلیمان بن عطاء، قال: لما فتح عیاض بن غنم الرها و کان أبو عبیدة وجهه وقف علی بابها علی فرس له کمیت فصالحوه علی أن لهم هیکلهم و ما حوله و علی أن لا یحدثوا کنیسة إلا ما کان لهم و علی معونة المسلمین علی عدوهم فإن ترکوا شیئا

فتوح البلدان، ص: ۱۷۳

مما شرط علیهم فلا ذمة لهم و دخل أهل الجزیرة فیما دخل فیه أهل الرها.

و قال محمد بن سعد، قال الواقدی: أثبت ما سمعنا فی أمر عیاض أن أبا عبیدة مات فی طاعون عمواس سنة ثمانی عشرة، و استخلف عیاضا فورد علیه کتاب عمر بتولیته حمص و قنسرین و الجزیرة: فسار إلی الجزیرة یوم الخمیس للنصف من شعبان سنة ثمانی عشرة فی خمسة آلاف و علی مقدمته میسرة بن مسروق العبسی و علی میمنته سعید بن عامر بن حذیم الجمحی و علی میسرته صفوان بن

المعطل السلمى، و كان خالد بن الوليد على ميسرته، و يقال: إن خالدا لم يسر تحت لواء أحد بعد أبى عبيدة و لزم حمص حتى توفى بها سنة إحدى و عشرين و أوصى إلى عمر: و بعضهم يزعم أنه مات بالمدينة و موته بحمص أثبت.

قالوا: فانتهت طليعة عياض إلى الرقة فأغاروا على حاضر كان حولها للعرب و على قوم من الفلاحين فأصابوا مغنما و هرب من نجا من أولئك فدخلوا مدينة الرقة، و أقبل عياض فى عسكرة حتى نزل باب الرها و هو أحد أبوابها فى تعبئة فرمى المسلمون ساعة حتى جرح بعضهم ثم أنه تأخر عنهم لئلا تبلغه حجارتهم و سهامهم و ركب فطاف حول المدينة و وضع على أبوابها روابط ثم رجع إلى عسكره و بث السرايا فجعلوا يأتون بالأسرى من القرى و بالأطعمة الكثيرة و كانت الزروع مستحصدة، فلما مضت خمسة أيام أو ستة و هم على ذلك أرسل بطريق المدينة إلى عياض يطلب الأمان فصالحه عياض على أن أمن جميع أهلها على أنفسهم و ذراريهم و أموالهم و مدينتهم، و قال عياض: الأرض لنا قد وطئناها و أحرزناها فأقرها فى أيديهم على الخراج و دفع منها ما لم يرده أهل الذمة فرفضوه إلى المسلمين على العشر و وضع الجزية على رقابهم فألزم كل رجل منهم دينارا فى كل سنة و أخرج النساء و الصبيان و وظف عليهم مع الدينار أقفزة من قمح و شيئا من

فتوح البلدان، ص: ۱۷۴

زيت و خل و عسل، فلما ولى معاوية جعل ذلك جزية عليهم ثم أنهم فتحوا أبواب المدينة و أقاموا للمسلمين سوقا على باب الرها فكتب لهم عياض.

بسم اللّه الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى عياض بن غنم أهل الرقة يوم دخلها أعطاهم أمانا لأنفسهم و أموالهم و كنائسهم لا تخرب و لا تسكن إذا أعطوا الجزية التى عليهم و لم يحدثوا مغيلة و على أن لا يحدثوا كنيسة و لا بيعة و لا يظهروا ناقوسا و لا باعوثا و لا صليبا شهد اللّه «وَ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً» و ختم عياض بخاتمه.

و يقال: إن عياضا ألزم كل حالم من أهل الرقة أربعة دنانير و الثبت أن عمر كتب بعد إلى عمير بن سعد و هو واليه ان ألزم كل امرئ منهم أربعة دنانير كما ألزم أهل الذهب.

قالوا: ثم سار عياض إلى حران فنزل بأجدى و بعث مقدمته فأغلق أهل حران أبوابها دونهم ثم اتبعهم، فلما نزل بها بعث إليه الحرنانية من أهلها يعلمونه أن فى أيديهم طائفة من المدينة و يسئلونه أن يصير إلى الرها فما صالحوه عليه من شىء قنعوا به و خلوا بينه و بين النصارى حتى يصيروا إليه و بلغ النصارى ذلك فأرسلوا إليه بالرضى بما عرض الحرنانية و بذلوا فأتى الرها و قد جمع له أهلها فرموا المسلمين ساعة، ثم خرجت مقاتلتهم فهزمهم المسلمون حتى ألجئوهم إلى المدينة فلم ينشبوا إن طلبوا الصلح و الأمان، فأجابهم عياض إليه و كتب لهم كتابا نسخته.

بسم اللّه الرحمن الرحيم: هذا كتاب من عياض بن غنم لأسقف الرها إنكم إن فتحتم لى باب المدينة على أن تؤدوا إلى عن كل رجل دينارا و مدى قمح فأنتم آمنون عن أنفسكم و أموالكم و من تبعكم و عليكم إرشاد الضال و إصلاح الجسور و الطرق و نصيحة المسلمين «شهد الله و كفى بالله شهيدا».

فتوح البلدان، ص: ۱۷۵

و حدثنى داود بن عبد الحميد عن أبيه عن جده، إن كتاب عياض لأهل الرها:

بسم اللّه الرحمن الرحيم: هذا كتاب من عياض بن غنم و من معه من المسلمين لأهل الرها أنى أمنتهم على دمائهم و أموالهم و ذراريهم و نسائهم و مدينتهم و طواحينهم إذا أدوا الحق الذى عليهم، و لنا عليهم أن يصلحوا جسورنا و يهدوا ضالنا شهد اللّه و ملائكته و المسلمون.

قال: ثم أتى عياض حران و وجه صفوان بن المعطل و حبيب بن مسلمة الفهرى إلى سميساط فصالح عياض أهل حران على مثل صلح الرها و فتحوا له أبوابها و ولاها رجلا، ثم سار إلى سميساط فوجد صفوان بن المعطل، و حبيب بن مسلمة مقيمين عليها و قد غلبا على

قرى و حصون من قراها و حصونها فصالحه أهلها على مثل صلح أهل الرها، و كان عياض يغزو من الرها ثم يرجع إليها.

و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن معمر عن الزهرى، قال: لم يبق بالجزيرة موضع قدم إلا فتح على عهد عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه على يد عياض بن غنم فتح حران، و الرها، و الرقة، و قرقيسيا، و نصيبين، و سنجار.

و حدثنى محمد عن الواقدى عن عبد الرحمن بن مسلمة عن فرات بن سلمان عن ثابت بن الحجاج، قال: فتح عياض الرقة و حران و الرها و نصيبين و ميافارقين و قرقيسيا و قرى الفرات و مدائنها صلحا و أرضها عنوة و حدثنى محمد عن الواقدى عن ثور بن يزيد عن راشد بن سعد أن عياضا افتتح الجزيرة و مدائنها صلحا و أرضها عنوة.

و قد روى: أن عياضا لما أتى حران من الرقة وجدها خالية قد انتقل أهلها إلى الرها فلما فتحت الرها صالحوه عن مدينتهم و هم بها و كان صلحهم مثل صلح الرها.

فتوح البلدان، ص: ۱۷۶

و حدثنى أبو أيوب الرقى المؤدب، قال: حدثنى الحجاج بن أبى منيع الرصافى عن أبيه عن جده، قال: فتح عياض الرقة ثم الرها ثم حران ثم سميساط على صلح واحد، ثم أتى سروج و راسكيفا و الأرض البيضاء فغلب على أرضها و صالح أهل حصونها على مثل صلح الرها. ثم أن سميساط كفروا فلما بلغه ذلك رجع إليهم فحاصرها حتى فتحها و بلغه أن أهل الرها قد نقضوا فلما أناخ عليهم فتحوا له أبواب مدينتهم فدخلها و خلف بها عامله فى جماعة ثم أتى قرايات الفرات و هى جسر منبج و ذواتها ففتحها على ذلك و أتى عين الوردة و هى رأس العين فامتنعت عليه فتركها و أتى تل موزن ففتحها على مثل صلح الرها و ذلك فى سنة تسع عشرة، و وجه عياض إلى قرقيسيا حبيب ابن مسلمة الفهرى ففتحها صلحا على مثل صلح الرقة و فتح عياض آمد بغير قتال على مثل صلح الرها، و فتح ميافارقين على مثل ذلك و فتح حصن كفرتوثا، و فتح نصيبين بعد قتال على مثل صلح الرها، و فتح طور عبدين و حصن ماردين و دارا على مثل ذلك، و فتح قردى و بازبدى على مثل صلح نصيبين و أتاه بطريق الزوزان فصالحه عن أرضه على أتاوة و كل ذلك فى سنة تسع عشرة و أيام من المحرم سنة عشرين، ثم سار إلى أوزن ففتحها على مثل صلح نصيبين و دخل الدرب فبلغ بدليس و جازها إلى خلاط و صلح بطريقها و انتهى إلى العين الحامضة من أرمينية فلم يعدها ثم عاد فضمن صاحب بدليس خراج خلاط و جماجمها و ما على بطريقها، ثم أنه انصرف إلى الرقة و مضى إلى حمص و قد كان عمر ولاه إياها فمات سنة عشرين. و ولى عمر سعيد بن عامر بن حذيم فلم يلبث إلا قليلا حتى مات فولى عمر عمير بن سعد الأنصارى ففتح عين الوردة بعد قتال شديد.

و قال الواقدى: حدثنى من سمع إسحاق بن أبى فروة يحدث عن أبى

فتوح البلدان، ص: ۱۷۷

وهب الجيشانى ديلم بن الموسع أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه كتب إلى عياض يأمره أن يوجه عمير بن سعد إلى عين الوردة فوجهه إليها فقدم الطلائع أمامه فأصابوا قوما من الفلاحين و غنموا مواشى من مواشى العدو ثم أن أهل المدينة غلقوا أبوابها و نصبوا العرادات عليها فقتل من المسلمين بالحجارة و السهام بشر و اطلع عليهم بطريق من بطارقتها فشتمهم و قال:

لسنا كمن لقيتم ثم أنها فتحت بعد على صلح.

حدثنى عمرو بن محمد عن الحجاج بن أبى منيع عن أبيه عن جده، قال:

امتنعت رأس العين على عياض بن غنم ففتحها عمير بن سعد و هو والى عمر على الجزيرة بعد أن قاتل أهلها المسلمين قتالا شديدا فدخلها المسلمون عنوة، ثم صالحوهم بعد ذلك على أن دفعت الأرض إليهم و وضعت الجزية على رؤسهم على كل رأس أربعة دنانير و لم تسب نساؤهم و لا أولادهم، و قال الحجاج: و قد سمعت مشايخ من أهل راس العين يذكرون أن عميرا لما دخلها قال لهم: لا بأس لا بأس إلى إلى فكان ذلك أمانا لهم، و زعم الهيثم بن عدى: أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه بعث أبا موسى الأشعرى إلى عين الوردة فغزاها بجند الجزيرة بعد وفاة عياض، و الثبت أن عميرا فتحها عنوة فلم تسب و جعل عليهم الخراج و الجزية و لم يقل هذا

أحد غير الهيثم، و قال الحجاج بن أبى منيع: جلا خلق من أهل رأس العين و اعتمل المسلمون أراضيهم و ازدرعوها باقطاع.

و حدثنى محمد بن المفضل الموصلى عن مشايخ من أهل سنجار، قالوا:

كانت سنجار فى أيدى الروم ثم ان كسرى المعروف بابرويز أراد قتل مائة رجل من الفرس كانوا حملوا إليه بسبب خلاف و معصية، فكلم فيهم فأمر أن يوجهوا إلى سنجار و هو يومئذ يعانى فتحها فمات منهم رجلان و وصل إليها

فتوح البلدان، ص: ۱۷۸

ثمانية و تسعون رجلا فصاروا مع المقاتلة الذين كانوا بازائها ففتحوها دونهم و أقاموا بها و تناسلوا، فلما انصرف عياض من خلاط و صار إلى الجزيرة بعث إلى سنجار ففتحها صلحا و أسكنها قوما من العرب، و قد قال بعض الرواة أن عياضا فتح حصنا من الموصل و ليس ذلك بثبت. قال ابن الكلبى:

عمير بن سعد عامل عمر هو عمير بن سعد بن شهيد بن عمرو أحد الأوس، و قال الواقدى: هو عمير بن سعد بن عبيد و قتل أبوه سعد يوم القادسية، و سعد هذا هو الذى يروى الكوفيون إنه أحد من جمع القرآن على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، قال الواقدى: و قد روى قوم أن خالد بن الوليد ولى لعمر بعض الجزيرة فاطلى فى حمام بآمد أو غيرها بشىء فيه خمر فعزله عمر: و ليس ذلك بثبت.

و حدثنى عمرو الناقد، قال: حدثنى الحجاج بن أبى منيع عن أبيه عن جده عن ميمون بن مهران، قال: أخذ الزيت و الخل و الطعام لمرفق المسلمين بالجزيرة مدة ثم خفف عنهم و اقتصر بهم على ثمانية و أربعين درهما و أربعة و عشرين و اثنى عشر نظرا من عمر للناس و كان على كل انسان مع جزيته مدا قمح و قسطان من زيت و قسطان من خل.

و حدثنى عدة من أهل الرقة، قالوا: لما مات عياض و ولى الجزيرة سعيد ابن عامر بن حذيم بنى مسجد الرقة و مسجد الرها ثم توفى فبنى المساجد بديار مضر و ديار ربيعة عمير بن سعد، ثم لما ولى معاوية الشام و الجزيرة لعثمان بن عفان رضى اللّه عنه أمره أن ينزل العرب بمواضع نائية عن المدن و القرى و يأذن لهم فى اعتمال الأرضين التى لا حق فيها لأحد فانزل بنى تميم الرابية و أنزل المازحين و المدبير اخلاطا من قيس و أسد و غيرهم و فعل ذلك فى جميع نواحى ديار مضر و رتب ربيعة فى ديارها على ذلك، و ألزم المدن

فتوح البلدان، ص: ۱۷۹

و القرى و المسالح من يقوم بحفظها و يذب عنها من أهل العطاء ثم جعلهم مع عماله.

و حدثنى أبو حفص الشامى عن حماد بن عمرو النصيبى قال: كتب عامل نصيبين إلى معاوية و هو عامل عثمان على الشام و الجزيرة يشكو إليه أن جماعة من المسلمين ممن معه أصيبوا بالعقارب فكتب إليه يأمره أن يوظف على أهل كل حيز من المدينة عدة من العقارب مسماة فى كل ليلة ففعل فكانوا يأتونه بها فيأمر بقتلها.

و حدثنى أبو أيوب المؤدب الرقى عن أبى عبد اللّه القرقسانى عن أشياخه أن عمير بن سعد لما فتح رأس العين سلك الخابور و ما يليه حتى أتى قرقيسيا و قد نقض أهلها فصالحهم على مثل صلحهم الأول، ثم أتى حصون الفرات حصنا حصنا ففتحها على ما فتحت عليه قرقيسيا و لم يلق فى شىء منها كثير قتال، و كان بعض أهلها ربما رموا بالحجارة، فلما فرغ من تلبس و عانات أتى النأوسة و آلوسة و هيت فوجد عمار بن ياسر و هو يومئذ عامل عمر بن الخطاب على الكوفة و قد بعث جيشا يستغزى ما فوق الأنبار عليه سعد بن عمرو بن حرام الأنصارى، و قد أتاه أهل هذه الحصون فطلبوا الأمان فأمنهم و استثنى على أهل هيت نصف كنيستهم فانصرف عمير إلى الرقة.

و حدثنى بعض أهل العلم، قال: كان الذى توجه إلى هيت و الحصون التى بعدها من الكوفة مدرج بن عمرو السلمى حليف بنى عبد شمس و له صحبة فتولى فتحها و هو بنى الحديثة التى على الفرات و ولده بهيت و كان منهم رجل يكنى أبا هارون باقى الذكر هناك، و يقال: أن مدلاجا كان من قبل سعد بن عمرو بن حرام و اللّه أعلم.

قالوا: و كان موضع نهر سعيد بن عبد الملك بن مروان- و هو الذى

فتوح البلدان، ص: ١٨٠

يقال له سعيد الخير و كان يظهر نسكا- غيضة ذات سباع فأقطعه إياها الوليد فحفر النهر و عمر ما هناك، و قال بعضهم: الذى أقطعه ذلك عمر بن عبد العزيز قالوا: و لم يكن للرافقة أثر قديم إنما بناها أمير المؤمنين المنصور رحمه اللّه سنة خمس و خمسين و مائة على بناء مدينته ببغداد، و رتب فيها جندا من أهل خراسان و جرت على يدى المهدى و هو ولى عهد، ثم أن الرشيد بنى قصورها فكان بين الرقة و الرافقة فضاء مزارع، فلما قدم على بن سليمان بن على واليا على الجزيرة نقل أسواق الرقة إلى تلك الأرض، فكان سوق الرقة الأعظم فيما مضى يعرف بسوق هشام العتيق، ثم لما قدم الرشيد الرقة استزاد فى تلك الأسواق فلم تزل تجتبى مع الصوافى، و أمار صافة هشام فإن هشام بن عبد الملك أحدثها و كان ينزل قبلها الزيتونة و حفر الهنى و المرى، و استخرج الضيعة التى تعرف بالهنى و المرى، و أحدث فيها واسط الرقة، ثم إن تلك الضيعة قبضت فى أول الدولة ثم صارت لأم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور فابتنت فيها القطيعة التى تنسب إليها و زادت فى عمارتها، و لم يكن للرحبة التى فى أسفل قرقيسيا أثر قديم إنما بناه و أحدثها مالك بن طوق بن عتاب التغلبى فى خلافة المأمون. و كانت أذرمة من ديار ربيعة قرية قديمة فأخذها الحسن بن عمرو بن الخطاب التغلبى من صاحبها و بنى بها قصرا و حصنها، و كانت كفرتوثا حصنا قديما فاتخذها ولد أبى رمثة منزلا فمدنوها و حصنوها.

حدثنى معافى بن طاوس عن أبيه، قال: سألت المشايخ عن أعشار بلد و ديار ربيعة و البرية، فقال: هى أعشار ما أسلمت عليه العرب أو عمرته من لموات الذى ليس فى يد أحد أو رفضه النصارى فمات و غلب عليها الدغل فأقطعه العرب.

حدثنى أبو عفان الرقى عن مشايخ من كتاب الرقة و غيرهم، قالوا: كانت

فتوح البلدان، ص: ١٨١

عين الرومية و ماؤها للوليد بن عقبة بن أبى معيط فأعطاها أبا زبيد الطائى ثم صارت لأبى العباس أمير المؤمنين فأقطعها ميمون بن حمزة مولى على بن عبد اللّه بن عباس ثم ابتاعها الرشيد من ورثته و هى من أرض الرقة، قالوا:

و كان بن هبيرة أقطع غابة ابن هبيرة فقبضت و أقطعها بشر بن ميمون صاحب الطاقات ببغداد بناحية باب الشام ثم ابتاعها الرشيد و هى من أرض سروج، و كان هشام أقطع عائشة ابنته قطيعة برأسكيفا تعرف بها فقبضت و كانت لعبد الملك و هشام قرية تدعى سلعوس و نصف قرية تدعى كفر جدا من الرها و كانت بحران للغمر بن يزيد تل عفراء و أرض تل مذابا (كذا) و أرض المصلى و صوافى فى ربض حران أو مستغلاتها، و كان مرج عبد الواحد حمى المسلمون قبل أن تبنى الحدث و زبطرة فلما بنيتا استغنى بهما فعمر، فضمه الحسين الخادم إلى الأحواز فى خلافة الرشيد ثم توثب الناس على مزارعه حتى قدم عبد اللّه بن طاهر الشام فرده إلى الضياع، و قال أبو أيوب الرقى: سمعت أن عبد الواحد الذى نسب المرج إليه عبد الواحد بن الحارث ابن الحكم بن أبى العاصى و هو ابن عم عبد الملك كان المرج له فجعله حمى للمسلمين و هو الذى مدحه القطامى فقال:

أهل المدينة لا يحزنك شأنهمإذا تخطأ عبد الواحد الأجل

أمر نصارى بن تغلب بن وائل

حدثنا شيبان بن فروخ، قال: حدثنا أبو عوانة عن المغيرة عن السفاح الشيبانى، أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه أراد أن يأخذ الجزية من نصارى بنى تغلب فانطلقوا هاربين و لحقت طائفة منهم ببعد من الأرض، فقال النعمان ابن زرعة أو زرعة بن النعمان: أنشدك اللّه فى بنى تغلب فإنهم قوم من العرب

فتوح البلدان، ص: ١٨٢

نائفون من الجزية و هم قوم شديدة نكايتهم فلا يغن عدوك عليك بهم فأرسل عمر فى طلبهم فردهم و أضعف عليهم الصدقة.

حدثنا شيبان، قال: حدثنا عبد العزيز بن مسلم، قال: حدثنا ليث عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: لا تؤكل ذبائح نصارى بنى تغلب و لا تنكح نساؤهم: ليسوا منا و لا من أهل الكتاب.

حدثنا عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة بن الحكم و أبى مخنف، قالا:

كتب عمير بن سعد إلى عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه يعلمه أنه أتى شق الفرات الشامى ففتح عانات و سائر حصون الفرات و أنه أراد من هناك من بنى تغلب على الإسلام فأبوه و هموا باللحاق بأرض الروم و قبلهم ما أراد من فى الشق الشرقى على ذلك فامتنعوا منه و سألوه أن يأذن لهم فى الجلاء و استطلع رأيه فيهم فكتب إليه عمر رضى اللّه عنه يأمره أن يضعف عليهم الصدقة التى تؤخذ من المسلمين فى كل سائمة و أرض و إن أبوا ذلك حاربهم حتى يبيدهم أو يسلموا فقبلوا أن يؤخذ منهم ضعف الصدقة، و قالوا: أما إذ لم تكن جزية كجزية الاعلاج فإنا نرضى و نحفظ ديننا.

حدثنى عمرو الناقد، قال: حدثنى أبو معاوية عن الشيبان عن السفاح عن داود بن كردوس، قال: صالح عمر بن الخطاب بنى تغلب بعد ما قطعوا الفرات و أرادوا اللحاق بأرض الروم على أن لا يصبغوا صبيا و لا يكرهوه على دينهم و على أن عليهم الصدقة مضعفة، قال: و كان داود بن كردوس يقول: ليست لهم ذمة لأنهم قد صبغوا فى دينهم يعنى المعمودية فحدثنى الحسين بن الأسود قال: حدثنا يحيى بن آدم عن ابن المبارك عن يونس بن يزيد الأيلى عن الزهرى، قال: ليس فى مواشى أهل الكتاب صدقة إلا نصارى بنى تغلب أو قال نصارى العرب الذين عامة أموالهم المواشى فإن عليهم ضعف ما على المسلمين.

فتوح البلدان، ص: ۱۸۳

حدثنا سعيد بن سليمان سعدويه: حدثنا هشيم عن مغيرة عن السفاح ابن المثنى عن زرعة بن النعمان أنه كان كلم عمر فى نصارى بنى تغلب و قال قوم عرب نائفون من الجزية و إنما هم أصحاب حروث و مواش و كان عمر قد هم أن يأخذ الجزية منهم فتفرقوا فى البلاد فصالحهم على أن أضعف عليهم ما يؤخذ من المسلمين من صدقاتهم فى الأرض و الماشية، و اشترط عليهم أن لا ينصروا أولادهم، قال مغيرة: فكان على عليه السلام يقول: لئن تفرغت لبنى تغلب ليكونن لى فيهم رأى لأقتلن مقاتلهم و لأسبين ذريتهم فقد نقضوا العهد و برئت منهم الذمة حين نصروا أولادهم.

و حدثنى أبو نصر التمار، قال: حدثنا شريك بن عبد اللّه عن ابراهيم بن مهاجر عن زياد بن حدير الأسدى، قال: بعثنى عمر إلى نصارى بنى تغلب آخذ منهم نصف عشر أموالهم و نهانى أن أعشر مسلما أو ذميا يؤدى الخراج.

حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن ابن أبى سبرة عن عبد الملك بن نوفل عن محمد بن ابراهيم بن الحارث: أن عثمان أمر أن لا يقبل من بنى تغلب فى الجزية إلا الذهب و الفضة فجاءه الثبت أن عمر أخذ منهم ضعف الصدقة فرجع عن ذلك، قال الواقدى، و قال سفيان الثورى، و الأوزاعى، و مالك بن أنس، و ابن أبى ليلى، و ابن أبى ذئب، و أبو حنيفة، و أبو يوسف يؤخذ من التغلبى ضعف ما يؤخذ من المسلم فى أرضه و ماشيته و ماله، فأما الصبى و المعتوه منهم فإن أهل العراق يرون أن يؤخذ ضعف الصدقة من أرضه و لا يأخذون من ماشيته شيئا، و قال أهل الحجاز يؤخذ ذلك من ماشيته و أرضه، و قالوا جميعا: أن سبيل ما يؤخذ من أموال بنى تغلب سبيل مال الخراج لأنه بدل من الجزية.

غزو الثغور الجزرية

قالوا: لما استخلف عثمان بن عفان رضى اللّه عنه كتب إلى معاوية بولايته

فتوح البلدان، ص: ۱۸۴

الشام و ولى عمير بن سعد الأنصارى الجزيرة ثم عزله و جمع لمعاوية الشام و الجزيرة و ثغورهما و أمره يغزو شمشاط و هى أرمينية الرابعة أن يغزيها فوجه إليها حبيب بن مسلمة الفهرى و صفوان بن معطل السلمى: ففتحاها بعد أيام من نزولهما عليها على مثل صلح

الرها و أقام صفوان بها، و بها توفی فی آخر خلافة معاویة و یقال بل غزاها معاویة نفسه و هذان معه فولاها صفوان فاوطنها و توفی بها قالوا: و قد کان قسطنطین الطاغة أناخ علیها بعد نزوله فی ملطیة فی سنة ثلاث و ثلاثین و مائة فلم یمکنه فیها شیء فأغار علی ما حولها ثم انصرف و لم تزل شمشاط خراجیة حتی صیرها المتوکل علی اللّه رحمه اللّه عشریة أسوة غیرها من الثغور، و قالوا: أغزی حبیب بن مسلمة حصن کمخ بعد فتح شمشاط فلم یقدر علیه و غزاه صفوان فلم یمکنه فتحه ثم غزاه فی سنة تسع و خمسین و هی السنة التی مات فیها و معه عمیر بن الحباب السلمی فعلا عمیر سوره و لم یزل یجالد علیه وحده حتی کشف الروم و صعد المسلمون ففتحه لعمیر بن الحباب و بذلک کان یفخر و یفخر له، ثم أن الروم غلبوا علیه ففتحه مسلمة بن عبد الملک و لم یزل یفتح و تغلب الروم علیه فلما کانت سنة تسع و أربعین و مائة شخص المنصور عن بغداد حتی نزل حدیثه الموصل، ثم أغزی منها الحسن بن قحطبة و بعده محمد بن الأشعث و جعل علیهما العباس بن محمد و أمره أن یغزو بهم کمخ فمات محمد بن الأشعث بآمد و سار العباس و الحسن حتی صار إلی ملطیة فحملا منها المیرة ثم أناخ علی کمخ، و أمر العباس بنصب المناجنیق علیه فجعلوا علی حصنهم خشب العرعر لئلا یضربه حجارة المنجنیق، و رموا المسلمین فقتلوا منهم بالحجارة مائتی رجل فاتخذ المسلمون الدبابات و قاتلوا قتالا شدیدا حتی فتحوه، و کان مع العباس ابن محمد بن علی فی غزاته هذه مطر الوراق، ثم أن الروم أغلقوا کمخ فلما کانت سنة سبع و سبعین و مائة غزا محمد بن عبد اللّه بن عبد الرحمن بن أبی

فتوح البلدان، ص: ۱۸۵

عمرة الأنصاری و هو عامل عبد الملک بن صالح علی شمشاط ففتحه و دخله لأربع عشرة لیلة خلت من شهر ربیع الآخر من هذه السنة فلم یزل مفتوحا حتی کان هیج محمد بن الرشید فهرب أهله و غلبت علیه الروم، و یقال أن عبد اللّه بن الأقطع دفعه إلیهم و تخلص ابنه و کان أسیرا عندهم، ثم أن عبد اللّه بن طاهر فتحه فی خلافة المأمون فکان فی أیدی المسلمین حتی لطف قوم من نصاری شمشاط و قالیقلا و بقراط بن أشوط بطریق خلاط فی دفعه إلی الروم و التقرب إلیهم بذلک بسبب ضیاع لهم فی عمل شمشاط.

فتح ملطیة

و قالوا: وجه عیاض بن غنم حبیب بن مسلمة الفهری من شمشاط إلی ملطیة ففتحها ثم أغلقت، فلما ولی معاویة الشام و الجزیرة وجه إلیها حبیب ابن مسلمة ففتحها عنوة و رتب فیها رابطة من المسلمین مع عاملها و قدمها معاویة و هو یرید دخول الروم فشحنها بجماعة من أهل الشام و الجزیرة و غیرهما فکانت طریق الصوائف، ثم أن أهلها انتقلوا عنها فی أیام عبد اللّه ابن الزبیر و خرجت الروم فشعثتها ثم ترکها فنزلها قوم من النصاری من الأرمن و النبط.

و حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی فی اسناده: قال کان المسلمون نزلوا طرندة بعد أن غزاها عبد اللّه بن عبد الملک سنة ثلاث و ثمانین و بنوا بها مساکن و هی من ملطیة علی ثلاث مراحل واغلة فی بلاد الروم و ملطیة یومئذ خراب لیس بها إلا ناس من أهل الذمة من الأرمن و غیرهم فکانت تأتیهم طالعة من جند الجزیرة فی الصیف فیقومون بها إلی أن ینزل الشتاء و تسقط الثلوج فإذا کان ذلک قفلوا، فلما ولی عمر بن عبد العزیز رضی اللّه عنه

فتوح البلدان، ص: ۱۸۶

رحل أهل طرندة عنها و هم کارهون، و ذلک لاشفاقه علیهم من العدو و احتملوا فلم یدعوا لهم شیئا حتی کسروا خوابی الخل و الزیت، ثم أنزلهم مطلیة و أخرب طرندة و ولی مطلیة جعونة بن الحارث أحد بنی عامر بن صعصعة.

قالوا: و خرج عشرون ألفا من الروم فی سنة ثلاث و عشرین و مائة فنزلوا علی ملطیة فأغلق أهلها أبوابها و ظهر النساء علی السور علیهن العمائم فقاتلن، و خرج رسول لأهل ملطیة مستغیثا فرکب البرید و سار حتی لحق بهشام بن عبد الملک و هو بالرصافة فندب هشام الناس إلی ملطیة ثم أتاه الخبر بأن الروم قد رحلت عنها فدعا الرسول فأخبره و بعث معه خیلا لیرابط بها و غزا هشام نفسه، ثم نزل

ملطية و عسكر عليها حتى بنيت فكان ممره بالرقة دخلها متقلدا سيفا و لم يتقلده قبل ذلك فى أيامه.

قال الواقدى: لما كانت سنة ثلاث و ثلاثين و مائة أقبل قسطنطين الطاغية عامدا لملطية و كمخ يومئذ فى أيدى المسلمين و عليها رجل من بنى سليم فبعث أهل كمخ الصريخ إلى أهل ملطية فخرج إلى الروم منهم ثمانمائة فارس فواقعهم خيل الروم فهزمتهم و مال الرومى فأناخ على ملطية فحصر من فيها و الجزيرة يومئذ مفتونة و عاملها موسى بن كعب بحران فوجهوا رسولا لهم إليه فلم يمكنه إغاثتهم و بلغ ذلك قسطنطين فقال لهم: يا أهل ملطية إنى لم آتيكم إلا على علم بأمركم و تشاغل سلطانكم عنكم انزلوا على الأمان و اخلوا المدينة و اخربها و أمضى عنكم فأبوا عليه فوضع عليها المجانيق فلما جهدهم البلاء و اشتد عليهم الحصار سألوه أن يوثق لهم ففعل، ثم استعدوا للرحلة و حملوا ما استدق لهم و ألقوا كثيرا مما ثقل عليهم فى الآبار و المخابى ثم خرجوا و أقام لهم الروم صفين من باب المدينة إلى منقطع آخرهم مخترطى السيوف ظرف سيف كل واحد منهم مع طرف سيف الذى يقابله حتى كأنها عقد قنطرة

فتوح البلدان، ص: ۱۸۷

ثم شيعوهم حتى بلغوا مأمنهم و توجهوا نحو الجزيرة فتفرقوا فيها، و هدم الروم ملطية فلم يبقوا منها إلا هريا فإنهم شعثوا منه شيئا يسيرا و هدموا حصن قلوذية، فلما كانت سنة تسع و ثلاثين و مائة كتب المنصور إلى صالح ابن على يأمره ببناء ملطية و تحصينها، ثم رأى أن يوجه عبد الوهاب بن إبراهيم الامام واليا على الجزيرة و ثغورها، فتوجه فى سنة أربعين و مائة و معه الحسن بن قحطبة فى جنود أهل خراسان فقطع البعوث على أهل الشام و الجزيرة فتوافى معه سبعون ألفا فعسكر على ملطية و قد جمع الفعلة من كل بلد فأخذ فى بنائها و كان الحسن بن قحطبة ربما جمل الحجر حتى يناوله البناء و جعل يغدى الناس و يعشيهم من ماله مبرزا مطابخه فغاظ ذلك عبد الوهاب فكتب إلى أبى جعفر يعلمه أنه يطعم الناس و أن الحسن يطعم أضعاف ذلك التماسا لأن يطوله و يفسد ما يصنع و يهجنه بالإسراف و الرياء و أن له منادين ينادون الناس إلى طعامه، فكتب إليه أبو جعفر يا صبى يطعم الحسن من ماله و تطعم من مالى ما أتيت إلا من صغر خطرك و قلة همتك و سفه رأيك، و كتب إلى الحسن أن أطعم و لا تتخذ مناديا فكان الحسن يقول من سبق إلى شرفة فله كذا فجد الناس فى العمل حتى فرغوا من بناء ملطية و مسجدها فى ستة أشهر، و بنى للجند الذين أسكنوها لكل عرافة بيتان سفليان و عليتان فوقهما و إصطبل، و العرافة عشرة نفر إلى خمسة عشر رجلا و بنى لها مسلحة على ثلاثين ميلا منها، و مسلحة على نهر يدعى قباقب يدفع فى الفرات و أسكن المنصور ملطية أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة لأنها من ثغورهم على زيادة عشرة دنانير فى عطاء كل رجل و معونة مائة دينار سوى الجعل الذى يتجاعله القبائل بينها و وضع فيها شحنتها من السلاح و أقطع الجند المزارع، و بنى حصن قلوذية و أقبل قسطنطين الطاغية فى أكثر من مائة ألف فنزل جيحان فبلغه كثرة العرب

فتوح البلدان، ص: ۱۸۸

فأحجم عنها، و سمعت من يذكر أنه كان مع عبد الوهاب فى هذه الغزاة نصر ابن مالك الخزاعى و نصر بن سعد الكاتب مولى الأنصار فقال الشاعر:

تكنفك النصران نصر بن مالكو نصر بن سعد عز نصرك من نصر

و فى سنة إحدى و أربعين و مائة أغزى محمد بن إبراهيم ملطية فى جند من أهل خراسان و على شرطته المسيب بن زهير فرابط بها لئلا يطمع فيها العدو فتراجع إليها من كان باقيا من أهلها، و كانت الروم عرضت لملطية فى خلافة الرشيد فلم تقدر عليها و غزاهم الرشيد رحمه اللّه فأشجاهم و قمعهم.

و قالوا: وجه أبو عبيدة بن الجراح و هو بمنبج خالد بن الوليد إلى ناحية مرعش ففتح حصنها على أن جلا أهله ثم أخربه، و كان سفيان بن عوف الغامدى لما غزا الروم فى سنة ثلاثين رحل من قبل مرعش فساح فى بلاد الروم و كان معاوية بنى مدينة مرعش و أسكنها جندا فلما كان موت يزيد بن معاوية كثرت غارات الروم عليهم فانتقلوا عنها و صالح عبد الملك الروم بعد موت أبيه مروان بن الحكم و طلبه الخلافة على شىء كان يؤديه إليهم، فلما كانت سنة أربع و سبعين غزا محمد بن مروان الروم و انتقض الصلح، و لما

كانت سنة خمس و سبعين غزا الصائفة أيضا محمد بن مروان و خرجت الروم فى جمادى الأولى من مرعش إلى الأعماق فزحف إليهم المسلمون و عليهم أبان بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط و معه دينار بن دينار مولى عبد الملك بن مروان، و كان على قنسرين و كورها فالتقوا بعمق مرعش فاقتتلوا قتالا شديدا فهزمت الروم و اتبعهم المسلمون يقتلون و يأسرون، و كان دينار لقى فى هذا العام جماعة من الروم بجسر يغرا، و هو من شمشاط على نحو من عشرة أميال فظفر بهم، ثم أن العباس بن الوليد بن عبد الملك صار إلى مرعش فعمرها و حصنها و نقل الناس إليها و بنى لها

فتوح البلدان، ص: ۱۸۹

مسجدا جامعا كان يقطع فى كل عام على أهل قنسرين بعثا إليها، فلما كانت أيام مروان بن محمد و شغل بمحاربة أهل حمص خرجت الروم و حصرت مدينة مرعش حتى صالحهم أهلها على الجلاء فخرجوا نحو الجزيرة و جند قنسرين بعيالاتهم ثم أخربوها و كان عامل مروان عليها يومئذ الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابى، و كان الطاغية يومئذ قسطنطين بن اليون، ثم لما فرغ مروان من أمر حمص و هدم سورها بعث جيشا لبناء مرعش فبنيت و مدنت فخرجت الروم فى قتله فأخربتها فبناها صالح بن على فى خلافه أبى جعفر المنصور و حصنها و ندب الناس إليها على زيادة العطاء و استخلف المهدى فزاد فى شحنتها و قوى أهلها.

حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى، قال: خرج ميخائيل من درب الحدث فى ثمانين ألفا فأتى عمق مرعش فقتل و أحرق و سبى من المسلمين خلقا و صار إلى باب مدينة مرعش و بها عيسى بن على، و كان قد غزا فى تلك السنة فخرج إليه موالى عيسى و أهل المدينة و مقاتلتهم فرشقوه بالنبل و السهام فاستطرد لهم حتى إذا نحاهم عن المدينة كر عليهم فقتل من موالى عيسى ثمانية نفر و اعتصم الباقون بالمدينة فأغلقوها فحاصرهم بها ثم انصرف حتى نزل جيحان، و بلغ الخبر ثمامة بن الوليد العبسى و هو بدابق، و كان قد ولى الصائفة سنة إحدى و ستين و مائة فتوجه إليه خيلا- كثيفة فأصيبوا إلا من نجا منهم فاحفظ ذلك المهدى و احتفل لاغزاء الحسن بن قحطبة فى العام المقبل و هو سنة اثنتين و ستين و مائة. قالوا: و كان حصن الحدث مما فتح أيام عمر فتحه حبيب بن مسلمة من قبل عياض بن غنم و كان معاوية يتعهده بعد ذلك، و كان بنو أمية يسمون درب الحدث السلامة للطيرة لأن المسلمين كانوا أصيبوا به فكان ذلك الحدث فيما يقول بعض الناس، و قال قوم: لقى المسلمين غلام حدث على الدرب فقاتلهم فى أصحابه فقيل درب

فتوح البلدان، ص: ۱۹۰

الحدث، و لما كان زمن فتنة مروان بن محمد خرجت الروم فهدمت مدينة الحدث و أجلت عنها أهلها كما فعلت بملطية، ثم لما كانت سنة إحدى و ستين و مائة خرج ميخائيل إلى عمق مرعش و وجه المهدى الحسن بن قحطبة ساح فى بلاد الروم فتقلت وطأته على أهلها حتى صوروه فى كنائسهم، و كان دخوله من درب الحدث فنظر إلى موضع مدينتها فأخبر أن ميخائيل خرج منه فارتاد الحسن موضع مدينته هناك فلما انصرف كلم المهدى فى بنائها و بناء طرسوس فأمر بتقديم بناء مدينة الحدث، و كان فى غزاة الحسن هذه مندل العنزى المحدث الكوفى و معتمر بن سليمان البصرى فأنشأها على بن سليمان ابن على و هو على الجزيرة و قنسرين و سميت المحمدية، و توفى المهدى مع فراغهم من بنائها فهى المهدية و المحمدية، و كان بناؤها باللبن، و كانت وفاته سنة تسع و ستين و مائة و استخلف موسى الهادى ابنه فعزل على بن سليمان و ولى الجزيرة و قنسرين محمد بن ابراهيم بن محمد بن على، و قد كان على بن سليمان فرغ من بناء مدينة الحدث و فرض محمد لها فرضا من أهل الشام و الجزيرة و خراسان فى أربعين دينارا من العطاء و أقطعهم المساكن و أعطى كل امرئ ثلاثمائة درهم، و كان الفراغ منها فى سنة تسع و ستين و مائة، و قال ابو الخطاب: فرض على بن سليمان بمدينة الحدث لأربعة آلاف فأسكنهم إياها و نقل إليها من ملطية و شمشاط و سميساط كيسوم و دلوك و رعبان ألفى رجل.

قال الواقدى: و لما بنيت مدينة الحدث هجم الشتاء و الثلوج و كثرت الأمطار، و لم يكن بناؤها بمستوثق منه و لا محتاط فيه فتثلمت المدينة و تشعثت و نزل بها الروم فتفرق عنها من كان فيها من جندها و غيرهم، و بلغ الخبر موسى فقطع بعثا مع المسيب بن زهير و بعثا

مع روح بن حاتم و بعثا مع حمزة بن

فتوح البلدان، ص: ۱۹۱

مالک فمات قبل أن ینفذوا. ثم ولی الرشید الخلافة فأمر ببنائها و تحصینها و شحنتها و إقطاع مقاتلتها المساکن و القطائع.

و قال غیر الواقدی: أناخ بطریق من عظماء بطارقة الروم فی جمع کثیف علی مدینة الحدث حین بنیت و کان بناؤها بلبن قد حمل بعضه علی بعض و أضرت به الثلوج و هرب عاملها و من فیها و دخلها العدو فحرق مسجدها و أخربها و احتمل أمتعة أهلها فبناها الرشید حین استخلف.

و حدثنی بعض أهل منبج، قال: إن الرشید کتب إلی محمد بن إبراهیم بإقراره علی عمله فجری أمر مدینة الحدث و عمارتها من قبل الرشید علی یده ثم عزله.

قالوا: و کان مالک بن عبد اللّه الخثعمی الذی یقال له مالک الصوائف و هو من أهل فلسطین غزا بلاد الروم سنة ست و أربعین و غنم غنائم کثیرة، ثم قفل: فلما کان من درب الحدیث علی خمسة عشر میلا بموضع یدعی الرهوة أقام فیها ثلاثا فباع الغنائم و قسم سهام الغنیمة فسمیت تلک الرهوة رهوة مالک.

قالوا: و کان مرج عبد الواحد حمی لخیل المسلمین فلما بنی الحدث و زبطرة استغنی عنه فازدرع، قالوا: و کانت زبطرة حصنا قدیما رومیا ففتح مع حصن الحدث القدیم فتحه حبیب بن مسلمة الفهری، و کان قائما إلی أن أخربته الروم فی أیام الولید بن یزید فبنی بناء غیر محکم فأناخت الروم علیه فی أیام فتنة مروان بن محمد فهدمته فبناه المنصور، ثم خرجت إلیه فشعثته فبناه الرشید علی یدی محمد بن ابراهیم و شحنه، فلما کانت خلافة المأمون: طرقه الروم فشعثوه و أغاروا علی سرح أهله فاستاقوا لهم مواشی فأمر المأمون بمرمته و تحصینه، و قدم وفد طاغیة الروم فی سنة عشر و مائتین یسأل الصلح فلم یجبه إلیه و کتب إلی عمال الثغور فساحوا فی بلاد الروم فأکثروا فیها

فتوح البلدان، ص: ۱۹۲

القتل و دوخوها و ظفروا ظفرا حسنا إلا أن یقظان بن عبد الأعلی بن أحمد بن یزید بن أسید السلمی أصیب، ثم خرجت الروم إلی زبطرة فی خلافة المعتصم باللّه أبی إسحاق بن الرشید فقتلوا الرجال و سبوا النساء و أخربوها فأحفظه ذلک و أغضبه، فغزاهم حتی بلغ عموریة و قد أخرب قبلها حصونا فأناخ علیها حتی فتحها فقتل المقاتلة و سبی النساء و الذریة ثم أخربها و أمر ببناء زبطرة و حصنها و شحنها فرامها الروم بعد ذلک فلم یقدروا علیها.

و حدثنی أبو عمرو الباهلی و غیره، قالوا: نسب حصن منصور إلی منصور بن جعونة بن الحارث العامری من قیس، و ذلک أنه تولی بناءه و مرمته، و کان مقیما به أیام مروان لیرد العدو و معه جند کثیف من أهل الشام و الجزیرة و کان منصور هذا علی أهل الرها حین امتنعوا فی أول الدولة فحصرهم المنصور و هو عامل أبی العباس علی الجزیرة و أرمینیة، فلما فتحها هرب منصور ثم أو من فظهر، فلما خلع عبد اللّه بن علی أبا جعفر المنصور ولاه شرطته فلما هرب عبد اللّه إلی البصرة استخفی فدل علیه فی سنة إحدی و أربعین و مائة فأتی المنصور به فقتله بالرقة منصرفه من بیت المقدس، و قوم یقولون: أنه أو من بعد هرب ابن علی فظهر، ثم وجدت له کتب إلی الروم بغش الإسلام فلما قدم المنصور الرقة من بیت المقدس سنة إحدی و أربعین و مائة وجه من أتاه به فضرب عنقه بالرقة ثم انصرف إلی الهاشمیة بالکوفة.

و کان الرشید بنی حصن منصور و شحنه فی خلافة المهدی.

نقل دیوان الرومیة

قالوا: و لم یزل دیوان الشام بالرومیة حتی ولی عبد الملک بن مروان، فلما کانت سنة إحدی و ثمانین أمر بنقله و ذلک أن رجلا من

كتاب الروم احتج أن

فتوح البلدان، ص: ۱۹۳

يكتب شيئا فلم يجد ماء فبال فى الدواة، فبلغ ذلك عبد الملك فأدبه، و أمر سليمان بن سعد بنقل الديوان فسأله أن يعينه بخراج الأردن سنة ففعل ذلك، و ولاه الأردن فلم تنقض السنة حتى فرغ من نقله و أتى به عبد الملك فدعا بسرجون كاتبه فعرض ذلك عليه فغمه و خرج من عنده كئيبا فلقيه قوم من كتاب الروم، فقال: اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها اللّه عنكم، قال: و كانت وظيفة الأردن التى قطعها معونة مائة ألف و ثمانين ألف دينار و وظيفة فلسطين ثلاثمائة ألف خمسين ألف دينار و وظيفه دمشق أربعمائة ألف دينار و وظيفة حمص مع قنسرين و الكور التى تدعى اليوم العواصم ثمانمائة ألف دينار، و يقال: سبعمائة ألف دينار.

فتوح أرمينية

حدثنى محمد بن إسماعيل من ساكنى برذعة و غيره عن أبى براء عنبسة ابن بحر الأرمنى، و حدثنى محمد بن بشر القالى عن أشياخه، و برمك بن عبد اللّه الديلى، و محمد بن المخيس الخلاطى و غيرهم عن قوم من أهل العلم بأمور أرمينية، سقت حديثهم و رددت من بعضه على بعض، قالوا: كانت شمشاط و قاليقلا و خلاط و أرجيش و باجنيس تدعى أرمينية الرابعة: و كانت كورة البسفرجان و دبيل و سراج طير و بغروند تدعى أرمينية الثالثة و كانت جرزان تدعى ارمينية الثانية، و كانت السيسجان و أران تدعى أرمينية الأولى و يقال كانت شمشاط وحدها أرمينية الرابعة، و كانت قاليقلا و خلاط و أرجيش و باجنيس تدعى أرمينية الثالثة، و سراج طير و بغروند و دبيل و البسفرجان تدعى أرمينية الثانية، و سيسجان و أراد و تفليس تدعى أرمينية الأولى و كانت جرزان و أران فى أيدى الخزر و سابر أرمينية فى أيدى الروم يتولاها صاحب

فتوح البلدان، ص: ۱۹۴

أرمنياقس، و كانت الخزر تخرج فتغير و ربما بلغت الدينور فوجه قباذ بن فيروز الملك قائد من عظماء قواده فى اثنى عشر ألفا فوطئ بلاد أران و فتح ما بين النهر الذى يعرف بالرس إلى شروان، ثم أن قباذ لحق به فبنى بأران مدينة البيلقان، و مدينة برذنة، و هى مدينة الثغر كله، و مدينة قبله، و هى الخزر ثم بنى سد اللبن فيما بين أرض شروان و باب اللان، و بنى على سد اللبن ثلاثمائة و ستين مدينة خربت بعد بناء الباب و الأبواب، ثم أن ملك بعد قباذ ابنه أنوشروان كسرى بن قباذ فبنى مدينة الشابران و مدينة مسقط، ثم بنى مدينة الباب و الأبواب، و إنما سميت أبوابا لأنها بنيت على طريق فى الجبل و أسكن ما بنى من هذه المواضع قوما سماهم السياسيجين، و بنى بأرض أران أبواب شكن و القميبران و أبواب الدودانية، و هم أمة يزعمون أنهم من بنى دودان بن أسد بن خزيمة و بنى الدرذوقية و هى اثنا عشر بابا كل باب منها قصر من حجارة و بنى بأرض جرزان مدينة، يقال لها. سغدبيل و أنزلها قوما من السغد و أبناء فارس و جعلها مسلحة، و بنى مما يلى الروم فى بلاد جرزان قصرا يقال له باب فيروز قباذ، و قصرا يقال له. باب لاذقة، و قصرا يقال له، باب بارقة و هو على بحر طرابزندة، و بنى باب اللان، و باب سمسخى، و بنى قلعة الجردمان و قلعة سمشلدى، و فتح أنوشروان جميع ما كان فى أيدى الروم من أرمينية و عمر مدينة دبيل و حصنها، و بنى مدينة النشوى و هى مدينة كورة البسفرجان، و بنى حصن و يص، و قلاعا بأرض السيسجان، منها قلعة الكلاب، و ساهيونس و أسكن هذه الحصون و القلاع ذوى البأس و النجدة من سياسجية، ثم أن أنوشروان كتب إلى ملك الترك يسأله الموادعة و الصلح و أن يكون أمرهما واحدا و خطب إليه ابنته ليؤنسه بذلك و أظهر له الرغبة فى صهره و بعث إليه بأمة كانت تبنتها امرأة من نسائه و ذكر أنها ابنته، فهدى التركى ابنته إليه، ثم قدم عليه فالتقيا بالبرشلية

فتوح البلدان، ص: ۱۹۵

و تنادما أياما و أنس كل واحد منهما بصاحبه و أظهر بره، و أمر أنوشروان جماعة من خاصته و ثقاته أن يبيتوا طرفا من عسكر التركى

و يحرقوا فيه ففعلوا فلما أصبح شكا ذلك إلى أنوشروان فأنكر أن يكون أمر به أو علم أن أحدا من أصحابه فعله، و لما مضت لذلك ليالى أمر أولئك القوم بمعاودة مثل الـذى كان منهم ففعلوا فضج التركى من فعلهم حتى رفق به أنوشـروان و اعتذر إليه فسكن ثم أن أنوشروان أمر فألقيت النار فى ناحية من عسكره لم يكن بها إلا أكواخ قد اتخذت من حشيش و عيدان فلما أصبح ضج أنوشروان إلى التركى، و قال: كاد أصـحابك يذهبون بعسـكرى و قد كافأتنى بالظنة فحلف أنه لم يعلم بشـىء مما كان سببا فقال أنوشروان: يا أخى جنـدنا و جنـدك قد كرهوا صـلحنا لانقطاع ما انقطع عنهم من النيل فى الغارات و الحروب التى كانت تكون بيننا و لا أمن أن يحدثوا أحداثا يفسد قلوبنا بعد تصافينا و تخالصنا حتى نعود إلى العداوة بعد الصهر و المودة، و الرأى أن تأذن لى فى بناء حائط يكون بينى و بينـك و نجعل عليه بابا فلا يـدخل إليك من عنـدنا و إلينا من عنـدك إلا من أردت و أردنا، فأجابه إلى ذلك فانصـرف إلى بلاده و أقام أنوشـروان لبناء الحائط فبناه و جعله من قبل البحر بالصـخر و الرصاص و جعل عرضه ثلاثمائـة ذراع و ألحقه برءوس الجبال و أمر أن تحمل الحجارة فى السفن و تغريقها فى البحر حتى إذا ظهرت على وجه الماء بنى عليها فقاد الحائط فى البحر ثلاثة أميال، فلما فرغ من بنائه علق على المدخل منه أبواب حديد و وكل به مائة فارس يحرسونه بعد أن كان موضـعه يحتاج إلى خمسـين ألفا من الجند، و جعل عليه دبابة فقيل لخاقان بعد ذلك انه خدعك و زوجك غير ابنته و تحصن منك فلم يقدر على حيلة.

و ملك أنوشروان ملوكا رتبهم و جعل لكل امرئ منهم شاهية ناحية فمنهم خاقان الجبل، و هو صاحب السرير و يدعى وهرارزانشاه، و منهم ملك

فتوح البلدان، ص: ۱۹۶

فيلاـن و هو فيلاـن شاة، و منهم طبرسـرانشاه و ملك اللكز و يـدعى جرشـشانشاه و ملك مسـقط و قـد بطلت مملكته، و ملك ليران و يدعى ليرانشاه، و ملك شـروان و يدعى شروانشاه، و ملك صاحب بخ على بخ و صاحب زريكران عليها و أقر ملوك جبل القبق على ممالكهم و صالحهم على الاوتاوة فلم تزل أرمينية فى أيدى الفرس حتى ظهر الإسلام فرفض كثير من السياسيجين حصونهم و مدائنهم حتى خربت و غلب الخزر و الروم على ما كان فى أيديهم بديا.

قالوا: و قـد كانت أمور الروم تسـتب فى بعض الأزمنـة و صاروا كملوك الطوائف فملك أرمنياقس رجل منهم، ثم مات فملكتها بعده امرأته و كانت تسمى قالى فبنت مدينة قاليقلا و سمتها قاليقاله، و معنى ذلك احسان قالى، قال:

و صورت على باب من أبوابها فأعربت العرب قاليقاله فقالوا قاليقلا.

قـالوا: و لمـا اسـتخلف عثمـان بن عفـان كتب إلى معاويـة و هو عـامله على الشام و الجزيرة و ثغورها يأمره أن يوجه حبيب بن مسـلمة الفهرى إلى أرمينيـة و كـان حبيب ذا أثر جميل فى فتوح الشام و غزو الروم. قـد علم ذلك منه عمر ثم عثمان رضـى اللّه عنهما ثم من بعده.

و يقال: بل كتب عثمان إلى حبيب يأمره بغزو أرمينية و ذلك أثبت، فنهض إليها فى ستة آلاف و يقال فى ثمانية آلاف من أهل الشام و الجزيرة فـأتى قاليقلاـ فأنـاخ عليها و خرج إليه أهلها فقاتلهم ثم ألجأهم إلى المدينـة فطلبوا الأمان على الجلاء و الجزيـة فجلا كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم، و أقام حبيب بها فيمن معه أشـهرا، ثم بلغه أن بطريق أرمنياقس قد جمع للمسـلين جمعا عظيما و انضـمت إليه أمداد أهل اللان و أفخاز و سـمندر من الخزر فكتب إلى عثمان يسأله المدد فكتب إلى معاوية يسأله أن يشـخص إليه من أهل الشام و الجزيرة قوما ممن يرغب فى الجهاد و الغنيمة فبعث إليه

فتوح البلدان، ص: ۱۹۷

معاويـة ألفى رجـل أسـكنهم قاليقلا و أقطعهم بها القطائع و جعلهم مرابطـة بها و لما ورد على عثمان كتاب حبيب كتب إلى سـعيد بن العاصـى بن سـعيد بن العاصى بن أمية و هو عامله على الكوفة يأمره بإمداده بجيش عليه سلمان بن ربيعة الباهلى و هو سلمان الخيل، و كان خيرا فاضـلا غزاء فسار سـلمان الخيل إليه فى ستة آلاف رجل من أهل الكوفة، و قد أقبلت الروم و من معها فنزلوا على الفرات، و

قد أبطأ على حبيب المدد فبيتهم المسلمون فاجتاحوهم و قتلوا عظيمهم و قالت أم عبد اللّه بنت يزيد الكلبية امرأة حبيب ليلتئذ له أين موعدك، قال: سرادق الطاغية أو الجنة، فلما انتهى إلى السرادق وجدها عنده قالوا: ثم أن سلمان ورد و قد فرغ المسلمون من عدوهم فطلب أهل الكوفة إليهم أن يشركوهم فى الغنيمة فلم يفعلوا حتى تغالظ حبيب و سلمان فى القول و توعد بعض المسلمين سلمان بالقتل قال الشاعر:

ان تقتلوا سلمان نقتل حبيبكمو إن ترحلوا نحو ابن عفان ترحل

و كتب إلى عثمان بذلك فكتب: أن الغنيمة باردة لأهل الشام، و كتب إلى سلمان يأمره بغزو أران، و قد روى بعضهم: أن سلمان بن ربيعة توجه إلى أرمينية فى خلافة عثمان فسبى و غنم و انصرف إلى الوليد بن عقبة و هو بحديثة الموصل سنة خمس و عشرين فأتاه كتاب عثمان يعلمه أن معاوية كتب يذكر أن الروم قد أجلبوا على المسلمين بجموع عظيمة يسأل المدد و يأمره أن يبعث إليه ثمانية آلاف رجل فوجه بهم و عليهم سلمان بن ربيعة الباهلى و وجه معاوية حبيب بن مسلمة الفهرى معه فى مثل تلك العدة فافتتحا حصونا و أصابا سبيا و تنازعا الامارة و هم أهل الشام بسلمان فقال الشاعر:

إن تقتلوا «البيت».

و الخبر الأول أثبت. حدثنى به عدة من مشايخ أهل قاليقلا و كتب إلى به العطاف بن سفيان أبو الأصبغ قاضيها.

فتوح البلدان، ص: ۱۹۸

و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال: حاصر حبيب بن مسلمة أهل دبيل فأقام عليها فلقيه الموريان الرومى فبيته و قتله و غنم ما كان فى عسكره، ثم قدم سلمان عليه، و الثبت عندهم أنه لقيه بقاليقلا.

و حدثنى محمد بن بشر و ابن ورز القاليانى عن مشايخ أهل قاليقلا قالوا: لم تزل مدينة قاليقلا مذ فتحت ممتنعة بمن فيها من أهلها حتى خرج الطاغية فى سنة ثلاث و ثلاثين و مائة فحصر أهل ملطية و هدم حائطها و أجلى من بها من المسلمين إلى الجزيرة ثم نزل مرج الحصى فوجه كوسان الأرمنى حتى أناخ على قاليقلا فحصرها و أهلها يومئذ قليل و عاملها أبو كريمة فنقب إخوان من الأرمن من أهل مدينة قاليقلا ـ ردما كان فى سورها و خرجا إلى كوسان فأدخلاه المدينة فغلب عليها فقتل و سبى و هدمها و ساق ما حوى إلى الطاغية و فرق السبى على أصحابه.

و قال الواقدى: لما كانت سنة تسع و ثلاثين و مائة فادى المنصور بمن كان حيا من أسارى أهل قاليقلا و بنى قاليقلا و عمرها ورد من فادى به إليها و ندب إليها جندا من أهل الجزيرة و غيرهم، و قد كان طاغية الروم خرج إلى قاليقلا فى خلافة المعتصم بالله فرمى سورها حتى كاد يسقط فأنفق المعتصم عليها خمسمائة ألف درهم حتى حصنت.

قالوا: و لما فتح حبيب مدينة قاليقلا سار حتى نزل مربالا فأتاه بطريق خلاط بكتاب عياض بن غنم، و كان عياض قد أمنه على نفسه و ماله و بلاده و قاطعه على أتاوة فأنفذه حبيب له ثم نزل منزلا ـ بين الهرك و دشت الورك فأتاه بطريق خلاط بما عليه من المال و أهدى له هدية لم يقبلها منه و نزل

فتوح البلدان، ص: ۱۹۹

خلاط ثم سار منها إلى الصسابه فلقيه بها صاحب مكس، و هى ناحية من نواحى البسرجان فقاطعه على بلاده و وجه معه رجلا و كتب له كتاب صلح و أمان و وجه إلى قرى أرجيش و باجنيس من غلب عليها و جبى جزية رؤس أهلها و أتاه وجوههم فقاطعهم على خراجها، فأما بحيرة الطريخ فلم يعرض لها و لم تزل مباحة حتى ولى محمد بن مروان بن الحكم الجزيرة و أرمينية فحوى صيدها و باعه فكان يستغلها، ثم صارت لمروان بن محمد فقبضت عنه، قال:

ثم سار حبيب و أتى ازدساط و هى قرية القرمز و أجاز نهر الأكراد و نزل مرج دبيل فسرب الخيول إليها، ثم زحف حتى نزل على بابها فتصحن أهلها و رموه فوضع عليها منجنيقا و رماهم حتى طلبوا الأمان و الصلح فأعطاهم إياه و جالت خيوله فنزلت جرنى و بلغت

أشوش و ذات اللجم و الجبل کونتة (؟) و وادی الأحرار و غلبت علی جمیع قری دبیل و وجه إلی سراج طیر و بغروند فأتاه بطریقه فصالحه عنها علی أتاوة یؤدیها و علی مناصحة المسلمین و قراهم و معاونتهم علی أعدائهم و کان کتاب صلح دبیل.

بسم اللّه الرحمن الرحیم: هذا کتاب من حبیب بن مسلمة لنصاری أهل دبیل و مجوسها و یهودها شاهدهم و غائبهم: إنی أمنتکم علی أنفسکم و أموالکم و کنائسکم و بیعکم و سور مدینتکم فأنتم آمنون و علینا الوفاء لکم بالعهد ما وفیتم و أدیتم الجزیة و الخراج شهد اللّه «وَ کَفی بِاللَّهِ شَهِیداً»* و ختم حبیب بن مسلمة.

ثم أتی حبیب النشوی ففتحها علی مثل صلح دبیل و قدم علیه بطریق البسفرجان فصالحه عن جمیع بلاده و أرضی هصابنه (کذا) و أفارستة (کذا) علی خرج یؤدیه فی کل سنة، ثم أتی السیسجان فحاربهم أهلها فهزمهم و غلب علی

فتوح البلدان، ص: ۲۰۰

ویص و صالح أهل القلاع بالسیسجان علی خرج یؤدونه ثم سار إلی جرزان.

حدثنی مشایخ من أهل دبیل منهم برمک بن عبد اللّه، قالوا، سار حبیب ابن مسلمة بمن معه یرید جرزان فلما انتهوا إلی ذات اللجم سرحوا بعض دوابهم و جمعوا لجمها فخرج علیهم قوم من العلوج فأعجلوهم عن الألجام فقاتلوهم فکشفوهم العلوج و أخذا تلک اللجم و ما قدروا علیه من الدواب ثم انهم کروا علیهم فقتلوهم و ارتجعوا ما أخذوا منهم فسمی الموضع ذات اللجم، قالوا: و أتی حبیبا رسول بطریق جرزان و أهلها و هو یریدها فأدی إلیه رسالتهم و سأله کتاب صلح و أمان لهم فکتب حبیب إلیهم.

«أما بعد» فإن نقلی رسولکهم قدم علی و علی الذین معی من المؤمنین فذکر عنکم أنا أمة أکرمنا اللّه و فضلنا، و کذلک فعل اللّه و له الحمد کثیرا، صلی اللّه علی محمد نبیه و خیرته من خلقه و علیه السلام، و ذکرتم أنکم أحببتم سلمنا و قد قومت هدیتکم و حسبتها من جزیتکم و کتب لکم أمانا و اشترطت فیه شرطا فإن قبلتموه و وفیتم به و إلا فأذنوا بحرب من اللّه و رسوله و السلام علی من اتبع الهدی.

ثم ورد تفلیس و کتب لأهلها صلحا.

بسم اللّه الرحمن الرحیم: هذا کتاب من حبیب بن مسلمة لأهل طفلیس من منجلیس من جرزان القرمز بالأمان علی أنفسهم و بیعهم و صوامعهم و صلواتهم و دینهم علی إقرار بالصغار و الجزیة علی کل أهل بیت دینار و لیس لکم أن تجمعوا بین أهل البیوتات تخفیفا للجزیة و لا لنا أن نفرق بینهم استکثارا منها و لنا نصیحتکم و ضلعکم علی أعداء اللّه و رسوله صلی اللّه علیه و سلم ما استطعتم و قری المسلم المحتاج لیلة بالمعروف من حلال طعام أهل

فتوح البلدان، ص: ۲۰۱

الکتاب لنا و ان انقطع برجل من المسلمین عندکم فعلیکم أداؤه إلی أدنی فئة من المؤمنین إلا أن یحال دونهم و إن أنبتم و أقمتم الصلاة فإخواننا فی الدین و إلا فالجزیة علیکم، و إن عرض للمسلمین شغل عنکم فقهرکم عدوکم فغیر مأخوذین بذلک و لا هو ناقض عهدکم، هذا لکم و هذا علیکم شهد اللّه و ملائکته وَ کَفی بِاللَّهِ شَهِیداً.

و کتب الجراح بن عبد اللّه الحکمی لأهل تفلیس کتابا نسخته بسم اللّه الرحمن الرحیم: هذا کتاب من الجراح بن عبد اللّه لأهل تفلیس من رستاق منجلیس من کورة جرزان أنه أتونی بکتاب أمان لهم من حبیب بن مسلمة علی الإقرار بصغار الجزیة و أنه صالحهم علی أرضین لهم و کروم و أرحاء یقال لها واری، و سابینا من رستاق منجلیس و عن طعام و دیدونا من رستاق قحویط من جرزان علی أن یؤدوا عن هذه الأرحاء و الکروم فی کل سنة مائة درهم بلا ثانیة فأنفذت لهم أمانهم و صلحهم و أمرت الإیراد علیهم فمن قرئ علیه کتابی فلا یتعد ذلک فیهم إن شاء اللّه و کتب، قالوا: و فتح حبیب حوارح و کسفربیس و کسال و خنان و سمسخی و الجردمان و کستسجی و شوشت و بازلیت صلحا علی حقن دماء أهلها و اقرار مصلیاتهم و حیطانهم و علی أن یؤدوا أتاوة عن أرضهم و رؤسهم و صالح أهل قلرجیت و أهل ثریالیت و خاخیط و خوخیط و أرطهال و باب اللال و صالح الصناریة و الدودانیة علی اتاوة، قالوا و سار

سلمان بن ربيعة الباهلى حين أمره عثمان بالمسير إلى أران ففتح مدينة البيلقان صلحا على أن أمنهم على دمائهم و أموالهم و حيطان مدينتهم و اشترط عليهم أداء الجزية و الخراج ثم أتى سلمان برذعة فعسكر على الثرثور و هو نهر منها على أقل من فرسخ فأغلق أهلها دونه أبوابهم فعاناها أياما و شن الغارات فى قراها، و كانت زروعها مستحصدة

فتوح البلدان، ص: ٢٠٢

فصالحوه على مثل صلح البيلقان و فتحوا له أبوابها فدخلها و أقام بها و وجه خيله ففتحت شفشين و المسفوان و أود و المصريان و الهرحليان و تبار و هى رساتيق و فتح غيرها من أران، و دعا أكراد البلاسجان إلى الإسلام فقاتلوه فظفر بهم فأقر بعضهم بالجزية و أدى بعض الصدقة و هم قليل.

و حدثنى جماعة من أهل برذعة، قالوا: كانت شمكور مدينة قديمة فوجه سلمان بن ربيعة الباهلى من فتحها فلم تزل مسكونة معمورة حتى أخربها الساوردية و هم قوم تجمعوا فى أيام انصرف يزيد بن أسيد عن أرمينية فغلظ أمرهم و كثرت نوائبهم ثم أن بغا مولى المعتصم بالله رحمه اللّه عمرها فى سنة أربعين و مائتين و هو والى أرمينية و أذربيجان و شمشاط و أسكنها قوما خرجوا إليه من الخزر مستأمنين لرغبتهم فى الإسلام و نقل إليها التجار من برذعة و سماها المتوكلية، قالوا: و سار سلمان إلى مجمع الرس و الكر خلف برديج فعبر الكر ففتح قبلة و صالحه صاحب شكن و القميبران على أتاوة و صالحه أهل خيزان و ملك شروان و سائر ملوك الجبال و أهل مسقط و الشابران و مدينة الباب ثم أغلقت بعده و لقيه خاقان فى خيوله خلف نهر البلنجر فقتل رحمه اللّه فى أربعة آلاف من المسلمين فكان يسمع فى مأزقهم التكبير، و كان سلمان بن ربيعة أول من استقضى بالكوفة أقام أربعين يوما لا يأتيه خصم، و قد روى عن عمر بن الخطاب، و فى سلمان و قتيبة بن مسلم يقول ابن جمانة الباهلى:

و إن لنا قبرين قبر بلنجرو قبر بصين استان يا لک من قبر

فذاک الذى بالصين عمت فتوحهو هذا الذى يسقى به سبل القطر

و كان مع سلمان ببلنجر قرظة بن كعب الأنصارى و هو جاء بنعيه إلى عثمان، قالوا: و لما فتح حبيب ما فتح من أرض أرمينية كتب به إلى عثمان بن عفان فوفاه كتابه و قد نعى إليه سلمان فهم أن يوليه جميع أمينية، ثم رأى أن

فتوح البلدان، ص: ٢٠٣

يجعله غازيا بثغور الشام و الجزيرة لغنائه فيما كان ينهض له من ذلک فولى ثغر أرمينية حذيفة بن اليمان العبسى فشخص إلى برذعة و وجه عماله على ما بينها و بين قاليقلا و إلى خيزان فورد عليه كتاب عثمان يأمره بالانصراف و تخليف صلة بن زفر العبسى، و كان معه فخلفه و سار حبيب راجعا إلى الشام و كان يغزو الروم و نزل حمص فنقله معاوية إلى دمشق فتوفى بها سنة اثنتين و أربعين و هو ابن خمس و ثلاثين سنة، و كان معاوية وجه حبيبا فى جيش لنصرة عثمان حين حوصر، فلما انتهى إلى وادى القرى بلغه مقتل عثمان فرجع، قالوا: و ولى عثمان المغيرة بن شعبة أذربيجان و أرمينية، ثم عزله و ولى القاسم بن ربيعة ابن أمية بن أبى الصلت الثقفى أرمينية و يقال: ولاها عمرو بن معاوية بن المنتفق العقيلى، و بعضهم يقول وليها رجل من بنى كلاب بعد المغيرة خمس عشرة سنة ثم وليها العقيلى و ولى الأشعث بن قيس لعلى بن أبى طالب رضى اللّه عنه أرمينية و أذربيجان ثم وليها عبد اللّه بن حاتم بن النعمان بن عمرو الباهلى من قبل معاوية فمات بها فوليها عبد العزيز بن حاتم بن النعمان أخوه فبنى مدينة دبيل و حصنها و كبر مسجدها و بنى مدينة النشوى و رم مدينة برذعة و يقال: أنه جدد بناءها و أحكم حفر الفارقين حولها و جدد بناء مدينة البيلقان، و كانت هذه المدن متشعثة مستهدمة، و يقال أن الذى جدد بناء برذعة محمد بن مروان فى أيام عبد الملک بن مروان، و قال الواقدى: بنى عبد الملک مدينة برذعة على يد حاتم بن النعمان الباهلى أو ابنه، و قد كان عبد الملک ولى عثمان بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط، أرمينية، قالوا: و لما كانت فتنة ابن الزبير انتقضت أرمينية و خالف أحرارها و أتباعهم فلما ولى محمد بن مروان من قبل أخيه عبد الملک أرمينية حاربهم فظفر بهم فقتل و سبى و غلب على البلاد، ثم وعد من بقى منهم أن يعرض لهم فى الشرف فاجتمعوا لذلک فى كنائس من عمل

خلاط فأغلقها عليهم

فتوح البلدان، ص: ۲۰۴

و وكل بأبوابها ثم خوفهم، و فى تلك الغزاة سبيت أم يزيد بن أسيد من السيسجان و كانت بنت بطريقها، قالوا: و ولى سليمان بن عبد الملك أرمينية عدى بن عدى بن عميرة الكندى، و كان عدى بن عميرة ممن نزل الرقة مفارقا لعلى بن أبى طالب ثم ولاه إياها عمر بن عبد العزيز و هو صاحب نهر عدى بالبيلقان، و روى بعضهم أن عامل عمر كان حاتم بن النعمان، و ليس ذلك بثبت، ثم ولى يزيد بن عبد الملك معلق بن صفار البهرانى ثم عزله و ولى الحارث بن عمرو الطائى فغزا أهل اللكز ففتح رستاق حسمدان، و ولى الجراح بن عبد اللّه الحكمى من مذحج أرمينية فنزل برذعة فرفع إليه اختلاف مكاييلها و موازينها فأقامها على العدل و الوفاء و اتخذ مكيالا يدعى الجراحى فأهلها يتعاملون به إلى اليوم، ثم أنه عبر الكر و سار حتى قطع النهر المعروف بالسمور و صار إلى الخزر فقتل منهم مقتلة عظيمة و قاتل أهل بلاد حمزين، ثم صالحهم على أن نقلهم إلى رستاق خيزان و جعل لهم قريتين منه و أوقع بأهل غوميك و سبى منهم، ثم قفل فنزل شكى و شتا جنده ببرذعة و البيلقان و جاشت الخزر و عبرت الرس فحاربهم فى صحراء ورثان، ثم انحازوا إلى ناحية أردبيل فواقعهم على أربعة فراسخ مما يلى أرمينية فاقتلوا ثلاثة أيام فاستشهد و من معه فسمى ذلك النهر نهر الجراح و نسب جسر عليه إلى الجراح أيضا، ثم أن هشام بن عبد الملك ولى مسلمة بن عبد الملك أرمينية و وجه على مقدمته سعيد بن عمروا بن أسود الحرشى و معه إسحاق بن مسلم العقيلى و أخوته و جعونة بن الحارث بن خالد أحد بنى عامر بن ربيعة بن صعصعة و ذفافة و خالد أبنا عمير بن الحباب السلمى و الفرات بن سلمان الباهلى و الوليد بن القعقاع العبسى فواقع الخزر و قد حاصروا ورثان فكشفهم عنها و هزمهم فأتوا ميمذ من عمل أذربيجان، فلما تهيأ لقتالهم أتاه كتاب مسلمة بن عبد الملك يلومه على قتاله الخزر قبل قدومه و يعلمه أن قد

فتوح البلدان، ص: ۲۰۵

ولى أمر عسكره عبد الملك بن مسلم العقيلى، فلما سلم العسكر أخذه رسول مسلمة فقيده و حمله إلى برذعة فحبس فى سجنها و انصرف الخزر فاتبعهم مسلمة و كتب بذلك إلى هشام فكتب إليه:

أ تتركهم بميمذ قد تراهمو تطلبهم بمنقطع التراب

و أمر بإخراج الحرشى من السجن، قالوا: و صالح مسلمة أهل خيزان و أمر بحصنها فهدم و اتخذ لنفسه به ضياعا و هى اليوم تعرف بحوز خيزان و سالمه ملوك الجبال فصار إليه شروانشاه و ليرانشاه و طبرسرانشاه و فيلانشاه و خرشا خرشانشاه و صار إليه صاحب مسقط و صمد لمدينة الباب ففتحها و كان فى قلعتها ألف أهل بيت من الخزر فحاصرهم و رماهم بالحجارة ثم بحديد اتخذه على هيئة الحجارة فلم ينتفع بذلك، فعمد إليه العين التى كان أنوشروان أخرى منها الماء إلى صهريجهم فذبح البقر و الغنم و ألقى فيه الفرث و الحلتيت فلم يمكث ماؤهم إلا ليلة حتى دود و أنتن و فسد، فلما جن عليهم الليل هربوا و أخلوا القلعة و أسكن مسلمة بن عبد الملك مدينة الباب و الأبواب أربعة و عشرين ألفا من أهل الشام على العطاء فأهل الباب اليوم لا يدعون عاملا يدخل مدينتهم إلا و معه مال يفرقه بينهم، و بنى هريا للطعام و هريا للشعير و خزانة للسلاح و أمر بكبس الصهريج و رم المدينة و شرفها، و كان مروان بن محمد مع مسلمة و واقع معه الخزر فأبلى و قاتل قتالا شديدا، ثم ولى هشام بعد مسلمة سعيد الحرشى فأقام بالثغر سنتين ثم ولى الثغر مروان بن محمد فنزل كسال و هو بنى مدينتها و هى من برذعة على أربعين فرسخا و من تفليس على عشرين فرسخا ثم دخل أرض الخزر مما يلى باب اللان و أدخلها أسيد بن زافر السلمى أبا يزيد و معه ملوك الجبال من ناحية الباب و الأبواب فأغار مروان على صقالبة كانوا بأرض الخزر فسبى منهم عشرين ألف أهل بيت فأسكنهم خاخيط ثم أنهم

فتوح البلدان، ص: ۲۰۶

قتلوا أميرهم و هربوا فلحقهم و قتلهم، قالوا: و لما بلغ عظيم الخزر كثرة من وطئ به مروان بلاده من الرجال و ما هم عليه فى عدتهم و

قوتهم نخب ذلك قلبه و ملاه رعبا، فلما دنا منه أرسل إليه رسولا يدعوه إلى الإسلام أو الحرب فقال: قد قبلت الإسلام فأرسل إلى من يعرضه على ففعل فأظهر الإسلام و وادع مروان على أن أقره فى مملكته و سار مروان معه بخلق من الخزر فأنزلهم ما بين السمور و الشابران فى سهل أرض اللكز، ثم أن مروان دخل أرض السرير فأوقع بأهلها و فتح قلاعا فيها و دان له ملك السرير و أطاعه فصالحه على ألف رأس خمسمائة غلام و خمسمائة جارية سود الشعور و الحواجب و هدب الأشفار فى كل سنة و على مائة ألف مدى تصب فى اهراء الباب و أخذ منه الرهن و صالح مروان أهل تومان على مائة رأس خمسين جارية و خمسين غلاما خماسيين سود الشعور و الحواجب و هدب الأشفار و عشرين ألف مدى للاهراء فى كل سنة، ثم دخل أرض زريكران فصالحه ملكها على خمسين رأسا و عشرة آلاف مدى للاهراء فى كل سنة ثم أتى أرض حمزين فأبى حمزين أن يصالحه فافتتح حصنهم بعد أن حاصرهم فيه شهرا فأحرق و أخرب و كان صلحه إياه على خمسمائة رأس يؤدونها دفعة واحدة ثم لا يكون عليه سبيل و على أن يحمل ثلاثين ألف مدى إلى إهراء الباب فى كل سنة، ثم أتى سدان فافتتحها صلحا على مائة رأس يعطيه إياها صاحبها دفعة ثم لا يكون عليه سبيل فيما يستقبل و على أن يحمل فى كل سنة إلى اهراء الباب خمسة آلاف مدى، و وظف على أهل طبرسرانشاه عشرة آلاف مدى فى كل سنة تحمل إلى اهراء الباب، و لم يوظف على فيلانشاه شيئا، و ذلك لحسن غنائه و جميل بلائه و احماده أمره، ثم نزل مروان على قلعة اللكز و قد امتنع من أداء شيء من الوظيفة و خرج يريد صاحب الخزر فقتله راع بسهم رماه به و هو لا يعرفه

فتوح البلدان، ص: ۲۰۷

فصالح أهل اللكز على عشرين ألف مدى تحمل إلى الإهراء، و ولى عليهم خشرما السلمى و سار مروان إلى قلعة صاحب شروان و هى تدعى خرش و هى على البحر فأذعن بالطاعة و الانحدار إلى السهل و ألزمهم عشرة آلاف مدى فى كل سنة و جعل على صاحب شروان أن يكون فى المقدمة إذا بدأ المسلمون بغزو الخزر و فى الساقة إذا رجعوا و على فيلانشاه أن يغزو معهم فقط و على طبرسرانشاه أن يكون فى الساقة إذا بدءوا و فى المقدمة إذا انصرفوا، و سار مروان إلى الدودنية فأوقع بهم، ثم جاءه قتل الوليد بن يزيد و خالف عليه ثابت بن نعيم الجذامى و أتى مسافر القصاب و هو ممن مكنه بالباب الضحاك الخارجى فوافقه على رأيه و ولاه أرمينية و أذربيجان، و أتى أردبيل مستخفيا فخرج معه قوم من الشراة منها و أتوا باجروان فوجدوا بها قوما يرون رأيهم فانضموا إليهم فأتوا ورثان فصحبهم من أهلها بشر كثير كانوا على مثل رأيهم و عبروا إلى البيلقان فصحبتهم منهم جماعة كثيرة كانوا على مثل رأيهم ثم نزل يونان، و ولى مروان بن محمد إسحاق بن مسلم أرمينية فلم يزل يقاتل مسافرا و كان فى قلعة الكلاب بالسيسجان.

ثم لما جاءت الدولة المباركة و ولى أبو جعفر المنصور الجزيرة و أرمينية فى خلافة السفاح أبى العباس رحمه اللّه وجه إلى مسافر و أصحابه قائدا من أهل خراسان فقاتلهم حتى ظفر بهم و قتل مسافرا، و كان أهل البيلقان متحصنين فى قلعة الكلاب و رئيسهم قدد بن أصفر البيلقانى فاستنزلوا بأمان.

و لما استخلف المنصور رحمه اللّه ولى يزيد بن أسيد السلمى أرمينية ففتح باب اللان و رتب فيه رابطة من أهل الديوان و دوخ الصنارية حتى أدوا الخراج فكتب إليه المنصور يأمره بمصاهرة ملك الخزر ففعل، و ولدت له ابنته منه ابنا فمات و ماتت فى نفاسها و بعث يزيد إلى نفاطة أرض شروان

فتوح البلدان، ص: ۲۰۸

و ملاحاتها فجباها و وكل به و بنى يزيد مدينة أرجيل الصغرى و مدينة أرجيل الكبرى و أنزلهما أهل فلسطين.

حدثنى محمد بن إسماعيل عن جماعة من مشايخ أهل برذعة، قالوا الشماخية التى فى عمل شروان نسبت إلى الشماخ بن شجاع فكان ملك شروان فى ولاية سعيد بن سالم الباهلى أرمينية.

و حدثنى محمد بن إسماعيل عن المشيخة أن أهل أرمينية انتقضوا فى ولاية الحسن بن قحطبة الطائى بعد عزل بن أسيد و بكار بن مسلم العقيلى و كان رئيسهم موشائيل الأرمنى فبعث إليه المنصور رحمه اللّه الأمداد و عليهم عامر بن إسماعيل فواقع الحسن موشائيل

فقتل و فضت جموعه و استقامت له الأمور، و هو الذى نسب إليه نهر الحسن بالبيلقان و الباغ الذى يعرف بباغ الحسن ببرذعة و الضياع المعروفة بالحسنية، و ولى بعد الحسن بن قحطبة عثمان بن عمارة بن خريم، ثم روح بن حاتم المهلبى، ثم خزيمة بن خازم، ثم يزيد بن مزيد الشيبانى، ثم عبيد اللّه بن المهدى، ثم الفضل بن يحيى، ثم سعيد بن سالم، ثم محمد بن يزيد بن مزيد، و كان خزيمة أشدهم ولاية و هو الذى سن المساحة بدبيل و النشوى و لم يكن قبل ذلك، و لم يزل بطارقة أرمينية مقيمين فى بلادهم يحمى كل واحد منهم ناحيته فإذا قدم الثغر عامل من عماله داروه فإن رأوا منه عفة و صرامة و كان فى قوة و عدة أدوا إليه الخراج و أذعنو له بالطاعة و إلا اغتمزوا فيه و استخفوا بأمره، و وليهم خالد ابن يزيد بن مزيد فى خلافة المأمون فقبل هداياهم و خلطهم بنفسه فأفسدهم ذلك من فعله و جرأهم على من بعده من عمال المأمون.

ثم ولى المعتصم بالله الحسن بن على الباذغيسى المعروف بالمأمونى الثغر فأهمل بطارقته و أحراره و لان لهم حتى ازدادوا فسادا على السلطان و كلبا على

فتوح البلدان، ص: ۲۰۹

من يليهم من الرعية، و غلب إسحاق بن إسماعيل بن شعيب مولى بنى أمية على جرزان، و وثب سهل بن سنباط البطريق على عامل حيدر بن كاوس الأفشين على أرمينية فقتل كاتبه و أفلت بحشاشة نفسه ثم ولى أرمينية عمال كانوا يقبلون من أهلها العفو و يرضون من خراجها بالميسور.

ثم ان أمير المؤمنين المتوكل على اللّه ولى يوسف بن محمد بن يوسف المروزى أرمينية لسنتين من خلافته، فلما صار بخلاط أخذ بطريقها بقراط ابن أشوط فحمله إلى سر من رأى فأوحش البطارقة و الأحرار و المتغلبة ذلك منه ثم أنه عمد عامل له يقال له العلاء بن أحمد إلى دير بالسيسجان يعرف بدير الأقداح لم تزل نصارى أرمينية تعظمه و تهدى إليه فأخذ منه جميع ما كان فيه و عسف أهله فأكبرت البطارقة ذلك و أعظمته و تكاتبت فيه و حض بعضها على بعض على الخلاف و النقض و دسوا إلى الخويثية و هم علوج يعرفون بالأرطان فى الوثوب بيوسف و حرضوهم عليه لما كان من حمله بقراط بطريقهم و وجه كل امرئ منهم و من المتغلبة خيلا و رجالا ليؤيدوهم على ذلك فوثبوا به بطرون، و قد فرق أصحابه فى القرى فقتلوه و احتووا على ما كان فى عسكره فولى أمير المؤمنين المتوكل على اللّه بغا الكبير أرمينية فلما صار إلى بدليس أخذ موسى بن زرارة، و كان ممن هوى قتل يوسف و أعان عليه غضبا لبقراط و حارب الخويثية فقتل منهم مقتلة عظيمة و سبى سبيا كثيرا، ثم حاصر أشوط بن حمزة بن جاجق بطريق البسفرجال و هو بالبلق فاستنزله من قلعته و حمله إلى سر من رأى و سار إلى جرزان فظفر بإسحاق بن إسماعيل فقتله صبرا و فتح جرزان و حمل من بأران و ظاهر أرمينية من بالسيسجان من أهل الخلاف و المعصية من النصارى و غيرهم حتى صلح ذلك الثغر صلاحا لم يكن على مثله ثم قدم سر من رأى فى سنة إحدى و أربعين و مائتين

.

فتوح البلدان، ص: ۲۱۰

فتوح مصر و المغرب

قالوا: و كان عمرو بن العاصى حاصر قيسارية بعد انصراف الناس من حرب اليرموك ثم استخلف عليها ابنه حين ولى يزيد بن أبى سفيان و مضى إلى مصر من تلقاء نفسه فى ثلاثة آلاف و خمسمائة، فغضب عمر لذلك و كتب إليه يوبخه و يعنفه على افتتانه عليه برأيه و أمره بالرجوع إلى موضعه إن وافاه كتابه دون مصر، فورد الكتاب عليه و هو بالعريش، و قيل أيضا: إن عمر كتب إلى عمرو بن العاصى يأمره بالشخوص إلى مصر فوافاه كتابه و هو محاصر قيسارية و كان الذى أتاه شريك بن عبدة فأعطاه ألف دينار فأبى شريك قبولها فسأله أن يستر ذلك و لا يخبر به عمر.

قالوا: و كان مسير عمرو إلى مصر فى سنة تسع عشرة فنزل العريش ثم أتى الفرماء و بها قوم مستعدون للقتال فحاربهم فهزمهم و حوى عسكرهم و مضى قدما إلى الفسطاط فنزل جنان الريحان و قد خندق أهل الفسطاط، و كان اسم المدينة اليونة فسماها المسلمون فسطاطا لأنهم قالوا: هذا فسطاط القوم و مجمعهم، و قوم يقولون: إن عمرا ضرب بها فسطاطا فسميت بذلك.

قالوا: و لم يلبث عمرو بن العاصى و هو محاصر أهل الفسطاط أن ورد عليه الزبير بن العوام بن خويلد فى عشرة آلاف، و يقال: فى اثنى عشر ألفا فيهم خارجة بن حذافة العدوى و عمير بن وهب الجمحى، و كان الزبير قد هم بالغزو و أراد إتيان انطاكية فقال له عمر: يا أبا عبد اللّه هل لك فى ولاية مصر، فقال: لا حاجة لى فيها و لكنى أخرج مجاهدا و للمسلمين معاونا فإن وجدت عمرا قد فتحها لم أعرض لعمله و قصدت إلى بعض السواحل فرابطت به و إن وجدته فى جهاد كنت معه فسار على ذلك.

فتوح البلدان، ص: ۲۱۱

قالوا: و كان الزبير يقاتل من وجه و عمرو بن العاصى من وجه، ثم أن الزبير أتى بسلم فصعد عليه حتى أوفى على الحصن و هو مجرد سيفه فكبر و كبر المسلمون و اتبعوه ففتح الحصن عنوة و استباح المسلمون ما فيه و أقر عمرو أهله على أنهم ذمة موضع عليهم الجزية فى رقابهم و الخراج فى أرضهم و كتب بذلك إلى عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه فأجازه و اختط الزبير بمصر و ابتنى دارا معروفة، و إياها نزل عبد اللّه بن الزبير حين غزا إفريقية مع ابن أبى سرح و سلم الزبير باق فى مصر.

و حدثنا عفان بن مسلم، قال حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة أن الزبير بن العوام بعث إلى مصر فقيل له أن بها الطعن و الطاعون، فقال:

إنما جئنا للطعن و الطاعون، قال: فوضعوا السلاليم فصعدوا عليها.

و حدثنى عمرو الناقد، قال: حدثنى عبد اللّه بن وهب المصرى عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب: أن عمرو بن العاصى دخل مصر و معه ثلاثة آلاف و خمسمائة، و كان عمر بن الخطاب قد أشفق لما أخبر به من أمرها فأرسل الزبير بن العوام فى اثنى عشر ألفا فشهد الزبير فتح مصر و اختط بها.

و حدثنى عمرو الناقد، عن عبد اللّه بن وهب المصرى عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن عبد اللّه بن المغيرة بن أبى بردة عن سفيان بن وهب الخولانى، قال: لما فتحنا مصر بغير عهد قام الزبير فقال: أقسمها يا عمرو فأبى فقال الزبير: و اللّه لتقسمنها كما قسم رسول صلى اللّه عليه و سلم خيبر:

فكتب عمرو إلى عمر فى ذلك فكتب إليه عمر أقرها حتى يغزو منها حبل الحبلة، قال: و قال عبد اللّه بن وهب: و حدثنى ابن لهيعة عن خالد بن ميمون عن عبد اللّه ابن المغيرة عن سفيان بن وهب بنحوه.

و حدثنى القاسم بن سلام، قال: حدثنا أبو الأسود عن ابن لهيعة عن يزيد

فتوح البلدان، ص: ۲۱۲

ابن أبى حبيب أن عمرو بن العاصى دخل مصر فى ثلاثة آلاف و خمسمائة، و كان عمر قد أشفق من ذلك فأرسل الزبير بن العوام فى أثنى عشر ألفا فشهد معه فح مصر، قال: فاختط الزبير بمصر و الإسكندرية خطتين.

و حدثنى إبراهيم بن مسلم الخوارزمى، عن عبد اللّه بن المبارك عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى فراس عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص، قال: اشتبه على الناس أمر مصر، فقال قوم: فتحت عنوة، و قال آخرون:

فتحت صلحا، و الثلج فى أمرها أن أبى قدمها فقاتله أهل اليونة ففتحها قهرا و أدخلها المسلمين و كان الزبير أول من على حصنها، فقال صاحبها لأبى:

أنه قد بلغنا فعلكم بالشام و وضعكم الجزية على النصارى و اليهود و إقراركم الأرض فى أيدى أهلها يعمرونها و يؤدون خراجها فإن فعلتم بنا مثل ذلك كان أرد عليكم من قتلنا و سبينا و إجلائنا، قال: فاستشار أبى المسلمين فأشاروا عليه بأن يفعل ذلك إلا نفر منهم

سألوا أن يقسم الأرض بينهم فوضع على كل حالم دينارين جزيـة إلا أن يكون فقيرا و ألزم كل ذى أرض مع الـدينارين ثلاثـة أرادب حنطة و قسـطى زيت و قسـطى عسل و قسـطى خل رزقا للمسلمين تجمع فى دار الرزق و تقسم فيهم، و أحصى المسلمون، فألزم جميع أهل مصر لكل رجل منهم جبة صوف و برنسا أو عمامة و سراويل و خفين فى كل عام أو عدل الجبة الصوف ثوبا قبطيا و كتب عليهم بـذلك كتابـا و شـرط لهم إذا وفوا بـذلك أن لاـ تبـاع نسـاؤهم و أبناؤهم و لا يسـبوا و أن تقر أموالهم و كنوزهم فى أيـديهم، فكتب بـذلك إلى أمير المؤمنين عمر فأجازه و صارت الأرض أرض خراج إلا أنه لما وقع هذا الشـرط و الكتاب ظن بعض الناس أنها فتحت صلحا، قال: و لما فرغ ملك اليونة من أمر نفسه و من معه فى مدينته صالح عن جميع أهل مصر على مثل صلح اليونة فرضوا به، و قالوا هؤلاء الممتنعون قد رضوا و قنعوا بهذا فنحن به

فتوح البلدان، ص: ٢١٣

أقنع لأننا فرش لا منعـة لنا، و وضع الخراج على أرض مصـر فجعل على كل جريب دينارا و ثلاثـة أرادب طعاما و على رأس كل حالم دينارين و كتب بذلك إلى عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه.

و حدثنى عمرو الناقد عن عبد اللّه بن وهب المصرى عن الليث عن يزيد ابن أبى حبيب: أن المقوقس صالح عمرو بن العاصى على أن يسير من الروم من أراد و يقر من أراد الإقامة من الروم على أمر سماه، و أن يفرض على القبط دينارين فبلغ ذلك ملك الروم فتسخطه و بعث الجيوش، فأغلقوا باب الإسـكندرية و آذنوا عمرا بالحرب فخرج إليه المقوقس، فقال: أسألك ثلاثا أن لا تبـذل للروم مثل الذى بذلت لى فإنهم قد استغشونى و أن لا تنقض بالقبط فإن النقض لم يأت من قبلهم و إن مت فمر بدفنى فى كنيسة بالأسكندرية ذكرها، فقـال عمرو: هـذه أهونهن على و كانت قرى من مصـر قاتلت فسبى منهم و القرى بلهيت و الخيس و سـلطيس فوقع سـباؤهم بالمـدينة فردهم عمر بن الخطاب و صيرهم و جماعة القبط أهل ذمة و كان لهم عهد لم ينقضوه و كتب عمرو بفتح الإسكندرية إلى عمر.

«أما بعد» فإن اللّه فتح علينا الإسكندرية عنوة قسرا بغير عهد و لا عقد و هى كلها صلح فى قول يزيد بن أبى حبيب.

حدثنى أبو أيوب الرقى عن عبد الغفار عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب قال: جبى عمرو خراج مصـر و جزيتها ألفى ألف و جباها عبـد اللّه بن سـعد بن أبى سـرح أربعـة آلاـف ألف، فقـال عثمـان لعمرو: إن اللقاح بمصـر بعـدك قـد درت ألبانها، قال: ذاك لأنكم أعجفتم أولادها.

قال: و كتب عمر بن الخطاب فى سـنة إحدى و عشرين إلى عمرو بن العاصى يعلمه ما فيه أهل المدينة من الجهد و يأمره أن يحمل ما يقبض من الطعام

فتوح البلدان، ص: ٢١۴

فى الخراج إلى المدينـة فى البحر فكـان ذلـك يحمـل و يحمـل معه الزيت فـإذا ورد الجـار تولى قبضه سـعد الجـار، ثم جعـل فى دار بالمدينـة و قسم بين الناس بمكيال فانقطع ذلك فى الفتنـة الأولى، ثم حمل فى أيام معاويـة و يزيـد ثم انقطع إلى زمن عبد الملك بن مروان ثم لم يزل يحمل إلى خلافة أبى جعفر و قبيلها.

و حـدثنى بكر بن الهيثم، قال: حـدثنى أبو صالح عبد اللّه بن صالح عن الليث بن سـعد عن يزيد بن أبى حبيب: أن أهل الجزية بمصـر صولحوا فى خلافـة عمر بعـد الصلـح الأول مكان الحنطـة و الزيت و العسل و الخل على دينارين دينارين، فألزم كل رجل أربعة دنانير فرضوا بذلك و أحبوه.

و حـدثنى أبو أيوب الرقى، قال: حـدثنى عبـد الغفار الحرانى عن ابن لهيعـة عن يزيد بن أبى حبيب عن الجيشانى، قال سـمعت جماعة ممن شـهد فتـح مصـر يخبرون أن عمرو بن العاصـى لما فتـح الفسـطاط وجه عبـد اللّه بن حذافة السـهمى إلى عين شـمس فغلب على أرضها و صالح أهل قراها على مثل حكم الفسطاط، و وجه خارجة بن حذافة العدوى إلى الفيوم و الأشمونين و أخميم و البشر و دات و قرى الصـعيد ففعل مثل ذلك، و وجه عمير بن وهب الجمحى إلى تنيس و دمياط و تونة و دميرة و شطا و دقهلة و بنا و بوصير ففعل

مثل ذلک و وجه عقبة بن عامر الجهنى، و يقال: وردان مولاه صاحب سوق وردان بمصر إلى سائر قرى أسفل الأرض ففعل مثل ذلک، فاستجمع عمرو بن العاصى فتح مصر فصارت أرضها أرض خراج.

و حدثنا القاسم بن سلام، قال: حدثنا عبد الغفار الحرانى عن ابن لهيعة عن ابراهيم بن محمد عن أيوب بن أبى العالية عن أبيه، قال: سمعت عمرو

فتوح البلدان، ص: ۲۱۵

ابن العاصى يقول على المنبر: لقد قعدت مقعدى هذا و ما لأحد من قبط مصر على عهد و لا عقد إن شئت قتلت و إن شئت خمست و إن شئت بعت إلا أهل انطابلس فان لهم عهدا يوفى لهم به.

و حدثنى القاسم بن سلام قال: حدثنى به عبد اللّه بن صالح عن موسى بن على بن رباح اللخمى عن أبيه، قال: المغرب كله عنوة.

حدثنا أبو عبيد عن سعيد بن أبى مريم عن ابن لهيعة عن الصلت بن أبى عاصم كاتب حيان بن شريح أنه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز إلى حيان و كان عامله على مصر: أن مصر فتحت عنوة بغير عهد و لا عقد.

و حدثنى أبو عبيد، قال حدثنا سعيد بن أبى مريم عن يحيى بن أيوب عن عبيد اللّه بن أبى جعفر، قال: كتب معاوية إلى وردان مولى عمرو أن زد على كل امرئ من القبط قيراطا، فكتب إليه كيف أزيد عليهم و فى عهدهم أن لا يزاد عليهم.

و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه، قال: سمعت عروة بن الزبير يقول: أقمت بمصر سبع سنين و تزوجت بها فرأيت أهلها مجاهيد قد حمل عليهم فوق طاقتهم و إنما فتحها عمرو بصلح و عهد و شيء مفروض عليهم.

و حدثنى بكر بن الهيثم عن عبد اللّه بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبى علاقة عن عقبة بن عامر الجهنى، قال: كان لأهل مصر عهد و عقد كتب لهم عمرو: أنهم آمنون على أموالهم و دمائهم و نسائهم و أولادهم لا يباع منهم أحد و فرض عليهم خراجا لا يزاد عليهم، و أن يدفع عنهم خوف عدوهم، قال عقبة: و أنا شاهد على ذلک.

و حدثنى الحسين بن الأسود قال: حدثنى يحيى بن آدم عن عبد اللّه بن

فتوح البلدان، ص: ۲۱۶

المبارک عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عمن سمع عبد اللّه بن المغيرة ابن أبى بردة، قال سمعت سفيان بن وهب الخولانى يقول: لما افتتحنا مصر بلا عهد قام الزبير بن العوام فقال: يا عمرو اقسمها بيننا، فقال عمرو: لا و اللّه لا أقسمها حتى أكتب إلى عمر، فكتب إلى عمر فكتب إليه فى جواب كتابه أن أقرها حتى يغزو منها حبل الحبلة، أو قال يغدو.

و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى محمد بن عمر عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده، قال: فتح عمرو بن العاصى مصر سنة عشرين و معه الزبير فلما فتحها صالحه أهل البلد على وظيفة وظفها عليهم و هى ديناران على كل رجل و أخرج النساء و الصبيان من ذلک، فبلغ خراج مصر فى ولايته ألفى ألف دينار فكان بعد ذلک يبلغ أربعة آلاف ألف دينار.

حدثنى أبو عبيدة، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح عن الليث عن يزيد ابن أبى حبيب: أن المقوقس صاحب مصر صالح عمرو بن العاصى على أن فرض على القبط دينارين دينارين، فبلغ ذلک هرقل صاحب الروم فسخط أشد السخط و بعث الجيوش إلى الاسكندرية و أغلقها ففتحها عمرو بن العاصى عنوة.

حدثنى ابن القتات و هو أبو مسعود عن الهيثم عن المجالد عن الشعبى أن على بن الحسين أو الحسين نفسه كلم معاوية فى جزية أهل قرية أم ابراهيم ابن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بمصر فوضعها عنهم، و كان النبى صلى اللّه عليه و سلم يوصى بالقبط خيرا.

حدثنى عمرو عن عبد اللّه بن وهب عن مالک و الليث عن الزهرى عن ابن لكعب بن مالک أن النبى صلى اللّه عليه و سلم، قال: إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا فان لهم ذمة و رحما،

و قال الليث: كانت أم إسماعيل منهم. أبو الحسن المدائنى عن عبد اللّه بن المبارک، قال: كان عمر بن الخطاب

فتوح البلدان، ص: ۲۱۷

يكتب أموال عماله إذا ولاهم ثم يقاسمهم ما زاد على ذلك و ربما أخذه منهم، فكتب إلى عمرو بن العاصى أنه قد فشت لك فاشية من متاع و رقيق و آنية و حيوان لم يكن حين وليت مصر، فكتب إليه عمرو: أن أرضنا أرض مزدرع و متجر فنحن نصيب فضلا عما نحتاج إليه لنقتنا، فكتب إليه: إنى قد خبرت من عمال السوء ما كفى و كتابك إلى كتاب من قد أقلقه الأخذ بالحق و قد سؤت بك ظنا و قد وجهت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك فأطلعه طلعه و أخرج إليه ما يطالبك بها و اعفه من الغلظة عليك فإنه برح الخفاء، فقاسمه ماله، المدائنى عن عيسى بن يزيد، قال: لما قاسم محمد بن مسلمة عمرو بن العاصى. قال عمرو أن زمانا عاملنا فيه حنتمة هذه المعاملة لزمان سوء، لقد كان العاصى يلبس الخز بكفاف الديباج، فقال محمد: مه لو لا زمان ابن حنتمة هذا الذى تكرهه الفيت معتقلا عنزا بفناء بيتك يسرك غزرها و يسوءك بكاؤها، قال: أنشدك اللّه أن لا تخبر عمر بقولى فإن المجالس بالأمانة، فقال: لا أذكر شيئا مما جرى بيننا و عمر حى.

و حدثنى عمرو الناقد عن عبد اللّه بن وهب عن ابن لهيعة عن عبد اللّه ابن هبيرة أن مصر فتحت عنوة.

و حدثنى عمرو عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن ابن أنعم عن أبيه عن جده و كان ممن شهد فتح مصر، قال: فتحت مصر عنوة بغير عهد و لا عقد.

فتح الاسكندرية

قالوا: لما افتتح عمرو بن العاصى مصر أقام بها ثم كتب إلى عمر بن الخطاب يستأمره فى الزحف إلى الاسكندرية، فكتب إليه يأمره بذلك فسار إليها فى سنة إحدى و عشرين و استخلف على مصر خارجة بن حذافة بن غانم بن

فتوح البلدان، ص: ۲۱۸

عامر بن عبد اللّه بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب، و كان من دون الاسكندرية من الروم و القبط قد تجمعوا له، و قالوا: نغزوه بالفسطاط قبل أن يبلغنا و يروم الاسكندرية فلقيهم بالكريون فهزمهم و قتل منهم مقتلة عظيمة، و كان فيهم من أهل سخا و بلهيت و الخيس و سلطيس و غيرهم قوم رفدوهم و أعانوهم، ثم سار عمرو حتى انتهى إلى الاسكندرية فوجد أهلها معدين لقتاله إلا أن القبط فى ذلك يحبون الموادعة، فأرسل إليه المقوقس يسأله الصلح و المهادنة إلى مدة فأبى عمرو ذلك، فأمر المقوقس النساء أن يقمن على سور المدينة مقبلات بوجوههن إلى داخله، و أقام الرجال فى السلاح مقبلين بوجوههم إلى المسلمين ليرهبهم بذلك، فأرسل إليه عمرو إنا قد رأينا ما صنعت و ما بالكثرة غلبنا من غلبنا فقد لقينا هرقل ملككم فكان من أمره ما كان، فقال المقوقس لأصحابه: قد صدق هؤلاء القوم أخرجوا ملكنا من دار مملكته حتى أدخلوه القسطنطينية فنحن أولى بالإذعان، فأغلظوا له القول و أبوا إلا المحاربة، فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا و حصروهم ثلاثة أشهر، ثم أن عمرا فتحها بالسيف و غنم ما فيها و استبقى أهلها و لم يقتل و لم يسب و جعلهم ذمة كاهل اليونة، فكتب إلى عمر بالفتح مع معاوية بن خديج الكندى ثم السكونى و بعث إليه معه بالخمس.

و يقال: أن المقوقس صالح عمرا على ثلاثة عشر ألف دينار على أن يخرج من الاسكندرية من أراد الخروج و يقيم بها من أحب المقام و على أن يفرض على كل حالم من القبط دينارين فكتب لهم بذلك كتابا، ثم أن عمرو بن العاصى استخلف على الاسكندرية عبد اللّه بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى فى رابطة من المسلمين و انصرف إلى الفسطاط، و كتب الروم إلى قسطنطين بن هرقل، و هو كان

فتوح البلدان، ص: ۲۱۹

الملك يومئذ يخبرونه بقلة من عندهم من المسلمين و بما هم فيه من الذلة و أداء الجزية فبعث رجلا من أصحابه يقال له منويل فى

ثلاثمائة مركب مشحونة بالمقاتلة فدخل الاسكندرية و قتل من بها من روابط المسلمين إلا من لطف للهرب فنجا و ذلك فى سنة خمس و عشرين و بلغ عمرا الخبر فسار إليهم فى خمسة عشر ألفا فوجد مقاتلتهم قد خرجوا يعيثون فيما يلى الاسكندرية من قرى مصر فلقيهم المسلمون فرشقوهم بالنشاب ساعة و المسلمون متترسون ثم صدقوهم الحملة فالتحمت بينهم الحرب فاقتتلوا قتالا شديدا، ثم إن أولئك الكفرة ولوا منهزمين فلم يكن لهم ناهية و لا عرجة دون الاسكندرية فتحصنوا بها و نصبوا العرادات فقاتلهم عمرو عليها أشد قتال و نصب المجانيق فأخذت جدرها و ألح بالحرب حتى دخلها بالسيف عنوة فقتل المقاتلة و سبى الذرية و هرب بعض رومها إلى الروم و قتل عدو اللّه منويل و هدم عمروا و المسلمون جدار الاسكندرية و كان عمرو نذر لئن فتحها ليفعلن ذلك.

و قال بعض الرواة أن هذه الغزاة كانت فى سنة ثلاث و عشرين، و روى بعضهم أنهم نقضوا فى سنة ثلاث و عشرين و سنة خمس و عشرين و اللّه أعلم قالوا: و وضع عمرو على أرض الاسكندرية الخراج و على أهلها الجزية، و روى أن المقوقس اعتزل أهل الاسكندرية حين نقضوا فأقره عمرو و من معه على أمرهم الأول، و روى أيضا أنه قد كان مات قبل هذه الغزاة.

حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن إسحاق بن عبد اللّه بن أبى فروة عن حيان بن شريح عن عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه أنه قال: لم نفتح قرية من المغرب على صلح إلا ـ ثلاثا الاسكندرية و كفرطيس، و سلطيس، فكان عمر يقول من أسلم من أهل هذه المواضع خلى سبيله و سبيل ماله.

حدثنى عمرو الناقد، قال حدثنا ابن وهب المصرى عن ابن لهيعة عن

فتوح البلدان، ص: ۲۲۰

يزيد بن أبى حبيب أنه قال افتتح عمرو بن العاصى الاسكندرية فسكنها المسلمون فى رباطهم ثم قفلوا ثم غزوا و ابتدروا إلى المنازل فكان الرجل يأتى المنزل الذى كان ينزله فيجد صاحبه قد نزله و بدر إليه، فقال عمرو:

إنى أخاف أن تخرب المنازل إذا كنتم تتعاودونها.

فلما غزا فصاروا عند الكريون قال لهم سيروا على بركة اللّه فمن ركز منكم رمحا فى دار فهى له و لبنى أبيه، فكان الرجل يدخل الدار فيركز رمحه فى بعض بيوتها و يأتى الآخر فيركز رمحه كذلك أيضا فكانت الدار بين النفسين و الثلاثة فكانوا يسكنونها فإذا قفلوا سكنها الروم، فكان يزيد بن أبى حبيب يقول: لا يحل لأحد شيء من كرائها و لا تباع و لا تورث إنما كانت لهم سكنى أيام رباطهم، فلما كان قتالها الآخر و قدمها منويل الرومى الخصى أغلقها أهلها ففتحها عمرو و أخرب سورها، قالوا و لما ولى عمرو وردان مولاه الاسكندرية و رجع الفسطاط فلم يلبث إلا قليلا حتى أتاه عزله فولى عثمان بعده عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح بن الحارث أحد بنى عامر ابن لؤى، مكان أخا عثمان من الرضاعة و كانت ولايته فى سنة خمس و عشرين و يقال: أن عبد اللّه بن سعد كان على خراج مصر من قبل عثمان فجرى بينه و بين عمرو كلام فكتب عبد اللّه يشكو عمرا فعزله عثمان و جمع العملين لعبد اللّه بن سعد و كتب إليه يعلمه أن الاسكندرية فتحت مرة عنوة و انتقضت مرتين و يأمره أن يلزمها رابطة لا تفارقها و أن يدر عليهم الأرزاق و يعقب بينهم فى كل ستة أشهر.

و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى أن ابن هرمز الأعرج القارئ كان يقول: خير سواحلكم رباطا الاسكندرية فخرج إليها من المدينة مرابطا فمات بها سنة سبع عشرة و مائة.

فتوح البلدان، ص: ۲۲۱

و حدثنى بكر بن الهيثم عن عبد اللّه بن صالح عن موسى بن على عن أبيه، قال: كانت جزية الاسكندرية ثمانية عشر ألف دينار، فلما كانت ولاية هشام بن عبد الملك بلغت ستة و ثلاثين ألف دينار.

حدثنى عمرو عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب، قال: كان عثمان عزل عمرو بن العاصى عن مصر و جعل عليها عبد اللّه بن سعد، فلما نزلت الروم الاسكندرية سأل أهل مصر عثمان أن يقر عمرا حتى يفرغ من قتال الروم لأن له معرفة بالحرب و هيبة فى

أنفس العدو ففعل حتى هزمهم فأراد عثمان أن يجعل عمرا على الحرب و عبد اللّه على الخراج فأبى ذلك عمرو و قال: أنا كماسك قرنى البقرة و الأمير يحلبها فولى عثمان بن سعد مصر، ثم أقامت الحبش من البيما بعد فتح مصر يقاتلون سبع سنين ما يقدر عليهم لما يفجرون من المياه فى الغياض، قال عبد اللّه بن وهب: و أخبرنى الليث بن سعد عن موسى بن على عن أبيه أن عمرا فتح الاسكندرية الفتح الآخر عنوة فى خلافة عثمان بعد وفاة عمر رحمه اللّه.

فتح برقة و زويلة

حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن شرحبيل بن أبى عون عن عبد اللّه ابن هبيرة، قال: لما فتح عمرو بن العاصى الاسكندرية سار فى جنده يريد المغرب حتى قدم برقة و هى مدينة انطابلس فصالح أهلها على الجزية و هى ثلاثة عشر ألف دينار يبيعون فيها من أبنائهم من أحبوا بيعه.

حدثنى بكر بن الهيثم، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح عن سهيل بن عقيل عن عبد اللّه بن هبيرة، قال صالح عمرو بن العاصى: أهل انطابلس

فتوح البلدان، ص: ۲۲۲

و مدينتها برقة و هى بين مصر و إفريقية بعد أن حاصرهم و قاتلهم على الجزية على أن يبيعوا من أبنائهم من أرادوا فى جزيتهم و كتب لهم بذلك كتابا.

حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن مسلمة بن سعيد عن إسحاق بن عبد اللّه بن أبى فروة، قال: كان أهل برقة يبعثون بخراجهم إلى والى مصر من غير أن يأتيهم حاث أو مستحث فكانوا أخصب قوم بالمغرب و لم يدخلها فتنة، قال الواقدى: و كان عبد اللّه بن عمرو بن العاصى يقول: لو لا مالى بالحجاز لنزلت برقة فما أعلم منزلا أسلم و لا أعزل منها.

و حدثنى بكر بن الهيثم، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح عن معاوية بن صالح، قال: كتب عمرو بن العاصى إلى عمر بن الخطاب يعلمه أنه قد ولى عقبة بن نافع الفهرى المغرب فبلغ زويلة و أن من بين زويلة و برقة سلم كلهم حسنة طاعتهم قد أدى مسلمهم الصدقة، و أقر معاهدهم بالجزية، و أنه قد وضع على أهل زويلة و من بينه و بينها ما رأى أنهم يطيقونه، و أمر عماله جميعا أن يأخذوا الصدقة من الأغنياء فيردوها فى الفقراء، و يأخذوا الجزية من الذمة فتحمل إليه بمصر، و أن يؤخذ من أرض المسلمين العشر و نصف العشر و من أهل الصلح صلحهم.

و حدثنى بكر بن الهيثم، قال: سألت عبد اللّه بن صالح عن البربر، فقال: هم يزعمون أنهم ولد بر بن قيس و ما جعل اللّه لقيس ولدا يقال له بر، و إنما هم من الجبارين الذين قاتلهم داود عليه السلام و كانت منازلهم على أيادى الدهر فلسطين و هم أهل عمود فأتوا المغرب فتناسلوا به.

حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب أن عمرو بن العاصى، كتب فى شرطه على أهل لواتة

فتوح البلدان، ص: ۲۲۳

من البربر من أهل برقة أن عليكم أن تبيعوا أبناءكم و نساءكم فيما عليكم من الجزية قال الليث: فلو كانوا عبيدا ما حل ذلك منهم.

و حدثنى بكر بن الهيثم، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن عمر بن عبد العزيز كتب فى اللواتيات: أن من كانت عنده لواتية فليخطبها إلى أبيها أو فليرددها إلى أهلها، قال: و لواتة قربة من البربر كان لهم عهد.

فتح أطرابلس

حدثنى بكر بن الهيثم عن عبد اللّه بن صالح عن معاوية بن صالح عن على ابن طلحة، قال: سار عمرو بن العاصى حتى نزل أطرابلس فى سنة اثنتين و عشرين فقوتل، ثم افتتحها عنوة و أصاب بها أحمال بزيون كثيرة مع تجار من تجارها فباعه و قسم ثمنه بين المسلمين و كتب إلى عمر بن الخطاب «أنا قد بلغنا أطرابلس و بينها و بين إفريقية تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا فى غزوها فعل، فكتب إليه ينهاه عنها و يقول: ما هى بإفريقية و لكنها مفرقة غادرة مغدور بها، و ذلك أن أهلها كانوا يؤدون إلى ملك الروم شيئا فكانوا يغدرون به كثيرا و كان ملك الأندلس صالحهم ثم غدر بهم و كان خبرهم قد بلغ عمر.

حدثنى عمرو الناقد، قال: حدثنا عبد اللّه بن وهب عن الليث بن سعد، قال: حدثنى مشيختنا أن أطرابلس فتحت بعهد من عمرو بن العاصى.

فتح إفريقية

قالوا: لما ولى عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح مصر و المغرب بعث المسلمين فى جرائد خيل فأصابوا من أطراف إفريقية و غنموا، و كان عثمان

فتوح البلدان، ص: ۲۲۴

ابن عفان رضى اللّه عنه متوقفا عن غزوها ثم إنه عزم على ذلك بعد أن استشار فيه، و كتب إلى عبد اللّه فى سنة سبع و عشرين و يقال: فى سنة ثمان و عشرين و يقال فى سنة تسع و عشرين يأمره بغزوها و أمده بجيش عظيم فيه معبد بن العباس بن عبد المطلب، و مروان بن الحكم بن أبى العاصى بن أمية، و الحارث بن الحكم أخوه، و عبد اللّه بن الزبير بن العوام، و المسور ابن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، و عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، و عبد اللّه بن عمر بن الخطاب، و عاصم ابن عمر، و عبيد اللّه بن عمر و عبد الرحمن بن أبى بكر، و عبد اللّه بن عمرو بن العاصى، و بسر بن أبى أرطاة بن عويمر العامرى، و أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلى الشاعر و بها توفى فقام بأمره ابن الزبير حتى واراه فى لحده، و خرج فى هذه الغزاة ممن حول المدينة من العرب خلق كثير.

حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن أسامة بن زيد بن أسلم عن نافع مولى آل الزبير عن عبد اللّه بن الزبير، قال: اغزانا عثمان بن عفان إفريقية و كان بها بطريق سلطانه من أطرابلس إلى طنجة، فسار عبد اللّه بن سعد ابن أبى سرح حتى حل بعقوبة فقاتله أياما فقتله اللّه، و كنت أنا الذى قتلته، و هرب جيشه فتمزقوا، و بث ابن أبى سرح السرايا ففرقها فى البلاد فأصابوا غنائم كثيرة و استاقوا من المواشى ما قدروا عليه، فلما رأى ذلك عظماء إفريقية اجتمعوا فطلبوا إلى عبد اللّه بن سعد أن يأخذ منهم ثلاثمائة قنطار من ذهب على أن يكف عنهم و يخرج من بلادهم فقبل ذلك.

و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن أسامة بن زيد الليثى عن ابن كعب أن عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح صالح بطريق إفريقية على ألفى

فتوح البلدان، ص: ۲۲۵

ألف دينار و خمسمائة ألف. و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن موسى بن ضمرة المازنى عن أبيه، قال: لما صالح عبد اللّه بن سعد بطريق إفريقية رجع إلى مصر و لم يول على إفريقية أحدا، و لم يكن لها يومئذ قيروان و لا مصر جامع.

قال: فلما قتل عثمان و ولى أمر مصر محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة لم يوجه إليها أحدا فلما ولى معاوية بن أبى سفيان ولى معاوية بن حديج السكونى مصر فبعث فى سنة خمسين عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط الفهرى فغزاها و اختطها، قالوا: و وجه عقبة بسر بن أبى أرطاة إلى قلعة من القيروان فافتتحها و قتل و سبى، و هى اليوم تعرف بقلعة بسر، و هى بالقرب من مدينة تدعى مجانة عند معدن الفضة .

و قد سمعت من يذكر أن موسى بن نصير وجه بسرا، و بسر ابن اثنتين و ثمانين سنة إلى هذه القلعة فافتتحها، و كان مولد بسر قبل وفاة النبى صلى اللّه عليه و سلم بسنتين، و غير الواقدى يزعم أنه قد روى عن النبى صلى اللّه عليه و سلم و اللّه أعلم.

و قال الواقـدى. و لم يزل عبـد اللّه بن سـعد واليا حتى غلب محمـد بن أبى حذيفة على مصـر، و هو كان أنغلها على عثمان ثم أن عليا رضـى اللّه عنه ولى قيس بن سـعد بن عبادة الأنصارى مصر، ثم عزله و استعمل عليها محمد بن أبى بكر الصديق ثم عزله و ولى مالكا الأشتر فاعتل بالقلزم ثم ولى محمـد بن أبى بكر ثانيـة ورده عليها فقتله معاوية بن حديج و أحرقه فى جوف حمار، و كان الوالى عمرو بن العاصى من قبل معاوية بن أبى سفيان فمات

فتوح البلدان، ص: ۲۲۶

عمرو بمصـر يوم الفطر سـنة اثنتين و أربعين و يقال سـنة ثلاث و أربعين و ولى عبـد اللّه بن عمرو ابنه بعـده ثم عزله معاوية بن حديج فأقام بها أربع سنين ثم غزا فغنم ثم قدم مصر فوجه عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهرى، و يقال:

بل ولاه معاويـة المغرب فغزا إفريقيـة فى عشـرة آلاف من المسـلمين فافتتح إفريقية و اختط قيروانها، و كان موضع غيضة ذات طرفاء و شجر لا يرام من السـباع و الحيات و العقارب القتالة و كان ابن نافع رجلا صالحا مسـتجاب الدعوة فدعا ربه فاذهب ذلك كله حتى إن كانت السباع لتحمل أولادها هاربة بها.

و قـال الواقـدى: قلت لموسـى بن على رأيت بنـاء إفريقيـة المتصـل المجتمع الـذى نراه اليوم من بناه فقال: أول من بناها عقبـة بن نافع الفهرى اختطها ثم بنى و بنى الناس معه الدور و المساكن و بنى المسجد الجامع بها.

قـال: و بإفريقيـة استشـهد معبـد بن العبـاس رحمه اللّه فى غزاة ابن أبى سـرح فى خلافـة عثمـان، و يقـال: بـل مـات فى أيـام القتال، و استشهاده أثبت. فتوح البلدان ؛ ص۲۲۶

قال الواقدى و غيره: عزل معاوية بن أبى سـفيان معاوية بن حديج و ولى مصـر و المغرب مسلمة بن مخلد الأنصارى، فولى المغرب أبا المهاجر مولاه فلما ولى يزيـد بن معاوية رد عقبة بن نافع على عمله فغزا السوس الأدنى و هو خلف طنجة و جول فيما هناك لا يعرض له أحـد و لا ـ يقـاتله فانصـرف و مات يزيـد بن معاويـة و بويع لابنه معاويـة بن يزيـد و هو أبو ليلى فنادى: الصـلاة جامعـة، ثم تبرأ من الخلافة و جلس فى بيته و مات بعد شهرين، ثم كانت ولاية مروان بن الحكم و فتنة ابن الزبير ثم ولى عبد الملك بن مروان فاستقام له

فتوح البلدان، ص: ۲۲۷

الناس فاسـتعمل أخاه عبـد العزيز على مصـر فولى إفريقيـة زهير بن قيس البلوى ففتح تونس، ثم انصـرف إلى برقة فبلغه أن جماعة من الروم خرجـوا من مراكب لهم فعـاثوا فتوجهـوا إليهم فى جريـدة خيـل فلقيهم فاستشـهد و من معه فقـبره هنـاك و قبورهم تـدعى قبور الشـهداء. ثم ولى حسان بن النعمان الغسانى فغزا ملكة البربر الكاهنة فهزمته فأتى قصورا فى حيز برقة فنزلها و هى قصور يضـمها قصـر سقوفه أزاج فسـميت قصور حسـان، ثم أن حسـان غزاها ثانيـة فقتلها و سبى سبيا من البربر، و بعث به إلى عبـد العزيز فكان أبو محجن نصيب الشاعر يقول: لقد حضرت عند عبد العزيز سبيا من البربر ما رأيت قط وجوها أحسن من وجوههم.

قال ابن الكلبى: ولى هشام كلثوم بن عياض بن وحوح القشـيرى إفريقيـة فانتقض أهلها عليه فقتل بها، و قال ابن الكلبى: كان أفريقيس بن قيس بن صـيفى الحميرى غلب على إفريقية فى الجاهلية فسـميت به و هو الذى قتل جرجير ملكها فقال للبرابرة: ما أكثر بربرة هؤلاء فسموا البرابرة.

و حدثنى جماعة من أهل إفريقية عن أشـياخهم أن عقبة بن نافع الفهرى لما أراد تمصير القيروان فكر فى موضع المسجد منه فأرى فى منامه كأن رجلا أذن فى الموضع الذى جعل فيه مئذنته، فلما أصبح بنى المنابر فى موقف الرجل ثم بنى المسجد.

و حـدثنى محمـد بن سـعد عن الواقـدى، قال: ولى محمـد بن الأشـعث الخزاعى إفريقيـة من قبل أبى العباس أمير المؤمنين فرم مـدينة القيروان و مسجدها ثم عزله المنصور و ولى عمر بن حفص هزار مردد مكانه

.

فتوح البلدان، ص: ۲۲۸

فتح طنجة

قال الواقدى: وجه عبد العزيز بن مروان موسى بن نصير مولى بنى أمية و أصله من عين التمر، و يقال: بل هو من أراشة من بلى و يقال هو من لخم واليا على إفريقية، و يقال: بل وليها فى زمن الوليد بن عبد الملك سنة تسع و ثمانين ففتح طنجة و نزلها، و هو أول من نزلها و اختط فيها للمسلمين و انتهت خيله إلى السوس الأدنى و بينه و بين السوس الأقصى نيف و عشرون يوما فوطئهم و سبى منهم و أدوا إليه الطاعة و قبض عامله منهم الصدقة ثم ولاها طارق بن زياد مولاه و انصرف إلى قيروان إفريقية.

فتح الأندلس

قال الواقدى: غزا طارق بن زياد عامل موسى بن نصير الأندلس و هو أول من غزاها و ذلك فى سنة اثنتين و تسعين فلقيه أليان و هو وال على مجاز الأندلس فآمنه طارق على أن حمله و أصحابه إلى الأندلس فى السفن، فلما صار إليها حاربه أهلها ففتحها و ذلك فى سنة اثنتين و تسعين، و كان ملكها فيما يزعمون من الأشبان و أصلهم من أصبهان، ثم أن موسى بن نصير كتب إلى طارق كتابا غليظا لتغريره بالمسلمين و افتتانه عليه بالرأى فى غزوه و أمر أن لا يجاوز قرطبة و سار موسى إلى قرطبة من الأندلس فترضاه طارق فرضى عنه فافتتح طارق مدينة طليطلة و هى مدينة مملكة الأندلس و هى مما يلى فرنجة و أصاب بها مائدة عظيمة أهداها موسى بن نصير إلى الوليد بن عبد الملك بدمشق حين قفل سنة ست و تسعين و الوليد مريض، فلما ولى سليمان بن عبد الملك أخذ موسى بن نصير بمائة ألف دينار فكلمه فيه يزيد بن المهلب فأمسك عنه، ثم لما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه ولى المغرب إسماعيل بن عبد اللّه

فتوح البلدان، ص: ۲۲۹

بن أبى المهاجر مولى بنى مخزوم، فسار أحسن سيره و دعى البربر إلى الإسلام و كتب إليهم عمر بن عبد العزيز كتبا يدعوهم بعد إلى ذلك فقرأها إسماعيل عليهم فى النواحى فغلب الإسلام على المغرب.

قالوا: و لما ولى يزيد بن عبد الملك ولى يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج ابن يوسف إفريقية و المغرب، فقدم إفريقية فى سنة اثنتين و مائة و كان حرسه البربر فوسم كل امرئ منهم على يده حرسى، فأنكروا ذلك و ملوا سيرته فدب بعضهم إلى بعض و تضافروا على قتله فخرج ذات عشية لصلاة المعرب فقتلوه فى مصلاه فولى يزيد بشر بن صفوان الكلبى فضرب عنق عبد اللّه بن موسى بن نصير بيزيد، و ذلك أنه اتهم بقتله و تأليب الناس عليه، ثم ولى هشام بن عبد الملك بشر بن صفوان أيضا فتوفى بالقيروان سنة تسع و مائة فولى مكانه عبيدة بن عبد الرحمن القيسى، ثم استعمل بعده عبد اللّه بن الحبحاب مولى بنى سلول فأغزى عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى السوس و أرض السودان فظفر ظفرا لم ير أحد مثله قط، و أصاب جاريتين من نساء ما هناك ليس للمرأة منهن إلا ثدى واحد و هم يسمون تراجان ثم ولى بعد ابن الحبحاب كلثوم بن عياض القشيرى فقدم إفريقية فى سنة ثلاث و عشرين فقتل، ثم ولى بعده حنظلة بن صفوان الكلبى أخا بشر بن صفوان فقاتل الخوارج و توفى هناك و هو وال، و قام الوليد بن يزيد بن عبد الملك فخالف عليه عبد الرحمن بن حبيب الفهرى و كان محببا فى ذلك الثغر لما كان من آثار جده عقبه بن نافع فيه فغلب عليه و انصرف عنه حنظلة فبقى عبد الرحمن عليه، و ولى يزيد بن الوليد الخلافة فلم يبعث إلى المغرب عاملا و قام مروان بن محمد فكاتبه عبد الرحمن بن حبيب و أظهر له الطاعة و بعث إليه بالهدايا، و كان كاتبه خالد بن ربيعة الإفريقى. و كان بينه و بين عبد الحميد بن يحيى مودة و مكاتبة فأقر مروان

فتوح البلدان، ص: ۲۳۰

عبد الرحمن على الثغر ثم ولى بعده الياس بن حبيب ثم حبيب بن عبد الرحمن ثم غلب البربر و الإباضية من الخوارج، ثم دخل محمد بن الأشعث الخزاعى إفريقية واليا عليها فى آخر خلافة أبى العباس فى سبعين ألفا و يقال فى أربعين ألفا فوليها أربع سنين فرم مدينة القيروان، ثم وثب عليه جند البلد و غيرهم، و سمعت من تحدث أن أهل البلد و الجند المقيمين فيه وثبوا به فمكث يقاتلهم أربعين يوما و هو فى قصره حتى اجتمع إليه أهل الطاعة ممن كان شخص معه من أهل خراسان و غيرهم و ظفر بمن حاربه و عرضهم على الأسماء، فمن كان اسمه معاوية أو سفيان أو مروان أو اسما موافقا لأسماء بنى أمية قتله، و من كان اسمه خلاف ذلك استبقاه فعزله المنصور. و ولى عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبى صفرة العتكى، و هو الذى سمى هزار مرد، و كان المنصور به معجبا فدخل إفريقية و غزا منها حتى بلغ أقصى بلاد البربر و ابتنى هناك مدينة سماها العباسية، ثم أن أبا حاتم السدراتى الإباضى من أهل سدراتة و هو مولى لكندة قاتله فاستشهد و جماعة من أهل بيته و انتقض الثغر و هدمت تلك المدينة التى ابتناها، و ولى بعد هزار مرد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، فخرج فى خمسين ألفا، و شيعه أبو جعفر المنصور إلى بيت المقدس و أنفق عليه مالا عظيما فسار يزيد حتى لقى أبا حاتم باطرابلس فقتله و دخل إفريقية فاستقامت له، ثم ولى بعد يزيد بن حاتم روح بن حاتم ثم الفضل بن روح فوثب الجند عليه فذبحوه.

و حدثنى أحمد بن ناقد مولى بنى الأغلب، قال: كان الأغلب بن سالم التميمى من أهل مرو الروز فيمن قدم مع المسودة من خراسان فولاه موسى الهادى المغرب فجمع له حريش، و هو رجل كان من جند الثغر من تونس جمعا، و سار إليه و هو بقيروان إفريقية فحصره، ثم أن الأغلب خرج إليه

فتوح البلدان، ص: ۲۳۱

فقاتله فأصابه فى المعركة سهم فسقط ميتا و أصحابه لا يعلمون بمصابه و لم يعلم به أصحاب حريش، ثم أن حريشا انهزم و جيشه فاتبعهم أصحاب الأغلب ثلاثة أيام فقتلوهم و قتلوا حريشا بموضع يعرف بسوق الأجد فسمى الأغلب الشهيد، قال: و كان ابراهيم بن الأغلب من وجوه جند مصر فوثب و اثنا عشر رجلا معه فأخذوا من بيت المال مقدار أرزاقهم لم يزدادوا على ذلك شيا و هربوا فلحقوا بموضع يقال له الزاب، و هو من القيروان على مسيرة أكثر من عشرة أيام، و عامل الثغر يومئذ من قبل الرشيد هارون هرثمة ابن أعين و اعتقد ابراهيم بن الأغلب على من كان من تلك الناحية من الجند و غيرهم الرياسة و أقبل يهدى إلى هرثمة و يلاطفه و يكتب إليه يعلمه أنه لم يخرج يدا من طاعة و لا اشتمل على معصية و أنه إنما دعاه إلى ما كان منه الإحواج و الضرورة فولاه هرثمة ناحيته و استكفاه أمرها، فلما صرف هرثمة من الثغر وليه بعده ابن العكى فساء أثره فيه حتى انتقض عليه فاستشار الرشيد هرثمة فى رجل يوليه إياه و يقلده أمره فأشار عليه باستصلاح ابراهيم و اصطناعه و توليته الثغر فكتب إليه الرشيد يعلمه أنه قد صفح له عن جرمه و أقاله هفوته و رأى توليته بلاد المغرب اصطناعا له ليستقبل به الإحسان و يستقبل به النصيحة، فولى ابراهيم ذلك الثغر و قام به و ضبطه، ثم أن رجلا من جند البلد يقال له عمران بن مجالد خالف و نقض فانضم إليه جند الثغر و طلبوا أرزاقهم و حاصروا ابراهيم بالقيروان فلم يلبثوا إن أتاهم العراض و المعطون و معهم مال من خراج مصر فلما أعطوا تفرقوا فابتنى ابراهيم القصر الأبيض الذى فى قبلة القيروان على ميلين منها و خط للناس حوله فابتنوا و مصر ما هناك و بنى مسجدا جامعا بالجص و الآجر و عمد الرخام و سقفه بالأردن و جعله مائتى ذراع فى نحو مائتى ذراع و ابتاع عبيدا أعتقهم فبلغوا خمسة آلاف و أسكنهم حوله و سمى تلك المدينة العباسية و هى اليوم آهلة عامرة.

فتوح البلدان، ص: ۲۳۲

و كان محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب أحدث فى سنة تسع و ثلاثين و مائتان مدينة بقرب تاهرت سماها العباسية أيضا فأخربها أفلح بن عبد الوهاب الإباضى، و كتب إلى الأموى صاحب الأندلس يعلمه ذلك تقربا إليه به فبعث إليه الأموى مائة ألف

درهم.

و بالمغرب أرض تعرف بالأرض الكبيرة و بينها و بين برقة مسيرة خمسة عشر يوما أو أقل من ذلك قليلا أو أكثر قليلا و بها مدينة على شاطئ البحر تدعى بارة، و كان أهلها نصارى و ليسوا بروم غزاها حبلة مولى الأغلب فلم يقدر عليها، ثم غزاها خلفون البربرى، و يقال: أنه مولى لربيعة ففتحها فى أول خلافة المتوكل على اللّه، و قام بعده رجل يقال له المرج بن سلام ففتح أربعة و عشرين حصنا و استولى عليها و كتب إلى صاحب البريد بمصر يعلمه خبره و أنه لا يرى لنفسه و من معه من المسلمين صلاة إلا بأن يعقد له الامام على ناحيته و يوليه إياها ليخرج من حد المتغلبين، و بنى مسجدا جامعا، ثم أن أصحابه شغبوا عليه فقتلوه، و قام بعده سوران فوجه رسوله إلى أمير المؤمنين المتوكل على اللّه يسأله عقدا و كتاب ولاية، فتوفى قبل أن ينصرف رسوله إليه و توفى المنتصر بالله.

و كانت خلافته ستة أشهر، و قام المستعين بالله أحمد بن محمد بن المعتصم بالله فأمر عامله على المغرب و هو أو تامش مولى أمير المؤمنين بأن يعقد له على ناحيته فلم يشخص رسوله من سر من رأى حتى قتل أو تامش و ولى الناحية و صيف مولى أمير المؤمنين فعقد له و أنفذه

.

فتوح البلدان، ص: ۲۳۳

فتح جزائر فى البحر

قالوا: غزا معاوية بن حديج الكندى أيام معاوية بن أبى سفيان سقلية و كان أول من غزاها و لم تزل تغزى بعد ذلك، و قد فتح آل الأغلب بن سالم الإفريقى منها نيفا و عشرين مدينة و هى فى أيدى المسلمين، و فتح احمد بن محمد بن الأغلب منها فى خلافة أمير المؤمنين المتوكل على اللّه قصريانه و حصن غليانة، و قال الواقدى: سبى عبد اللّه بن قيس بن مخلد الدزقى سقلية فأصاب أصنام ذهب و فضة مكالمة بالجوهر فبعث بها إلى معاوية فوجه بها معاوية إلى البصرة لتحمل إلى الهند فتباع هناك ليثمن بها، قالوا: و كان معاوية بن أبى سفيان يغزى برا و بحرا فبعث جنادة بن أبى أمية الأزدى إلى رودس و جنادة أحد من روى عنه الحديث و لقى أبا بكر و عمرو معاذ بن جبل و مات فى سنة ثمانين ففتحها عنوة، و كانت غيضة فى البحر و أمره معاوية فأنزلها قوما من المسلمين و كان ذلك فى سنة اثنتين و خمسين، قالوا:

و رودس من أخصب الجزائر و هى نحو ستين ميلا فيها الزيتون و الكروم و الثمار و المياه العذبة.

و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى و غيره، قالوا: أقام المسلمون برودس سبع سنين فى حصن اتخذ لهم، فلما مات معاوية كتب يزيد إلى جنادة يأمره بهدم الحصن و القفل، و كان معاوية يعاقب بين الناس فيها و كان مجاهد بن جبر مقيما بها يقرئ الناس القرآن، و فتح جنادة بن أبى أمية فى سنة أربع و خمسين أرواد و أسكنها معاوية المسلمين، و كان ممن فتحها مجاهد و تبيع بن امرأة كعب الأحبار و بها أقرأ مجاهد تبيعا القرآن، و يقال: أنه أقرأه القرآن برودس و أرواد جزيرة بالقرب من القسطنطينية، و غزا جنادة اقريطش، فلما كان زمن الوليد فتح بعضها ثم أغلق و غزاها حميد بن معيوق الهمدانى فى خلافة

فتوح البلدان، ص: ۲۳۴

الرشيد ففتح بعضها، ثم غزاها فى خلافة المأمون أبو حفص عمر بن عيسى الأندلسى المعروف بالأقريطشي و افتتح منها حصنا واحدا و نزله، ثم لم يزل يفتح شيئا بعد شىء حتى لم يبق فيها من الروم أحد و أخرب حصونهم.

صلح التوبة

حدثنى محمد بن سعد، قال: حدثنى محمد بن عمر الواقدى عن الوليد بن كثير عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير، قال: لما فتح

المسلمون مصر بعث عمرو بن العاصى إلى القرى التى حولها الخيل ليطأهم فبعث عقبة بن نافع الفهرى، و كان نافع أخا العاصى لأمه فدخلت خيولهم أرض النوبة كما تدخل صوائف الروم فلقى المسلمون بالنوبة قتالا شديدا لقد لاقوهم فرشقوهم بالنبل حتى جرح عامتهم فانصرفوا بجراحات كثيرة و حدق مفقوءة فسموا رماة الحدق فلم يزالوا على ذلك حتى ولى مصر عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح فسألوه الصلح و الموادعة فأجابهم إلى ذلك على غير جزية لكن على هدية ثلاثمائة رأس فى كل سنة و على أن يهدى المسلمون إليهم طعاما بقدر ذلك.

حدثنى محمد بن سعد، قال: حدثنى الواقدى، قال: حدثنا ابراهيم بن جعفر عن عمرو بن الحارث عن أبى قبيل حيى بن هانى المعافرى عن شيخ من حمير، قال: شهدت النوبة مرتين فى ولاية عمر بن الخطاب فلم أر قوما أحد فى حرب منهم لقد رأيت أحدهم يقول: للمسلم: اين تحب أن أضع سهمى منك فربما عبث الفتى منا فقال فى مكان كذا فلا يخطئه كانوا يكثرون الرمى بالنبل فما يكاد يرى من نبلهم فى الأرض شيء فخرجوا إلينا ذات يوم فصافونا و نحن نريد أن نجعلها حملة واحدة بالسيوف فما قدرنا على معالجتهم رمونا حتى ذهبت الأعين فعدت مائة و خمسين عينا مفقودة، فقلنا: مالها ولاء خير من

فتوح البلدان، ص: ٢٣٥

الصلح إن سلبهم لقليل و إن نكايتهم لشديدة، فلم يصالحهم عمرو و لم يزل يكالبهم حتى نزع و ولى عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح فصالحهم، قال الواقدى:

و بالنوبة ذهبت عين معاوية بن حديج الكندى و كان أعور.

حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام، قال. حدثنا عبد اللّه بن صالح عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب، قال: ليس بيننا و بين الأساود عهد و لا ميثاق إنما هى هدنة بينا و بينهم على إن نعطيهم شيئا من قمح و عدس و يعطونا رقيقا فلا بأس بشراء رقيقهم منهم أو من غيرهم.

حدثنا أبو عبيد عن عبد اللّه بن صالح عن الليث بن سعد، قال: إنما الصلح بيننا و بين النوبة على أن لا نقاتلهم و لا يقاتلونا و أن يعطونا رقيقا و نعطيهم بقدر ذلك طعاما فإن باعوا نساءهم و أبناءهم لم أر بذلك بأسا أن يشترى، و من رواية أبى البحترى و غيره أن عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح صالح أهل النوبة على أن يهدوا فى السنة أربعمائة رأس يخرجوا بها يأخذون بها طعاما.

و كان المهدى أمير المؤمنين أمر بالزام النوبة فى كل سنة ثلاثمائة رأس و ستين رأسا و زرافة على أن يعطوا قمحا و خل خمر و ثيابا و فرشا أو قيمته، و قد ادعوا حديثا أنه ليس يجب عليهم البقط لكل سنة و انهم كانوا طولبوا بذلك فى خلافة المهدى فرفعوا إليه أن هذا البقط مما يأخذون من رقيق أعدائهم فإذا لم يجدوا منه شيئا عادوا على أولادهم فأعطوا منهم فيه بهذه العدة فأمر بأن يحملوا فى ذلك على أن يؤخذ منهم لكل ثلاث سنين بقط سنة و لم يوجد لهذه الدعوى ثبت فى دواوين الحضرة و وجد فى الديوان بمصر، و كان المتوكل على اللّه أمر بتوجيه رجل يقال له محمد بن عبد اللّه و يعرف بالقمى إلى المعدن بمصر واليا عليه و ولاه القلزم، و طريق الحجاز، و بذرقة حاج مصر، فلما وافى المعدن حمل الميرة من القلزم إلى بلاد البجة. و وافى ساحلا يعرف بعيذاب

فتوح البلدان، ص: ٢٣٦

فوافته المراكب هناك فاستعان بتلك الميرة و تقوتها و من معه حتى وصل إلى قلعة ملك البجة فناهضه و كان فى عدة يسيرة، فخرج إليه البجوى فى الدهم على إبل محزمة فعمد القمى إلى الأجراس فقلدها الخيل، فلما سمعت الإبل أصواتها تقطعت بالبجويين فى الأودية و الجبال و قتل صاحب البجة، ثم قام من بعده ابن أخته و كان أبوه أحد ملوك البجويين و طلب الهدنة فأبى المتوكل على اللّه ذلك إلا أن يطأ بساطه فقدم سر من رأى فصولح فى سنة إحدى و أربعين و ثلاثمائة على أداء الاتاوة و البقط ورد مع القمى فأهل البجة على الهدنة يؤدون و لا يمنعون المسلمين من العمل فى معدن الذهب و كان ذلك فى الشرط على صاحبهم

فتوح البلدان، ص: ٢٣٧

أمر القراطيس

قالوا: كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض مصر و يأتى العرب من قبل الروم الدنانير. فكان عبد الملك بن مروان أول من أحدث الكتاب الذى يكتب فى رؤس الطوامير من قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ و غيرها من ذكر اللّه فكتب إليه ملك الروم أنكم أحدثتم فى قراطيسكم كتابا نكرهه فإن تركتموه و إلا أتاكم فى الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه. قال: فكبر ذلك فى صدر عبد الملك فكره إن يدع سنة حسنة سنها، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية، فقال له: يا أبا هاشم إحدى بنات طبق و أخبره الخبر، فقال: افرخ روعك يا أمير المؤمنين حرم دنانيرهم فلا يتعامل بها و أضرب للناس سككا، و لا

فتوح البلدان، ص: ٢٣٨

تعف هؤلاء الكفرة مما كرهوا فى الطوامير، فقال عبد الملك: فرجتها عنى فرج اللّه عنك و ضرب الدنانير. قال عوانة بن الحكم و كانت الأقباط تذكر المسيح فى رؤس الطوامير و تنسبه إلى الربوبية تعالى اللّه علوا كبيرا، و تجعل الصليب مكان بسم اللّه الرحمن الرحيم فلذلك كره ملك الروم ما كره و اشتد عليه تغير عبد الملك ما غيره، و قال المدائنى، قال مسلمة بن محارب: أشار خالد بن يزيد على عبد الملك بتحريم دنانيرهم و منع من التعامل بها و أن يدخل بلاد الروم شىء من القراطيس فمكث حينا لا يحمل إليهم.

فتوح سواد العراق (خلافة أبى بكر الصديق رضى اللّه عنه)

قالوا: و كان المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم الشيبانى يغير على السواد فى رجال من قومه فبلغ أبا بكر الصديق رضى اللّه عنه خبره فسأل عنه، فقال له قيس بن عاصم بن سنان المنقرى: هذا رجل غير خامل الذكر، و لا مجهول النسب، و لا ذليل العماد: هذا المثنى بن حارثة الشيبانى، ثم أن المثنى قدم على أبى بكر، فقال له يا خليفة رسول اللّه استعملنى على من أسلم من قومى أقاتل هذه الأعاجم من أهل فارس، فكتب له أبو بكر فى ذلك عهدا، فسار حتى نزل خفان و دعا قومه إلى الإسلام فأسلموا، ثم أن أبا بكر رضى اللّه عنه كتب إلى خالد بن الوليد المخزومى يأمره بالمسير إلى العراق، و يقال: بل وجهه من المدينة، و كتب أبو بكر إلى المثنى بن حارثة يأمره بالسمع و الطاعة له و تلقيه، و كان مذعور بن عدى العجلى قد كتب إلى أبى بكر يعلمه حاله و حال قومه و يسأله توليته قتال الفرس، فكتب إليه يأمره بأن ينضم إلى خالد فيقيم معه إذا أقام و يشخص إذا شخص، فلما نزل خالد النباج لقيه المثنى بن حارثة بها

فتوح البلدان، ص: ٢٣٩

و أقبل خالد حتى أتى البصرة و بها سويد بن قطبة الذهلى، و قال غير أبى مخنف كان بها قطبة بن قتادة الذهلى، من بكر بن وائل و معه جماعة من قومه و هو يريد أن يفعل بالبصرة مثل فعل المثنى بالكوفة، و لم تكن الكوفة يومئذ إنما كانت الحيرة، فقال سويد لخالد: إن أهل الابلة قد جمعوا لى و لا أحسبهم امتنوا منى إلا لمكانك، قال له خالد فالرأى إن أخرج من البصرة نهارا ثم أعود ليلا فأدخل عسكرك بأصحابى فإن صبحوك حاربناهم ففعل خالد ذلك و توجه نحو الحيرة، فلما جن عليه الليل انكفأ راجعا حتى صار إلى عسكر سويد فدخله بأصحابه و أصبح الأبليون و قد بلغهم انصراف خالد عن البصرة فأقبلوا نحو سويد، فلما رأوا كثرة من فى عسكره سقط فى أيديهم و انكسروا، فقال خالد: احملوا عليهم فإنى أرى هيئة قوم قد ألقى اللّه فى قلوبهم الرعب، فحملوا عليهم فهزموهم و قتل اللّه منهم بشرا، و غرق طائفة فى دجلة البصرة، ثم مر خالد بالخريبة ففتحها و سبى من فيها، و استخلف بها فيما ذكر الكلبى شريح بن عامر بن قين من بنى سعد بن بكر بن هوازن، و كانت مسلحة للعجم، و يقال أيضا: أنه أتى النهر الذى يعرف بنهر المرأة فصالح أهله، و أنه قاتل جمعا بالمذار، ثم سار يريد الحيرة و خلف سويد بن قطبة على ناحيته، و قال له: قد عركنا هذه الأعاجم بناحيتك عركة أذاتهم لك.

و قد روى أن خالدا لما كان بناحية اليمامة كتب إلى أبى بكر يستمده فأمده بجرير بن عبد اللّه البجلى فلقيه جرير منصرفا من اليمامة فكان معه و واقع صاحب المذار بأمره و اللّه أعلم.

و قال الواقدى: و الذى عليه أصحابنا من أهل الحجاز أن خالدا قدم المدينة من اليمامة ثم خرج منها إلى العراق على فيد و الثعلبية ثم أتى الحيرة.

فتوح البلدان، ص: ۲۴۰

قالوا: و مر خالد بن الوليد بزندورد من كسكر فافتتحها و افتتح درتا و ذواتها بأمان بعد أن كانت من أهل زندورد مراماة للمسلمين ساعة، و أتى هرمزجرد فآمن أهلها أيضا و فتحها، و أتى أليس فخرج إليه جابان عظيم العجم فقدم إليه المثنى بن حارثة الشيبانى فلقيه بنهر الدم، و صالح خالد أهل أليس على أن يكونوا عيونا للمسلمين على الفرس و أدلاء و أعوانا.

و أقبل خالد إلى مجتمع الأنهار فلقيه أراذبه صاحب مسالح كسرى فيما بينه و بين العرب فقاتله المسلمون و هزموه، ثم نزل خالد خفان، و يقال: بل سار قاصدا إلى الحيرة فخرج إليه عبد المسيح بن عمر بن قيس بن حيان ابن بقيلة، و اسم بقيلة الحارث و هو من الأزد، و هانئ بن قبيصة بن مسعود الشيبانى و إياس بن قبيصة الطائى، و يقال فروة بن إياس، و كان إياس عامل كسرى أبرويز على الحيرة بعد النعمان بن المنذر فصالحوه على مائة ألف درهم، و يقال على ثمانين ألف درهم فى كل عام، و على أن يكونوا عيونا للمسلمين على أهل فارس، و أن لا يهدم لهم بيعة و لا قصرا، و روى أبو مخنف عن أبى المثنى الوليد بن القطامى و هو الشرقى بن القطامى الكلبى:

أن عبد المسيح استقبل خالدا و كان كبير السن، فقال له خالد: من أين أقصى أثرك يا شيخ، فقال: من ظهر أبى، قال: فمن أين خرجت، قال:

من بطن أمى، قال: ويحك فى أى شىء أنت، قال: فى ثيابى، قال: ويحك على أى شىء أنت، قال: على الأرض، قال: أ تعقل قال: نعم و أقيد، قال: ويحك إنما أكلمك بكلام الناس، قال: و أنا إنما أجيبك جواب الناس، قال أسلم أنت أم حرب؟ قال: بل سلم، قال: فما هذه الحصون، قال: بنيناها للسفيه حتى يجىء الحليم، ثم تذاكرا الصلح فاصطلحا على مائة ألف يؤدونها فى كل سنة فكان الذى أخذ منهم أول مال حمل إلى المدينة من

فتوح البلدان، ص: ۲۴۱

العراق، و اشترط عليهم أن لا يبغوا المسلمين غائلة، و أن يكونوا عيونا على أهل فارس و ذلك فى سنة اثنتى عشرة.

و حدثنى الحسين بن الأسود عن يحيى بن آدم، قال: سمعت ان أهل الحيرة كانوا ستة آلاف رجل فألزم كل رجل منهم أربعة عشر در هما وزن خمسة فبلغ ذلك أربعة و ثمانين ألفا وزن خمسة تكون ستين وزن سبعة، و كتب لهم بذلك كتابا قد قرأته، و روى عن يزيد بن نبيشة العامرى أنه قال: قدمنا العراق مع خالد بن الوليد فانتهينا إلى مسلحة العذيب، ثم أتينا الحيرة و قد تحصن أهلها فى القصر الأبيض و قصر ابن بقيلة قصر العدسيين فأجلنا الخيل فى عرصاتهم ثم صالحونا، قال ابن الكلبى: العدسيون من كلب نسبوا إلى أمهم و هى كلبية أيضا.

و حدثنى أبو مسعود الكوفى عن ابن مجالد عن أبيه عن الشعبى أن خريم ابن أوس بن حارثة بن لام الطائى قال للنبىّ صلى اللّه عليه و سلم: إن فتح اللّه عليك الحيرة فأعطنى ابنة بقيلة، فلما أراد خالد صلح أهل الحيرة، قال له خريم. إن النبى صلى اللّه عليه و سلم جعل لى بنتى بقيلة فلا تدخلها فى صلحك و شهد له بشير بن سعد، و محمد بن مسلمة الأنصاريان فاستثناها فى الصلح و دفعها إلى خريم فاشتريت منه بألف درهم، و كانت عجوزا قد حالت عن عهده فقيل له ويحك لقد أرخصتها كان أهلها يدفعون إليك أضعاف ما سألت بها فقال. ما كنت أظن عددا يكون أكثر من عشر مائة، و قد جاء فى الحديث أن الذى سأل النبى صلى اللّه عليه و سلم بنت بقيلة رجل من ربيعة، و الأول أثبت، قالوا: و بعث خالد بن الوليد بشير بن سعد أبا النعمان بن بشير الأنصارى إلى بانقيا فلقيته خيل

الأعاجم عليها فرخبنداذ فرشقوا من معه بالسهام و حمل عليهم فهزمهم و قتل فرخبنداذ،

فتوح البلدان، ص: ۲۴۲

ثم انصرف و به جراحة انتقضت به و هو بعين التمر فمات منها، و يقال: إن خالدا لقى فرخبنداذ بنفسه و بشير معه ثم بعث خالد جرير بن عبد اللّه البجلى إلى أهل بانقيا فخرج إليه بصهرى بن صلوبا فاعتذر إليه من القتال و عرض الصلح فصالحه جرير على ألف درهم و طيلسان، و يقال: أن ابن صلوبا أتى خالدا فاعتذر إليه و صالحه هذا الصلح، فلما قتل مهران و مضى يوم النخيلة أتاهم جرير فقبض منهم و من أهل الحيرة صلحهم و كتب لهم كتابا بقبض ذلک، و قوم ينكرون أن يكون جرير بن عبد اللّه قدم العراق إلا فى خلافة عمر بن الخطاب، و كان أبو مخنف و الواقدى يقولان: قدمها مرتين. قالوا:

و كتب خالد لبصبهرى بن صلوبا كتابا و وجه إلى أبى بكر بالطيلسان مع مال الحيرة و بالألف درهم فوهب الطيلسان للحسين بن على رضى اللّه عنهما.

و حدثنى أبو نصر التمار، قال: حدثنا شريک بن عبد اللّه النخعى عن الحجاج بن أرطاة عن الحكم عن عبد الله بن مغفل المزنى، قال: ليس لأهل السواد عهد إلا الحيرة و أليس و بانقيا.

و حدثنى الحسين بن الأسود، قال: حدثنا يحيى بن آدم عن المفضل بن المهلهل عن منصور عن عبيد اللّه بن الحسن أو أبى الحسن عن ابن مغفل، قال: لا يصلح بيع أرض دون الجبل إلا أرض بنى صلوبا و أرض الحيرة.

و حدثنى الحسين بن الأسود، قال: حدثنا يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح عن الأسود بن قيس عن أبيه، قال انتهينا إلى الحيرة فصالحناهم على كذا و كذا و رحل، قال. فقلت و ما صنعتم بالرحل، قال لم يكن لصاحب منا رحل فأعطيناه إياه.

و حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنا ابن أبى مريم عن السرى بن يحيى عن حميد بن هلال أن خالدا لما نزل الحيرة صالح أهلها و لم يقاتلوا، و قال ضرار

فتوح البلدان، ص: ۲۴۳

ابن الأزور الأسدى:

أرقت ببانقيا و من يلق مثل مالقيت ببانقيا من الجرح يأرق

و قال الواقدى. المجتمع عليه عند أصحابنا أن ضرارا قتل باليمامة، قالوا.

و أبى خالد الفلاليج منصرفة من بانقيا و بها جمع للعجم فتفرقوا و لم يلق كيدا فرجع إلى الحيرة فبلغه أن جابان فى جمع عظيم بتستر فوجه إليه المثنى بن حارثة الشيبانى و حنظلة بن الربيع بن رباح الأسيدى من بنى تميم، و هو الذى يقال له حنظلة الكاتب، فلما انتهيا إليه هرب و سار خالد إلى الأنبار فتحصن أهلها، ثم أتاه من دله على سوق بغداد و هو السوق العتيق الذى كان عند قرن الصراة فبعث خالد المثنى بن حارثة فأغار عليه فملأ المسلمون أيديهم من الصفراء و البيضاء و ما خف محمله من المتاع ثم باتوا بالسيلحين و أتوا الأنبار و خالد بها فحصروا أهلها و حرقوا فى نواحيها، و إنما سميت الأنبار لأن إهراء العجم كانت بها، و كان أصحاب النعمان و صنائعه يعطون أرزاقهم منها، فلما رأى أهل الأنبار ما نزل بهم صالحوا خالد على شىء رضى به فأقرهم، و يقال أن خالدا قدم المثنى إلى بغداد ثم سار بعده فتولى الغارة عليها ثم رجع إلى الأنبار، و ليس ذلک بثبت.

و حدثنى الحسين بن الأسود، قال: حدثنى يحيى بن آدم قال: حدثنا الحسن بن صالح عن جابر عن الشعبى أنه قال: لأهل الأنبار عهد و عقد.

و حدثنى مشايخ من أهل الأنبار أنهم صالحوا فى خلافة عمر رحمه اللّه على طسوجهم على أربعمائة ألف درهم و ألف عباءة قطوانية فى كل سنة و تولى الصلح جرير بن عبد اللّه البجلى، و يقال: صالحهم على ثمانين ألفا و اللّه أعلم.

قالوا: و فتح جرير بوازيج الأنبار و بها قوم من مواليه، قالوا: و أتى خالد بن الوليد رجل دله على سوق يجتمع فيها كلب و بكر بن وائل

و طوائف

فتوح البلدان، ص: ۲۴۴

من قضاعة فوق الأنبار، فوجه إليها المثنى بن حارثة فأغار عليها فأصاب ما فيها و قتل و سبى، ثم أتى خالد عين التمر فألصق بحصنها و كانت فيه مسلحة للأعاجم عظيمة فخرج أهل الحصن فقاتلوا، ثم لزموا حصنهم فحاصرهم خالد و المسلمون حتى سألوا الأمان فأبى أن يؤمنهم و افتتح الحصن عنوة و قتل و سبى، و وجد فى كنيسة هناك جماعة سباهم فكان من ذلك السبى حمران بن أبان ابن خالد التمرى، و قوم يقولون: كان اسم أبيه أبان و حمران مولى عثمان، و كان للمسيب بن نجبة الفزارى فاشتراه منه فأعتقه، ثم وجهه إلى الكوفة للمسألة عن عامله فكذبه فأخرجه من جواره فنزل البصرة، و سيرين أبو محمد بن سيرين و أخوته، و هم يحيى بن سيرين، و أنس بن سيرين، و معبد بن سيرين و هو أكبر أخوته، و هم موالى أنس بن مالك الأنصارى، و كان من ذلك السبى أيضا أبو عمرة جد عبد الأعلى الشاعر، و يسار جد محمد بن إسحاق صاحب السيرة، و هو مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، و كان منهم مرة أبو عبيد جد محمد بن زيد بن عبيد ابن مرة، و نفيس بن محمد بن زيد بن عبيد بن مرة صاحب القصر عند الحرة ابن محمد هذا و بنوه و يقولون عبيد بن مرة بن المعلى الأنصارى ثم الزرقى، و نصير أبو موسى بن نصير صاحب المغرب، و هو مولى لبنى أمية و له بالثغور موال من أولاد من أعتق يقولون ذلك.

و قال ابن الكلبى: كان أبو فروة عبد الرحمن بن الأسود، و نصير أبو موسى ابن نصير عربيين من أراشة من بلى: سبيا أيام أبى بكر رحمه اللّه من جبل الجليل بالشام، و كان اسم نصير نصرا فصغر و أعتقه بعض بنى أمية فرجع إلى الشام و ولد له موسى بقرية يقال لها كفر مرى و كان أعرج، و قال الكلبى: و قد قيل أنهما أخوان من سبى عين التمر و أن ولاءهما لبنى ضبة.

فتوح البلدان، ص: ۲۴۵

و قال على بن محمد المدائنى يقال: أن أبا فروة و نصيرا كانا من سبى عين التمر فابتاع ناعم الأسدى أبا فروة ثم ابتاعه منه عثمان و جعله يحفر القبور فلما وثب الناس به كان معهم عليه، فقال له: رد المدالم فقال له: أنت أولها ابتعتك من مال الصدقة لتحفر القبور فتركت ذلك، و كان ابنه عبد اللّه ابن أبى فروة من سراة الموالى، و الربيع صاحب المنصور الربيع بن يونس ابن محمد بن أبى فروة، و إنما لقب أبا فروة لفروة كانت عليه حين سبى.

و قد قيل: أن خالدا صالح أهل حصن عين التمر و أن هذا السبى وجد فى كنيسة ببعض الطسوج، و قيل: أن سيرين من أهل جرجرايا، و أنه كان زائرا لقرابة له فأخذ فى الكنيسة معهم.

حدثنى الحسين بن الأسود، قال: حدثنى يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح عن أشعب عن الشعبى قال: صالح خالد بن الوليد أهل الحيرة و أهل عين التمر، و كتب بذلك إلى أبى بكر فأجازه، قال يحيى: فقلت للحسن ابن صالح. أ فأهل عين التمر مثل أهل الحيرة إنما هو شيء عليهم و ليس على أراضيهم شيء فقال نعم.

قالوا: و كان هلال بن عقه بن قيس بن البشر النمرى على النمر بن قاسط بعين التمر فجمع لخالد و قاتله فظفر به فقتله و صلبه، و قال ابن الكلبى كان على التمر يومئذ عقه بن قيس بن البشر بنفسه.

قالوا. و انتقض ببشير بن سعد الأنصارى جرحه فمات فدفن بعين التمر و دفن إلى جنبة عمير بن رئاب بن مهشم بن سعيد بن سهم بن عمرو.

و كان أصابه سهم بعين التمر فاستشهد.

و وجه خالد بن الوليد و هو بعين التمر النسير بن ديسم بن ثور إلى ماء لبنى تغلب فطرقهم ليلا فقتل و أسر، فسأله رجل من الأسرى أن يطلقه على

فتوح البلدان، ص: ۲۴۶

أن يدله على حى من ربيعة ففعل فأتى النسير ذلك الحى فبيتهم فغنم و سبى و مضى إلى ناحية تكريت فى البر فغنم المسلمون. و حدثنى أبو مسعود الكوفى عن محمد بن مروان أن النسير أتى عكبراء فأمن أهلها و أخرجوا لمن معه طعاما و علفا ثم مر بالبردان فأقبل أهلها يعدون من بين أيدى المسلمين، فقال لهم: لا بأس فكان ذلك أمانا، قال: ثم أتى المخرم، قال أبو مسعود: و لم يكن يدعى يومئذ مخرما إنما نزله بعض ولد مخرم بن حزن زياد بن أنس بن الديان الحارثى فسمى به فيما ذكر هشام بن محمد الكلبى، ثم عبر المسلمون جسرا كان معقودا عند قصر سابور الذى يعرف اليوم بقصر عيسى بن على فخرج إليه خرزاد بن ماهبنداذ و كان موكلا به، فقابلوه و هزموه ثم لجوا فأتوا عين التمر، و قال الواقدى. وجه المثنى بن حارثة النسير و حذيفة بن محصن بعد يوم الجسر و بعد انحيازه بالمسلمين إلى خفان و ذلك فى خلافة عمر بن الخطاب فى خيل، فأوقعا بقوم من بنى تغلب و عبر إلى تكريت فأصاب نعما و شاء، و قال عتاب بن إبراهيم فيما ذكر لى عنه أبو مسعود أن النسير و حذيفة آمنا أهل تكريت و كتبا لهم كتابا أنفذه له عتبة بن فرقد السلمى حين فتح الطيرهان، و الموصل، و ذكر أيضا أن النسير توجه من قبل خالد بن الوليد فأغار على قرى بمسكن و قطربل فغنم منها غنيمة حسنة، قالوا: ثم سار خالد من عين التمر إلى الشام، و قال للمثنى بن حارثة ارجع رحمك اللّه إلى سلطانك فغير مقصر و لا و أن و قال الشاعر:

صبحنا بالكتائب حى بكرو حيا من قضاعة غير ميل

أبحنا دارهم و الخيل تردىبكل سميدع سامى التليل

يعنى من كان فى السوق الذى فوق الأنبار، و قال آخر:

و للمثنى بالعال معركةشاهدها من قبيلة بشر

فتوح البلدان، ص: ۲۴۷

يعنى بالعال الأنبار و قطربل و مسكن و بادوريا، فأراد سوق بغداد:

كتيبة أفزعت بوقعتهاكسرى و كاد الأيوان ينفطر

و شجع المسلمون إذ حذرواو فى صروف التجارب العبر

سهل نهج السبيل فاقتفرواآثاره و الأمور تقتفر

و قال بعضهم حين لقوا خرزاد:

و آل منا الفارسى الحذرهحين لقيناه دوينا المنظره

بكل قباء لحوق مضمرةبمثلها يهزم جمع الكفره

يعنى بالمنظرة تل عقرقوف، و كان شخوص خالد إلى الشام فى شهر ربيع الآخر، و يقال: فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة، و قال قوم أن خالدا أتى دومة من عين التمر ففتحها ثم أقبل إلى الحيرة فمنها مضى إلى الشام و أصح ذلك مضيه من عين التمر.

خلافة عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه

قالوا: لما استخلف عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه وجه أبا عبيد بن عمرو ابن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف، و هو أبو المختار بن أبى عبيد، إلى العراق فى ألف، و كتب إلى المثنى بن حارثة يأمره بتلقيه و السمع و الطاعة له، و بعث مع أبى عبيد سليط بن عمرو الأنصارى و قال له: لو لا عجلة فيك لوليتك و لكن الحرب زبون لا يصلح لها إلا الرجل المكيث، فأقبل أبو عبيد لا يمر بقوم من العرب إلا رغبهم فى الجهاد و الغنيمة فصحبه خلق، فلما صار بالعذيب بلغه أن جابان الأعجمى يتستر فى جمع كثير فلقيه فهزم جمعه و أسر منهم، ثم أتى درنى و بها جمع للعجم فهزمهم إلى كسكر و سار الى الجالينوس و هو ببار و سما فصالحه بن الأنذر زعز عن كل رأس على

فتوح البلدان، ص: ۲۴۸

أربعة دراهم على أن ينصرف، و وجه أبو عبيد المثنى إلى زندورد فوجدهم قد نقضوا فحاربهم فظفر و سبى، و وجه عروة بن زيد بن الخيل الطائى إلى الزوابى فصالح دهقانها على مثل صلح باروسما.

يوم قس الناطف و هو يوم الجسر

قالوا: بعث الفرس إلى العرب حين بلغها اجتماعها ذا الحاجب مردانشاه و كان أنوشروان لقبه بهمن لتبركه به و سمى ذا الحاجب لأنه كان يصعب حاجبيه ليرفعهما عن عينه كبرا، و يقال: أن اسمه رستم، فأمر أبو عبيد بالجسر فعقد و أعانه على عقده عهده أهل بانقيا، و يقال: أن ذلك الجسر كان قديما لأهل الحيرة يعبرون عليه إلى ضياعهم فأصلحه أبو عبيد، و ذلك أنه كان معتلا مقطوعا ثم عبر أبو عبيد و المسلمون من المروحة على الجسر فلقوا ذا الحاجب و هو فى أربعة آلاف مدجج و معه فيل، و يقال: عدة فيلة و اقتتلوا قتالا شديدا و كثرت الجراحات و فشت فى المسلمين، فقال سليط بن قيس: يا أبا عبيد قد كنت نهيتك عن قطع هذا الجسر إليهم، و أشرت عليك بالانحياز إلى بعض النواحى و الكتاب إلى أمير المؤمنين بالاستمداد فأبيت، و قاتل سليط حتى قتل، و سأل أبو عبيد: أين مقتل هذه الدابة فقيل خرطومه فحمل فضرب خرطوم الفيل، و حمل عليه أبو محجن بن حبيب الثقفى فضرب رجله فعلقها، و حمل المشركون فقتل أبو عبيد رحمه اللّه، و يقال: أن الفيل برك عليه فمات تحته فأخذ اللواء أخوه الحكم فقتل فأخذ ابنه حبر فقتل ثم أن المثنى بن حارثة أخذه ساعة و انصرف بالناس و بعضهم على حامية بعض، و قاتل عروة بن زيد الخيل يومئذ قتالا شديدا عدل بقتال جماعة، و قاتل أبو زبيد الطائى الشاعر حمية للمسلمين بالغربية، و كان أتى الحيرة فى بعض أموره و كان نصرانيا، و أتى

فتوح البلدان، ص: ۲۴۹

المثنى أليس، فنزلها و كتب إلى عمر بن الخطاب بالخبر مع عروة بن زيد و كان ممن قتل يوم الجسر فيما ذكر أبو مخنف أبو زيد الأنصارى أحد من جمع القرآن على عهد النبى صلى اللّه عليه و سلم، قالوا: و كانت وقعة الجسر يوم السبت فى آخر شهر رمضان سنة ثلاث عشرة و قال أبو محجن بن حبيب:

أنى تسدت نحونا أم يوسفو من دون مسراها فياف مجاهل

إلى فتية بالطف نيل سراتهمو غودر أفراس لهم و رواحل

مرت على الأنصار وسط رحالهمفقلت لهم هل منكم اليوم قافل

حدثنى أبو عبيد القاسم بن سلام، قال: حدثنا محمد بن كثير عن زائد عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم، قال: عبر أبو عبيد بانقيافى ناس من أصحابه فقطع المشركون الجسر فأصيب ناس من أصحابه، قال إسماعيل، و قال أبو عمرو الشيبانى: كان يوم مهران فى أول السنة و القادسية فى آخرها.

يوم مهران و هو يوم النخيلة

قال: أبو مخنف و غيره، مكث عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه سنة لا يذكر العراق لمصاب أبى عبيد و سليط، و كان المثنى بن حارثة مقيما بناحية أليس يدعو العرب إلى الجهاد، ثم أن عمر رضى اللّه عنه ندب الناس إلى العراق فجعلوا يتحامونه و يتثاقلون عنه حتى هم أن يغزو بنفسه، و قدم عليه خلق من الأزد يريدون غزو الشام فدعاهم إلى العراق و رغبهم فى غنائم آل كسرى فردوا الاختيار إليه فأمرهم بالشخوص، و قدم جرير بن عبد اللّه من السراة فى بجيلة فسأل أن يأتى العراق على أن يعطى و قومه ربع ما غلبوا عليه فأجابه عمر إلى ذلك فسار نحو العراق. و قوم يزعمون أنه مر على طريق البصرة و واقع

فتوح البلدان، ص: ۲۵۰

مرزبان المذار فهزمه، و آخرون يزعمون أنه واقع المرزبان و هو مع خالد بن الوليد، و قوم يقولون أنه سلك الطريق على فيد و الثعلبة إلى العذيب.

حدثنى عفان بن مسلم قال حدثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا داود بن أبى هند، قال أخبرنى الشعبى أن عمر وجه جرير بن عبد اللّه إلى الكوفة بعد قتل أبى عبيد أول من وجه قال هل لك فى العراق و انفلك الثلث بعد الخمس؟

قال نعم، قالوا و اجتمع المسلمون بدير هند فى سنة أربع عشرة و قد هلك شيرويه و ملكت بوران بنت كسرى إلى أن يبلغ يزدجرد بن شهريار فبعث إليهم مهران بن مهر بنداذ الهمذانى فى اثنى عشر ألفا فأمهل المسلمون له حتى عبر الجسر و صار مما يلى دير الأعور، و روى سيف أن مهران صار عند عبور الجسر إلى موضع يقال له البويب و هذا الموضع الذى قتل به، و يقال أن جنبتى البويب أفعمت عظاما حتى استوى و عفا عليها التراب زمان الفتنة و أنه بإيثار هناك و ذلك ما بين السكون و بنى سليم فكان مغيضا للفرات زمن الأكاسرة يصب فى الجوف، و عسكر المسلمين بالنخيلة.

و كان على الناس فيما تزعم بجيلة جرير بن عبد اللّه، و فيما تقول ربيعة المثنى بن حارثة، و قد قيل: أنهم كانوا متسايدين على كل قوم رئيسهم فالتقى المسلمون و عدوهم فأبلى شرحبيل بن السمط الكندى يومئذ بلاء حسنا، و قتل مسعود بن حارثة أخو المثنى بن حارثة، فقال المثنى: يا معشر المسلمين لا يرعكم مصرع أخى فإن مصارع خياركم هكذا، فحملوا حملة رجل واحد محققين صابرين حتى قتل اللّه مهران و هزم الكفرة فاتبعهم المسلمون يقتلونهم فقتل من نجا منهم، و ضارب قرط بن جماح العبدى يومئذ حتى انثنى سيفه و جاء الليل فتناموا إلى عسكرهم و ذلك فى سنة أربع عشرة فتولى قتل مهران جرير بن عبد اللّه، و المنذر بن حسان بن ضرار الضبى، فقال: هذا أنا قتلته، و قال هذا أنا قتلته و تنازعا نزاعا شديدا

فتوح البلدان، ص: ۲۵۱

فأخذ المنذر منطقته و أخذ جرير سائر سلبه، و يقال: أن الحصن بن معبد ابن زرارة بن عدس التميمى كان ممن قتله.

ثم لم يزل المسلمون يشنون الغارات و يتابعونها فيما بين الحيرة و كسكر و فيما بين كسكر و سورا و بربيسما و صراة جاماسب و ما بين الفلوجتين و النهرين و عين التمر، و أتوا حصن مليقيا و كان منظرة ففتحوه و أجلوا العجم عن مناظر كانت بالطف و كانوا منخوبين قد وهن سلطانهم و ضعف أمرهم و عبر بعض المسلمين نهر سورا فأتوا كوثى، و نهر الملك، و بادوريا، و بلغ بعضهم كلواذى، و كانوا يعيشون بما ينالون من الغارات، و يقال: أن ما بين مهران و القادسية ثمانية عشر شهرا.

يوم القادسية

قالوا: كتب المسلمون إلى عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه يعلمونه كثرة من تجمع لهم من أهل فارس و يسألونه المدد، فأراد أن يغزو بنفسه و عسكر لذلك، فأشار عليه العباس بن عبد المطلب، و جماعة من مشايخ أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بالمقام و توجيه الجيوش و البعوث ففعل ذلك، و أشار عليه على بن أبى طالب بالمسير، فقال له: انى قد عزمت على المقام و عرض على على رضى اللّه عنه الشخوص فأباه فأراد عمر توجيه سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل العدوى، ثم بدا له فوجه سعد بن أبى وقاص، و اسم أبى وقاص مالك ابن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، و قال: أنه رجل شجاع رام و يقال: ان سعيد بن زيد بن عمرو كان يومئذ بالشام غازيا، قالوا: و سار إلى العراق فأقام بالثعلبية ثلاثة أشهر حتى تلاحق به الناس، ثم قدم العزيب فى سنة خمس عشرة، و كان المثنى بن حارثة مريضا فأشار عليه بأن يحارب العدو

فتوح البلدان، ص: ۲۵۲

بين القادسية و العذيب ثم اشتد وجعه فحمل إلى قومه فمات فيهم، و تزوج سعد امرأته.

قال الواقدى: توفى المثنى قبل نزول رستم القادسية، قالوا: و أقبل رستم و هو من أهل الرى، و يقال بل هو من أهل همذان فنزل برس،

ثم سار فأقام بين الحيرة و السيلحين أربعة أشهر لا يقدم على المسلمين و لا يقاتلهم و المسلمون معسكرون بين العذيب و القادسية، و قدم رستم ذا الحاجب فكان معسكرا بطيزناباذ، و كان المشركون زهاء مائة ألف و عشرين ألفا و معهم ثلاثون فيلا و رواياتهم العظمى التى تدعى درفش كابيان، و كان جمع المسلمين ما بين تسعة آلاف إلى عشرة آلاف فإذا احتاجوا إلى العلف و الطعام أخرجوا خيولا فى البر فأغارت على أسفل الفرات، و كان عمر يبعث إليهم من المدينة الغنم و الجزر، قالوا: و كانت البصرة قد مصرت فيما بين يوم النخيلة و يوم القادسية مصرها عتبة بن غزوان، ثم استأذن للحج و خلف المغيرة بن شعبة فكتب عمر بعهده فلم يلبث أن قرف بما قرف به فولى أبا موسى البصرة و أشخص المغيرة إلى المدينة، ثم أن عمر رده و من شهد عليه إلى البصرة، فلما حضر يوم القادسية كتب عمر إلى أبى موسى يأمره بإمداد سعد فأمده بالغيرة فى ثمانمائة و يقال فى أربعمائة فشهدها ثم شخص إلى المدينة فكتب عمر إلى أبى عبيدة بن الجراح فأمد سعدا بقيس ابن هبيرة بن المكشوح المرادى، فيقال: أنه شهد القادسية، و يقال: بل قدم على المسلمين و قد فرغ من حربها و كان قيس فى سبعمائة.

و كان يوم القادسية فى آخر سنة ست عشرة، و قد قيل أن الذى أمدى سعدا بالمغيرة عتبة بن غزوان و أن المغيرة إنما ولى البصرة بعد قدومه من القادسية و أن عمر لم يخرجه من المدينة حين أشخصه إليها لما قرف به إلا واليا على الكوفة.

فتوح البلدان، ص: ۲۵۳

و حدثنى العباس بن الوليد النرسى، قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد عن مجلد عن الشعبى، قال: كتب عمر إلى أبى عبيدة ابعث قيس بن مكشوح إلى القادسية فيمن انتدب معه فانتدب معه خلق فقدم متعجلا فى سبعمائة، و قد فتح على سعد فسألوه الغنيمة فكتب إلى عمر فى ذلك فكتب إليه عمر إن كان قيس قدم قبل دفن القتلى فاقسم له نصيبه، قالوا: و أرسل رستم إلى سعد يسأله توجيه بعض أصحابه إليه فوجه المغيرة بن شعبة فقصد قصد سريره ليجلس معه و عليه فمنعته الأساورة من ذلك، و كلمه رستم بكلام كثير، ثم قال له: قد علمت أنه لم يحملكم على ما أنتم فيه إلا ضيق المعاش و شدة الجهد و نحن نعطيكم ما تتشبعون به و نصرفكم ببعض ما تحبون، فقال المغيرة. إن اللّه بعث إلينا نبيه صلى اللّه عليه و سلم فسعدنا بإجابته و اتباعه، و أمرنا بجهاد من خالف ديننا (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ)، و نحن ندعوك إلى عبادة اللّه وحده، و الإيمان بنبيه صلى اللّه عليه و سلم فإن فعلت و إلا فالسيف بيننا و بينكم، فنحر رستم غضبا، ثم قال. و الشمس و القمر لا يرتفع الضحى غدا حتى نقتلكم أجمعين، فقال المغيرة: لا حول و لا قوة إلا بالله و انصرف عنه، و كان على فرس له مهزول و عليه سيف معلوب ملفوف عليه الخرق.

و كتب عمر إلى سعد يأمره بأن يبعث إلى عظيم الفرس قوما يدعونه إلى الإسلام، فوجه عمرو بن معدى كرب الزبيدى، و الأشعث بن قيس الكندى فى جماعة فمروا برستم فأتى بهم، فقال. أين تريدون، قالوا صاحبكم فجرى بينهم كلام كثير حتى قالوا إن نبينا قد وعدنا أن نغلب على أرضكم فدعا بزبيل من تراب، فقال: هذا لكم من أرضنا، فقام عمرو ابن معدى كرب مبادرا فبسط رداءه و أخذ من ذلك التراب فيه و انصرف،

فتوح البلدان، ص: ۲۵۴

فقيل له ما دعاك إلى ما صنعت قال تفاءلت بأن أرضهم تصير إلينا و نغلب عليها، ثم أتوا الملك و دعوه إلى الإسلام فغضب و أمرهم بالانصراف، و قال: لو لا أنكم رسل لقتلتكم، و كتب إلى رستم يعنفه على إنفاذهم إليه.

ثم أن علافة المسلمين و عليها زهرة بن حوية بن عبد اللّه بن قتادة التميمى ثم السعدى، و يقال: كان عليها قتادة بن حوية لقيت خيلا للأعاجم فكان ذلك سبب الوقعة أغاثت الأعاجم خيلها و أغاث المسلمون علافتهم فالتحمت الحرب بينهم و ذلك بعد الظهر، و حمل عمرو بن معدى كرب الزبيدى فاعتنق عظيما من الفرس فوضعه بين يديه فى السرج، و قال: أنا أبو ثور افعلوا كذا ثم حطم فيلا من الفيلة، و قال الزموا سيوفكم خراطيمها فإن مقتل الفيل خرطومه، و كان سعد قد استخلف على العسكر و الناس خالد بن عرفطة العذرى حليف بنى زهرة لعلة وجدها، و كان مقيما فى قصر العذيب فجعلت امرأته و هى سلمى بنت حفصة من بنى تيم اللّه بن ثعلبة امرة

المثنى بن حارثة تقول: وا مثنياه و لا مثنى للخيل فلطمها، فقالت يا سعد: أ غيرة و جبنا، و كان أبو محجن الثقفى بباضع غربه إليها عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه لشربه الخمر فتخلص حتى لحق بسعد و لم يكن فيمن شخص معه فيما ذكر الواقدى و شرب الخمر فى عسكر سعد فضربه و حبسه فى قصر العذيب فسأل زبراء أم ولد سعد أن تطلقه ليقاتل ثم يعود إلى حديده فأحلفته بالله ليفعلن إن أطلقته، فركب فرس سعد و حمل على الأعاجم فخرق صفهم و حطم الفيل الأبيض بسيفه و سعد يراه، فقال: أما الفرس ففرسى: و أما الحملة فحملة أبى محجن، ثم أنه رجع إلى حديده، و يقال: ان سلمى بنت حفصة أعطته الفرس. و الأول أصح و أثبت.

فلما انقضى أمر رستم، قال له سعد: و اللّه لأضربتك فى الخمر بعد ما رأيت

فتوح البلدان، ص: ۲۵۵

منك أبدا، قال: و أنا و اللّه فلا شربتها أبد، و أبلى طليحة بن خويلد الأسدى يومئذ و ضرب الجالينوس ضربة قدت مغفره و لم تعمل فى رأسه، و قال قيس بن مكشوح: يا قوم إن منايا الكرام القتل فلا يكونن هؤلاء القلف أولى بالصبر و أسخى نفسا بالموت منكم، ثم قاتل قتالا شديدا و قتل اللّه رستم فوجد بدنه مملوءا ضربا و طعنا فلم يعلم من قاتله، و قد كان مشى إليه عمرو بن معدى كرب، و طليحة بن خويلد الأسدى، و قرط بن جماح العبدى و ضرار بن الأزور الأسدى، و كان الواقدى يقول: قتل ضرار يوم اليمامة و قد قيل أن زهير بن عبد شمس البجلى قتله و قيل أيضا أن قاتله عوام بن عبد شمس و قيل أن قاتله هلال بن علفة التيمى، فكان قتال القادسية يوم الخميس و الجمعة و ليلة السبت و هى ليلة الهرير، و إنما سميت ليلة صفين بها و يقال: أن قيس بن مكشوح لم يحضر القتال بالقادسية و لكنه قدمها و قد فرغ المسلمون من القتال.

و حدثنى أحمد بن سلمان الباهلى عن السهمى عن أشياخه أن سلمان بن ربيعة غزا الشام مع أبى أمامة الصدى بن عجلان الباهلى فشهد مشاهد المسلمين هناك ثم خرج إلى العراق فيمن خرج من المدد إلى القادسية متعجلا فشهد الوقعة و أقام بالكوفة و قتل ببلنجر.

و قال الواقدى فى إسناده. خد قوم من الأعاجم لرأيتهم و قالوا لا نبرح موضعنا حتى نموت فحمل عليهم سلمان بن ربيعة الباهلى فقتلهم و أخذ الراية، قالوا: و بعث سعد خالد بن عرفطة على خيل الطلب فجعلوا يقتلون من لحقوا حتى انتهوا إلى برس و نزل خالد على رجل له بسطام فأكرمه و بره و سمى نهر هناك نهر بسطام و اجتاز خالد بالصراة فلحق جالينوس فحمل عليه كثير بن شهاب الحارثى فطعنه و يقال قتله، و قال ابن الكلبى. قتله

فتوح البلدان، ص: ۲۵۶

زهرة بن حوية السعدى و ذلك أثبت، و هرب الفرس إلى المدائن و لحقوا بيزدجرد و كتب سعد إلى عمر بالفتح و بمصاب من أصيب.

و حدثنى أبو رجاء الفارسى عن أبيه عن جده، قال: حضرت وقعة القادسية و أنا مجوسى، فلما رمتنا العرب بالنبل جعلنا نقول دوك دوك نعنى مغازل فما زالت بنا تلك المغازل حتى أزالت أمرنا، لقد كان الرجل منا يرمى عن القوس الناوكية فما يزيد سهما على أن يتعلق بثوب أحدهم، و لقد كانت النبلة من نبالهم تهتك الدرع الحصينة و الجوسن المضاعف مما علينا.

و قال هشام بن الكلبى: كان أول من قتل أعجميا يوم القادسية ربيعة بن عثمان بن ربيعة أحد بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور و قال طليحة فى يوم القادسية:

أنا ضربت الجالينوس ضربةحين جياد الخيل وسط الكبة

و قال أبو محجن الثقفى حين رأى الحرب:

كفى حزنا أن تدعس الخيل بالفناو أترك قد شدوا على وثاقيا

إذا قمت عنانى الحديد و غلقتمصاريع من دونى تصم المناديا

و قال زهیر بن عبد شمس بن عوف البجلی:

أنا زهیر و ابن عبد شمسأردیت بالسیف عظیم الفرس

رستم ذا النخوة و الدمقسأطعت ربی و شفیت نفسی

و قال الأشعث بن عبد الحجر بن سراقة الکلابی و شهد الحیرة و القادسیة:

و ما عقرت بالسیلحین مطیتیو بالقصر إلا خیفة أن أعیرا

فبئس امرؤ یبأی علی برهطهو قد ساد أشیاخی معدا و حمیرا

فتوح البلدان، ص: ۲۵۷

و قال بعض المسلمین یومئذ:

و قاتلت حتی أنزل اللّه نصرهو سعد بباب القادسیة معصم

فرحنا و قد آمت نساء کثیرةو نسوة سعد لیس منهن أیم

و قال قیس بن المکشوح و یقال أنها لغیره:

جلبت الخیل من صنعا تردیبکل مدجج کاللیث سام

إلی وادی القری فدیار کلبإلی الیرموک فالبلد الشآمی

و جئنا القادسیة بعد شهرمسومة دوابرها دوامی

فناهضنا هنالک جمع کسریو أبناء المرازنة الکرام

فلما أن رأیت الخیل جالتقصدت لموقف الملک الهمام

فاضرب رأسه فهوی صریعابسیف لا أفل و لا کهام

و قد أبلی الإله هناک خیراو فعل الخیر عند اللّه نام

و قال عصام بن المقشعری:

فلو شهدتنی بالقوادس أبصرتجلاد امرئ ماض إذا القوم أحجموا

أضارب بالمخشوب حتی أفلهو اطعن بالرمح المتل و أقدم

و قال طلیحة بن خویلد:

طرقت سلیمی أرحل الرکبإنی اهتدیت بسبسب سهب

إنی کلفت سلام بعدکمبالغارة الشعواء و الحرب

لو کنت یوم القادسیة إذنازلتهم بمهند عضب

أبصرت شداتی و منصرفیو إقامتی للطعن و الضرب

و قال بشر بن ربیعة بن عمرو الخثعمی:

ألم خیال من أمیمة موهناو قد جعلت أولی النجوم تغور

و نحن بصحراء العذیب و دارهاحجازیة أن المحلی شطیر

فتوح البلدان، ص: ۲۵۸ و لا غرو إلا جوبها البید فی الدجیو من دوننا و عن أشم وقور

تحن بباب القادسیة ناقتیو سعد بن وقاص علی أمیر

و سعد أمیر شره دون خیرهطویل الشذمی کابی الزناد قصیر

تذکر هداک اللّه وقع سیوفناباباب قدیس و المکر عسیر

عشية ود القوم لو أن بعضهم‌يعار جناحى طائر فيطير

قال: و استشهد يومئذ سعد بن عبيد الأنصارى فاغتم عمر لمصابه و قال:

لقد كان قتله ينغص على هذا الفتح.

فتح المدائن

قالوا: مضـى المسلمون بعد القادسية فلما جاوزوا دير كعب لقيهم النخيرخان إليها و بدأ فى جمع عظيم من أهل المدائن فاقتتلوا و عانق زهير بن سليم الأزدى النخيرخان فسقط إلى الأرض و أخذ زهير خنجرا كان فى وسط النخيرخان فشق بطنه فقتله، و سار سعد و المسلمون فنزلوا ساباط و اجتمعوا بمدينة بهر سير و هى المدينة التى فى شق الكوفة فأقاموا تسعة أشهر و يقال ثمانية عشر شهرا حتى أكلوا الرطب مرتين، و كان أهل تلك المدينة يقاتلونهم فإذا تحاجزوا دخلوها، فلما فتحها المسلمون أجمع يزدجرد بن شهريار ملك فارس على الهرب فدلى من أبيض المدائن فى زبيل فسماه النبط برزبيلا و مضى إلى حلوان معه وجوه أساورته و حمل معه بيت ماله و خف متاعه و خزانته و النساء و الذرارى و كانت السنة التى هرب فيها سنة مجاعة و طاعون عم أهل فارس ثم عبر المسلمون خوضا ففتحوا المدينة الشرقية.

حدثنى عفان بن مسلم، قال: أخبرنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، قال:

أخبرنا أبو وائل، قال: لما انهزم الأعاجم من القادسية اتبعناهم فاجتمعوا بكوثى

فتوح البلدان، ص: ۲۵۹

فاتبعناهم ثم انتهينا إلى دجلة، فقال المسلمون: ما تنتظرون بهذه النطفة أن نخوضها فخضناها فهزمناهم.

حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن ابن أبى سبرة عن ابن عجلان عن أبان بن صالح، قال: لما انهزمت الفرس من القادسية قدم فلهم المدائن فانتهى المسلمون إلى دجلة و هى تطفح بماء لم ير مثله قط و إذا الفرس قد رفعوا السفن و المعابر إلى الجيزة الشرقية و حرقوا الجسر فاغتم سعد و المسلمون إذ لم يجدوا إلى العبور سبيلا. فانتدب رجل من المسلمين فسبح فرسه و عبر فسبح المسلمون، ثم أمروا أصحاب السفن فعبروا الأثقال. فقالت الفرس: و اللّه ما تقاتلون إلا جنا فانهزموا.

حدثنى عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة بن الحكم و قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: حدثنى أبو عمرو بن العلاء، قالا: وجه سعد بن أبى وقاص خالد بن عرفطة على مقدمته فلم يرد سعد حتى فتح خالد ساباط، ثم قدم فأقام على الرومية حتى صالح أهلها على أن يجلو من أحب منهم و يقيم من أقام على الطاعة و المناصحة و أداء الخراج و دلاله المسلمين و لا ينطووا لهم على غش و لم يجد معابر فدل على مخاضة عند قرية الصيادين فأخاضوها الحيل فجعل الفرس يرمونهم فسلموا غير رجل من طىء يقال له سليل بن يزيد بن مالك السنبسى لم يصب يومئذ غيره.

حدثنا عبد اللّه بن صالح، قال: حدثنى من أثق به عن المجالد بن سعيد عن الشعبى إنه قال: أخذ المسلمون يوم المدائن جوارى من جوارى كسرى جىء بهن من الآفاق فكن تصنعن له فكانت أمى إحداهن، قال: و جعل المسلمون يأخذون الكافور يومئذ فيلقونه فى قدورهم و يظنونه ملحا، قال الواقدى: كان فراغ سعد من المدائن و جلولاء فى سنة ست عشرة

.

فتوح البلدان، ص: ۲۶۰

يوم جلولاء الوقيعة

قالوا: مكث المسلمون بالمدائن أياما، ثم بلغهم أن يزدجرد قد جمع جمعا عظيما و وجهه إليهم و أن الجمع بجلولاء، فسرح سعد بن

أبى وقاص هاشم بن عتبة بن أبى وقاص إليهم فى اثنى عشر ألفا، فوجدوا الأعاجم قد تحصنوا و خندقوا و جعلوا عيالهم و ثقلهم بخانقين و تعاهدوا أن لا يفروا و جعلت الأمداد تقدم عليهم من حلوان و الجبال، فقال المسلمون: ينبغى أن نعالجهم قبل أن تكثر أمدادهم فلقوهم و حجر بن عدى الكندى على الميمنة، و عمر بن معدى كرب على الخيل، و طليحة بن خويلد على الرجال، و على الأعاجم يومئذ خرزاذ أخو رستم فاقتتلوا قتالا شديدا لم يقتلوا مثله رميا بالنبل و طعنا بالرماح حتى تقصفت و تجالدوا بالسيوف حتى انثنت، ثم أن المسلمين حملوا حملة واحدة قلعوا بها الأعاجم عن موقفهم و هزموهم فولوا هاربين و ركب المسلمون أكتافهم يقتلونهم قتلا ذريعا حتى حال الظلام بينهم ثم انصرفوا إلى معسكرهم، و جعل هاشم بن عتبة جرير بن عبد اللّه بجلولاء فى خيل كثيفة ليكون بين المسلمين و بين عدوهم، فارتحل يزدجرد من حلوان، و أقبل المسلمون يغيرون فى نواحى السواد من جانب دجلة الشرقى فأتوا مهروذ فصالح دهقانها هاشما على جريب من دراهم على أن لا يقتل أحدا منهم و قتل دهقان الدسكرة و ذلك أنه اتهمه بغش المسلمين و أتى البندبجين فطلب أهله الأمان على أداء الجزية و الخراج فأمنهم، و أتى جرير بن عبد اللّه خانقين و بها بقية من الأعاجم فقتلهم و لم يبق من سواد دجلة ناحية إلا غلب عليها المسلمون و صارت فى أيديهم، و قال هشام بن الكلبى: كان على الناس يوم جلولاء من قبل سعد عمرو بن عتبة ابن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة و أمه عاتكة بنت أبى وقاص،

فتوح البلدان، ص: ۲۶۱

قالوا: و انصرف سعد بعد جلولاء إلى المدائن فصير بها جمعا، ثم مضى إلى ناحية الحيرة و كانت وقعة جلولاء فى آخر سنة ست عشرة، قالوا: فأسلم جميل بن بصيهرى دهقان الفلاليج و النهرين و بسطام بن نرسى دهقان بابل و خطرنية و الرفيل دهقان العال و فيروز دهقان نهر الملك و كوثى و غيرهم من الدهاقين، فلم يعرض لهم عمر بن الخطاب و لم يخرج الأرض من أيديهم.

و أزال الجزية عن رقابهم.

و حدثنى أبو مسعود الكوفى عن عوانة عن أبيه، قال: وجه سعد بن أبى وقاص هاشم بن عتبة بن أبى وقاص و معه الأشعث بن قيس الكندى فمر بالراذانات و أتى دقوقا و خانيجار فغلب على ما هناك و فتح جميع كورة بأجرمى و نفذ إلى نحو سن بارما و بوازيج الملك إلى حد شهر زور.

حدثنى الحسين بن الأسود، قال: حدثنى يحيى بن آدم، قال: أخبرنا ابن المبارك عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب، قال: كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص حين فتح السواد: أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر أن الناس سألوك أن تقسم بينهم ما أفاء اللّه عليهم، فإذا أتاك كتابى فانظر ما أجلب عليه أهل العسكر بخيلهم و ركابهم من مال أو كراع فأقسمه بينهم بعد الخمس و اترك الأرض و الأنهار لعمالها ليكون ذلك فى إعطيات المسلمين فإنك إن قسمتها بين من حضر لم يكن لمن يبقى بعدهم شيء.

و حدثنى الحسين، قال: حدثنا وكيع عن فضيل بن غزوان عن عبد اللّه ابن حازم، قال: سألت مجاهدا عن أرض السواد، فقال: لا نشترى و لا تباع، قال: نقول لأنها فتحت عنوة و لم تقسم فهى لجميع المسلمين.

و حدثنى الوليد بن صالح عن الواقدى عن ابن أبى سيرة عن صالح بن كيسان عن سليمان بن يسار، قال: أقر عمر بن الخطاب السواد لمن فى أصلاب

فتوح البلدان، ص: ۲۶۲

الرجال و أرحام النساء و جعلهم ذمة تؤخذ منهم الجزية و من أرضهم الخراج و هم ذمة لأرق عليهم، قال سليمان: و كان الوليد بن عبد الملك أراد أن يجعل أهل السواد فيئا فأخبرته بما كان من عمر فى ذلك فورعه اللّه عنهم.

حدثنى الحسين بن الأسود، قال: حدثنا يحيى بن آدم عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن حارثة بن مضرب: أن عمر بن الخطاب أراد قسمة السواد بين المسلمين فأمر يحصلوا فوجد الرجل منهم نصيبه ثلاثة من الفلاحين فشاور أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى ذلك،

فقال على: دعهم يكونوا مادة للسلمين،

فبعث عثمان بن حنيف الأنصارى فوضع عليه ثمانية و أربعين و أربعة و عشرين و اثنى عشر.

حدثنا أبو نصر التمار، قال: حدثنا شريك عن الأجلح عن حبيب بن أبى ثابت عن ثعلبة بن يزيد عن على، قال: لو لا أن يضرب بعضكم وجوه بعض لقسمت السواد بينكم.

حدثنى الحسين بن الأسود، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا إسرائيل عن جابر عن عامر قال: ليس لأهل السواد عهد و إنما نزلوا على الحكم.

حدثنا الحسين، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنى صلب الزبيدى عن محمد بن قيس الأسدى عن الشعبى أنه سئل عن أهل السواد ألهم عهد، فقال: لم يكن لهم عهد فلما رضى منهم بالخراج صار لهم عهد.

حدثنا الحسين عن يحيى بن آدم عن شريك عن جابر عن عامر أنه قال:

ليس لأهل السواد عهد.

حدثنا عمرو الناقد، قال: حدثنا ابن وهب المصرى، قال: حدثنا مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه، قال: كان للمهاجرين مجلس فى المسجد فكان عمر يجلس معهم فيه و يحدثهم عما ينتهى إليه من أمر الآفاق فقال يوما: ما أدرى

فتوح البلدان، ص: ۲۶۳

كيف اصنع بالمجوس فوثب عبد الرحمن بن عوف، فقال: أشهد على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أنه قال: سنوا بهم سنة أهل الكتاب.

حدثنا محمد بن الصباح البزاز، قال: حدثنا هشيم، قال: حدثنا إسماعيل ابن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم، قال: كانت بجيلة ربع الناس يوم القادسية و كان عمر جعل لهم ربع السواد، فلما وفد عليه جرير، قال: لو لا أنى قاسم مسئول لكنت على ما جعلت لكم و أنى أرى الناس قد كثروا فردوا ذلك عليهم ففعل و فعلوا، فأجازه عمر بثمانين دينارا قال: فقالت امرأة من بجيلة يقال لها أم كرز: أن أبى هلك و سهمه ثابت فى السواد و أنى لن أسلم، فقال: لها يا أم كرز أن قومك قد أجابوا فقالت له ما أنا بمسلمة أو تحملنى على ناقة ذلول عليها قطيفة حمراء و تملأ يدى ذهبا ففعل عمر ذلك.

و حدثنى الحسين، قال: حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل عن قيس عن جرير، قال: كان عمر أعطى بجيلة ربع السواد فأخذوه ثلاث سنين، قال قيس: و وفد جرير بن عبد اللّه على عمر مع عمار بن ياسر، فقال عمر: لو لا أنى قاسم مسئول لتركتكم على ما كنتم عليه، و لكنى أرى أن تردوه ففعلوا فأجازه بثمانين دينارا الحسن بن عثمان الزيادى، قال: حدثنا عيسى بن يونس عن إسماعيل عن قيس قال: أعطى عمر جرير بن عبد اللّه أربعمائة دينار.

حدثنى حميد بن الربيع عن يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح، قال صالح عمر بجيلة من ربع السواد على أن فرض لهم فى الفين من العطاء.

و حدثنى الوليد بن صالح عن الواقدى عن عبد الحميد بن جعفر عن جرير ابن يزيد بن جرير بن عبد اللّه عن أبيه عن جده أن عمر جعل له و لقومه ربع ما غلبوا عليه من السواد فلما جمعت غنائم جلولاء طلب ربعه فكتب سعد إلى عمر يعلمه ذلك، فكتب عمر إن شاء جرير أن يكون إنما قاتل

فتوح البلدان، ص: ۲۶۴

و قومه على جعل كجعل المؤلفة قلوبهم فأعطوهم جعلهم و إن كانوا إنما قاتلوا للّه و احتسبوا ما عنده فهم من المسلمين لهم ما لهم و عليهم ما عليهم، فقال جرير صدق أمير المؤمنين وبر لا حاجة لنا بالربع.

حدثنى الحسين، قال: حدثنا يحيى بن آدم عن عبد السلام بن حرب عن معمر عن على بن الحكم عن إبراهيم النخعى، قال: جاء رجل

إلى عمر بن الخطاب، فقال: إنى قد أسلمت فارفع عن أرضى الخراج، قال: أن أرضك أخذت عنوة.

حدثنا خلف بن هشام البزار، قال: حدثنا هشيم عن العوام بن حوشب عن ابراهيم التيمى، قال: لما افتتح عمر السواد قالوا له أقسمه بيننا فإنا فتحناه عنوة بسيوفنا فأبى، و قال: فما لمن جاء بعدكم من المسلمين و أخاف إن قسمته أن تتفاسدوا بينكم فى المياه، قال: فأقر أهل السواد فى أرضهم و ضرب على رؤسهم الجزية و على أرضهم الطسق و لم تقسم بينهم.

و حدثنى القاسم بن سلام، قال: حدثنا إسماعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبى أن عمر بن الخطاب بعث عثمان بن حنيف الأنصارى يمسح السواد فوجده ستة و ثلاثين ألف ألف جريب فوضع على كل جريب درهما و قفيزا قال القاسم: و بلغنى أن ذلك القفيز كان مكوكا لهم يدعى الشابر فان قال يحيى ابن آدم: هو المختوم الحجاجى.

حدثنى عمرو الناقد، قال: حدثنا أبو معاوية عن الشيبانى عن محمد بن عبد اللّه الثقفى، قال: وضع عمر على السواد على كل جريب عامر أو غامر يبلغه الماء درهما و قفيزا و على جريب الرطبة خمسة دراهم و خمسة أقفزة، و على جريب الشجر عشرة دراهم و عشرة أقفزة، و لم يذكر النخل، و على رؤس الرجال ثمانية و أربعين و أربعة و عشرين و اثنى عشر.

فتوح البلدان، ص: ۲۶۵

و حدثنا القاسم بن سلام، قال: حدثنا محمد بن عبد اللّه الأنصارى عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أبى مجلز لاحق بن حميد أن عمر بن الخطاب بعث عمار بن ياسر على صلاة أهل الكوفة و جيوشهم، و عبد اللّه ابن مسعود على قضائهم و بيت مالهم، و عثمان بن حنيف على مساحة الأرض و فرض لهم كل يوم شاة بينهم شطرها و سواقطها لعمار و الشطر الآخر بين هذين فمسح عثمان بن حنيف الأرض فجعل على جريب النخل عشرة دراهم و على جريب الكرم عشرة دراهم و على جريب القصب ستة دراهم و على جريب البر أربعة دراهم و على جريب الشعير درهمين، و كتب بذلك إلى عمر رحمه اللّه فأجازه.

حدثنا الحسين بن الأسود، قال حدثنا يحيى بن آدم عن مندل العنزى عن الأعمش عن ابراهيم عن عمرو بن ميمون، قال: بعث عمر بن الخطاب حذيفة ابن اليمان على ما وراء دجلة و بعث عثمان بن حنيف على مادون دجلة فوضعا على كل جريب قفيزا و درهما.

حدثنا الحسين، قال: حدثنا يحيى بن آدم عن مندل عن أبى إسحاق الشيبانى عن محمد بن عبد اللّه الثقفى، قال كتب المغيرة بن شعبة و هو على السواد أن قبلنا أصنافا من الغلة لها مزيد على الحنطة و الشعير فذكر الماش و الكروم و الرطبة و السماسم، قال: فوضع عليها ثمانية ثمانية و ألغى النخل.

و حدثنا خلف البزار، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش و حدثنى الحسين ابن الأسود عن يحيى بن آدم عن أبى بكر، قال: أخبرنى أبو سعيد البقال عن العيزار ابن حريث، قال: وضع عمر بن الخطاب على جريب الحبطة درهمين و جريبين و على جريب الشعير درهما و جريبا و على كل غامر يطق زرعه على الجريبين درهما.

فتوح البلدان، ص: ۲۶۶

و حدثنا خلف البزار عن أبى بكر بن عياش عن أبى سعيد عن العيزار ابن حريث، قال: وضع عمر على جريب الكرم عشرة دراهم و على جريب الرطبة عشرة دراهم و على جريب القطن خمسة دراهم و على النخلة من الفارسى درهما و على الدفلتين درهما.

حدثنى عمرو الناقد، قال: حدثنا حفص بن غياث عن ابن أبى عروبة عن قتادة عن أبى مجلز أن عمر وضع على جريب النخل ثمانية دراهم.

و حدثنا الحسين بن الأسود، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال حدثنا عبد الرحمن بن سليمان عن السرى بن إسماعيل عن الشعبى، قال: بعث عمر ابن الخطاب عثمان بن حنيف فوضع على أهل السواد لجريب الرطبة خمسة دراهم و لجريب الكرم عشرة دراهم، و لم يجعل على ما عمل تحته شيئا.

و حدثنى الوليد بن صالح عن الواقدى عن ابن أبى سبرة عن ابن رفاعة قال عمر بن عبد العزيز. كان خراج السواد على عهد عمر بن

الخطاب مائة ألف ألف درهم، فلما كان الحجاج صار إلى أربعين ألف ألف درهم.

و حدثنا الوليد عن الواقدى عن عبد اللّه بن عبد العزيز عن أيوب بن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه، قال: ختم عثمان بن حنيف فى رقاب خمسمائة ألف و خمسين ألف علج و بلغ الخراج فى ولايته مائة ألف ألف درهم.

و حدثنى الوليد بن صالح، قال: حدثنا يونس بن أرقم المالكى، قال حدثنى يحيى بن أبى الأشعث الكندى عن مصعب بن يزيد أبى زيد الأنصارى عن أبيه، قال: بعثنى على بن أبى طالب على ما سقى الفرات، فذكر رساتيق و قرى فسمى نهر الملك، و كوثى، و بهرسير، و الرومقان، و نهرجوبر، و نهر درقيط و البهقباذات، و أمرنى أن أضع على كل جريب زرع غليظ البر درهما و نصفا و صاعا من طعام، و على كل جريب وسط درهما، و على كل جريب

فتوح البلدان، ص: ۲۶۷

من البر رقيق الزرع ثلثى درهم و على الشعير نصف ذلك، و أمرنى أن أضع على البساتين التى تجمع النخل و الشجر على كل جريب عشرة دراهم، و على جريب الكرم إذا أتت عليه ثلاث سنين و دخل فى الرابعة و أطعم عشرة دراهم، و أن ألغى كل نخل شاذ عن القرى يأكله من مربه، و أن لا أضع على الخضراوات شيئا المقاثى، و الحبوب، و السماسم، و القطن، و أمرنى أن أضع على الدهاقين الذين يركبون البراذين و يتختمون بالذهب على الرجل ثمانية و أربعين درهما و على أوسطهم من التجار على رأس كل رجل أربعة و عشرين درهما فى السنة و أن أضع على الأكرة و سائر من بقى منهم على الرجل اثنى عشر درهما.

حدثنى حميد بن الربيع عن يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح، قال: قلت للحسن ما هذه الطسوق المختلفة، فقال: كل قد وضع حالا بعد حال على قدر قرب الأرضين و الفرض من الأسواق و بعدها قال، و قال يحيى بن آدم:

و أما مقاسمة السواء فإن الناس سألوها السلطان فى آخر خلافة المنصور فقبض قبل أن تقاسموا ثم أمر المهدى بها فقوسموا فيها دون عقبة حلوان.

و حدثنى عبد اللّه بن صالح العجلى عن عبثر أبى زيد عن الثقات، قال:

مسح حذيفة سقى دجلة و مات بالمدائن، و قناطر حذيفة نسبت إليه و ذلك أنه نزل عندها، و يقال: جددها، و كان ذراعه و ذراع ابن حنيف ذراع اليد و قبضة و إبهاما ممدودة، و لما قوسم أهل السواد على النصف بعد المساحة التى كانت تمسح عليهم، قال بعض الكتاب: العشر الذى يؤخذ من القطائع هو عشر ما يكال خمس النصف الذى يؤخذ من الاستان فينبغى أن يوضع على الجريب مما تجرى عليه المساحة فى القطائع أيضا خمس ما يؤخذ من جريب الاستان فمضى الأمر على ذلك.

حدثنى أبو عبيدة قال: حدثنا كثير بن هشام عن جعفر بن برقان عن

فتوح البلدان، ص: ۲۶۸

ميمون بن مهران أن عمر رحمه اللّه بعث حذيفة و ابن حنيف إلى خانقين، و كانت من أول ما افتتحوا فختما أعناق الذمة ثم قبضا الخراج.

حدثنا الحسين بن الأسود، قال. حدثنا وكيع، قال: حدثنا عبد اللّه ابن الوليد قال: حدثنا رجل كان أبوه أخبر الناس بهذا السواد يقال له عبد الملك ابن أبى حرة عن أبيه. أن عمر بن الخطاب أصفى عشر أرضين من السواد فحفظت سبعا و ذهب عنى ثلاث، أصفى الآجام و مغايض الماء و أرض كسرى و كل دير يزيد، و أرض من قتل فى المعركة، و أرض من هرب، قال: و لم يزل ذلك ثابتا حتى أحرق الديوان أيام الحجاج بن يوسف فأخذ كل قوم ما يليهم.

و حدثنى أبو عبد الرحمن الجعفى، قال: حدثنا ابن المبارك عن عبد اللّه ابن الوليد عن عبد الملك بن أبى حرة عن أبيه قال. أصفى عمر بن الخطاب من السواد أرض من قتل فى الحرب و أرض من هرب، و كل أرض كسرى و كل أرض لأهل بيته، و كل مغيض ماء، و كل دير يزيد، و كل صافية اصطفاها كسرى. فبلغت صوافيه سبعة آلاف ألف درهم، فلما كانت وقعة الجماجم أحرق الناس

الديوان فأخذ كل قوم ما يليهم.

حدثنى الحسين و عمرو الناقد، قالا حدثنا محمد بن فضيل عن الأعمش عن ابراهيم بن مهاجر عن موسى بن طلحة قال أقطع عثمان عبد اللّه بن مسعود أرضا بالنهرين و أقطع عمار بن ياسر أسبينا و أقطع خباب بن الأرت صعنبا و أقطع سعدا قرية هرمز.

و حدثنا عبد اللّه بن صالح العجلى عن إسماعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبى قال أقطع عثمان بن عفان طلحة بن عبد اللّه النشاستج و أقطع أسامة بن زيد أرضا باعها.

حدثنا شيبان بن فروخ، قال. حدثنا أبو عوانة عن ابراهيم بن المهاجر

فتوح البلدان، ص: ۲۶۹

عن موسى بن طلحة أن عثمان بن عفان أقطع خمسة نفر من أصحاب النبى صلى اللّه عليه و سلم منهم عبد اللّه بن مسعود، و سعد بن مالك الزهرى، و الزبير ابن العوام، و خباب بن الأرت، و أسامة بن زيد، قال: فرأيت ابن مسعود و سعدا فكان جارى يعطيان أرضهما بالثلث و الربع.

و حدثنى الوليد بن صالح عن محمد بن عمرو الأسلمى عن إسحاق بن يحيى عن موسى بن طلحة، قال: أول من أقطع العراق عثمان بن عفان، أقطع قطائع من صوافى كسرى و ما كان من أرض الجالية فاقطع طلحة النشاستج و أقطع وائل بن حجر الحضرمى ما و إلى زرارة، و أقطع خباب بن الأرت أسبينا و أقطع عدى بن حاتم الطائى الروحاء، و أقطع خالد بن عرفطة أرضا عند حمام أعين و أقطع الأشعث بن قيس الكندى طيزناباذ، و أقطع جرير ابن عبد اللّه البجلى أرضه على شاطئ الفرات.

حدثنى الحسين بن الأسود عن يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح، قال:

بلغنى أن عليا رحمه اللّه ألزم أهل أجمة برس أربعة آلاف درهم و كتب لهم بذلك كتابا فى قطعة أديم.

و حدثنى أحمد بن حماد الكوفى، قال: اجمة برس بحضرة صرح نمرود ببابل و فى الاجمة هوة بعيدة القعر يقال انها بئر كان آجر الصرح اتخذ من طينها و يقال: انها موضع خسف.

و حدثنى أبو مسعود و غيره أن دهاقين الأنبار سألوا سعد بن أبى وقاص أن يحفر لهم نهرا كانوا سألوا عظيم الفرس حفره لهم، فكتب إلى سعد بن عمرو ابن حرام يأمره بحفره لهم، فجمع الرجال لذلك فحفروه حتى انتهوا إلى جبل لم يمكنه شقه فتركوه، فلما ولى الحجاج العراق جمع الفعلة من كل ناحية و قال لقوامه: انظروا إلى قيمة ما يأكل رجل من الحفارين فى اليوم فإن كان وزنه

فتوح البلدان، ص: ۲۷۰

مثل وزن ما يقلع فلا تمتنعوا من الحفر فانفقوا عليه حتى استتموه، فنسب ذلك الجبل إلى الحجاج، و نسب النهر إلى سعد بن عمرو بن حرام، قال:

و أمرت الخيزران أم الخلفاء أن يحفر النهر المعروف بمحدود و سمته الريان و كان وكيلها جعله أقساما وحد كل قسم و وكل بحفره قوما فسمى محدودا.

فأما النهر المعروف بشيلى فإن بنى شيلى بن فرخزادان المروزى يدعون أن سابور حفره لجدهم حين رتبه بنغيا من طسوج الأنبار، و الذى يقول غيرهم أنه نسب إلى رجل يقال له شيلى كان متقبلا لحفره و كانت له عليه مبقلة فى أيام المنصور أمير المؤمنين، و أن هذا النهر كان قديما مندفنا فأمر المنصور بحضره فلم يستتم حتى توفى فاستتم فى خلافة المهدى، و يقال: أن المنصور كان أمر باحداث فوهة له فوق فوهته القديمة فلم يتم ذلك حتى أتمها المهدى رحمه اللّه.

ذكر تمصير الكوفة

حدثنى محمد بن سعد، قال حدثنا محمد بن عمر الواقدى عن عبد الحميد ابن جعفر و غيره أن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن

أبى وقاص يأمره أن يتخذ للمسلمين دار هجرة و قيروانا و أن لا يجعل بينه و بينهم بخرافاتى الأنبار و أراد أن يتخذها منزلا، فكثر على الناس الذباب، فتحول إلى موضع آخر فلم يصلح فتحول إلى الكوفة فاختطها و أقطع الناس المنازل، و أنزل القبائل منازلهم و بنى مسجدها و ذلك فى سنة سبع عشرة.

و حدثنى على بن المغيرة الأثرم «قال حدثنى أبو عبيدة معمر بن المثنى عن أشياخه، قال: و أخبرنى هشام بن الكلبى عن أبيه و مشايخ الكوفيين قالوا، لما فرغ سعد بن أبى وقاص من وقعة القادسية وجه إلى المدائن، فصالح أهل الرومية و بهرسير» ثم افتتح المدائن و أخذ أسبانبر و كرد بنداذ عنوة فأنزلها جندد فاحتووها، فكتب إلى سعد أن حولهم فحولهم إلى

فتوح البلدان، ص: ۲۷۱

سوق حكمة، و بعضهم يقول: حولهم إلى كويفة دون الكوفة، و قال الأثرم و قد قيل: التكوف الاجتماع، و قيل أيضا أن المواضع المستديرة من الرمل تسمى كوفانى، و بعضهم يسمى الأرض التى فيها الحصباء مع الطين و الرمل كوفة، قالوا فأصابهم البعوض، فكتب سعد إلى عمر يعلمه أن الناس قد بعضوا و تأذوا بذلك فكتب إليه عمر: أن العرب بمنزلة الإبل لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل فارتد لهم موضعا عدنا و لا تجعل بينى و بينهم بحرا، و ولى الاختطاط للناس أبا الهياج الأسدى عمرو بن مالك بن جنادة ثم ان عبد المسيح بن بقيلة أتى سعدا و قال له أدلك على أرض انحدرت عن الفلاة و ارتفعت عن المباق فدله على موضع الكوفة اليوم، و كان يقال لها سورستان.

فلما انتهى إلى موضع مسجدها أمر رجلا فعلا بسهم قبل مهب القبلة فاعلم على موقعه ثم علا بسهم آخر قبل مهب الشمال و أعلم على موقعة ثم علاـ بسهم قبل مهب الجنوب و أعلم على موقعه ثم علا بسهم قبل مهب الصبا فاعلم على موقعه، ثم وضع مسجدها و دار أمارتها فى مقام العالى و ما حوله، و أسهم لنزار و أهل اليمن بسهمين على أنه من خرج بسهمه أولا فله الجانب الأيسر و هو خيرهما، فخرج سهم أهل اليمن فصارت خططهم فى الجانب الشرقى و صارت خطط نزار فى الجانب الغربى من وراء تلك العلامات، و ترك ما دونها فناء للمسجد و دار الأمارة، ثم أن المغيرة بن شعبة وسعه و بناه زياد فأحكمه و بنى دار الأمارة.

و كان زياد يقول. أنفقت على كل اسطوانة من أساطين مسجد الكوفة ثمانى عشرة و مائة، و بنى فيها عمرو بن حريث المخزومى بناء، و كان زياد يستخلفه على الكوفة إذا شخص إلى البصرة، ثم بنى العمال فيها فضيقوا

فتوح البلدان، ص: ۲۷۲

رحابها و اقنيتها، قال: و صاحب زقاق عمرو بالكوفة بنو عمرو بن حريث ابن عمرو بن عثمان بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم بن يقظة.

و حدثنى وهب بن بقية الواسطى، قال: حدثنا يزيد بن هارون عن داود بن أبى هند عن الشعبى، قال: كنا- يعنى أهل اليمن- اثنى عشر ألفا، و كانت نزار ثمانية آلاف، ألا ترى أنا أكثر أهل الكوفة و خرج سهمنا بالناحية الشرقية فلذلك صارت خططنا بحيث هى.

و حدثنى على بن محمد المدائنى عن مسلمة بن محارب و غيره، قالوا: زاد المغيرة فى مسجد الكوفة و بناه ثم زاد فيه زياد، و كان سبب إلقاء الحصى فيه و فى مسجد البصرة أن الناس كانوا يصلون فإذا رفعوا أيديهم و قد تربت نفضوها، فقال زياد. ما أخوفنى أن يظن الناس على غابر الأيام أن نفض الأيدى سنة فى الصلاة فزاد فى المسجد و وسعه، و أمر بالحصى فجمع و ألقى فى صحن المسجد و كان الموكلون بجمعه يتعنتون الناس، و يقولون لمن وظفوه عليه ايتونا به على ما نريكم و انتقوا منه ضروبا اختاروها فكانوا يطلبون ما أشبهها فأصابوا مالاـ فقيل: حبذا الأمارة و لو على الحجارة. و قال الأثرم. قال أبو عبيدة: إنما قيل ذلك لأن الحجاج بن عتيك الثقفى أو ابنه تولى قطع حجارة أساطين مسجد البصرة من جبل الأهواز فظهر له مال فقال الناس. حبذا الأمارة و لو على الحجارة. و قال أبو عبيدة. و كان تكويف الكوفة فى سنة ثمان عشرة قال: و كان زياد اتخذ فى مسجد الكوفة مقصورة ثم جددها خالد بن عبد اللّه القصرى.

و حدثنى حفص بن عمر العمرى، قال. حدثنى الهيثم بن عدى الطائى، قال: أقام المسلمون بالمدائن و اختطوها و بنوا المساجد فيها،

ثم أن المسلمين استوخموها و استوبئوها، فكتب بذلك سعد بن أبى وقاص إلى عمر،

فتوح البلدان، ص: ۲۷۳

فكتب إليه عمر أن تنزلهم منزلا- غربيا فارتاد كويفة ابن عمر فنظروا فإذا الماء محيط بها فخرجوا حتى أتوا موضع الكوفة اليوم فانتهوا إلى الظهر، و كان يدعى خد العذراء ينبت الخزامى و الأقحوان و الشيح و القيصوم و الشقائق فاختطوها.

و حدثنى شيخ من الكوفيين. أن ما بين الكوفة و الحيرة كان يسمى الملطاط قال: و كانت دار عبد الملك بن عمير للضيفان أمر عمر أن يتخذ لمن يرد من الآفاق دارا فكانوا ينزلونها.

و حدثنى العباس بن هشام الكلبى عن أبيه عن أبى مخنف عن محمد بن إسحاق، قال اتخذ سعد بن أبى وقاص بابا مبوبا من خشب و خص على قصره خصا من قصب، فبعث عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة الأنصارى حتى أحرق الباب و الخص و أقام سعدا فى مساجد الكوفة فلم يقل فيه إلا خيرا.

و حدثنى العباس بن الوليد النرسى و ابراهيم العلاف البصرى، قالا:

حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة أن أهل الكوفة سعوا بسعد بن أبى وقاص إلى عمر، و قالوا: إنه لا يحسن الصلاة فقال سعد: أما أنا فكنت أصلى بهم صلاة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، لا أخرم عنها، أركد فى الأوليين و أحذف فى الأخريين، فقال عمر: ذاك الظن بك يا أبا اسحاق، فأرسل عمر رجالا يسألون عنه بالكوفة، فجعلوا لا يأتون مسجدا من مساجدها إلا قالوا خيرا و أثنوا معروفا حتى أتوا مسجدا من مساجد بنى عبس، فقال رجل منهم يقال أبو سعدة: أما إذا سألتمونا عنه فإنه كان لا يقسم بالسوية، و لا يعدل فى القضية قال، فقال سعد. اللهم إن كان كاذبا فأطل عمره، و أدم فقره و أعم بصره، و عرضه الفتن، قال عبد الملك فأنا رأيته بعد يتعرض للإماء فى السكك، فإذا قيل له:

فتوح البلدان، ص: ۲۷۴

كيف أنت يا أبا سعدة، قال كبير مفتون أصابتنى دعوة سعد قال العباس النرسى فى غير هذا الحديث: ان سعدا قال لأهل الكوفة اللهم لا ترض عنهم أميرا و لا ترضهم بأمير.

و حدثنى العباس النرسى، قال: بلغنى أن المختار بن أبى عبيد أو غيره، قال: حب أهل الكوفة شرف و بغضهم تلف.

و حدثنى الحسن بن عثمان الزيادى، قال: حدثنا إسماعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبى. أن عمرو بن معدى كرب الزبيدى وفد على عمر بن الخطاب بعد فتح القادسية فسأله عن سعد و عن رضاء الناس عنه فقال:

تركته يجمع لهم جمع الذرة، و يشفق عليهم شفقة الأم البرة، أعرابى فى تمرته، نبطى فى جبايته، يقسم بالسوية و يعدل فى القضية و ينفذ بالسوية، فقال عمر: كأنكما تقارضتما إلينا، و قد كان سعد كتب يثنى على عمرو، قال: كلا يا أمير المؤمنين و لكنى أنبأت بما أعلم، قال يا عمرو: أخبرنى عن الحرب، قال: مرة المذاق، إذا قامت على ساق. من صبر فيها عرف.

و من ضعف عنها تلف، قال: فأخبرنى عن السلاح، قال: سل يا أمير المؤمنين عما شئت منه، قال: الرمح، قال: أخوك و ربما خانك قال: فالسهام، قال: رسل المنايا تخطئ و تصيب، قال: فالترس قال. ذاك المجن عليه تدور الدوائر قال: فالدرع قال: مشغلة للفارس متعبة للراجل، و أنها لحصن حصين.

قال و السيف قال: هناك ثكلتك أمك. فقال عمر: بل ثكلتك أمك. فقال عمرو الحمى أضرعتنى إليك قال و عزل عمر سعدا و ولى عمار بن ياسر فشكوه و قالوا ضعيف لا علم له بالسياسة فعزله. و كانت ولايته الكوفة سنة و تسعة أشهر، فقال عمر. من عذيرى من أهل الكوفة ان استعملت عليهم القوى فجروه. و إن وليت عليهم الضعيف حقروه. ثم دعى المغيرة ابن شعبة فقال. إن وليتك الكوفة أتعود إلى شىء مما قرفت به. فقال: لا، و كان المغيرة حين فتحت القادسية صار إلى المدينة فولاه عمر الكوفة فلم

فتوح البلدان، ص: ۲۷۵

يزل عليها حتى توفى عمر، ثم أن عثمان بن عفان ولاها سعدا ثم عزله و ولى الوليد بن عقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية فلما قدم عليه قال له سعد: أما أن تكون كست بعدى أو أكون حمقت بعدك، ثم عزل الوليد و ولى سعد بن العاصى بن سعيد بن العاصى بن أمية.

و حدثنى أبو مسعود الكوفى عن بعض الكوفيين قال سمعت مسعر ابن كدام يحدث، قال: كان مع رستم يوم القادسية أربعة آلاف يسمون جند شهانشاه فاستأمنوا على أن ينزلوا حيث أحبوا و يحالفوا من أحبوا و يفرض لهم فى العطاء فأعطوا الذى سألوه، و حالفوا زهرة بن حوية السعدى من بنى تميم و أنزلهم سعد بحيث اختاروا، و فرض لهم فى ألف ألف، و كان لهم نقيب منهم يقال له ديلم فقيل حمراء ديلم، ثم أن زياد سير بعضهم إلى بلاد الشام بأمر معاوية فهم بها يدعون الفرس، و سير منهم قوما إلى البصرة فدخلوا فى الأساورة الذين بها، قال أبو مسعود: و العرب تسمى العجم الحمراء، و يقولون جئت من حمراء ديلم كقولهم جئت من جهينة و أشباه ذلك، قال أبو مسعود و سمعت من يذكر أن هؤلاء الأساورة كانوا مقيمين بازاء الديلم فلما غشيهم المسلمون بقزوين أسلموا على مثل ما أسلم عليه أساورة البصرة و أتوا الكوفة فأقاموا بها.

و حدثنى المدائنى، قال: كان أبرويز وجه إلى الديلم فأتى بأربعة آلاف و كانوا خدمه و خاصته، ثم كانوا على تلك المنزلة بعده و شهدوا القادسية مع رستم فلما قتل و انهزم المجوس اعتزلوا، و قالوا: ما نحن كهؤلاء و لا لنا ملجا و أثرنا عندهم غير جميل، و الرأى لنا أن ندخل معهم فى دينهم فنعز بهم فاعتزلوا، فقال سعد: ما لهؤلاء، فأتاهم المغيرة بن شعبة فسألهم عن أمرهم فأخبروه بخبرهم و قالوا: ندخل فى دينكم فرجع إلى سعد فأخبره فأمنهم فأسلموا و شهدوا فتح المدائن مع سعد و شهدوا فتح جلولاء، ثم تحولوا فنزلوا الكوفة مع المسلمين.

فتوح البلدان، ص: ۲۷۶

و قال هشام بن محمد بن السائب الكلبى: جبانة السبيع نسبت إلى ولد السبيع بن سبع بن صعب الهمدانى، و صحراء أثير نسبت إلى رجل من بنى أسد يقال له أثير، و كان عبد الحميد نسب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عامل عمر بن عبد العزيز على الكوفة، و صحراء بنى قرار نسبت إلى بنى قرار بن ثعلبة بن مالك بن حرب بن طريف بن النمر بن يقدم ابن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار، قال: و كانت دار الروميين مزبلة لأهل الكوفة تطرح فيها القمامات و الكساحات حتى استقطعها عنبسة بن سعيد بن العاصى من يزيد بن عبد الملك فاقطعه إياها فنقل ترابها بمائة ألف و خمسين ألف درهم، و قال أبو مسعود. سوق يوسف بالحيرة نسب إلى يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبى عقيل الثقفى بن عم الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل، و هو عامل هشام على العراق.

و أخبرنى أبو الحسن على بن محمد و أبو مسعود قالا: حمام أعين نسب إلى أعين مولى سعد بن أبى وقاص، و أعين هذا هو الذى أرسله الحجاج ابن يوسف إلى عبد اللّه بن الجارود العبدى من رستقاباذ حين خالف و تابعه الناس على إخراج الحجاج من العراق و مسئلة عبد الملك توليه غيره، فقال له حين أدى الرسالة. لو لا أنك رسول لقتلتك. قال أبو مسعود و سمعت أن الحمام قبله كان لرجل من العباد يقال له جابر أخو حيان الذى ذكره الأعشى. و هو صاحب مسناة جابر بالحيرة فابتاعه من ورثته.

و قال ابن الكلبى و بيعة بنى مازن بالحيرة لقوم من الأزد من بنى عمرو ابن مازن من الأزد و هم من غسان، قال: و حمام عمر نسب إلى عمر بن سعد بن أبى وقاص.

قالوا و شهارسوج بحيلة بالكوفة إنما نسب إلى بنى بحلة و هم ولد مالك

فتوح البلدان، ص: ۲۷۷

ابن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور و بجلة أمهم و هى غالبة على نسبهم فغلط الناس فقالوا بحلة، و جبانة عرزم نسبت إلى رجل يقال له عرزم كان يضرب فيها اللبن و لبنها ردىء فيه قصب و خزف فربما وقع الحريق بها فاحترقت الحيطان.

و حدثنی ابن عرفة، قال: حدثنی إسماعیل بن علیة عن ابن عون أن ابراهیم النخعی أوصی أن لا یجعل فی قبره لبن عرزمی، و قد قال بعض أهل الکوفة أن عرزما هذا رجل من بنی نهد، و جبانة بشر نسبت إلی بشر بن ربیعة بن عمرو بن منارة بن قمیر الخثعمی الذی یقول:

تحن بباب القادسیة ناقتیو سعد بن وقاص علی أمیر

قال أبو مسعود: و کان بالکوفة موضع یعرف بعنترة الحجام و کان أسود فلما دخل أهل خراسان الکوفة کانوا یقولون حجام عنترة فبقی الناس علی ذلک و کذلک حجام فرج و ضحاک رواس و بطارحیان و یقال رستم و یقال صلیب و هو بالحیرة.

و قال هشام بن الکلبی: نسبت زرارة بن یزید بن عمرو بن عدس من بنی البکا ابن ربیعة بن عامر بن صعصعة و کانت منزله و أخذها منه معاویة بن أبی سفیان، ثم أصفیت بعد حتی أقطعها محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعی قال: و دار حکیم بالکوفة فی أصحاب الأنماط نسبت إلی حکیم بن سعد بن ثور البکای، و قصر مقاتل نسب إلی مقاتل بن حسان بن ثعلبة بن أوس بن ابراهیم ابن أیوب بن محروق أحد بنی امرئ القیس بن زید مناة بن تمیم، قال: و السوادیة بالکوفة نسبت إلی سواد بن زید عدی بن زید الشاعر العبادی وجده حماد بن زید بن أیوب بن محروق، و قریة أبی صلابة التی علی الفرات نسبت إلی صلابة ابن مالک بن طارق بن جبر بن همام العبدی، و اقساس مالک نسبت إلی

فتوح البلدان، ص: ۲۷۸

مالک بن قیس بن عبد هند بن لجم أحد بنی حذافة بن زهر بن إیاد بن نزار و دیر الأعور لرجل من إیاد من بنی أمیة بن حذافة کان یسمی الأعور و فیه یقول أبو داود الإیادی:

و دیر یقول له الرائد ون ویل أم دار الحذاقی دارا

و دیر قرة أحد بنی أمیة بن حذافة و إلیهم ینسب دیر السوا و السوا العدل کانوا یأتونه فیتناصفون فیه و یحلف بعضهم لبعض علی الحقوق، و بعض الرواة یقول السوا امرأة منهم، قال: و دیر الجماجم لأیاد و کانت بینهم و بین بنی بهراء ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة و بین و بنی القین بن جسر ابن شیع اللّه بن وبرة ابن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف حرب فقتل فیها من إیاد خلق فلما انقضت الوقعة دفنوا قتلاهم عند الدیر، و کان الناس بعد ذلک یحفرون فخرج جماجم فسمی دیر الجماجم: هذه روایة الشرقی بن القطامی، و قال محمد بن السائب الکلبی: کان مالک الرماح بن محرز الأیادی قتل قوما من الفرس و نصب جماجمهم عند الدیر فسمی دیر الجماجم، و یقال:

أن دیر کعب لایاد و یقال لغیرهم، و دیر هند لأم عمرو بن هند و هو عمرو ابن المنذر بن ماء السماء و أمه کندیة، و دار قمام بنت الحارث بن هانی الکندی و هی عند دار الأشعث ابن قیس قال: و بیعة بنی عدی نسبت إلی بنی عدی ابن الذمیل من لخم قالوا، و کانت طیزناباذ تدعی ضیزناباذ فغیروا اسمها و إنما نسبت إلی الضیزن بن معاویة بن العبید السلیحی، و اسم سلیح عمر بن طریف ابن عمران بن الحاف بن قضاعة و ربة الخضراء النضیر بنت الضیزن و أم الضیزن جیهلة بنت تزید بن حیدان بن عمر بن الحاف بن قضاعة، قال:

و الذی نسب إلیه مسجد سماک بالکوفة سماک بن مخرمة بن حمین الأسدی من بنی الهالک بن عمرو بن أسد و هو الذی یقول له الأخطل:

فتوح البلدان، ص: ۲۷۹ أن سماکا بنی مجدا لأسرتهحتی الممات و فعل الخیر یبتدر

قد کنت أحسبه قینا و أخبرهفالیوم طیر عن أثوابه الشرر

و کان الهالک أول من عمل الحدید، و کان ولد یعیرون بذلک، فقال سماک للأخطل: ویحک ما أعیاک أردت أن تمدحنی فهجوتنی، و کان هرب من علی ابن أبی طالب من الکوفة و نزل الرقة، قال ابن الکلبی بالکوفة محلة بنی شیطان و هو شیطان بن زهیر

بن شهاب بن ربيعة بن أبى سود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة من تميم، و قال ابن الكلبى: موضع دار عيسى ابن موسى التى يعرف بها اليوم، كان للعلاء بن عبد الرحمن بن محرز بن حارثة ابن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، و كان العلاء على ربع الكوفة أيام ابن الزبير و سكة بن محرز تنسب إليه و بالكوفة سكة تنسب إلى عميرة بن شهاب بن محرز بن أبى شمر الكندى الذى كانت أخته عند عمر ابن سعد بن أبى وقاص فولدت له حفص بن عمر، و صحراء شبث نسبت إلى شبث بن ربعى الرياحى من بنى تميم، قالوا: و دار حجير بالكوفة نسبت إلى حجير بن الجعد الجمحى، و قال: بئر المبارك فى مقبرة جعفى نسبت إلى المبارك ابن عكرمة بن حميرى الجعفى و كان يوسف بن عمر ولاه بعض السواد، و رحى عمارة نسبت إلى عمارة بن عقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية، و قال جبانة سالم نسبت إلى سالم بن عمار بن عبد الحارث أحد بنى دارم بن نهار بن مرة ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن و بنو مرة بن صعصعة ينسبون إلى أمهم سلول بنت ذهل بن شيبان، قالوا: و صحراء البردخت نسبت إلى البردخت الشاعر الضبى و اسمه على بن خالد، قالوا: و مسجد بنى عنز نسب إلى بنى عنز بن وائل بن قاسط، و مسجد بنى جذيمة نسب إلى بنى جذيمة بن مالك ابن نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد و يقال إلى بنى جذيمة

فتوح البلدان، ص: ۲۸۰

ابن رواحة العبسى و فيه حوانيت الصيارفة، قال: و بالكوفة مسجد نسب إلى بنى المقاصف بن ذكوان بن زبينة بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان و لم يبق منهم أحد، قال: و مسجد بنى بهدلة نسب إلى بنى بهدلة بن المثل بن معاوية من كندة، قال: و بئر الجعد بالكوفة نسب إلى الجعد مولى همدان، قال: و دار أبى ارطاة نسبت إلى أرطاة بن مالك البجلى، قال: و دار المقطع نسبت إلى المقطع بن سنين الكلبى بن خالد بن مالك، و له يقول ابن الرقاع:

على ذى منار تعرف العين شخصه كما يعرف الأضياف دار المقطع

قال: و قصر العدسيين فى طرف الحيرة لبنى عمار بن عبد المسيح بن قيس ابن حرملة بن علقمة بن عدس الكلبى نسبوا إلى جدتهم عدسة بنت مالك ابن عوف الكلبى و هى أم الرماح و المشظ ابنى عامر المذمم.

و حدثنى شيخ من أهل الحيرة، قال: وجد فى قراطيس هدم قصور الحيرة التى كانت لآل المنذر أن المسجد الجامع بالكوفة بنى ببعض نقض تلك القصور و حسبت لأهل الحيرة قيمة ذلك من جزيتهم.

و حدثنى أبو مسعود و غيره، قال كان خالد بن عبد اللّه بن أسد بن كرز القسرى من بجيلة بنى لأمه بيعة هى اليوم سكة البريد بالكوفة و كانت أمه نصرانية، و قال و بنى خالد حوانيت أنشأها و جعل سقوفها ازاجا معقودة بالآجر و الجص و حفر خالد النهر الذى يعرف بالجامع، و اتخذ بالقرية قصرا يعرف بقصر خالد و اتخذ أخوه أسد بن عبد اللّه القرية التى تعرف بسوق أسد و سوقها و نقل الناس إليها فقيل سوق أسد، و كان العبر الآخر ضيعه عتاب بن ورقاء الرياحى، و كان معسكره حين شخص إلى خراسان واليا عليها عند سوقه هذا.

فتوح البلدان، ص: ۲۸۱

قال أبو مسعود: و كان عمر بن هبيرة بن معية الفزارى أيام ولايته العراق أحدث قنطرة الكوفة ثم أصلحها خالد بن عبد اللّه القسرى و استوثق منها، و قد أصلحت بعد ذلك مرات قال، و قال بعض أشياخنا: كان أول من بناها رجل من العباد من جعفى فى الجاهلية، ثم سقطت فاتخذ فى موضعها جسرا، ثم بناها فى الإسلام زياد بن أبى سفيان، ثم ابن هبيرة، ثم خالد بن عبد اللّه، ثم يزيد بن عمر بن هبيرة، ثم أصلحت بعد بنى أمية مرات.

حدثنى أبو مسعود و غيره، قالوا كان يزيد بن عمر بن هبيرة بنى مدينة بالكوفة على الفرات و نزلها و منها شيء يسير لم يستتم فأتاه كتاب مروان يأمره باجتناب مجاورة أهل الكوفة فتركها و بنى القصر الذى يعرف بقصر ابن هبيرة بالقرب مى جسر سورا، فلما ظهر أمير المؤمنين أبو العباس نزل تلك المدينة و استتم مقاصير فيها و أحدث فيها بناء و سماها الهاشمية فكان الناس ينسبونها إلى ابن

هبیرة علی العادة، فقال: ما أری ذکر ابن یسقط عنها، فرفضها و بنی بحیالها الهاشمیة و نزلها، ثم اختار نزول الأنبار فبنی بها مدینته المعروفة فلما توفی دفن بها، و استخلف أبو جعفر المنصور فنزل المدینة الهاشمیة بالکوفة و استتم شیئا کان بقی منها و زاد فیها بناء و هیأها علی ما أراد، ثم تحول منها إلی بغداد فبنی مدینته و مصر بغداد و سماها مدینة السلام و أصلح سورها القدیم الذی یبتدئ من دجلة و ینتهی إلی الصراط، و بالهاشمیة حبس المنصور عبد اللّه بن حسن بن حسن بن علی بن أبی طالب بسبب ابنیه محمد و ابراهیم و بها قبره، و بنی المنصور بالکوفة الرصافة و أمر أبا الخصیب مرزوقا مولاه فبنی له القصر المعروف بأبی الخصیب علی أساس قدیم، و یقال: أن أبا الخصیب بناه لنفسه فکان المنصور یزوره فیه، و أما الخورنق فکان قدیما فارسیا بناه النعمان بن امرئ القیس و هو ابن الشقیقة

فتوح البلدان، ص: ۲۸۲

بنت أبی ربیعة بن ذهل بن شیبان لبهرام جور بن یزدجرد بن بهرام بن سابور ذی الأکتاف، و کان بهرام جور فی حجره و النعمان هذا الذی ترک ملکه و ساح فذکره عدی بن زید العبادی فی شعره، فلما ظهرت الدولة المبارکة أقطع الخورنق إبراهیم بن سلمة أحد الدعاة بخراسان و هو جد عبد الرحمن بن إسحاق القاضی کان بمدینة السلام فی خلافة المأمون و المعتصم بالله رحمهما اللّه، و کان مولی للرباب و إبراهیم أحدث فیه الخورنق فی خلافة أبی العباس و لم تکن قبل ذلک.

و حدثنی أبو مسعود الکوفی، قال: حدثنا یحیی بن سلمة بن کهیل الحضرمی عن مشایخ من أهل الکوفة أن المسلمین لما فتحوا المدائن أصابوا بها فیلا- و قد کانوا قتلوا ما لقیهم قبل ذلک من الفیلة فکتبوا فیه إلی عمر فکتب إلیهم أن بیعوه أن وجدتم له مباعا فاشتراه رجل من أهل الحیرة فکان عنده یریه الناس و یجلله و یطوف به فی القری فمکث عنده حینا، ثم أن أم أیوب بنت عمارة بن عقبة بن أبی معیط امرأة المغیرة بن شعبة و هی التی خلف علیها زیاد بعده أحبت النظر إلیه و هی تنزل دار أبیها فأتی به و وقف علی باب المسجد الذی یدعی الیوم باب الفیل فجعلت تنظر إلیه و وهبت لصاحبه شیئا و صرفته فلم یخط إلا خطی یسیرة حتی سقط میتا فسمی الباب باب الفیل، و قد قیل أن الناظرة إلیه امرأة الولید بن عقبة بن أبی معیط، و قیل أن ساحرا أری الناس أنه أخرج من هذا الباب فیلا علی حمار و ذلک باطل، و قیل: أن الأجانة التی فی المسجد حملت علی فیل و أدخلت من هذا الباب فسمی باب الفیل، و قال بعضهم: أن فیلا لبعض الولاة اقتحم هذا الباب فنسب إلیه: و الخبر الأول أثبت هذه الأخبار.

و حدثنی أبو مسعود، قال: جبانة میمون بالکوفة نسبت إلی میمون

فتوح البلدان، ص: ۲۸۳

مولی محمد بن علی بن عبد اللّه و هو أبو بشر بن میمون صاحب الطاقات ببغداد بالقرب من باب الشام، و صحراء أم سلمة نسبت إلی أم سلمة بنت یعقوب بن سلمة بن عبد اللّه بن الولید بن المغیرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم امرأة أبی العباس. و حدثنی أبو مسعود، قال: أخذ المنصور أهل الکوفة بحفر خندقها و ألزم کل امرئ منهم للنفقة علیه أربعین درهما و کان ذاما لهم لمیلهم إلی الطالبین و أرجافهم بالسلطان.

و حدثنا الحسین بن الأسود، قال: حدثنا وکیع عن إسرائیل عن جابر عن عامر، قال: کتب عمر إلی أهل الکوفة رأس العرب. و حدثنا الحسین قال: حدثنا وکیع عن سفیان عن حبیب بن أبی ثابت عن نافع بن جبیر بن مطعم، قال: قال عمر بالکوفة وجوه الناس. و حدثنا الحسین و إبراهیم بن مسلم الخوارزمی، قالا: حدثنا وکیع عن یونس بن أبی إسحاق عن الشعبی، قال: کتب عمر إلی أهل الکوفة إلی رأس الإسلام. و حدثنا الحسین بن الأسود، قال: حدثنا وکیع عن قیس بن الربیع عن شمر بن عطیة قال: قال عمر و ذکر الکوفة، فقال: هم رمح اللّه و کنز الإیمان و جمجمة العرب یحرزون ثغورهم و یمدون أهل الأمصار.

و حدثنا أبو نصر التمار، قال: حدثنا شریک بن عبد اللّه بن أبی شریک العامری عن جندب عن سلمان قال: الکوفة قبة الإسلام، یأتی علی الناس زمان لا یبقی مؤمن ألا و هویها أو یهوی قلبه إلیها

.

فتوح البلدان، ص: ۲۸۴

أمر واسط العراق

حدثنى عبد الحميد بن واسع الختلى الحاسب، قال: حدثنى يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح، قال: أول مسجد جامع بنى بالسواد مسجد المدائن بناه سعد و أصحابه ثم وسع بعد و أحكم بناؤه و جرى ذلك على يدى حذيفة ابن اليمان و بالمدائن مات حذيفة سنة ست و ثلاثين، ثم بنى مسجد الكوفة ثم مسجد الأنبار قال: و أحدث الحجاج مدينة واسط فى سنة ثلاث و ثمانين أو سنة أربع و ثمانين و بنى مسجدها و قصرها و قبة الخضراء بها، و كانت واسط أرض قصب فسميت واسط القصب، و بينها و بين الأهواز و البصرة و الكوفة مقدار واحد، و قال ابن القرية: بناه فى غير بلده و يتركها لغير ولده.

و حدثنى شيخ من أهل واسط عن أشياخ منهم. أن الحجاج لما فرغ من واسط كتب إلى عبد الملك بن مروان أنى اتخذت مدينة فى كرش من الأرض بين الجبل و المصرين و سميتها واسطا فلذلك سمى أهل واسط الكرشيين، و كان الحجاج قبل اتخاذه واسطا أراد نزول الصين من كسكر فحفر نهر الصين و جمع له الفعلة و أمر بأن يسلسوا لئلا يشذوا و يتبلطوا» ثم بدا له فأحدث واسطا فنزلها و احتفر النيل و الزابى و سماه زابيا لأخذه من الزابى القديم، و أحيا ما على هذين النهرين من الأرضين، و أحدث المدينة التى تعرف بالنيل و مصرها، و عمد إلى ضياع كان عبد اللّه بن دراج مولى معاوية بن أبى سفيان استخرجها له أيام ولايته خراج الكوفة مع المغيرة ابن شعبة من موات مرفوض و نقوض مياه و مغايض و آجام ضرب عليها المسنيات، ثم قلع قصبها فحازها لعبد الملك بن مروان و عمرها و نقل الحجاج إلى قصره و المسجد الجامع بواسط أبوابا من زندورد و الدوقرة و دار

فتوح البلدان، ص: ۲۸۵

وساط و دير ماسرجسان و شرابط فضج أهل هذه المدن، و قالوا: قد أومنا على مدننا و أموالنا فلم يلتفت إلى قولهم، قال: و حفر خالد بن عبد اللّه القسرى المبارك فقال الفرزدق:

كأنك بالمبارك بعد شهرتخوض غموره بقع الكلاب

ثم قال فى شعر له طويل:

أعطى خليفته بقوة خالدنهرا يفيض له على الأنهار

أن المبارك كاسمه يسقى بهحرث السواد و ناعم الجبار

و كأن دجلة حين أقبل مدهاناب يمد له بحبل قطار

و حدثنى محمد بن خالد بن عبد اللّه الطحان، قال: حدثنى مشايخنا أن خالد بن عبد اللّه القسرى كتب إلى هشام بن عبد الملك يستأذنه فى عمل قنطرة على دجلة فكتب إليه هشام، لو كان هذا ممكنا لسبق إليه الفرس فراجعه فكتب إليه: أن كنت متيقنا أنها تتم فاعملها فعملها و أعظم النفقة عليها فلم يلبث أن قطعها الماء فأغرمه هشام ما كان أنفق عليها.

قالوا: و كان النهر المعروف بالبزاق قديما و كان يدعى بالنبطية البساق أى الذى يقطع الماء عما يليه و يجره إليه و هو نهر يجتمع إليه فضول مياه آجام السيب و ماء من ماء الفرات فقال الناس البزاق، فأما الميمون فأول من حفره وكيل لأم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور يقال له سعيد بن زيد، و كانت فوهته عند قرية تدعى قرية ميمون فحولت فى أيام الواثق بالله على يدى عمر بن فرج الرخجى و سمى الميمون لئلا يسقط عنه ذكر اليمن.

و حدثنى محمد بن خالد، قال: أمر المهدى أمير المؤمنين بحفر نهر الصلة فحفر و أحيى ما عليه من الأرضين و جعلت غلته لصلات أهل الحرمين و النفقة هناك، و كان شرط لمن تألف إليه من المزارعين الشرط الذى هم عليه اليوم

فتوح البلدان، ص: ۲۸۶

خمسين سنة على أن يقاسموا بعد انقضاء الخمسين مقاسمة النصف، و أما نهر الأمير فنسب إلى عيسى بن على و هو فى قطيعته.

و حدثنا محمد بن خالد، قال: كان محمد بن القاسم أهدى إلى الحجاج من السند فيلا فأجيز البطائح فى سفينة و أخرج فى المشرعة التى تدعى مشرعة الفيل فسميت تلك المشرعة مشرعه الفيل و فرضة الفيل.

أمر البطائح

حدثنى جماعة من أهل العلم: أن الفرس كانت تتحدث بزوال ملكها و تروى فى آية ذلك زلازل و طوفان تحدث، و كانت دجلة تصب إلى دجلة البصرة التى تدعى العوراء فى أنهار متشعبة و من عمود مجراها الذى كان باقى مائها يجرى فيه و هو كبعض تلك الأنهار، فلما كان زمان قباذ بن فيروز انبثق فى أسافل كسكر بثق عظيم فأغفل حتى غلب ماؤه و غرق كثيرا من أرضين عامرة، و كان قباذ واهنا قليل التفقد لأمره، فلما ولى أنوشروان ابنه أمر بذلك الماء فردم بالمسنيات حتى عاد بعض تلك الأرضين إلى عمارة، ثم لما كانت السنة التى بعث فيها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عبد اللّه بن حذافة السهمى إلى كسرى أبرويز و هى سنة سبع من الهجرة، و يقال سنة ست زاد الفرات و دجلة زيادة عظيمة لم ير مثلها قبلها لا بعدها، و انبثقت بثوق عظام فجهد أبرويز أن يسكرها فغلبه الماء و مال إلى موضع البطائح فطفا على العمارات و الزروع فغرق عدة طساسيج كانت هناك، و ركب كسرى بنفسه لسد تلك البثوق و نثر الأموال على الأنطاع و قتل الفعلة بالكفاية، و صلب على بعض البثوق فيما يقال أربعين جسارا فى يوم فلم يقدر للماء على حيلة، ثم دخلت العرب أرض العراق و شغلت الأعاجم بالحروب فكانت البثوق تنفجر فلا يلتفت إليها و يعجز الداهقين عن سد

فتوح البلدان، ص: ۲۸۷

عظمها فاتسعت البطيحة و عرضت، فلما ولى معاوية بن أبى سفيان ولى عبد اللّه بن دراج مولاه خراج العراق و استخرج له من الأرضين بالبطائح ما بلغت غلته خمسة آلاف ألف و ذلك أنه قطع القصب و غلب الماء بالمسنيات، ثم كان حسان النبطى مولى بنى ضبة و صاحب حوض حسان بالبصرة و الذى تنسب إليه منارة حسان بالبطائح فاستخرج للحجاج أيام الوليد و لهشام بن عبد الملك أرضين من أراضى البطيحة، قالوا: و كان بكسكر قبل حدوث البطائح نهر يقال له الجنب، و كان طريق البريد إلى ميسان و دستميسان و إلى الأهواز فى شقه القبلى فلما تبطحت البطائح سمى ما استاجم من شق طريق البريد آجام البريد و سمى الشق الآخر اجام أغمر بثى، و فى ذلك الآجام الكبرى و النهر اليوم يظهر فى الأرضين الجامدة التى استخرجت حديثا.

و حدثنى أبو مسعود الكوفى عن أشياخه، قالوا: حدثت البطائح بعد مهاجرة النبى صلى اللّه عليه و سلم و ملك الفرس أبرويز، و ذلك أنه انبثقت بثوق عظام عجز كسرى عن سدها و فاضت الأنهار حتى حدثت البطائح، ثم كان مد فى أيام محاربة المسلمين الأعاجم بثوق لم يعن أحد بسدها فاتسعت البطيحة لذلك و عظمت، و قد كان بنو أمية استخرجوا بعض أرضيها، فلما كان زمن الحجاج غرق ذلك لأن بثوقا انفجرت فلم يعان الحجاج سدها مضارة للدهاقين لأنه كان اتهمهم بممالأة ابن الأشعث حين خرج عليه و استخرج حسان النبطى لهشام أرضين من أرضى البطيحة أيضا.

و كان أبو الأسد الذى نسب إليه نهر أبى الأسد قائدا من قواد المنصور أمير المؤمنين ممن كان وجه إلى البصرة أيام مقام عبد اللّه بن على بها و هو الذى أدخل عبد اللّه بن على الكوفة.

فتوح البلدان، ص: ۲۸۸

و حدثنى عمر بن بكير: أن المنصور رحمه اللّه وجه أبا الأسد مولى أمير المؤمنين فعسكر بينه و بين عسكر عيسى بن موسى حين كان يحارب ابراهيم ابن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب و هو حفر النهر المعروف بأبى أسد عند البطيحة، و قال غيره: أقام على فم النهر لأن السفن لم تدخله لضيقه عنها فوسعه و نسب إليه.

قال أبو مسعود: و قد انبثقت فى أيام الدولة المباركة بثوق زادت فى البطائح سعة، و حدثت أيضا من الفرات آجام استخرج بعضها.

و حدثنى أبو مسعود عن عوانة، قال: انبثقت البثوق أيام الحجاج فكتب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك يعلمه: أنه قدر لسدها ثلاثة آلاف ألف درهم فاستكثرها الوليد، فقال له مسلمة بن عبد الملك: أنا أنفق عليها على أن تقطعنى الأرضين المنخفضة التى يبقى فيها الماء بعد انفاق ثلاثة آلاف ألف درهم يتولى إنفاقها ثقتك و نصيحك الحجاج فأجابه إلى ذلك فحصلت له أرضون من طساسيج متصلة فخفر السيبين و تألف الاكرة و المزارعين و عمر تلك الأرضين و ألجأ الناس إليها ضياعا كثيرة للتعزز به، فلما جاءت الدولة المباركة و قبضت أموال بنى أمية أقطع جميع السيبين داود بن على ابن عبد اللّه بن العباس، ثم ابتيع ذلك من ورثته بحقوقه و حدوده فصار من ضياع الخلافة

.

فتوح البلدان، ص: ۲۸۹

أمر مدينة السلام

قالوا: و كانت بغداد قديمة فمصرها أمير المؤمنين المنصور رحمه اللّه و ابتنى بها مدينة و ابتدأها فى سنة خمس و أربعين و مائة فلما بلغه خروج محمد و ابراهيم بنى عبد اللّه بن حسن بن حسن عاد إلى الكوفة، ثم حول بيوت الأموال و الخزائن و الدواوين من الكوفة إلى بغداد سنة ست و أربعين و مائة و سماها مدينة السلام و استتم بناء حائط مدينته و جميع أمره و بناء سور بغداد القديم سنة سبع و أربعين و مائة و توفى سنة ثمان و خمسين و مائة بمكة و دفن عند بئر ميمون الحضرمى حليف بن أمية، و بن المنصور للمهدى الرصافة فى الجانب الشرقى ببغداد، و كان هذا الجانب يدعى عسكر المهدى لأنه عسكر فيه حين خرج إلى الرى، فلما قدم من الرى و قد بدا للمنصور فى إنفاذه إلى خراسان للاقامة بها نزل الرصافة و ذلك فى سنة إحدى و خمسين و مائة و قد كان المنصور أمر فبنى للمهدى قبل إنزاله الجانب الشرقى قصره الذى يعرف بقصر الوضاح و بقصر المهدى و بالشرقية، و هو مما يلى باب الكرخ، و الوضاح رجل من أهل الأنبار كان تولى النفقة عليه فنسب إليه، و بنى المنصور مسجدى مدينة السلام، و بنى القنطرة الجديدة على الصراة، و ابتاع أرض مدينة السلام من قوم من أرباب القرى بادوريا و قطربل و بهزبوق و نهربين و أقطعها أهل بيته و قواده و جنده و صحابته و كتابه، و جعل مجمع الأسواق بالكرخ و أمر التجار فابتنوا الحوانيت و ألزمهم الغلة.

و حدثنى العباس بن هشام الكلبى عن أبيه، قال: سمى المخرم ببغداد مخرما لأن مخرم بن شريح بن حزن الحارثى نزله، قال: و كان ناحية قنطرة البردان للسرى بن الحطيم صاحب الحطيمة التى تعرف ببغداد.

و حدثنى مشايخ من أهل بغداد: إن الصالحية ببغداد نسبت إلى صالح بن

فتوح البلدان، ص: ۲۹۰

المنصور، قالوا: و الحربية نسبت إلى حرب بن عبد اللّه البلخى، و كان على شرط جعفر بن أبى جعفر بالموصل، و الزهيرية تعرف بباب التبن نسبت إلى زهير بن محمد من أهل أبيورد، و عيساباذ نسبت إلى عيسى بن المهدى و كان فى حجر منازل التركى و هو ابن الخيزران، و قصر عبودية مما يلى براثا نسبت إلى رجل من الأزد يقال له عبدويه و كان من وجوه أهل الدولة، قالوا: و أقطع المنصور ببغداد سليمان بن مجالد و مجالد سروى مولى لعلى بن عبد اللّه موضع داره و أقطع مهلهل بن صفوان قطيعه بالمدينة و إليه ينسب درب مهلهل، و كان صفوان مولى على بن عبد اللّه، و كان اسم مهلهل يحيى فاستنشده محمد بن على شعرا فأنشده:

أ ليلتنا بذى حشم أنيرى و هى لمهلهل فسماه مهلهلا، و محمد أعتقه و أقطع المنصور عمارة بن حمزة الناحية المعروفة به خلف مربعة شبيب بن واج، و أقطع ميمون أبا بشر ابن ميمون قطيعة عند بستان القس ناحية باب الشام، و طاقات بشر تنسب إلى بشر بن ميمون: هذا، و كان ميمون مولى على بن عبد اللّه و اقطع شبيلا مولاه قطيعة عند دار يقطين و هناك مسجد يعرف بشبيل، و أقطع أم عبيدة و

هى حاضنة لهم و مولاة لمحمد بن على قطيعة و إليها تنسب طاقات أم عبيدة بقرب الجسر، و أقطع منيرة مولاة محمد بن على و إليها ينسب درب منيرة و خان منيرة فى الجانب الشرقى و أقطع ريشانة موضعا يعرف بمسجد بنى رغبان، مولى حبيب بن مسلمة الفهرى يدخل فى قصر عيسى بن جعفر أو جعفر بن جعفر بن المنصور و درب مهرويه فى الجانب الشرقى نسب إلى مهرويه الرازى، و كان من سبى سنفاذ فأعتقه المهدى و لم يزل المنصور رحمه اللّه بمدينة السلام إلى آخر سنى خلافته، ثم حج منها و توفى بمكة، و نزلها بعده المهدى أمير المؤمنين، ثم شخص منها إلى ماسبذان فتوفى بها، و كان أكثر نزوله من مدينة السلام بعيساباذ فى أبنية بناها هناك، ثم

فتوح البلدان، ص: ۲۹۱

نزلها الهادى موسى بن المهدى فتوفى بها، و نزلها الرشيد هارون بن المهدى ثم شخص عنها إلى الرافقة فأقام بها و سار منها إلى خراسان فتوفى بطوس، و نزلها محمد بن الرشيد فقتل بها و قدمها المأمون عبد اللّه بن الرشيد من خراسان فأقام بها ثم شخص عنها غازيا فمات بالفذندون و دفن بطرسوس، و نزلها أمير المؤمنين المعتصم بالله ثم شخص عنها إلى القاطول فنزل قصر الرشيد كان ابتناه حين حفر قاطوله الذى دعاه أبا الجند لقيام ما يسقى من الأرضين بأرزاق جنده، ثم بنى بالقاطول بناء نزله و دفع ذلك القصر إلى أشناس التركى مولاه و هم بتمصير ما هناك و ابتدأ بناء مدينة تركها ثم رأى تمصير سر من رأى فمصرها و نقل الناس إليها و أقام بها، و بنى مسجدا جامعا فى طرف الأسواق و سماها سر من رأى، و نزل أشناس مولاه فيمن ضم إليه من القواد كرخ فيروز، و أنزل بعض قواده الدور المعروفة بالعربايى و توفى رحمه اللّه بسر من رأى فى سنة سبع و عشرين و مائتين، و أقام هارون الواثق بالله بسر من رأى فى بناء بناه و سماه الهارونى حتى توفى به، ثم استخلف أمير المؤمنين جعفر المتوكل على اللّه رحمه اللّه فى ذى الحجة سنة اثنتين و ثلاثين و مائتين فأقام بالهارونى و بنى بناء كثيرا و أقطع الناس فى ظهر سر من رأى بالحائر الذى كان المعتصم بالله احتجره بها قطائع فاتسعوا بها و بنى مسجدا جامعا كبيرا و أعظم النفقة عليه و أمر برفع منارته لتعلو أصوات المؤذنين فيها حتى نظر إليها من فراسخ، فجمع الناس فيه و تركوا المسجد الأول، ثم أنه أحدث مدينة سماها المتوكلية و عمرها و أقام بها و أقطع الناس فيها القطائع و جعلها فيها بين الكوخ المعروف بفيروز و بين القاطول المعروف بكسرى فدخلت الدور و القرية المعروفة بالماحوز فيها، و بنى بها مسجدا جامعا و كان من ابتدائه إياها إلى أن نزلها أشهر و نزلها فى أول سنة ست و أربعين و مائتين ثم توفى بها رحمه اللّه فى شوال

فتوح البلدان، ص: ۲۹۲

سنة سبع و أربعين و استخلف فى هذه الليلة المنتصر بالله فانتقل عنها إلى سر من رأى يوم الثلاثاء لعشر خلون من شوال و مات بها.

قالوا: كانت عيون الطف مثل عين الصيد، و القطقطانة، و الرهيمة، و عين جمل و ذواتها للموكلين بالمسالح التى وراء السواد: و هى عيون خندق سابور الذى حفره بينه و بين العرب الموكلين بمسالح الخندق و غيرهم، و ذلك أن سابور أقطعهم أرضها فاعتموها من غير أن يلزمهم لها خراجا، فلما كان يوم ذى قار و نصر اللّه العرب بنبيه صلى اللّه عليه و سلم غلبت العرب على طائفة من تلك العيون و بقى فى أيدى الأعاجم بعضها، ثم لما قدم المسلمون الحيرة و هربت الأعاجم بعد أن طمت عامة ما فى أيديهم منها و بقى الذى فى أيدى العرب فأسلموا عليه و صار ما عمروه من الأرضين عشريا، و لما مضى أمر القادسية و المدائن دفع ما جلا عنه أهله من أراضى تلك العيون إلى المسلمين فأقطعوه فصارت عشرية أيضا و كذلك مجرى عيون الطف و أرضيها مجرى أعراض المدينة و قرى نجد و كل صدقتها إلى عمال المدينة، فلما ولى إسحاق بن ابراهيم بن مصعب السواد للمتوكل على اللّه ضمها إلى ما فى يده فتولى عمالة عشرها و صيرها سوادية و هى على ذلك إلى اليوم، و قد استخرج عيون اسلامية مجرى ما سقت عيونها من الأرضين هذا المجرى.

و حدثنى بعض المشايخ: أن جملا مات عند عين الجمل فنسبت إليه، و قال بعض أهل واسط أن المستخرج لها كان يسمى جملا، قالوا: و سميت العين عين الصيد لأن السمك يجتمع فيها.

و أخبرنى بعض الكريزين: أن عين الصيد كانت مما طم فبينا رجل من المسلمين تحول فيما هناك إذ ساخت قوائم فرسه فيها فنزل عنه

فخفر فظهر له الماء فجمع قوما عاونوه على كشف التراب و الطين عنها و تنقيتها حتى

فتوح البلدان، ص: ۲۹۳

عادت إلى ما كانت عليه، ثم إنها صارت بعد إلى عيسى بن على، و كان عيسى ابتاعها من ولد حسن بن حسن بن على بن أبى طالب، و كانت عنده منهم أم كلثوم بنت حسن بن حسن، و كان معاوية أقطع الحسن بن على عين صيد هذه عوضا من الخلافة مع غيرها، و كانت عين الرحبة مما طم قديما فرآها رجل من حجاج أهل كرمان و هى تبض فلما انصرف من حجه أتى عيسى بن موسى متنصحا فدله عليها فاستقطعها و أرضها و استخرجها له الكرمانى فاعتمل ما عليها من الأرضين و غرس النخل الذى فى طريق العذيب و على فراسخ من هيت عيون تدعى العرق تجرى هذا المجرى أعشارها إلى صاحب هيت.

حدثنى الأثرم عن أبى عبيدة عن أبى عمرو بن العلاء، قال: لما رأت العرب كثرة القرى و النخل و الشجر، قالوا: ما رأينا سوادا أكثر و السواد الشخص فتر لك سمى السواد سوادا.

و حدثنى القاسم بن سلام، قال. حدثنا محمد بن عبيد عن محمد بن أبى موسى قال: خرج على إلى السوق فرأى أهله قد حازوا أمكنتهم، فقال: ليس ذلك لهم أن سوق المسلمين كمصلاهم من سبق إلى موضع فهو له يومه حتى يدعه.

حدثنى أبو عبيد، قال: حدثنى مروان بن معاوية عن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه، قال: كنا نغدو إلى السوق فى زمن المغيرة بن شعبة فمن قعد فى موضع كان أحق به إلى الليل، فلما كان زياد قال: من قعد فى موضع كان أحق به ما دام فيه، قال مروان: و ولى المغيرة الكوفة مرتين لعمر مرة و مرة لمعاوية

.

فتوح البلدان، ص: ۲۹۴

نقل ديوان الفارسية

و حدثنى المدائنى على بن محمد بن أبى سيف عن أشياخه. قالوا: لم يزل ديوان خراج السواد و سائر العراق بالفارسية، فلما ولى الحجاج العراق استكتب زادان فروخ بن بيرى و كان معه صالح بن عبد الرحمن مولى بنى تميم يخط بين يديه بالعربية و الفارسية و كان أبو صالح من سبى سجستان فوصل زادان فروخ صالحا بالحجاج و خف على قلبه، فقال له ذات يوم:

إنك شببى إلى الأمير و أراه قد استخفنى و لا آمن أن يقدمنى عليك و أن تسقط، فقال: لا تظن ذلك هو أحوج إلى منه إليك لأنه لا يجد من يكفيه حسابه غيرى، فقال: و اللّه لو شئت أن أحول الحساب إلى العربية لحولته، قال: فحول منه شطرا حتى أرى ففعل فقال له نمارض فتمارض فبعث إليه الحجاج طبيبه فلم ير به علة و بلغ زادان فروخ ذلك فأمره أن يظهر، ثم أن زادان فروخ قتل أيام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندى و هو خارج من منزل كان فيه إلى منزله أو منزل غيره فاستكتب الحجاج صالحا مكانه فأعلمه الذى كان جرى بينه و بين زادان فروخ فى نقل الديوان فعزم الحجاج على أن يجعل الديوان بالعربية و قلد ذلك صالحا فقال له مردانشاه بن زادان فروخ كيف تصنع بدهويه و ششويه، قال: اكتب عشر و نصف عشر، قال: فكيف تصنع بويد، قال: اكتبه أيضا و الويد النيف و الزيادة تزاد، فقال: قطع اللّه أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية، و بذلت له مائة ألف درهم على أن يظهر العجز عن نقل الديوان و يمسك عن ذلك فأبى و نقله، فكان عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد يقول: للّه در صالح ما أعظم منته على الكتاب.

و حدثنى عمر بن شبة قال حدثنى أبو عاصم النبيل، قال: أنبأنا سهل بن أبى الصلت، قال، أجل الحجاج صالح بن عبد الرحمن أجلا حتى قلب الديوان

.

فتوح البلدان، ص: ۲۹۵

فتح الجبال (حلوان)

قالوا: لما فرغ المسلمون من أمر جلولاء الوقيعة ضم هاشم بن عتبة بن أبى وقاص إلى جرير بن عبد اللّه البجلى خيلا كثيفة و رتبه بجلولاء ليكون بين المسلمين و بين عدوهم ثم أن سعدا وجه إليهم زهاء ثلاثة آلاف من المسلمين و أمره أن ينهض بهم و بمن معه إلى حلوان، فلما كان بالقرب منها هرب يزدجرد إلى ناحية أصبهان ففتح جرير حلوان صلحا على أن كف عنهم و أمنهم على دمائهم و أموالهم و جعل لمن أحب منهم الهرب أن لا يعرض لهم، ثم خلف بحلوان جريرا مع عزرة بن قيس بن غزية البجلى و مضى نحو الدينور فلم يفتحها و فتح قرماسين على مثل ما فتح عليه حلوان و قدم حلوان فأقام بها واليا عليها إلى أن قدم عمار بن ياسر الكوفة فكتب إليه يعلمه أن عمر بن الخطاب أمره أن يمد به أبا موسى الأشعرى فخلف جرير عزرة ابن قيس على حلوان و سار حتى أتى أبا موسى الأشعرى فى سنة تسع عشرة.

و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن محمد بن نجاد عن عائشة بنت سعد بن أبى وقاص قالت: لما قتل معاوية حجر بن عدى الكندى، قال أبى: لو رأى معاوية ما كان من حجوم عين قنطرة حلوان لعرف أن له غناء عظيما عن الإسلام، قال الواقدى: و قد نزل حلوان قوم من ولد جرير بن عبد اللّه فاعقابهم بها

.

فتوح البلدان، ص: ۲۹۶

فتح نهاوند

قالوا: لما هرب يزدجرد من حلوان فى سنة تسع عشرة تكاتبت الفرس و أهل الرى و قومس و أصبهان و همذان و الماهين و تجمعوا إلى يزدجرد و ذلك فى سنة عشرين فأمر عليهم مردانشاه ذا الحاجب و أخرجوا رأيتهم الدرفشكابيان، و كانت عدة المشركين يومئذ ستين ألفا و يقال مائة ألف، و قد كان عمار بن ياسر كتب إلى عمر بن الخطاب بخبرهم فهم أن يغزوهم بنفسه ثم خاف أن ينتشر أمر العرب بنجد و غيرها، و أشير عليه بأن يغزى أهل الشام من شامهم و أهل اليمن من يمنهم فخاف أن فعل ذلك أن تعود الروم إلى أوطانها و تغلب الحبشة على ما يليها، فكتب إلى أهل الكوفة يأمرهم أن يسير ثلثاهم و يبقى ثلثهم لحفظ بلدهم و ديارهم و بعث من أهل البصرة بعثا، و قال: لاستعملن رجلا يكون لأول ما يلقاه من الأسنة، فكتب إلى النعمان بن عمرو بن مقرن المزنى و كان مع السائب بن الأقرع الثقفى بتوليته الجيش، و قال: أن أصبت فالأمير حذيفة بن اليمان فإن أصيب فجرير بن عبد اللّه البجلى فإن أصيب فالمغيرة بن شعبة فإن أصيب فالأشعث ابن قيس، و كان النعمان عاملا على كسكر و ناحيتها و يقال بل كان بالمدينة فولاه عمر أمر هذا الجيش مشافهة فشخص منها.

و حدثنى شيبان، قال: حدثنا حماد بن سلمة عن أبى عمران الجوانى عن علقمة بن عبد اللّه عن معقل بن يسار أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان فسأل ما ترى أ نبدأ بأصبهان أو بأذربيجان فقال الهرمزان: أصبهان الرأس و أذربيجان الجناحان، فإن قطعت الرأس سقط الجناحان و الرأس.

قال: فدخل عمر المسجد فبصر النعمان بن مقرن فقعد إلى جنبه، فلما قضى صلاته قال: أما إنى سأستعملك، فقال النعمان: أما جابيا فلا و لكن غازيا قال

فتوح البلدان، ص: ۲۹۷

فأنت غاز فأرسله، و كتب إلى أهل الكوفة أن يمدوه فأمدوه و فيهم المغيرة بن شعبة فبعث النعمان المغيرة إلى ذى الحاجبين عظيم

العجم بنهاوند فجعل يشق بسطه برمحه حتى قام بين يديه ثم قعد على سريره فأمر به فسحب، فقال إنى رسول، ثم التقى المسلمون و المشركون فسلسلوا كل عشرة فى سلسلة و كل خمسة فى سلسلة لئلا يفروا، قال: فرمونا حتى جرحوا منا جماعة و ذلك قبل القتال.

و قال النعمان: شهدت النبى صلى اللّه عليه و سلم فكان إذا لم يقاتل فى أول النهار انتظر زوال الشمس و هبوب الرياح و نزول النصر، ثم قال: إنى هاز لوائى ثلاث هزات، فأما أول هزة فليتوضأ الرجل بعدها و ليقض حاجته، و أما الهزة الثانية فلينظر الرجل بعدها إلى سيفه أو قال شعه و ليتهيأ و ليصلح من شأنه، و أما الثالثة فإذا كانت إن شاء اللّه فاحملوا و لا يلوين أحد على أحد، فهز لواءه ففعلوا ما أمرهم و ثقل درعه عليه فقاتل و قاتل الناس، فكان رحمه اللّه أول قتيل قال: و سقط الفارسى عن بغلته فانشق بطنه، قال فأتيت النعمان و به رمق فغسلت وجهه من أدواة ماء كانت معى فقال: من أنت قلت معقل قال: ما صنع المسلمون قلت: أبشر بفتح اللّه و نصره قال: الحمد للّه اكتبوا إلى عمر.

حدثنى شيبان، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنى على بن زيد بن جدعان عن أبى عثمان النهدى، قال: أنا ذهبت بالبشارة إلى عمر فقال:

ما فعل النعمان قلت قتل قال: (إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ) ثم بكى فقلت: قتل و اللّه فى آخرين لا أعلمهم قال و لكن اللّه يعلمهم.

و حدثنى أحمد بن ابراهيم، قال: حدثنا أبو أسامة و أبو عامر العقدى و سلم بن قتيبة جميعا عن شعبة عن على بن زيد عن أبى عثمان النهدى، قال:

رأيت عمر بن الخطاب لما جاءه نعى النعمان بن مقرن وضع يده على رأسه و جعل يبكى.

فتوح البلدان، ص: ۲۹۸

و حدثنا القاسم بن سلام، قال: حدثنا محمد بن عبد اللّه الأنصارى عن النهاس بن قهم عن القاسم بن عوف عن أبيه عن السائب بن الأقرع- أو عن عمر بن السائب عن أبيه شك الأنصارى- قال: زحف إلى المسلمين زحف لم ير مثله، فذكر حديث عمر فيما هم به من الغزو بنفسه و توليته النعمان بن مقرن و أنه بعث إليه بكتابه مع السائب و ولى السائب الغنائم، و قال:

لا ترفعن باطلا و لا تحبسن حقا ثم ذكر الواقعة، قال: فكان النعمان أول مقتول يوم نهاوند، ثم أخذ حذيفة الراية ففتح اللّه عليهم.

قال السائب: فجمعت تلك الغنائم ثم قسمتها، ثم أتانى ذو العوينتين فقال: إن كنز النخيرخان فى القلعة قال: فصعدتها فإذا أنا بسفطين فيهما جوهر لم أر مثله قط قال: فأقبلت إلى عمر و قد راث عنه الخبر و هو يتطوف المدينة، و يسأل، فلما رآنى قال: ويلك ما وراءك فحدثته بحديث الوقعة و مقتل النعمان و ذكرت له شأن السفطين فقال: اذهب بهما فبعهما ثم اقسم ثمنهما بين المسلمين، فأقبلت بهما إلى الكوفة فأتانى شاب من قريش يقال له عمرو بن حريث فاشتراهما باعطية الذرية و المقاتلة، ثم انطلق بإحداهما إلى الحيرة فباعه بما اشتراهما به منى و فضل الآخر فكان ذلك أول لهوة مال اتخذه.

و قال بعض أهل الصيرة: اقتتلوا بنهاوند يوم الأربعاء و يوم الخميس ثم تحاجزوا ثم اقتتلوا يوم الجمعة، و ذكر من حديث الوقعة نحو حديث حماد ابن سلمة، و قال ابن الكلبى عن أبى مخنف: أن النعمان بن مقرن نزل الأسبيذهار و جعل على ميمنته الأشعث بن قيس، و على الميسرة المغيرة بن شعبة فاقتتلوا فقتل النعمان ثم ظفر المسلمون فسمى ذلك الفتح فتح الفتوح، قال: و كان فتح نهاوند فى سنة تسع عشرة يوم الأربعاء و يقال فى سنة عشرين.

فتوح البلدان، ص: ۲۹۹

و حدثنا الرفاعى قال حدثنا العبقرى عن أبى بكر الهذلى عن الحسن و محمد قالا: كانت وقعة نهاوند سنة إحدى و عشرين.

و حدثنى الرفاعى، قال حدثنا العبقرى عن أبى معشر عن محمد بن كعب مثله، قالوا: و لما هزم الجيش الأعاجم و ظهر المسلمون و حذيفة يومئذ على الناس حاصر نهاوند فكان أهلها يخرجون فيقاتلون و هزمهم المسلمون، ثم أن سماك بن عبيد العبسى اتبع رجلا منهم ذات يوم و معه ثمانية فوارس فجعل لا يبرز إليه رجل منهم إلا قتله حتى لم يبق غير الرجل وحده فاستسلم و ألقى سلاحه فأخذه

أسیرا. فتکلم بالفارسیة فدعی له سماک برجل یفهم کلامه فترجمه فإذا هو یقول: اذهب إلی أمیرکم حتی أصالحه عن هذه الأرض و أؤدی إلیه الجزیة و أعطیک علی أسرک إیای ما شئت فإنک قد مننت علی إذ لم تقتلنی فقال له و ما اسمک قال دینار فأنطلق به إلی حذیفة فصالحه علی الخراج و الجزیة و آمن أهل مدینته نهاوند علی أموالهم و حیطانهم و منازلهم فسمیت نهاوند ماه دینار و کان دینار یأتی بعد ذلک سماکا و یهدی إلیه و یبره.

و حدثنی أبو مسعود الکوفی عن المبارک بن سعید عن أبیه قال و کانت نهاوند من فتوح أهل الکوفة و الدینور من فتوح أهل البصرة فلما کثر المسلمون بالکوفة احتاجوا إلی أن یزادوا فی النواحی التی کان خراجها مقسوما فیهم فصیرت لهم الدینور و عوض أهل البصرة نهاوند لأنها من أصبهان فصار فضل ما بین خراج الدینور و نهاوند لأهل الکوفة فسمیت نهاوند ماه البصرة و الدینور ماه الکوفة و ذلک فی خلافة معاویة.

و حدثنی جماعة من أهل العلم أن حذیفة بن الیمان و هو حذیفة بن حسیل بن جابر العبسی حلیف بنی عبد الأشهل من الأنصار و أمه الرباب بنت کعب بن عدی من عبد الأشهل و کان أبو حذیفة قتل یوم أحد قتله

فتوح البلدان، ص: ۳۰۰

عبد اللّه بن مسعود الهذلی خطأ و هو یحسبه کافرا فأمر رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بإخراج دیته فوهبه حذیفة للمسلمین و کان الواقدی یقول سمی حسیل الیمان لأنه کان یتجر إلی الیمن فإذا أتی المدینة قالوا قد جاء الیمانی.

و قال الکلبی: هو حذیفة بن حسیل بن جابر بن ربیعة بن عمرو بن جروة و جروة هو الیمان نسب إلیه حذیفة و بنیهما آباء و کان قد أصاب فی الجاهلیة دما و هرب إلی المدینة و حالف بنی عبد الأشهل فقال قومه هو یمان لأنه حالف الیمانیة.

صلح الدینور و ماسبذان و مهرجا نقذف

قالوا: انصرف أبو موسی الأشعری من نهاوند و قد کان سار بنفسه إلیها علی بعث أهل البصرة ممدا للنعمان بن مقرن فمر بالدینور فأقام علیها خمسة أیام قوتل منها یوما واحدا، ثم أن أهلها أقروا بالجزیة و الخراج و سألوا الأمان علی أنفسهم و أموالهم و أولادهم فأجابهم إلی ذلک و خلف بها عامله فی خیل ثم مضی إلی ماسبذان فلم یقاتله أهلها و صالحه أهل السیروان علی مثل صلح الدینور و علی أن یؤدوا الجزیة و الخراج، و بث السرایا و فیهم فغلب علی أرضها و قوم یقولون: أن أبا موسی فتح ماسبذان قبل وقعة نهاوند و بعث أبو موسی عبد اللّه بن قیس الأشعری السائب بن الأقرع الثقفی و هو صهره علی ابنته و هی أم محمد بن السائب إلی الصیمرة مدینة مهرجا نقذف ففتحها صلحا علی حقن الدماء و ترک السباء و الصفح عن الصفراء و البیضاء و علی أداء الجزیة و خراج الأرض و فتح جمیع کور مهرجا نقذف، و أثبت الخبر أنه وجه السائب من الأهواز ففتحها.

فتوح البلدان، ص: ۳۰۱

حدثنی محمد بن عقبة بن مصرم الضبی عن أبیه عن سیف بن عمر التمیمی عن أشیاخ من أهل الکوفة أن المسلمین لما غزوا الجبال فمروا بالقلة الشرقیة التی تدعی سن سمیرة، و سمیرة امرأة من ضبة من بنی معاویة بن کعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبة من المهاجرات و کانت لها سن فسمی ذلک سن سمیرة قال ابن هشام الکلبی و قناطر النعمان نسبت إلی النعمان بن عمرو بن مقرن المزنی عسکر عندها و هی قدیمة.

و حدثنی العباس بن هشام الکلبی عن أبیه عن عوانة قال: کان کثیر بن شهاب بن الحصین بن ذی الغصة الحارثی عثمانیا یقع فی علی بن أبی طالب و یثبط الناس عن الحسین و مات قبیل خروج المختار بن أبی عبید أو فی أول أیامه، و له یقول المختار بن أبی عبید فی سجعه: أما و رب السحاب، شدید العقاب، سریع الحساب، منزل الکتاب، لأنبشن قبر کثیر بن شهاب، المفتری الکذاب، و کان معاویة ولاه الری و دستبی حینا من قبله و من قبل زیاد و المغیرة بن شعبة عاملیه، ثم غلب علیه فحبسه بدمشق و ضربه حتی شخص شریح بن

هانئ المرادى إليه فى أمره فتخلصه، و كان يزيد بن معاوية قد حمد مشايعته و أتباعه لهواه فكتب إلى عبد اللّه بن زياد فى توليته ماسبذان و مهرجا نقذف و حلوان و الماهين و أقطعه ضياعا بالجبل فبنى قصره المعروف بقصر كثير، و هو من عمل الدينور، و كان زهرة بن الحارث بن منصور بن قيس بن كثير بن شهاب اتخذ بماسبذان ضياعا.

حدثنى بعض ولد خشرم بن مالك بن هبيرة الأسدى أن أول نزول الخشارمة ماسبذان كان فى آخر أيام بنى أمية نزع إليها جدهم من الكوفة.

و حدثنى العمرى عن الهيثم بن عدى، قال: كان زياد فى سفر فانقطع سفشق قبائه فأخرج كثير بن شهاب إبرة كانت مغروزة فى قلنسوته و خيطا

فتوح البلدان، ص: ۳۰۲

كان معه فأصلح السفشق، فقال له زياد: أنت حازم و ما مثلك يعطل فولاه بعض الجبل.

فتح همذان

قالوا: وجه المغيرة بن شعبة و هو عامل عمر بن الخطاب على الكوفة بعد عزل عمار بن ياسر جرير بن عبد اللّه البجلى إلى همذان، و ذلك فى سنة ثلاث و عشرين فقاتله أهلها و دفع دونها فأصيبت عينه بسهم فقال: احتسبتها عند اللّه الذى زين بها وجهى و نور لى ما شاء ثم سلبنيها فى سبيله، ثم أنه فتح همذان على مثل صلح نهاوند و كان ذلك فى آخر سنة ثلاث و عشرين فقاتله أهلها و دفع عنها و غلب على أرضها فأخذها قسرا، و قال الواقدى: فتح جرير نهاوند فى سنة أربع و عشرين بعد ستة أشهر من وفاة عمر بن الخطاب رحمه اللّه و قد روى بعضهم أن المغيرة بن شعبة سار إلى همذان و على مقدمته جرير فافتتحها و إن المغيرة ضم همذان إلى كثير بن شهاب الحارثى.

و حدثنى عباس بن هشام عن أبيه عن جده و عوانة بن الحكم، أن سعد ابن أبى وقاص لما ولى الكوفة لعثمان بن عفان ولى العلاء بن وهب بن عبد ابن وهبان أحد بنى عامر بن لؤى ماه و همذان فغدر أهل همذان و نقضوا فقاتلهم ثم أنهم نزلوا على حكمه فصالحهم على أن يؤدوا خراج أرضهم و جزية الرءوس و يعطوه مائة ألف درهم للمسلمين، ثم لا يعرض لهم فى مال و لا حرمة و لا ولد و قال ابن الكلبى: و نسبت القلعة التى تعرف بماذران إلى السرى بن نسير بن ثور العجلى و هو كان أناخ عليها حتى فتحها.

و حدثنى زياد بن عبد الرحمن البلخى عن أشياخ من أهل سيسر، قال سميت سيسر لأنها فى الخفاض من الأرض بين رؤس اكام ثلاثين فقيل

فتوح البلدان، ص: ۳۰۳

ثلاثون رأسا، و كانت سيسر تدعى سيسر صدخانية أى ثلاثون رأسا و مائة عين و بها عيون كثيرة تكون مائة عين، قالوا: و لم تزل سيسر و ما والاها مراعى لمواشى الأكراد و غيرهم، و كانت مروج لدواب المهدى أمير المؤمنين و أغنامه، و عليها مولى له يقال له سليمان بن قيراط صاحب صحراء قيراط بمدينة السلام، و شريك معه يقال له سلام الطيفورى، و كان طيفور مولى أبى جعفر المنصور وهبه للمهدى، فلما كثر الصعاليك و الذعار و انتشروا بالجبل فى خلافة المهدى أمير المؤمنين جعلوا هذه الناحية ملجأ لهم و حوزا فكانوا يقطعون و يأوون إليها و لا يطلبون لأنها حد همذان و الدينور و أذربيجان، فكتب سليمان بن قيراط و شريكه إلى المهدى بخبرهم و شكيا عرضهم لما فى أيديهم من الدواب و الأغنام، فوجه إليهم جيشا عظيما و كتب إلى سليمان و سلام يأمرهما ببناء مدينة يأويان إليها و أعوانهما و رعاتهما و يحصنان فيها الدواب و الأغنام ممن خافاه عليها، فبنيا مدينة سيسر و حصناها و أسكناها الناس، و ضم إليها رستاق ما ينهرج من الدينور و رستاق الجوذمة من أذربيجان من كورة برزة و رسطف و خابنجر فكورت بهذه الرساتيق، و وليها عامل مفرد و كان خراجها يؤدى إليه، ثم أن الصعاليك كثروا فى خلافة أمير المؤمنين الرشيد و شعثوا سيسر فأمر بمرمتها و

تحصينها و رتب فيها ألف رجل من أصحاب خاقان الخادم السغدى ففيها قوم من أولادهم.

ثم لما كان فى آخر أيام الرشيد وجه مرة بن أبى مرة الردينى العجلى على سيسر، فحاول عثمان الأودى مغالبته عليها فلم يقدر على ذلك و غلبه على ما كان فى يده من أذربيجان أو أكثر، و لم يزل مرة بن الردينى يؤدى الخراج عن سيسر فى أيام محمد الرشيد على مقاطعة قاطعه عليها إلى أن وقعت الفتنة ثم إنها أخذت من عاصم بن مرة فأخرجت من يده فى خلافة المأمون

فتوح البلدان، ص: ۳۰۴

فرجعت إلى ضياع الخلافة.

و حدثنى مشايخ من أهل المفازة و هى متاخمة لسيسر أن الجرشى لما ولى الجبل جلا أهل المفازة عنها فرفضوها، و كان للجرشى قائد يقال له همام بن هانئ العبدى فألجأ إليه أكثر أهل المفازة ضياعهم و غلب على ما فيها فكان يؤدى حق بيت المال فيها حتى توفى و ضعف ولده عن القيام بها فلما أقبل المأمون أمير المؤمنين من خراسان بعد قتل محمد بن زبيدة يريد مدينة السلام اعترضه بعض ولد همام و رجل من أهلها يقال له محمد بن العباس و أخبرا بقصتها و رضاء جميع أهلها أن يعطوه رقبتها و يكونوا مزارعين له فيها على أن يعزوا و يمتنعوا من الصعاليك و غيرهم فقبلها و أمر بتقويتهم و معونتهم على عمارتها و مصلحتها فصارت من ضياع الخلافة.

و حدثنى المدائنى أن ليلى الأخيلية أتت الحجاج فوصلها، و سألته أن يكتب لها إلى عامله بالرى فلما صارت بساوة ماتت فدفنت هناك.

فتح قم و قاشان و أصبهان

قالوا: لما انصرف أبو موسى عبد اللّه بن قيس الأشعرى من نهاوند سار إلى الأهواز فاستقرأها، ثم أتى «قم» و أقام عليها أياما ثم افتتحها، و وجه الأحنف بن قيس و اسمه الضحاك بن قيس التميمى إلى «قاشان» ففتحها عنوة ثم لحق به، و وجه عمر بن الخطاب عبد اللّه بن بديل بن ورقاء الخزاعى إلى «أصبهان» سنة ثلاث و عشرين، و يقال: بل كتب عمر إلى أبى موسى الأشعرى يأمره بتوجيهه فى جيش إلى أصبهان فوجهه ففتح عبد اللّه بن بديل جى صلحا بعد قتال على أن يؤدى أهلها الخراج و الجزية و على أن يؤمنوا على أنفسهم و أموالهم خلا ما فى أيديهم من السلاح، و وجه عبد اللّه بن بديل: الأحنف

فتوح البلدان، ص: ۳۰۵

ابن قيس و كان فى جيشه إلى اليهودية فصالحه أهلها على مثل ذلك الصلح و غلب ابن بديل على أرض أصبهان و طساسيجها و كان العامل عليها إلى أن مضت من خلافة عثمان سنة، ثم ولاها عثمان السائب بن الأقرع.

و حدثنى محمد بن سعد مولى بنى هاشم، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل عن سليمان بن مسلم عن خاله بشير بن أبى أمية أن الأشعرى نزل بأصبهان فعرض عليهم الإسلام فأبوا، فعرض عليهم الجزية فصالحوه عليها فباتوا على صلح ثم أصبحوا على غدر فقاتلهم و أظهره اللّه عليهم، قال محمد بن سعد:

أحسبه عن أهل قم.

و حدثنى محمد بن سعد، قال: حدثنى الهيثم بن جميل عن حماد بن سلمة عن محمد بن إسحاق، قال وجه عمر بن بديل الخزاعى إلى أصبهان و كان مرزبانها مسنا يسمى الفادوسفان فحاصره و كاتب أهل المدينة فخذلهم عنه، فلما رأى الشيخ التياث الناس عليه اختار ثلاثين رجلا من الرماة يثق ببأسهم و طاعتهم، ثم خرج من المدينة هاربا يريد كرمان ليتبع يزدجرد و يلحق به فانتهى خبره إلى عبد اللّه بن بديل فاتبعه فى خيل كثيفة فالتفت الأعجمى إليه و قد علا شرفا فقال: اتق على نفسك فليس يسقط لمن ترى سهم فإن حملت رميناك و إن شئت أن تبارزنا بارزناك فبارز الأعجمى فضربه ضربة وقعت على قربوص سرجه فكسرته و قطعت اللبب، ثم قال له يا هذا ما أحب قتلك فإنى أراك عاقلا شجاعا فهل لك فى أن أرجع معك فأصالحك على أداء الجزية عن أهل بلدى فمن

أقام كان ذمة و من هرب لم تعرض له و أدفع المدينة إليك، فرجع ابن بديل معه ففتح جى و وفى بما أعطاه و قال: يا أهل أصبهان رأيتكم لئاما متخاذلين فكنتم أهلا لما فعلت بكم، قالوا: و سار ابن بديل فى نواحى أصبهان سهلها و جبلها فغلب عليها، و عاملهم فى الخراج نحو ما عاملهم عليه أهل الأهواز. قالوا: و كان فتح أصبهان و أرضها فى

فتوح البلدان، ص: ۳۰۶

بعض سنة ثلاث و عشرين أو أربع و عشرين.

و قد روى أن عمر بن الخطاب وجه عبد اللّه بن بديل فى جيش فوافى أبا موسى و قد فتح «قم» و «قاشان» فغزوا جميعا «أصبهان» و على مقدمة أبى موسى الأشعرى الأحنف بن قيس ففتحا اليهودية جميعا على ما وصفنا، ثم فتح ابن بديل «جى» و سارا جميعا فى أرض «أصبهان» فغلبا عليها، و أصح الأخبار أن أبا موسى فتح «قم» و «قاشان» و أن عبد اللّه بن بديل فتح «جى» و «اليهودية».

و حدثنى أبو حسان الزيادى عن رجل من ثقيف قال: كان لعثمان بن أبى العاصى الثقفى مشهد بأصبهان.

و حدثنا محمد بن يحيى التميمى عن أشياخه، قال: كانت للأشراف من أهل أصبهان معاقل بجفرباد من رستاق الثيمرة الكبرى ببهجاورسان و بقلعة تعرف بماربين فلما فتحت جى دخلوا فى الطاعة على أن يؤدوا الخراج و أنفوا من الجزية فأسلموا.

و قال الكلبى و أبو اليقظان: ولى الهذيل بن قيس العنبرى أصبهان فى أيام مروان فمذ ذاك صار العنبريون إليها، قالوا: و كان جد أبى دلف، و أبو دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل العجلى يعالج العطر و يحلب الغنم، فقدم الجبل فى عدة من أهله فنزلوا قرية من قرى همذان تدعى مس، ثم أنهم أثروا و اتخذوا الضياع، و وثب إدريس بن معقل على رجل من التجار كان له عليه مال فخنقه، و يقال بل خنقه و أخذ ماله، فحمل إلى الكوفة و حبس بها فى ولاية يوسف بن عمر الثقفى العراقى زمن هشام بن عبد الملك، ثم أن عيسى بن إدريس نزل الكرج و غلب عليها و بنى حصنها و كان حصنا رثا، و قويت حال أبى دلف القاسم بن عيسى و عظم شأنه عند السلطان فكبر ذلك الحصن و مدن الكرج فقيل كرج أبى دلف و الكرج اليوم مصر من الأمصار.

فتوح البلدان، ص: ۳۰۷

و كان المأمون وجه على بن هشام المروزى إلى قم و قد عصى أهلها و خالفوا و منعوا الخراج و أمره بمحاربتهم و أمده بالجيوش ففعل و قتل رئيسهم و هو يحيى بن عمران، و هدم سور مدينتهم و ألصقه بالأرض و جباها سبعة آلاف ألف درهم و كسرا، و كان أهلها قبل ذلك يتظلمون من ألفى ألف درهم، و قد نقضوا فى خلافة أبى عبد اللّه المعتز بالله بن المتوكل على اللّه فوجه إليهم موسى بن بغا عامله على الجبل لمحاربة الطالبين الذين ظهروا بطبرستان ففتحت عنوة و قتل من أهلها خلق كثير، و كتب المعتز بالله فى حمل جماعة من وجوها.

مقتل يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان

قالوا: هرب يزدجرد من المدائن إلى حلوان ثم إلى أصبهان، فلما فرغ المسلمون من أمر نهاوند هرب من أصبهان إلى إصطخر فتوجه عبد اللّه بن بديل بن ورقاء بعد فتح أصبهان لاتباعه فلم يقدر عليه، و وافى أبو موسى الأشعرى إصطخر فرام فتحها فلم يمكنه ذلك و عاناها عثمان بن أبى العاصى الثقفى فلم يقدر عليها، و قدم عبد اللّه بن عامر بن كريز البصرة سنة تسع و عشرين و قد افتتحت فارس كلها إلا إصطخر و جور فهم يزدجرد بأن يأتى طبرستان و ذلك أن مرزبانها عرض عليه و هو بأصبهان أن يأتيها و أخبره بحصانتها ثم بدا له فهرب إلى كرمان، و اتبعه بن عامر مجاشع بن مسعود السلمى و هرم بن حيان العبدى فمضى مجاشع فنزل بيمند من كرمان، فأصاب الناس الدمق و هلك جيشه فلم ينج إلا القليل فسمى القصر قصر مجاشع، و انصرف مجاشع إلى ابن عامر، و كان يزدجرد جلس ذات يوم بكرمان فدخل عليه مرزبانها

فتوح البلدان، ص: ۳۰۸

فلم يكلمه تيها فأمر بجر رجله و قال: ما أنت بأهل لولاية قرية فضلا عن الملك و لو علم اللّه فيك خيرا ما صيرك إلى هذه الحال، فمضى إلى سجستان فأكرمه ملكها و عظمه فلما مضت عليه أيام سأله عن الخراج فتنكر له.

فلما رأى يزدجرد ذلك سار إلى خراسان، فلما صار إلى حد مرو تلقاه ماهويه مرزبانها معظما مبجلا و قدم عليه نيزك طرخان فحمله و خلع عليه و أكرمه فأقام نيزك عنده شهرا ثم شخص و كتب إليه يخطب ابنته فاحفظ ذلك يزدجرد و قال: اكتبوا إليه إنما أنت عبد من عبيدى فما جرأك على أن تخطب إلى، و أمر بمحاسبة ماهويه مرزبان مرو و سأله عن الأموال، فكتب ماهويه إلى نيزك يحرضه عليه و يقول: هذا الذى قدم مفلولا ـ طريدا فمننت عليه ليرد عليه ملكه، فكتب إليك بما كتب ثم تضافر على قتله و أقبل نيزك فى الأتراك حتى نزل الجنابذ فحاربوه فتكافا الترك، ثم عادت الديرة عليه فقتل أصحابه و نهب عسكره فأتى مدينة مرو فلم يفتح له فنزل عن دابته و مشى حتى دخل بيت طحان على المرغاب، و يقال أن ماهويه بعث إليه رسله حين بلغه خبره فقتلوه فى بيت الطحان، و يقال أنه دس إلى الطحان فأمره بقتله فقتله، ثم قال: ما ينبغى لقاتل ملك أن يعيش فأمر بالطحان فقتل، و يقال أن الطحان قدم له طعاما فأكل و أتاه بشراب فشرب فسكر فلما كان المساء أخرج تاجه فوضعه على رأسه فبصر به الطحان فطمع فيه فعمد إلى رحا فألقاها عليه فلما قتله أخذ تاجه و ثيابه و ألقاه فى الماء ثم عرف ماهويه خبره فقتل الطحان و أهل بيته و أخذ التاج و الثياب.

و يقال: أن يزدجرد نذر برسل ماهويه فهرب و نزل الماء فطلب من الطحان فقال: قد خرج من بيتى فوجدوه فى الماء، فقال خلوا عنى أعطكم منطقتى و خاتمى و تاجى، فتغيبوا عنه و سألهم شيئا يأكل به خبزا

فتوح البلدان، ص: ۳۰۹

فأعطاهم بعضهم أربعة دراهم فضحك و قال: لقد قيل لى أنك ستحتاج إلى أربعة دراهم.

ثم أنه هجم عليه بعد ذلك قوم وجههم ماهويه لطلبه فقال: لا تقتلونى و احملونى إلى ملك العرب لأصالحه عنى و عنكم فتأمنوا فأبوا ذلك و خنقوه بوتر ثم أخذوا ثيابه فجعلت فى جراب و ألقوا جثته فى الماء، و وقع فيروز ابن يزدجرد فيما يزعمون إلى الترك فزوجوه و أقام عندهم.

فتح الرى و قومس

حدثنى العباس بن هشام الكلبى عن أبيه عن أبى مخنف، أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمار بن ياسر و هو عامله على الكوفة بعد شهرين من وقعه نهاوند يأمره أن يبعث عروة بن زيد الخيل الطائى إلى الرى و دستبى فى ثمانية آلاف ففعل، و سار عروة إلى ما هناك فجمعت له الديلم و أمدهم أهل الرى فقاتلوه فأظهره اللّه عليهم فقتلهم و اجتاحهم ثم خلف حنظلة بن زيد أخاه و قدم على عمار فسأله أن يوجهه إلى عمر و ذلك أنه كان القادم عليه بخبر الجسر فأحب أن يأتيه بما يسره فلما رآه عمر قال (إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ) فقال عروة: بل أحمد اللّه فقد نصرنا و أظهرنا و حدثه بحديثه، فقال: هلا أقمت و أرسلت قال: قد استخلفت أخى و أحببت أن آتيك بنفسى فسماه البشير، و قال عروة:

برزت لأهل القادسية معلماو ما كل من يغشى الكريهة يعلم

و يوما بأكناف النخيلة قبلهاشهدت: فلم أبرح أدمى و أكلم

و أيقنت يوم الديلميين أننىمتى ينصرف وجهى إلى القوم يهزموا

محافظة أنى امرؤ ذو حفيظةإذا لم جد مستأخرا أتقدم

فتوح البلدان، ص: ۳۱۰

المنذر بن حسان بن ضرار أحد بنى مالك بن زيد شرك فى دم مهران يوم النخيلة، قالوا فلما انصرف عروة بعث حذيفة على جيشه سلمة بن عمرو بن ضرار الضبى و يقال البراء بن عازب و قد كانت وقعة عروة كسرت الديلم و أهل الرى فأناخ على حصن الفرخان

بن الزينبدى و العرب تسميه الزينبى و كان يدعى عارين فصالحه ابن الزينبى بعد قتال على أن يكونوا ذمة يؤدون الجزية و الخراج و أعطاه عن أهل الرى و قومس خمسمائة ألف على أن لا يقتل منهم أحدا و لا يسبيه و لا يهدم لهم بيت نارى، و أن يكونوا أسوة أهل نهاوند فى خراجهم، و صالحه أيضا عن أهل دستى الرازى و كانت دستبى قسمين قسما رازيا و قسما همذانيا.

و وجه سليمان بن عمرو الضبى و يقال البراء بن عازب إلى قومس خيلا. فلم يمتنعوا و فتحوا أبواب الدامغان، ثم لما عزل عمر بن الخطاب عمارا و ولى المغيرة بن شعبة الكوفة ولى المغيرة بن شعبة كثير بن شهاب الحارثى الرى و دستبى، و كان لكثير أثر جميل يوم القادسية، فلما صاروا إلى الرى وجد أهلها قد نقضوا فقاتلهم حتى رجعوا إلى الطاعة و أذعنوا بالخراج و الجزية و غزا الديلم فأوقع بهم و غزا الببر و الطيلسان.

فحدثنى حفص بن عمر العمرى عن الهيثم بن عدى عن ابن عياش الهمذانى و غيره أن كثير بن شهاب كان على الرى و دستبى و قزوين، و كان جميلا. حازما مقعدا فكان يقول ما من مقعد إلا. و هو عيال على أهله سواى، و كان إذا ركب ثابت سويقتيه كالمحراثين، و كان إذا غزا أخذ كل امرئ ممن معه بترس و درع و بيضة و مسلة و خمس أبر و خيوط كتان و بمخفف و مقراض و مخلاة و تليسة، و كان بخيلا، و كانت له جفنة توضع بين يديه فإذا جاءه إنسان قال: لا أبا لك أ كانت لك علينا عين، و قال يوما يا غلام أطعمنا فقال: ما عندى

فتوح البلدان، ص: ۳۱۱

إلا. خبر و بقل، فقال: و هل اقتتلت فارس و الروم إلا على الخبز و البقل، و ولى الرى و دستبى أيضا أيام معاوية حينا، قال: و لما ولى سعد بن أبى وقاص الكوفة فى مرته الثانية أتى الرى و كانت ملتاثة فأصلحها و غزا الديلم و ذلك فى أول سنة خمس و عشرين ثم انصرف.

و حدثنى بكر بن الهيثم عن يحيى بن ضريس قاضى الرى، قال: لم تزل الرى بعد أن فتحت أيام حذيفة تنتقض و تفتح حتى كان آخر من فتحها قرظة ابن كعب الأنصارى فى ولاية أبى موسى الكوفة لعثمان فاستقامت، و كان عمالها ينزلون حصن الزنبدى و يجمعون فى مسجد اتخذ بحضرته و قد دخل ذلك فى فصيل المحدثة، و كانوا يغزون الديلم من دستبى، قال: و قد كان قرظة بعد ولى الكوفة لعلى و مات بها فصلى عليه على رضى اللّه عنه.

و حدثنى عباس بن هشام عن أبيه عن جده، قال: ولى على يزيد بن حجبة ابن عامر بن تيم اللّه بن ثعلبة بن عكابة الرى و دستبى فكسر الخراج فحبسه فخرج فلحق بمعاوية، و قد كان أبو موسى غزا الرى بنفسه و قد نقض أهلها ففتحها على أمرها الأول.

و حدثنى جعفر بن محمد الرازى، قال قدم أمير المؤمنين المهدى فى خلافة المنصور فبنى مدينة الرى التى الناس بها اليوم و جعل حولها خندقا و بنى فيها مسجدا جامعا جرى على يدى عمار بن أبى الخصيب، و كتب اسمه على حائطه فأرخ بناءها سنة ثمان و خمسين و مائة و جعل لها فصيلا يطيف به فارقين أجر و سماها المحمدية فأهل الرى يدعون المدينة الداخلة و يسمون الفصيل المدينة الخارجة و حصن الزنبدى فى داخل المحمدية و كان المهدى قد أمر بمرمته و نزله و هو مطل على المسجد الجامع و دار الأمارة و قد كان جعل بعد سجنا.

قال: و بالرى أهل بيت يقال لهم بنو الحريش نزلوا بعد بناء المدينة، قال:

فتوح البلدان، ص: ۳۱۲

و كانت مدينة الرى تدعى فى الجاهلية أرازى فيقال أنه خسف بها و هى على ست فراسخ من المحمدية و بها سميت الرى، و قال و كان المهدى فى أول مقدمه الرى نزل قرية يقال لها السير و أن، قال و فى قلعة الفرخان يقول الشاعر الغطمش بن الأعور بن عمرو الضبى:

على الجوسق الملعون بالرى لا ينىعلى رأسه داعى المنية يلمع

قال بكر بن الهيثم: حدثنى يحيى بن ضريس القاضى، قال: كان الشعبى دخل الرى مع قتيبة بن مسلم، فقال له: ما أحب الشراب إليك فقال أهونه وجودا و أعزه فقدا قال: و دخل سعيد بن جبير الرى أيضا فلقيه الضحاك فكتب عنه التفسير.

قال: و كان عمرو بن معدى كرب الزبيدى غزا الرى أول ما غزيت فلما انصرف توفى فدفن فوق روذة و بوسنة بموضع يسمى كرمانشاهان و بالرى دفن الكسائى النحوى، و اسمه على بن حمزة، و كان شخص إليها مع الرشيد رحمه اللّه و هو يريد خراسان و بهامات الحجاج بن أرطاة، و كان شخص إليها مع المهدى و يكنى أبا أرطاة، و قال الكلبى: نسب قصر جابر بدستبى إلى جابر أحد بنى زيبان بن تيم اللّه بن ثعلبة.

قالوا: و لم تزل وظيفة الرى اثنى عشر ألف ألف درهم حتى مربها المأمون منصرفا من خراسان يريد مدينة السلام فأسقط من وظيفتها ألفى ألف درهم و أسجل بذلك لأهلها

.

فتوح البلدان، ص: ۳۱۳

فتح قزوين و نجبار

حدثنى عدة من أهل قزوين، و بكر بن الهيثم عن شيخ من أهل الرى قالوا: و كان حصن قزوين بالفارسية كشوين و معناه الحد المنظور إليه أى المحفوظ و بينه و بين الديلم جبل، و لم يزل فيه لأهل فارس مقاتله من الأساورة يرابطون فيه فيدفعون الديلم إذا لم يكن بينهم هدنة و يحفظون بلدهم من متلصصيهم و غيرهم إذا جرى بينهم صلح، و كانت دستبى مقسومة بين الرى و همذان فقسم يدعى الرازى و قسم يدعى الهمذانى، فلما ولى المغيرة ابن شعبة الكوفة ولى جرير بن عبد اللّه همذان و ولى البراء بن عازب قزوين و أمره أن يسير إليها فإن فتحها اللّه على يده غزا الديلم منها، و إنما كان مغزاهم قبل ذلك من دستبى، فسار البراء و معه حنظلة بن زيد الخيل حتى أتى أبهر، فقام على حصنها و هو حصن بناه بعض الأعاجم على عيون سدها بجلود البقر و الصوف و اتخذ عليها دكة ثم أنشأ الحصن عليها فقاتلوه، ثم طلبوا الأمان فآمنهم على مثل ما آمن عليه حذيفة أهل نهاوند و صالحهم على ذلك و غلب على أراضى أبهر، ثم غزا أهل حصن قزوين، فلما بلغهم قصد المسلمين لهم وجهوا إلى الديالمة يسئلونهم نصرتهم، فوعدوهم أن يفعلوا و حل البراء و المسلمون بعقوتهم فخرجوا لقتالهم و الديلميون وقوف على الجبل لا يمدون إلى المسلمين يدا، فلما رأوا ذلك طلبوا الصلح فعرض عليهم ما أعطى أهل أبهر فأنفقوا من الجزية و أظهروا الإسلام فقيل أنهم نزلوا على مثل ما نزل عليه أساورة البصرة من الإسلام على أن يكونوا مع من شاءوا، فنزلوا الكوفة، و حالفوا زهرة بن حوية فسموا حمراء الديلم، و قيل: انهم أسلموا و أقاموا بمكانهم و صارت أرضوهم عشرية، فرتب البراء معهم خمس مائة رجل من المسلمين معهم طليحة

فتوح البلدان، ص: ۳۱۴

ابن خويلد الأسدى و أقطعهم أرضين لا حق فيها لأحد، قال بكر و أنشدنى رجل من أهل قزوين لجد أبيه و كان مع البراء:

قد علم الديلم إذ تحاربحين أتى فى جيشه بن عازب

بأن ظن المشركين كاذبفكم قطعنا فى دجى الغياهب

من جبل و عر و من سباسب و غزا الديلم حتى أدوا إليه الأتاوة و غزا جيلان و الببر و الطيلسان و فتح زنجان عنوة، و لما ولى الوليد بن عقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية الكوفة لعثمان بن عفان غزا الديلم مما يلى قزوين، و غزا أذربيجان، و غزا جيلان و موقان و الببر و الطيلسان، ثم انصرف، و ولى سعيد بن العاصى بن سعيد بن العاصى بن أمية بعد الوليد فغزا الديلم و مصر قزوين فكانت ثغر أهل الكوفة و فيها بنيانهم.

و حدثنى أحمد بن ابراهيم الدورقى، قال: حدثنا خلف بن تميم، قال، حدثنا زائدة بن قدامة عن إسماعيل عن مرة الهمذانى، قال: قال

على بن أبى طالب رضى اللّه عنه من كره منكم أن يقاتل معنا معاوية فليأخذ عطاءه و ليخرج إلى الديلم فليقاتلهم، قال: كنت فى النخت فأخذنا أعطياتنا و خرجنا إلى الديلم و نحن أربعة آلاف أو خمسة آلاف، و حدثنا عبد اللّه بن صالح العجلى عن ابن يملو عن سفيان، قال: أغزى على رضى اللّه عنه الربيع بن خثيم الثورى الديلم و عقد له على أربعة آلاف من المسلمين.

و حدثنى بعض أهل قزوين، قال بقزوين مسجد الربيع بن خيثم معروف و كانت فيه شجرة يتمسح بها العامة و يقال أنه غرس سواكه فى الأرض فأورق حتى كانت الشجرة منه فقطعها عامل طاهر بن عبد للّه بن طاهر فى خلافة أمير المؤمنين المتوكل على اللّه خوفا من أن يفتتن بها الناس، قالوا: و كان موسى

فتوح البلدان، ص: ۳۱۵

الهادى لما صار إلى الرى أتى قزوين فأمر ببناء مدينة بازائها، و هى تعرف بمدينة موسى، و ابتاع أرضا تدعى رستماباذ فوقفها على مصالح المدينة، و كان عمرو الرومى مولاه يتولاها ثم تولاها بعده محمد بن عمرو، و كان المبارك التركى بنى حصنا يسمى مدينة المبارك و بها قوم من مواليه.

و حدثنى محمد بن هارون الأصبهانى، قال: مر الرشيد بهمذان و هو يريد خراسان و اعترضه أهل قزوين فأخبروه بمكانهم من بلاد العدو و غنائهم فى مجاهدته و سألوه النظر لهم و تخفيف ما يلزمهم من عشر غلاتهم فى القصبة فصير عليهم فى كل سنة عشرة آلاف درهم مقاطعة، و كان القاسم بن أمير المؤمنين الرشيد ولى جرجان و طبرستان و قزوين فألجأ إليه أهل زنجان ضياعهم تعززا به و دفعا لمكروه الصعاليك و ظلم العمال عنهم، و كتبوا له عليها الأشرية و صاروا مزارعين له، و هى اليوم من الضياع و كان القاقزان عشريا لأن أهله أسلموا عليه و أحيوه بعد الإسلام فألجأوه إلى القاسم أيضا على أن جعلوا له عشرا ثانيا سوى عشر بيت المال فصار أيضا فى الضياع و لم تزل دستبى على قسميها بعضها من الرى و بعضها من همذان إلى أن سعى رجل ممن بقزوين من بنى تميم يقال له حنظلة بن خالد يكنى أبا مالك فى أمرها حتى صيرت كلها إلى قزوين، فسمعه رجل من أهل بلده يقول كورتها و أنا أبو مالك فقال بل أفسدتها و أنت أبو هالك.

و حدثنى المدائنى و غيره: أن الأكراد عاثوا و أفسدوا فى أيام خروج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فبعث الحجاج عمرو بن هانئ العبسى فى أهل دمشق إليهم فأوقع بهم و قتل منهم خلقا ثم أمره بغزو الديلم فغزاهم فى اثنى عشر ألفا فيهم من بنى عجل و مواليهم من أهل الكوفة ثمانون منهم محمد ابن سنان العجلى فحدثنى عوف بن أحمد العبدى قال: حدثنى أبو حنش العجلى

فتوح البلدان، ص: ۳۱۶

عن أبيه، قال: أدركت رجلا من التميميين العجليين الذين وجههم الحجاج لمرابطة الديلم فحدثنى قال رأيت من موالى بنى عجل رجلا يزعم أنه صليبة فقلت: ان أباك كان لا يحب بنسبه فى العجم ولاية فى العرب بدلا فمن أين زعمت أنك صليبه، فقال: أخبرتنى أمى بذلك فقلت هى مصدقة هى أعلم بأبيك.

قالوا: و كان محمد بن سنان العجلى نزل قرية من قرى دستبى، ثم صار إلى قزوين فبنى دارا فى ربضها فعزله أهل الثغر، و قالوا: عرضت نفسك للتلف و عرضتنا للوهن ان نالك العدو بسوء، فلم يلتفت إلى قولهم فأمر ولده و أهل بيته فبنوا معه خارج المدينة، ثم انتقل الناس بعد فبنوا حتى تم ربض المدينة قالوا: و كان أبو دلف القاسم بن عيسى غزا الديلم فى خلافة المأمون و هو وال فى خلافة المعتصم بالله أيام ولاية الافشين الجبال ففتح حصونا منها اقليسم صالح أهله على أتاوة، و منها بومج فتحه عنوة، ثم صالح أهله على أتاوة، و منها الأبلام، و منها انداق فى حصون أخر و أغزى الأفشين غير أبى دلف ففتح أيضا من ايلم حصونا، و لما كانت سنة ثلاث و خمسين و مائتين وجه أمير المؤمنين المعتز بالله موسى بن بغا الكبير مولاه إلى الطالبيين الذين ظهروا بالديلم و ناحية طبرستان، و كانت الديالمة قد اشتملت على رجل منهم يعرف بالكوكبى فغزا الديلم و أو غل فى بلادهم و حاربوه فأوقع بهم و ثقلت وطأته عليهم و اشتدت نكايته. و أخبرنى رجل من أهل قزوين أن قبور هؤلاء الندماء براوند من عمل أصبهان و أن الشاعر إنما قال:

أ لم تعلما أنى براوند مفردا و حدثنى عبد اللّه بن صالح العجلى، قال: بلغنى أن ثلاثة نفر من أهل الكوفة كانوا فى جيش الحجاج الذى وجهه إلى الديلم فكانوا يتنادمون ثلاثتهم و لا

فتوح البلدان، ص: ۳۱۷

يخالطون غيرهم فإنهم على ذلك إذ مات أحدهم فدفنه صاحباه، و كانا يشربان عند قبره فإذا بلغته الكاس هرقاها على قبره و بكيا، ثم أن الثانى مات فدفنه الباقى إلى جانبه، و كان يجلس عند قبريهما فيشرب، ثم يصب على القبر الذى يليه ثم على الآخر و يبكى، فأنشد ذات يوم يقول:

خليلى هبا طال ما قد رقدتماأجدكما ما تقضيان كراكما

أ لم تعلما أنى بقزوين مفردو ما لى فيها من خليل سواكما

مقيما على قبريكما لست بارحاطوال الليالى أو يجيب صداكما

سأبكيكما طول الحياة و ما الذىيرد على ذى لوعة أن بكاكما

ثم لم يلبث أن مات فدفن عند صاحبيه فقبورهم تعرف بقبور الندماء

فتح أذربيجان

حدثنا الحسين بن عمرو الأردبيلى عن واقد الأردبيلى عن مشايخ أدركتهم أن المغيرة بن شعبة قدم الكوفة واليا من قبل عمر بن الخطاب و معه كتاب إلى حذيفة بن اليمان بولاية أذربيجان فأنفذه إليه و هو بنهاوند و بقربها فسار حتى أتى أردبيل و هى مدينة أذربيجان و بها مرزبانها و اليه جباية خراجها، و كان المرزبان قد جمع إليه المقاتلة من أهل باجروان و ميمذ و النرير و سراة و الشيز و الميانج و غيرهم فقاتلوا المسلمين قتالا شديدا أياما، ثم أن المرزبان صالح حذيفة عن جميع أهل أذربيجان على ثمانمائة ألف درهم وزن ثمانية على أن لا- يقتل منهم أحدا و لا يسبيه و لا يهدم بيت نار و لا يعرض لأكراد البلاسجان و سبلان و ساترودان، و لا يمنع أهل الشيز خاصة من الزفن فى أعيادهم و إظهار ما كانوا يظهرونه، ثم أنه غزا موقان و جيلان فأوقع بهم و صالحهم على أتاوة.

فتوح البلدان، ص: ۳۱۸

قالوا ثم عزل عمر حذيفة و ولى أذربيجان عتبة بن فرقد السلمى فأتاها من الموصل و يقال: بل أتاها من شهر زور على السلق الذى يعرف اليوم بمعاوية الأودى، فلما دخل أردبيل وجد أهلها على العهد و انتقضت عليه نواح فغزاها فظفر و غنم، و كان معه عمرو بن عتبة الزاهد.

و روى الواقدى فى إسناده: أن المغيرة بن شعبة غزا أذربيجان من الكوفة فى سنة اثنتين و عشرين حتى انتهى إليها ففتحها عنوة و وضع عليها الخراج، و روى ابن الكلبى عن أبى مخنف: أن المغيرة غزا اذربيجان سنة عشرين ففتحها ثم أنهم كفروا فغزاها الأشعث بن قيس الكندى ففتح حصن باجروان و صالحهم على صلح المغيرة و مضى صلح الأشعث إلى اليوم.

و كان أبو مخنف لوط بن يحيى يقول: أن عمر ولى سعدا ثم عمارا ثم المغيرة ثم رد سعدا و كتب إليه و إلى أمراء الأمصار فى قدوم المدينة فى السنة التى توفى فيها فلذلك حضر سعد الشورى و أوصى القائم بالخلافة أن يرده إلى عمله، و قال غيره توفى عمر و المغيرة و اليه على الكوفة و أوصى بتولية سعد الكوفة و تولية أبى موسى البصرة فولاهما عثمان ثم عزلهما.

و حدثنى المدائنى عن على بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن الزهرى قال: لما هزم اللّه المشركين بنهاوند رجع الناس إلى أمصارهم و بقى أهل الكوفة مع حذيفة فغزا أذربيجان فصالحوه على مائة ألف.

و حدثنى المدائنى عن على بن مجاهد عن عاصم الأحول عن أبى عثمان النهدى، قال: عزل عمر حذيفة عن أذربيجان، و استعمل عليها عتبة بن فرقد السلمى فبعث إليه باخبصة قد أدرجها فى كرابيس، فلما وردت عليه قال أورق قالوا: لا قال: فما هى قال لطف بعث

به، فلما نظر إليه قال: ردوها عليه، و كتب إليه يا ابن أم عتبة إنك لتأكل الخبيص من غير كدك و لا كد أبيك، و قال عتبة

فتوح البلدان، ص: ۳۱۹

قدمت من أذربيجان وافدا على عمر فإذا بين يديه عضلة جزور.

و حدثنى المدائنى عن عبد اللّه بن القاسم عن فروة بن لقيط قال: لما قام عثمان بن عفان رضى اللّه عنه استعمل الوليد بن عقبة بن أبى معيط فعزل عتبة عن أذربيجان فنقضوا فغزاهم الوليد سنة خمس و عشرين و على مقدمته عبد اللّه شبل الأحمسى فأغار على أهل موقان و الببر و الطيلسان فغنم و سبى و طلب أهل كور أذربيجان الصلح فصالحهم صلح حذيفة، قال ابن الكلبى، ولى على ابن أبى طالب رضى اللّه عنه أذربيجان سعيد بن سارية الخزاعى ثم الأشعث بن قيس الكندى.

و حدثنى عبد اللّه بن معاذ العبقرى عن أبيه عن سعد بن الحكم بن عتبة عن زيد بن وهب، قال: لما هزم اللّه المشركين بنهاوند رجع أهل الحجاز إلى حجازهم و أهل البصرة إلى بصرتهم، و أقام حذيفة بنهاوند فى أهل الكوفة فغزا أذربيجان فصالحوه على ثمانمائة ألف درهم، فكتب عمر بن الخطاب إنكم بأرض طعام و لباسهم الميتة فلا تأكلوا الأذكياء و لا تلبسوا الأزكيا يريد الفراء.

و حدثنى العباس بن الوليد النرسى، قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد قال: حدثنا عاصم الأحول عن أبى عثمان النهدى، قال: كنت مع عتبة بن فرقد حين افتتح أذربيجان فصنع سفطين من خبيص و ألبسهما الجلود و اللبود، ثم بعث بهما إلى عمر مع سحيم مولى عتبة، فلما قدم عليه، قال:

ما الذى جئت به أذهب أم ورق و أمر به فكشف عنه فذاق الخبيص، فقال: إن هذا لطيب أثر أكل المهاجرين أكل منه شبعه، قال: لا إنما هو شيء خصك به فكتب إليه.

فتوح البلدان، ص: ۳۲۰

من عبد اللّه عمر أمير المؤمنين إلى عتبة بن فرقد أما بعد فليس كدك و لا كد أمك و لا كد أبيك لا نأكل إلا ما يشبع منه المسلمون فى رحالهم.

و حدثنى الحسين بن عمرو و أحمد بن مصلح الأزدى عن مشايخ من أهل أذربيجان، قالوا: قدم الوليد بن عقبة أذربيجان و معه الأشعث بن قيس، فلما انصرف الوليد ولاه أذربيجان فانتقضت فكتب إليه يستمده، فأمده بجيش عظيم من أهل الكوفة، فتتبع الأشعث بن قيس حانا حانا- و الحان الحائر فى كلام أهل أذربيجان، ففتحها على مثل صلح حذيفة و عتبة بن فرقد و أسكنها ناسا من العرب من أهل العطاء و الديوان و أمرهم بدعاء الناس إلى الإسلام، ثم تولى سعيد بن العاصى فغزا أهل أذربيجان فأوقع بأهل موقان و جيلان. و تجمع له بناحية أرم و بلوا نكرح خلق من الأرمن و أهل أذربيجان فوجه إليهم جرير بن عبد اللّه البجلى فهزمهم و أخذ رئيسهم فصلبه على قلعة باجروان، و يقال: أن الشماخ بن ضرار الثعلبى كان مع سعيد بن العاصى فى هذه الغزاة، و كان بكير بن شداد بن عامر فارس اطلال معهم فى هذه الغزاة و فيه يقول الشماخ:

و غنيت عن خيل بموقان أسلمتبكير بنى الشداخ فارس اطلال

و هو من بنى كنانة، و هو الذى سمع يهوديا فى خلافة عمر ينشد:

و أشعث غره الإسلام منىخلوت بعرسه ليلى النمام

فقتله ثم ولى على بن أبى طالب الأشعث أذربيجان، فلما قدمها وجد أكثرها قد أسلموا و قرأوا القرآن، فأنزل أردبيل جماعة من أهل العطاء و الديوان من العرب و مصرها و بنى مسجدها إلا أنه وسع بعد ذلك، قال الحسين بن عمرو: و أخبرنى واقد أن العرب لما نزلت أذربيجان نزعت إليها عشائرها من المصرين و الشام و غلب كل قوم على ما أمكنهم و ابتاع

فتوح البلدان، ص: ۳۲۱

بعضهم من العجم الأرضين و ألجئت إليهم القرى للخفارة فصار أهلها مزارعين لهم، و قال الحسين كانت ورثان قنطرة كقنطرتى

وحش و أرشق التين اتخذتا حديثا أيام بابک فبناها مروان بن محمد بن مروان بن الحكم و أحيى أرضـها و حصـنها فصارت ضـيعة له ثم قبضت مع ما قبض من ضـياع بنى أمية لأم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور أمير المؤمنين، و هدم وكلاؤها سورها ثم رم و جدد قريبا، و كان الورثانى من مواليها، قال: و كانت برزند قرية فعسكر فيها الأفشين حيدر بن كاوس عامل أمير المؤمنين المعتصم بالله على أذربيجان و أرمينية و الجبل أيام محاربته الكافر بابک الخرمى و حصنها.

قالوا: و كانت المراغة تدعى اقراهروذ فعسكر مروان بن محمد و هو والى أرمينية و أذربيجان منصرفة من غزوة موقان و جيلان بالقرب منها، و كان فيها سرجين كثير فكانت دوابه و دواب أصحابه تمرغ فيها فجعلوا يقولون: ايتوا قرية المراغة، ثم حذف الناس قرية و قالوا: المراغـة، و كـان أهلهـا ألجئوها إلى مروان فابتناها و تالف و كلاؤه الناس فكثروا فيها للتعزز و عمروها، ثم إنها قبضت مع ما قبض من ضيـاع بنى أميـة و صـارت لبعض بنـات الرشـيد أمير المؤمنين، فلمـا عـاث الوجناء الأزدى و صدقـة بن على مولى الأزد فأفسـدا و ولى خزيمة بن خازم بن خزيمة أرمينية و أذربيجان فى خلافة الرشيد بنى سورها و حصنها و مصرها و أنزلها جندا كثيفا، ثم لما ظهر بابک الخرمى بالبـذ لجأ الناس إليها فنزلوها و تحصـنوا فيها ورم سورها فى أيام المأمون عدة من عماله منهم أحمد بن الجنيد بن فرزندى، و على بن هشام، ثم نزل الناس ربضـها و حصـنها، و أما مرند فكانت قرية صغيرة فنزلها حلبس أبو البعيث ثم ابنه محمد بن البعيث و بنى بها محمـد قصورا، و كان قـد خالف فى خلافـة أمير المؤمنين المتوكل على اللّه فحاربه بغا الصـغير مولى أمير المؤمنين حتى ظفر به و حمله إلى سر من رأى و هدم حائط مرند و ذلک القصر و البعيث

فتوح البلدان، ص: ۳۲۲

من ولد عتيب بن عمر بن وهب بن أفصـى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة، و يقال إنه عتيب بن عوف بن سنان و العتبيون يقول ذلک و اللّه أعلم.

و أما أرميـة فمدينـة قديمة يزعم المجوس أن زردشت صاحبهم كان منها و كان صدقة بن على بن صدقة بن دينار مولى الأزد حارب أهلهـا حتى دخلهـا و غلب عليها و بنى و أخوته بها قصورا، و أما تبريز فنزلها الرواد الأزدى ثم الوجناء بن الرواد و بنى بها و أخوته بناء و حصـنها بسور فنزلها الناس معه، و أما الميانـج و خلباثا فمنازل الهمـدانيين، و قـد مـدن عبـد اللّه بن جعفر الهمدانى محلته بالميانج و صبر السـلطان بها منبرا، و أما كورة برزة فللأود و قصبتها لرجل منهم جمع الناس إليها و بنى بها حصـنا و قـد اتخذ بها فى سـنة تسع و ثلاثين و مائتين منبر على كره من الأودى، و أما نريز فكانت قرية لها قصر قديم متشعث فنزلها مر بن عمرو الموصلى الطائى فبنى بها و أسكنها ولده، ثم أنهم بنوا بها قصورا و مدنوها و بنوا سوق جابروان و كبروه و أفرده السلطان لهم فصاروا يتولونه دون عامل أذربيجان فأما سراة فإن فيها من كندة جماعة أخبرنى بعضهم أنه من ولد من كان مع الأشعث بن قيس الكندى

.

فتوح البلدان، ص: ۳۲۳

فتح الموصل

قالوا: ولى عمر بن الخطاب عتبة بن فرقد السـلمى الموصل سـنة عشـرين فقاتله أهل نينوى فأخذ حصنها و هو الشرقى عنوة و عبر دجلة فصـالحه أهل الحصن الآخر على الجزيـة و الإذن لمن أراد الجلاء فى الجلاء، و وجـد بالموصل ديارات فصالحه أهلها على الجزيـة ثم فتـح المرج و قراه و أرض باهذرى و باعذرى و حبتون و الحيانة و المعلة و داسير و جميع معاقل الأكراد و أتى بانعاثا من حزة ففتحها و أتى تل الشهارجة و السلق الذى يعرف ببنى الحرين صالح بن عبادة الهمدانى صاحب رابطة الموصل ففتح ذلک كله و غلب عليه.

و أخبرنى معافى بن طاوس عن مشايـخ من أهل الموصل قال كانت أرميـة من فتوح الموصل فتحها عتبـة بن فرقـد و كان خراجها حينا إلى الموصل و كذلک الحور و خوى و سلماس، قال معافى: و سمعت أيضا أن عتبة فتحها حين ولى أذربيجان و اللّه أعلم.

و حدثنی العباس بن هشام الکلبی عن أبیه عن جده قال: أول من اختط الموصل و أسکنها العرب و مصرها هرثمۀ بن عرفجۀ البارقی. حدثنی أبو موسی الهروی عن أبی الفضل الأنصاری عن أبی المحارب الضبی أن عمر بن الخطاب عزل عتبۀ عن الموصل و ولاها هرثمۀ بن عرفجۀ البارقی و کان بها الحصن و بیع النصاری و منازل لهم قلیلۀ عند تلک البیع و محلۀ الیهود فمصرها هرثمۀ فأنزل العرب منازلهم و اختط لهم ثم بنی المسجد الجامع.

و حدثنی المعافی بن طاوس، قال: الذی فرش الموصل بالحجارۀ ابن تلید

فتوح البلدان، ص: ۳۲۴

صاحب شرطۀ محمد بن مروان بن الحکم، و کان محمد والی الموصل و الجزیرۀ و أرمینیۀ و أذربیجان. قال الواقدی: ولی عبد الملک بن مروان ابنه سعید ابن عبد الملک بن مروان صاحب نهر سعید الموصل و ولی محمدا أخاه الجزیرۀ أرمینیۀ فبنی سعید سور الموصل و هو الذی هدمه الرشید حین مر بها، و قد کانوا خالفوا قبل ذلک و فرشها سعید بالحجارۀ و حدثت عن بعض أهل بابغیش أن المسلمین کانوا طلبوا غرۀ أهل ناحیۀ منها مما یلی دامیر یقال لها زران فأتوهم فی یوم عید لهم و لیس معهم سلاح فحالوا بینهم و بین قلعتهم و فتحوها، قالوا و لما اختط هرثمۀ الموصل و أسکنها العرب أتی الحدیثۀ و کانت قریۀ قدیمۀ فیها بیعتان و أبیات النصاری فمصرها و أسکنها قوما من العرب فسمیت الحدیثۀ لأنها بعد الموصل، و بنی نحوه حصنا و یقال أن هرثمۀ نزل الحدیثۀ أولا فمصرها و اختطها قبل الموصل و أنها إنما سمیت الحدیثۀ حین تحول إلیها من تحول من أهل الأنبار لما ولیهم ابن الرفیل أیام الحجاج ابن یوسف فعسفها، و کان فیهم قوم من أهل حدیثۀ الأنبار فبنوا بها مسجدا و سموا المدینۀ الحدیثۀ.

قالوا: و افتتح عتبۀ بن فرقد الطیرهان و تکریت، و آمن أهل حصن تکریت علی أنفسهم و أموالهم، و سار فی کورۀ باجرمی، ثم صار إلی شهرزور و حدثنی شیخ من أهل تکریت أنه کان معهم کتاب أمان و شرط لهم فخرقه الجرشی حین أخرب قری الموصل نرساباذ و هاعلۀ و ذواتها، و زعم الهیثم بن عدی أن عیاض بن غنم لما فتح بلدا أتی الموصل ففتح أحد الحصنین و اللّه تعالی أعلم

.

فتوح البلدان، ص: ۳۲۵

فتح شهرزور و الصامغان و دراباذ

حدثنی إسحاق بن سلیمان الشهرزوری، قال: حدثنا أبی عن محمد بن مروان عن الکلبی عن بعض آل عزرۀ البجلی أن عزرۀ بن قیس حاول فتح شهرزور و هو وال علی حلوان فی خلافۀ عمر فلم یقدر علیها فغزاها عتبۀ بن فرقد ففتحها بعد قتال علی مثل صلح حلوان، و کانت العقارب تصیب الرجل من المسلمین فیموت.

و حدثنی إسحاق عن أبیه عن مشایخهم، قال: صالح أهل الصامغان و دراباذ عتبۀ علی الجزیۀ و الخراج علی أن لا یقتلوا و لا یسبوا و لا یمنعوا طریقا یسلکونه.

حدثنی أبو رجاء الحلوانی عن أبیه عن مشایخ شهرزور، قالوا:

شهرزور و الصامغان و دراباذ من فتوح عتبۀ بن فرقد السلمی فتحها و قاتل الأکراد فقتل منهم خلقا، و کتب إلی عمر: أنی قد بلغت بفتوحی أذربیجان فولاه إیاه و ولی هرثمۀ بن عرفجۀ الموصل.

قالوا: و لم تزل شهرزور. و أعمالها مضمومۀ إلی الموصل حتی فرقت فی آخر خلافۀ الرشید فولی شهرزور و الصامغان و دراباذ رجل مفرد و کان رزق عامل کل کورۀ من کور الموصل مائتی درهم فخط لهذه الکور ستمائۀ درهم

.

فتوح البلدان، ص: ۳۲۶

فتح جرجان و طبرستان و نواحيها

قالوا: ولى عثمان بن عفان رحمه اللّه سعيد بن العاصى بن سعيد بن العاصى ابن أمية الكوفة فى سنة تسع و عشرين فكتب مرزبان طوس إليه والى عبد اللّه بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس و هو على البصرة يدعوهما إلى خراسان على أن يملكه عليها أيهما غلب و ظفر فخرج ابن عامر يريدها و خرج سعيد فسبقه ابن عامر فغزا سعيد طبرستان، و معه فى غزاته فيما يقال الحسن و الحسين ابنا على بن أبى طالب عليهم السلام، و قيل أيضا أن سعيدا غزا طبرستان بغير كتان أتاه من أحد و قصد إليها من الكوفة و اللّه أعلم. ففتح سعيد طميسة و نامنة، و هى قرية و صالح ملك جرجان على مائتى ألف درهم، و يقال على ثلاثمائة ألف بغلية وافته، فكان يؤديها إلى غزاة المسلمين و افتتح سعيد سهل طبرستان و الرويان و دنباوند و أعطاه أهل الجبال مالا، و كان المسلمون يغزون طبرستان و نواحيها فربما أعطوا الأتاوة عفوا و ربما أعطوها بعد قتال.

و ولى معاوية بن أبى سفيان مصقلة بن هبيرة بن شبل أحد بنى ثعلبة ابن شيبان بن ثعلبة بن عكابة طبرستان و جميع أهلها حرب و ضم إليه عشرة آلاف، و يقال عشرين ألفا فكاده العدو و أروه الهيبة له حتى توغل بمن معه فى البلاد، فلما جاوروا المضايق أخذها العدو عليهم و هدوا الصخور من الجبال على رؤوسهم فهلك ذلك الجيش أجمع و هلك مصقلة فضرب الناس به المثل فقالوا حتى يرجع مصقلة من طبرستان، ثم أن عبيد اللّه بن زياد بن أبى سفيان ولى محمد بن الأشعث بن قيس الكندى طبرستان فصالحهم و عقد لهم عقدا ثم أمهلوا له حتى دخل فأخذوا عليه المضايق و قتلوا

فتوح البلدان، ص: ٣٢٧

ابنه أبا بكر و فضحوه، ثم نجا فكان المسلمون يغزون ذلك الثغر و هم حذرون من التوغل فى أرض العدو.

و حدثنى عباس بن هشام الكلبى عن أبيه عن أبى مخنف و غيره، قالوا:

لما ولى سليمان بن عبد الملك بن مروان الأمر ولى يزيد بن المهلب بن أبى صفرة العراق فخرج إلى خراسان لسبب ما كان من التواء قتيبة بن مسلم و خلافه على سليمان و قتل وكيع بن أبى سود التميمى إياه، فعرض له صول التركى فى طريقه و هو يريد خراسان، فكتب إلى سليمان يستأذنه فى غزوه فأذن له فغزا جيلان و سارية، ثم أتى دهستان و بها صول فحصرها و هو فى جند كثيف من أهل المصرين و أهل الشام و أهل خراسان، فكان أهل دهستان يخرجون فيقاتلونهم فألح عليهم يزيد و قطع المواد عنهم ثم أن صول أرسل إلى يزيد يسأله الصلح على أن يؤمنه على نفسه و ماله و أهل بيته و يدفع إليه المدينة و أهلها و ما فيها فقبل يزيد ذلك و صالحه عليه و وفى له و قتل يزيد أربعة عشر ألفا من الترك و استخلف عليها و قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: أن صول قتل، و الخبر الأول أثبت.

و قال هشام بن الكلبى: أتى يزيد جرجان فتلقاه أهلها بالأتاوة التى كان سعيد بن العاصى صالحهم عليها فقبلها، ثم أن أهل جرجان نقضوا و غدروا فوجه إليهم جهم بن زحر الجعفى ففتحها، قال و يقال، أنه سار إلى مرو فأقام بها شتوته ثم غزا جرجان فى مائة ألف و عشرين ألفا من أهل الشام و الجزيرة و المصرين و خراسان.

و حدثنى على بن محمد المدائنى قال، أقام يزيد بن المهلب بخراسان شتوة ثم غزا جرجان و كان عليها حائط من آجر قد تحصنوا به من الترك و أحد طرفيه فى البحر، ثم غلبت الترك عليه و سموا ملكهم صول فقال يزيد قبح اللّه

فتوح البلدان، ص: ٣٢٨

قتيبة ترك هؤلاء و هم فى بيضة العرب و أراد غزو الصين أو قال و غزا الصين و خلف يزيد على خراسان مخلد بن يزيد.

قال: فلما صار إلى جرجان وجد صول قد نزل فى البحيرة فحصره ستة أشهر و قاتله مرارا فطلب الصلح على أن يؤمنه على نفسه و ماله و ثلاثمائة من أهل بيته و يدفع إليه البحيرة بما فيها فصالحه، ثم سار إلى طبرستان و استعمل دهستان و البياسان عبد اللّه بن معمر اليشكرى و هو فى أربعة آلاف، و وجه ابنه خالد بن يزيد و أخاه أبا عيينة بن المهلب إلى الأصبهبذ و هزمهما حتى ألحقهما بعسكر

يزيـد و كتب الأصـبهبذ إلى المرزبان- و يقال المروزبان- إنا قد قتلنا أصـحاب يزيد فاقتل من قبلك من العرب فقتل عبد اللّه بن معمر اليشـكرى و من معه و هم غـارون فى منازلهم، و بلغ الخبر يزيـد فوجه حيان مولى مصـقلة و هو من سبى الـديلم فقال للأصـبهبذ: إنى رجـل منـك و إليـك و أن فرق الـدين بيننـا و لست بآمن أن يأتيك من قبل أمير المؤمنين و من جيوش خراسان مالا قبل لك به و لا قوام لك معه، و قد رزت لك يزيد فوجدته سـريعا إلى الصلح فصالحه، و لم يزل يخدعه حتى صالح يزيد على سبعمائة ألف درهـم و أربعمائة و قر زعفرانا، فقال له الأصـبهبذ: العشرة وزن ستة فقال: لا، و لكن وزن سبعة فأبى، فقال حيان: أنا أتحمل فضل ما بين الوزنين فتحمله و كان حيان من أنبل الموالى و سرواتهم و كان يكنى أبا معمر.

قال المدائنى: بلغ يزيد نكث أهل جرجان و غدرهم فسار يريدها ثانية، فلما بلغ المرزبان مسيره أتى و جاه فتحصن بها و حولها غياض واشب فنزل عليها سبعة أشهر لا يقدر منها على شيء و قاتلوه مرارا و نصب المنجنيق عليها، ثم أن رجلا دلهم على طريق إلى قلعتهم و قال: لا بد من سلم جلود فعقد يزيد لجهم بن زحر الجعفى، و قال: إن غلبت على الحياة فلا تغلبن على الموت، و أمر

فتوح البلدان، ص: ۳۲۹

يزيـد أن تشـعل النـار فى الحطب فهـالهم ذلـك و خرج قوم منهم ثم رجعوا و انتهى جهم إلى القلعـة فقـاتله قوم ممن كـان على بـابها فكشـفهم عنه و لم يشـعر العـدو بعيـد العصـر إلاـ بالتكبير من ورائهم، ففتحت القلعـة و أنزلوا على حكم يزيـد فقادهم جهم إلى وادى جرجان و جعل يقتلهم حتى سالت الـدماء فى الوادى و جرت و هو بنى مدينة جرجان، و سار يزيد إلى خراسان فبلغته الهدايا، ثم ولى ابنه مخلـدا خراسان و انصـرف إلى سـليمان فكتب إليه أن معه خمسـة و عشـرين ألف ألف درهم فوقع الكتاب فى يـدى عمر بن عبد العزيز فأخذ يزيد به و حبسه.

و حدثنى عباس بن هشام الكلبى عن أبيه عن أبى مخنف أو عوانة بن الحكم قال: سار يزيد إلى طبرسـتان فاسـتجاش الأصـبهبذ الديلم فأنجـدوه فقاتله يزيـد، ثم أنه صالحه على نقد أربعة آلاف درهم و على سـبعمائة ألف درهم مثاقيل فى كل سـنة و وقر أربعمائة جماز زعفرانا و أن يخرجوا أربعمائـة رجل على رأس كل رجل منهم ترس و طيلسان و خام فضة و نمرقة حرير، و بعض الرواة يقول: برنس، و فتـح يزيد الرويان و دنباوند على مال و ثياب و آنية، ثم مضـى إلى جرجان و قد غدر أهلها و قتلوا خليفته و قدم أمامه جهم بن زحر بن قيس الجعفى فدخل المدينة و أهلها غارون و غافلون، و وافاه ابن المهلب فقتل خلقا من أهلها و سبى ذراريهم و صلب من قتل عن يمين الطريق و يساره و استخلف عليها جهما فوضع الجزية و الخراج على أهلها و ثقلت وطأته عليهم.

قالوا: و لم يزل أهل طبرسـتان يؤدون الصـلح مرة و يمتنعون من أدائه أخرى فيحاربون و يسالمون، فلما كانت أيام مروان بن محمد بن مروان بن الحكم غـدروا و نقضوا حتى إذا اسـتخلف أبو العبـاس أمير المؤمنين وجه إليهم عـامله فصـالحوه ثم أنهم نقضوا و غـدروا و قتلوا المسلمين فى خلافة أمير

فتوح البلدان، ص: ۳۳۰

المؤمنين المنصور فوجه إليهم خازم بن خزيمـة التميمى و روح بن حـاتم المهلبى و معهما مرزوق أبو الخصـيب مولاه الـذى نسب إليه قصـر أبى الخصـيب بالكوفـة فسألهمـا مرزوق حيـن طـال عليهـا الأـمر و صـعب أن يضـرباه و يحلقـا رأسه و لحيته ففعلاـ فخلص إلى الأصـبهبذ فقال له: أن هذين الرجلين استغشانى و فعلا بى ما ترى و قد هربت إليك فان قبلت انقطاعى و أنزلتنى المنزلة التى أستحقها منـك دللتـك على عورات العرب و كنت يـدا معـك عليهم، فكساه و أعطاه و أظهر الثقـة به و المشاورة له فكان يريه أنه له ناصـح و عليه مشـفق، فلمـا اطلع على أموره و عوراته كتب إلى خـازم و روح بما احتاجا إلى معرفته من ذلك و احتال للباب حتى فتحه فـدخل المسلمون المدينة و فتحوها و ساروا فى البلاد فدوخوها.

و كـان عمر بن العلاـء جزارا من أهـل الرى فجمع جمعا و قاتل سـنفاذ حين خرج بها فأبلى و نكى فأوفـده جهور بن مرار العجلى على المنصور فقوده و حضنه و جعل له مرتبة، ثم أنه ولى طبرستان فاستشهد بها فى خلافة المهدى أمير المؤمنين.

و افتتح محمد بن موسى بن حفص بن عمر بن العلاء و مايزديار بن قارن جبال شروين من طبرستان، و هى أمنع جبال و أصعبها و أكثرها أشبا و غياضا فى خلافة المأمون رحمه اللّه، ثم أن المأمون ولى مايزديار أعمال طبرستان و الرويان و دنباوند و سماه محمدا و جعل له مرتبة الأصبهبذ فلم يزل واليا حتى توفى المأمون، ثم استخلف أبو إسحاق المعتصم بالله أمير المؤمنين فأقره على عمله ثم أنه كفر و غدر بعد ست سنين و أشهر من خلافته، فكتب إلى عبد اللّه بن طاهر بن الحسين بن مصعب عامله على خراسان و الرى و قومس و جرجان يأمره بمحاربته فوجه عبد اللّه إليه الحسن بن الحسين عمه فى رجال خراسان، و وجه المعتصم بالله محمد بن ابراهيم بن

فتوح البلدان، ص: ۳۳۱

مصعب فيمن ضم إليه من جند الحضرة فلما توافت الجنود فى بلاده كاتب أخ له يقال له فوهيار بن قارن الحسن و محمدا و أعلمهما أنه معهما عليه و قد كان يحقد أشياء يناله بها من استخفاف و كان أهل عمله قد ملوا سيرته لتجبره و عسفه، فكتب الحسن يشير عليه بأن يكمن فى موضع سماه له، و قال لمايزديار: أن الحسن قد أتاك و هو بموضع كذا و ذكر غير ذلك الموضع و هو يدعوك إلى الأمان و يريد مشافهتك فيما بلغنى، فسار مايزديار يريد الحسن، فلما صار بقرب الموضع الذى الحسن كامن فيه آذنه فوهيار بمجيئه فخرج عليه فى أصحابه و كانوا متقطعين فى العياض فجعلوا ينتامون إليه و أراد مايزديار الهرب فآخذ فوهيار بمنطقته و انطوى عليه أصحاب الحسن فأخذوه سلما بغير عهد و لا عقد فحمل إلى سر من رأى فى سنة خمس و عشرين و مائتين فضرب بالسياط بين يدى المعتصم بالله ضربا مبرحا، فلما رفعت السياط عنه مات فصلب بسر من رأى مع بابك الخرمى على العقبة التى بحضرة مجلس الشرطة، و وثب بفوهيار بعض خاصة أخيه فقتل بطبرستان و افتتحت طبرستان سهلها و جبلها، فتولاها عبد اللّه بن طاهر و طاهر بن عبد اللّه من بعده.

فتوح كور دجلة

قالوا: كان سويد بن قطبة الذهلى، و بعضهم يقول قطبة بن قتادة يغير فى ناحية الخريبة من البصرة على العجم كما كان المثنى بن حارثة الشيبانى يغير بناحية الحيرة، فلما قدم خالد بن الوليد البصرة يريد الكوفة سنة اثنتى عشرة أعانه على حرب أهل الأبلة و خلف سويدا، و يقال أن خالدا لم يسر من البصرة حتى فتح الخريبة و كانت مسلحة للأعاجم فقتل و سبى و خلف بها رجلا من بنى سعد بن بكر بن هوازن يقال له شريح بن عامر، و يقال

فتوح البلدان، ص: ۳۳۲

أنه أتى نهر المرأة ففتح القصر صلحا صالحه عنه النوشجان بن جسنسما و المرأة صاحبة القصر كامن دار بنت نرسى و هى ابنة عم النوشجان، و إنما سميت المرأة لأن أبا موسى الأشعرى كان نزل بها فزودته خبيصا فجعل يقول: أطعمونا من دقيق المرأة، و كان محمد بن عمر الواقدى ينكر أن يكون خالد بن الوليد أتى البصرة حين فرغ من أمر أهل اليمامة و البحرين و يقول:

قدم المدينة ثم سار منها إلى العراق على طريق فيد و الثعلبية و اللّه أعلم.

قالوا: فلما بلغ عمر بن الخطاب خبر سويد بن قطبة و ما يصنع بالبصرة رأى أن يوليها رجلا من قبله، فولاها عتبة بن غزوان بن جابر ابن وهب بن نسيب أحد بنى مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة و هو حليف بنى نوفل بن عبد مناف، و كان من المهاجرين الأولين، و قال له:

أن الحيرة قد فتحت و قتل عظيم من العجم يعنى مهران و وطئت خيل المسلمين أرض بابل فصر إلى ناحية البصرة و أشغل من هناك من أهل الأهواز و فارس و ميسان عن إمداد إخوانهم على إخوانك، فأتاها عتبة و انضم إليه سويد بن قطبة و من معه من بكر بن وائل و بنى تميم، و كانت بالبصرة سبع دساكر اثنتان بالخريبة و اثنتان بالزابوقة، و ثلاث فى موضع دار الأزد اليوم، ففرق عتبة أصحابه فيها و

نزل هو بالخريبة و كانت مسلحة للأعاجم ففتحها خالد بن الوليد فخلت منهم و كتب عتبة إلى عمر يعلمه نزوله و أصحابه بحيث نزلوا، فكتب إليه يأمره بأن ينزلهم موضعا قريبا من الماء و المرعى فأقبل إلى موضع البصرة، قال أبو مخنف و كانت ذات حصى و حجارة سود فقيل أنها بصرة، و قيل أنهم إنما سموها بصرة لرخاوة أرضها.

قالوا: و ضربوا بها الخيام و القباب و الفساطيط و لم يكن لهم بناء و أمد

فتوح البلدان، ص: ۳۳۳

عمر عتبة بهرثمة بن عرفجة البارقى و كان بالبحرين، ثم أنه صار بعد إلى الموصل قالوا: فغزا عتبة بن غزوان الابلة ففتحها عنوة، و كتب إلى عمر يعلمه ذلك و يخبره أن الابلة فرضة البحرين و عمان و الهند و الصين و أنفذ الكتاب مع نافع بن الحارث الثقفى.

و حدثنى الوليد بن صالح، قال: حدثنا مرحوم العطار عن أبيه عن شويس العدوى، قال: خرجنا مع أمير الابلة فطفرنا بها ثم عبرنا الفرات فخرج إلينا أهل الفرات بمساحيهم فظفرنا بهم و فتحنا الفرات.

و حدثنى عبد الواحد بن غياث، قال: حدثنا حماد بن سلمة عن أبيه عن حميرى بن كراثة الربعى، قال: لما دخلوا الابلة وجدوا خبيز الحوارى فقالوا هذا الذى كان يقال أنه يسمن، فلما أكلوا منه جعلوا ينظرون إلى سواعدهم و يقولون و اللّه ما نرى سمنا، قال: و أصبت قميصا مجيبا من قبل صدره أخضر فكنت أحضر فيه الجمعة.

و حدثنى المدائنى عن جهم بن حسان، قال: فتح عتبة الابلة و وجه مجاشع ابن مسعود على الفرات و أمر المغيرة بالصلاة و شخص إلى عمر و حدثنى المدائنى عن أشياخه: أن ما بين الفهرج إلى الفرات صلح و سائر الابلة عنوة.

و حدثنى عبد اللّه بن صالح المقرى، قال: حدثنى عبدة بن سليمان عن محمد ابن إسحاق بن يسار قال: وجه عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان حليف بنى نوفل فى ثمانمائة إلى البصرة و أمده بالرجال فنزل بالناس فى خيم، فلما كثروا بنى رهط منهم سبع دساكر من لبن منها بالخريبة اثنتان: و بالزابوقة واحدة، و فى الأزد اثنتان، و فى تميم اثنتان، ثم أنه خرج إلى الأبلة فقاتل أهلها ففتحها عنوة، و أتى الفرات و على مقدمته مجاشع بن مسعود السلمى ففتحه

فتوح البلدان، ص: ۳۳۴

عنوة، و أتى المذار فخرج إليه مرزبانها فقاتله فهزمه اللّه و غرق عامة من معه و أخذ سلما فضرب عتبة عنقه، و سار عتبة إلى دستميسان و قد جمع أهلها للمسلمين و أرادوا المسير إليهم فرأى أن يعالجهم بالغزو ليكون ذلك أفت فى أعضادهم و أملا لقلوبهم فلقيهم فهزمهم اللّه و قتل دهاقينهم و انصرف عتبة من فوره إلى أبرقباذ ففتحها اللّه عليه.

قالوا ثم استأذن عتبة عمر بن الخطاب فى الوفادة عليه و الحج فأذن له فاستخلف مجامع بن مسعود السلمى، و كان غائبا عن البصرة و أمر المغيرة بن شعبة أن يقوم مقامه إلى قدومه، فقال: أتولى رجلا من أهل الوبر على رجل من أهل المدر و استعفى عتبة من ولاية البصرة فلم يعفه و شخص فمات فى الطريق فولى عمر البصرة المغيرة بن شعبة، و قد كان الناس سألوا عتبة عن البصرة فأخبرهم بخصبها فسار إليها خلق من الناس.

و حدثنى عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة، قال: كانت عند عتبة بن غزوان أزدة بنت الحارث بن كلدة، فلما استعمل عمر عتبة بن غزوان قدم معه نافع و أبو بكرة و زياد، ثم أن عتبة قاتل أهل مدينة الفرات فجعلت امرأته أزدة تحرض الناس على القتال و هى تقول: أن يهزموكم تولجوا فينا الغلف ففتح اللّه على المسلمين تلك المدينة، و أصابوا غنائم كثيرة، و لم يكن فيهم أحد يكتب و يحسب إلا زياد، فولى قسم ذلك المغنم، و جعل له كل يوم درهمان و هو غلام فى رأسه ذؤابة، ثم أن عتبة شخص إلى عمر، و كتب إلى مجاشع بن مسعود يعلمه أنه قد خلفه و كان غائبا، و أمر المغيرة بن شعبة أن يصلى بالناس إلى قدوم مجاشع، ثم أن دهقان ميسان كفر و رجع عن الإسلام، فلقيه المغيرة بالمنعرج، فقتله و كتب المغيرة إلى عمر بالفتح منه فدعا عمر عتبة فقال أ لم تعلمنى

فتوح البلدان، ص: ۳۳۵

انک استخلفت مجاشعا، قال نعم، قال فإن المغیرة کتب إلی بکذا فقال أن مجاشعا کان غائبا فأمرت المغیرة أن یخلفه و یصلی بالناس إلی قدومه، فقال عمر: لعمری لأهل المدر کانوا أولی بأن یستعملوا من أهل الوبر، ثم کتب إلی المغیرة بعهده علی البصرة و بعث به إلیه، فأقام المغیرة ما شاء اللّه، ثم أنه هوی المرأة.

و حدثنی عبد اللّه بن صالح عن عبدة عن محمد بن إسحاق قال: غزا المغیرة میسان ففتحها عنوة بعد قتال شدید و غلب علی أرضها، ثم أن أهل أبرقباذ غدروا ففتحها المغیرة عنوة.

و حدثنی روح بن عبد المؤمن، قال: حدثنی وهب بن جریر بن حازم عن أبیه، قال: فتح عتبة بن غزوان الأبلة و الفرات و أبرقباذ و دستمیسان و فتح المغیرة میسان و غدو أهل أبر قباذ ففتحها المغیرة، و قال علی بن محمد المدائنی: کان الناس یسمون میسان و دستمیسان و الفرات و أبرقباذ میسان قالوا: و کان من سبی میسان أبو الحسن البصری و سعید بن یسار أخوه و کان اسمه یسار فیروز، فصار أبو الحسن لامرأة من الأنصار یقال لها الربیع بنت النضر عمة أنس بن مالک، و یقال کان لامرأة من بنی سلمة یقال لها جمیلة امرأة أنس بن مالک.

و روی الحسن، قال: کان أبی و أمی لرجل من بنی النجار فتزوج امرأة من بن سلمة فساقهما إلیها فی صداقها فأعتقتهما تلک المرأة فولاؤنا لها، و کان مولد الحسن بالمدینة لسنتین بقیتا من خلافة عمر و خرج منها بعد صفین بسنة و مات بالبصرة سنة عشر و مائة و هو ابن تسع و ثمانین.

قالوا: أن المغیرة جعل یختلف إلی امرأة من بنی هلال یقال لها أم جمیل بنت محجن بن الأفقم بن شعیثة بن الهزن، و قد کان لها زوج من ثقیف یقال له الحجاج بن عتیک فبلغ ذلک أبا بکرة بن مسروح مولی النبی صلی اللّه

فتوح البلدان، ص: ۳۳۶

علیه و سلم من مولدی ثقیف، و شبل بن معبد بن عبید البجلی، و نافع بن الحارث بن کلدة الثقفی، و زیاد بن عبید، فرصدوه حتی إذا دخل علیها هجموا علیه فإذا هما عریانان و هو متبطنها، فخرجوا حتی أتوا عمر بن الخطاب فشهدوا عنده بما رأوا فقال عمر لأبی موسی الأشعری: إنی أرید أن أبعثک إلی بلد قد عشش فیه الشیطان، قال: فأعنی بعدة من الأنصار فبعث معه البراء ابن مالک، و عمران بن الحصین أبا نجید الخزاعی، و عوف بن وهب الخزاعی فولاه البصرة و أمره باشخاص المغیرة فأشخصه بعد قدومه بثلاث.

فلما صار إلی عمر جمع بینه و بین الشهود، فقال نافع بن الحارث:

رأیته علی بطن المرأة یحتفر علیها و رأیته یدخل ما معه و یخرجه کالمیل فی المکحلة، ثم شهد شبل بن معبد علی شهادته، ثم أبو بکرة، ثم أقبل زیاد رابعا فلما نظر إلیه عمر قال: أما إنی أری وجه رجل أرجو أن لا یرجم رجل من أصحاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم علی یده و لا یخزی بشهادته.

و کان المغیرة قدم من مصر فأسلم و شهد الحدیبیة مع رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، فقال زیاد رأیت منظرا قبیحا و سمعت نفسا عالیا و ما أدری أخالطها أم لا، و یقال لم یشهد بشیء فأمر عمر بالثلاثة فجلدوا، فقال شبل أ تجلد شهود الحق و تبطل الحد،

فلما جلد أبو بکرة، قال: أشهد أن المغیرة زان. فقال عمر، حدوه، فقال علی أن جعلتها شهادة فارجم صاحبک،

فحلف أبو بکرة ان لا یکلم زیادا أبدا، و کان أخاه لأمه سمیة ثم أن عمر ردهم إلی مصرهم، و قد روی قوم أن أبا موسی کان بالبصرة فکتب إلیه عمر بولایتها و أشخاص المغیرة، و الأول أثبت، و روی أن عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه کان امر سعد بن ابی وقاص رضی اللّه عنه أن یبعث عتبة ابن غزوان إلی البصرة ففعل، و کان نائف من مکاتبته إیاه فلذلک استعفی

فتوح البلدان، ص: ۳۳۷

و أن عمر رضی اللّه عنه رده والیا فمات فی الطریق، و کانت ولایة أبی موسی البصرة فی سنة ست عشرة و یقال سنة سبع عشرة فاستقری کور دجلة فوجد أهلها مذعنین بالطاعة فأمر بمساحتها و وضع الخراج علیها علی قدر احتمالها، و الثبت أن أبا موسی ولی

البصرة فى سنة ست عشرة.

حدثنى شيبان بن فروخ الأبلى، قال: حدثنا أبو هلال الراسبى، قال:

حدثنا يحيى بن أبى كثير أن كاتبا لأبى موسى كتب إلى عمر بن الخطاب من أبو موسى فكتب إليه عمر إذا أتاك كتابى هذا فاضرب كاتبك سوطا و أعزله عن عملك.

تمصير البصرة

حدثنى على بن المغيرة الأثرم عن أبى عبيدة، قال: لما نزل عتبة بن غزوان الخريبة كتب إلى عمر بن الخطاب يعلمه نزوله إياها و أنه لا بد للمسلمين من منزل يشتون به إذا شتوا، و يكنسون فيه إذا انصرفوا من غزوهم، فكتب إليه أجمع أصحابك فى موضع واحد و ليكن قريبا من الماء و الرعى و اكتب إلى بصفته، فكتب إليه إنى وجدت أرضا كثيرة القصبة فى طرف البر إلى الريف و دونها مناقع ماء فيها قصباء، فلما قرأ الكتاب، قال: هذه أرض نضرة قريبة من المشارب و المراعى و المختطب و كتب إليه أن أنزلها الناس، فأنزلهم إياها، فبنوا مساكن بالقصب و بنى عتبة مسجدا من قصب، و ذلك فى سنة أربع عشرة فيقال أنه تولى اختطاط المسجد بيده و يقال اختطه محجر بن الأدرع البهزى من سليم، و يقال اختطه نافع بن الحارث بن كلدة حين خط داره، و يقال بل اختطه الأسود بن سريع التميمى، و هو أول من قضى فيه، فقال له مجاشع و مجالد ابنا مسعود رحمك اللّه شهرت نفسك فقال: لا أعود، و بنى عتبة دار الأمارة دون المسجد فى الرحبة التى يقال لها اليوم رحبة بنى هاشم، و كانت تسمى الدهناء و فيها

فتوح البلدان، ص: ۳۳۸

السجن و الديوان فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب و حزموه و وضعوه حتى يرجعوا من الغزو، فإذا رجعوا أعادوا بناءه فلم تزل الحال كذلك، ثم أن الناس اختطوا و بنوا المنازل، و بنى أبو موسى الأشعرى المسجد و دار الأمارة بلبن و طين و سقفها بالعشب و زاد فى المسجد، و كان الإمام إذا جاء للصلاة بالناس تخطاهم إلى القبلة على حاجر، فخرج عبد اللّه بن عامر ذات يوم من دار الأمارة يريد القبلة و عليه جبة خز دكناء فجعل الأعراب يقولون على الأمير جلد دب.

و حدثنى أبو محمد الثورى عن الأصمعى، قال: لما نزل عتبة بن غزوان الخريبة، ولد بها عبد الرحمن بن أبى بكرة، و هو أول مولود بالبصرة فنحر أبوه جزورا أشبع منها أهل البصرة، ثم لما استعمل معاوية بن أبى سفيان زيادا على البصرة زاد فى المسجد زيادة كثيرة و بناء بالآجر و الجص و سقفه بالساج، و قال: لا ينبغى للإمام أن يتخطى الناس فحول دار الإمارة من الدهناء إلى قبلة المسجد فكان الإمام يخرج من الدار فى الباب الذى فى حائط القبلة، و جعل زياد حين بنى المسجد و دار الإمارة يطوف فيها و ينظر إلى البناء ثم يقول لمن معه من وجوه أهل البصرة أ ترون خللا فيقولون ما نعلم بناء أحكم منه فقال بلى هذه الأساطين التى على كل واحدة منها أربعة عقود لو كانت أغلظ من سائر الأساطين، و روى عن يونس بن حبيب النحوى، قال: لم يؤت من تلك الأساطين فقط تصديع و لا عيب، و قال حارثة بن بدر الغدانى، و يقال بل قال ذلك البعيث المجاشعى:

بنى زياد لذكر اللّه مصنعةمن الحجارة لم تعمل من الطين

لو لا تعاون أيدى الأنس ترفعهاإذا لقلنا من أعمال الشياطين

و قال الوليد بن هشام بن قحذم لما بنى زياد المسجد جعل صفته المقدمة

فتوح البلدان، ص: ۳۳۹

خمس سوارى و بنى منارته بالحجارة، و هو أول من عمل المقصورة و نقل دار الامارة إلى قبلة المسجد، و كان بناؤه إياها لبن و طين حتى بناها صالح بن عبد الرحمن السجستانى مولى بنى تميم فى ولايته خراج العراق لسليمان بن عبد الملك بالآجر و الجص و زاد فيه عبيد بن زياد و فى مسجد الكوفة، و قال: دعوت اللّه أن يرزقنى الجهاد ففعل، و دعوته أن يرزقنى بناء مسجدى الجماعة بالمصرين

ففعل، و دعوته أن يجعلنى خلفا من زياد ففعل.

و قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: لما بنى زياد المسجد أتى بسوارية من جبل الأهواز، و كان الذى تولى أمرها و قطعها الحجاج بن عتيك الثقفى و ابنه فظهر له مال فقيل حبذا الإمارة و لو على الحجارة فذهبت مثلا، قال و بعض الناس يقول: أن زيادا رأى الناس ينفضون أيديهم إذا تربت و هم فى الصلاة فقال: لا آمن أن يظن الناس على طول الأيام أن نفض الأيدى فى الصلاة سنة، فأمر بجمع الحصى و إلقائه فى المسجد فاشتد الموكلون بذلك على الناس و تعنتوهم و أروهم حصى انتقوه، فقالوا: ايتونا بمثله على مقاديره و ألوانه و ارتشوا على ذلك فقال القائل: حبذا الامارة و لو على الحجارة، و قال أبو عبيدة: و كان جانب المسجد الشمالى منزويا لأنه كانت هناك دار لنافع بن الحارث بن كلدة فأبى ولده بيعها، فلما ولى معاوية عبيد اللّه بن زياد البصرة قال عبيد اللّه لأصحابه: إذا شخص عبد اللّه بن نافع إلى أقصى ضيعته فأعلمونى ذلك، فشخص إلى قصره الأبيض الذى على البطيحة، فأخبر عبيد اللّه بذلك فبعث الفعلة فهدموا من تلك الدار ما سوى به تربيع المسجد، و قدم ابن نافع فضج إليه من ذلك فأرضاه بأن أعطاه بكل ذراع خمسة أذرع و فتح له فى الحائط خوخة إلى المسجد فلم تزل الخوخة فى حائطه حتى زاد المهدى أمير المؤمنين فى المسجد فأدخلت الدار كلها فيه، و أدخلت فيه أيضا دار الامارة فى خلافة الرشيد رحمه اللّه.

فتوح البلدان، ص: ۳۴۰

و قال أبو عبيدة لما قدم الحجاج بن يوسف العراق أخبر أن زيادا ابتنى دار الامارة بالبصرة فأراد أن يزيل اسمه عنها فهم ببنائها بجص و آجر فقيل له إنما تزيد اسمه فيها ثباتا و توكدا فهدمها و تركها، فبنيت عامة الدور حولها من طينها و لبنها و أبوابها فلم تكن بالبصرة دار إمارة حتى ولى سليمان بن عبد الملك، فاستعمل صالح ابن عبد الرحمن على خراج العراق فحدثه صالح حديث الحجاج و ما فعل فى دار الامارة فأمره بإعادتها فأعادها بالآجر و الجص على أساسها و رفع سمكها، فلما ولى عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه، و ولى عدى بن أرطاة الفزارى البصرة أراد عدى أن يبنى فوقها غرفا، فكتب إليه عمر: هبلتك أمك يا ابن أم عدى أ يعجز عنك منزل وسع زيادا و آل زياد، فأمسك عدى عن إتمام تلك الغرف و تركها فلما ولى سليمان بن على ابن عبد اللّه بن العباس البصرة لأبى العباس أمير المؤمنين بنى على ما كان عدى رفعه من حيطان الغرف بناء بطين ثم تركه و تحول إلى المربد فنزله، فلما استخلف الرشيد أدخلت الدار فى قبلة المسجد فليس اليوم للأمراء بالبصرة دار أمارة.

و قال الوليد بن هشام بن قحذم لم يزد أحد فى المسجد بعد ابن زياد حتى كان المهدى فاشترى دار نافع بن الحارث بن كلدة الثقفى، و دار عبيد اللّه بن أبى بكرة، و دار ربيعة بن كلدة الثقفى، و دار عمرو بن وهب الثقفى. و دار أم جميل الهلالية التى كان من أمرها و أمر المغيرة بن شعبة ما كان، و دورا غيرها فزادها فى المسجد أيام ولى محمد بن سليمان بن على البصرة، ثم أمر هارون أمير المؤمنين الرشيد عيسى بن جعفر بن المنصور أيام ولايته البصرة أن يدخل دار الامارة فى المسجد ففعل.

و قال الوليد بن هشام أخبرنى أبى عن أبيه، و كان يوسف بن عمر ولاه ديوان جند العرب، قال: نظرت فى جماعة مقاتلة البصرة أيام زياد فوجدتهم ثمانين

فتوح البلدان، ص: ۳۴۱

ألفا و وجدت عيالهم مائة ألف و عشرين ألف عيل، و وجدت العرب مقاتلة الكوفة ستين ألفا و عيالهم ثمانين ألفا.

و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى فى اسناده، قال: كان عتبة بن غزوان مع سعد بن أبى وقاص، فكتب إليه عمر أن اضرب قيروانك بالكوفة و وجه عتبة بن غزوان إلى البصرة فخرج فى ثمانمائة فضرب خيمة من أكسية و ضرب الناس معه و أمده عمر بالرجال، فلما كثروا بنى رهط منهم سبع دساكر من لبن منها بالخريبة اثنتان، و بالزابوقة واحدة، و فى بنى تميم اثنتان و فى الأزد اثنتان، ثم أن عتبة خرج إلى الفرات بالبصرة فافتتحه ثم رجع إلى البصرة، و كان سعد يكاتب عتبة فغمه ذلك، فاستأذن عمر فى الشخوص إليه فلحق به و استخلف المغيرة بن شعبة، فلما قدم المدينة شكا إلى عمر تسلط سعد عليه يقال له: و ما عليك أن تقر بالامارة لرجل

من قريش له صحبة و شرف فأبى الرجوع و أبى عمر إلا رده، فسقط عن راحلته فى الطريق فمات فى سنة ست عشرة و كان محجر بن الأدرع اختط مسجد البصرة و لم يبنه فكان يصلى فيه غير مبنى فبناه عتبة بقصب ثم بناه أبو موسى الأشعرى و بنى بعده.

حدثنى الحسين بن على بن الأسود العجلى، قال: حدثنا يحيى بن آدم قال حدثنا أبو معاوية عن الشيبانى عن محمد بن عبد اللّه الثقفى، قال: كان بالبصرة رجل يكنى أبا عبد اللّه، و يقال له نافع، و كان أول من افتلا الفلا بالبصرة فأتى عمر فقال له: أن بالبصرة أرضا ليست من أرض الخراج و لا تضر بأحد من المسلمين. فكتب له أبو موسى إلى عمر بذلك. فكتب له عمر إليه أن يقطعه إياها.

و حدثنا سعيد بن سليمان. قال: حدثنا عباد بن العوام عن عوف الأعرابى قال: قرأت كتاب عمر إلى أبى موسى أن أبا عبد اللّه سألنى أرضا على شاطئ

فتوح البلدان، ص: ۳۴۲

دجلة يفتلى فيها خيله فإن كانت فى غير أرض الجزية و لا يجزأ إليها ماء الجزية فأعطه إياها، و قال عباد: بلغنى أنه نافع بن الحارث بن كلدة طبيب العرب، و قال الوليد بن هشام بن قحذم: وجدت كتابا عندنا فيه: بسم اللّه الرحمن الرحيم من عبد اللّه عمر أمير المؤمنين إلى المغيرة بن شعبة، سلام عليك فإنى أحمد إليك اللّه الذى لا إله إلا هو، أما بعد فإن أبا عبد اللّه ذكر أنه زرع بالبصرة فى امارة ابن غزوان و افتلى أولاد الخيل حين لم يفتلها أحد من أهل البصرة، و أنه نعم ما أرى فأعنه على زرعه و على خيله، فإنى قد أذنت له أن يزرع، و آته أرضه التى زرع إلا أن تكون أرضا عليها الجزية من أرض الأعاجم أو يصرف إليها ماء أرض عليها الجزية، و لا تعرض له إلا بخير، و السلام عليك و رحمة اللّه، و كتب معيقيب بن أبى فاطمة فى صفر سنة سبع عشرة، و قال الوليد بن هشام: أخبرنى عمى عن ابن شبرمة أنه قال: لو وليت البصرة لقبضت أموالهم لأن عمر بن الخطاب لم يقطع بها أحدا إلا أبا بكرة و نافع بن الحارث و لم يقطع عثمان بالبصرة إلا عمران بن حصين، و ابن عامر أقطعه داره، و حمران مولاه قال: و قد أقطع زياد عمران قطيعة أيضا فيما يقال.

و قال هشام بن الكلبى: أول دار بنيت بالبصرة دار نافع بن الحارث ثم دار معقل بن يسار المزنى و كان عثمان بن عفان أخذ دار عثمان بن أبى العاصى الثقفى، و كتب أن يعطى أرضا بالبصرة فأعطى أرضه المعروفة بشط عثمان بحيال الابلة و كانت سبخة فاستخرجها و عمرها، و إلى عثمان بن أبى العاصى ينسب باب عثمان بالبصرة، قالوا: كان حمران بن أبار للمسيب بن نجبة الفزارى أصابه بعين التمر فابتاعه منه عثمان بن عفان و علمه الكتاب و اتخذه كاتبا فوجد عليه لأنه كان وجهه للمسلمة عن ما رفع على الوليد بن عقبة بن أبى معيط فارتشى منه و كذب ما قيل فيه، فتيقن عثمان صحة ذلك بعد فوجد عليه، و قال: لا يساكننى أبدا

فتوح البلدان، ص: ۳۴۳

و خيره بلدا يسكنه غير المدينة فاختار البصرة، و سأله أن يقطعه بها دارا و ذكر ذرعا كثيرا فاستكثره عثمان و قال لابن عامر: أعطه دارا مثل بعض دورك فأقطعه داره التى بالبصرة، قالوا: و دار خالد بن طليق الخزاعى القاضى كانت لأبى الجراح القاضى صاحب سجن ابن الزبير اشتراها له سلم بن زياد، لأنه هرب من سجن ابن الزبير، قال ابن الكلبى: سكة بنى سمرة بالبصرة كان صاحبها عتبة بن عبد اللّه بن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس ابن عبد مناف، و مسجد عاصم نسب إلى عاصم أحد بنى ربيعة بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، و دار أبى نافع بالبصرة نسبت إلى أبى نافع مولى عبد الرحمن أبى بكرة.

و قال القحذمى: كانت دار أبى يعقوب الخطابى لسحامة بن عبد الرحمن ابن الأصم الغنوى مؤذن الحجاج. و هو ممن قاتل مع يزيد بن المهلب فقتله مسلمة بن عبد الملك يوم العقر. و هى إلى جانب دار المغيرة بن شعبة، قالوا:

و دار طارق نسبت إلى طارق بن أبى بكرة و قبالتها خطة بن أبى العاصى الثقفى و دار زياد بن عثمان كان عبيد اللّه بن زياد اشتراها لابن أخيه زياد بن عثمان و تليها الخطة التى منها دار بابة بنت أبى العاصى، و كانت دار سليمان بن على لسلم ابن زياد فغلب عليها بلال بن أبى بردة أيام ولايته البصرة لخالد بن عبد اللّه، ثم جاء سليمان بن على فنزلها قالوا و كانت دار موسى بن أبى المختار مولى

ثقيف لرجل من بنى دارم فأراد فيروز حصين ابتياعها منه بعشرة آلاف، فقال:

ما كنت لا بيع جوارك بمائة ألف فأعطاه عشرة آلاف و أقر الدار فى يده. و قال أبو الحسن: أراد الدارمى بيع داره فقال أبيعها بعشرة آلاف درهم خمسة آلاف ثمنها و خمسة آلاف لجوار فيروز. فبلغ فيروز ذلك فقال: أمسك عليك دارك و أعطاه عشرة آلاف درهم. و دار ابن تبع نسبت إلى عبد الرحمن بن تبع الحميرى

فتوح البلدان، ص: ۳۴۴

و كان على قطائع زياد، و كان دمون من أهل الطائف، فتزوج أبو موسى ابنته فولدت له أبا بردة، و لدمون خطة بالبصرة و له يقول أهل البصرة: الرفاء و البنون، و خبز و كمون، فى بيت الدمون.

و قال القحذمى و غيره: كان أول حمام اتخذ بالبصرة حمام عبد اللّه بن عثمان ابن أبى العاصى الثقفى، و هو موضع بستان سفيان بن معاوية الذى بالخريبة و عند قصر عيسى بن جعفر، ثم الثانى حمام فيل مولى زياد، ثم الثالث حمام مسلم ابن أبى بكرة فى بلالاباذ، و هو الذى صار لعمرو بن مسلم الباهلى، فمكثت البصرة دهرا و ليس بها إلا هذه الحمامات.

و حدثنى المدائنى قال، قال أبو بكرة لابنه مسلم: يا بنى و اللّه ما تلى عملا و ما أراك تقصر عن إخوتك فى المنفعة، فقال: إن كتمت على أخبرتك، قال فإنى أفعل، قال: فإنى أغتل من حمامى هذا فى كل يوم ألف درهم و طعاما كثيرا، ثم أن مسلما مرض فأوصى إلى أخيه عبد الرحمن بن أبى بكرة و أخبره بغلة حمامه، فأفشى ذلك و استأذن السلطان فى بناء حمام، و كانت الحمامات لا نبنى بالبصرة إلا بإذن الولاة فأذن له، فاستأذن عبيد اللّه بن أبى بكرة فأذن له، و استأذن الحكم ابن أبى العاصى فأذن له، و استأذن سياه الأسوارى فأذن له، و استأذن الحصين ابن أبى الحر العنبرى فأذن له و استأذنت ربطة بنت زياد فأذن لها، و استأذنت لبابة بنت أوفى الجرشى فأذن لها فى حمامين أحدهما فى أصحاب البقاء، و الآخر فى بنى سعد، و استأذن المنجاب بن راشد الضبى فأذن له. و أفاق مسلم بن أبى بكرة من مرضه و قد فسدت عليه غلة حمامه فجعل يلعن عبد الرحمن و يقول ما قطع اللّه رحمه.

قالوا: و كان فيل حاجب زياد و مولاه ركب معه أبو الأسود الدؤلى و أنس بن زنيم. و كان على برذون هملاج و هما على فرسى سوء قطوفين

فتوح البلدان، ص: ۳۴۵

فأدركهما الحسد، فقال أنس: أجزيا أبا الأسود قال: هات، فقال:

لعمر أبيك ما حمام كسرىعلى الثلثين من حمام فيل

فقال أبو الأسود: فتوح البلدان ؛ ص۳۴۵

و ما إرقاصنا حول الموالىبسنتنا على عهد الرسول

و قال أبو مفرغ لطلحة الطلحات و هو طلحة بن عبد اللّه بن خلف:

تمنينى طليحة ألف ألفلقد منيتنى أملا بعيدا

فلست لماجد حر و لكنلسمراء التى تلد العبيدا

و لو أدخلت فى حمام فيلو ألبست المطارف و البرودا

و قال بعضهم و قد حصرته الوفاة:

يا رب قائلة يوما و قد لغبتكيف الطريق إلى حمام منجاب

يعنى حمام المنجاب بن راشد الضبى و قال عباس مولى بنى أسامة:

ذكرت البند فى حمام عمروفلم أبرح إلى بعد العشاء

و حمام بلج نسب إلى بلج بن نشبة السعدى الذى يقول له زياد:

و محترس من مثله و هو حارس و قال هشام بن الكلبى قصر أوس بالبصرة نسب إلى أوس بن ثعلبة بن رقى أحد بنى تيم اللّه بن ثعلبة بن عكابة و هو من وجوه من كان بخراسان و قد تقلد بها أمورا جسيمة و هو الذى مر بتدمر فقال فى صنميها:

فتأتى أهل تدمر حين آنى ألما تسأما طول القيام

فكائن مر من دهر و دهر لأهلكما و عام بعد عام

و قصر أنس نسب إلى أنس بن مالك الأنصارى خادم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، قال: و الذى بنى منارة بنى أسيد حسان بن سعد منهم، و القصر الأحمر لعمرو بن عتبة بن أبى سفيان و هو اليوم لآل عمر بن

فتوح البلدان، ص: ۳۴۶

حفص بن قبيصة بن أبى صفرة، و قصر المسيرين كان لعبد الرحمن بن زياد، و كان الحجاج سير عيال من خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندى إليه فحبسهم فيه، و هو قصر فى جوف قصر و يتلوه قصر عبيد اللّه بن زياد و إلى جانبه جوسق.

قال القحذمى: و قصر النواهق هو قصر زياد سماه الشطار بذلك، و قصر النعمان كان للنعمان بن صهبان الراسبى الذى حكم بين مضر و ربيعة أيام مات يزيد بن معاوية، قال: و زاد عبيد اللّه بن زياد للنعمان بن صهبان فى قصره هذا فقال: بئس المال هذا يا أبا حاتم إن كثر الماء غرقت، و إن قل عطشت فكان كما قال: قل الماء فمات كل من ثم، و قصر زربى نسب إلى زربى مولى عبد اللّه بن عامر، و كان قيما على خيله فكانت الدار لدوابه. و قصر عطية نسب إلى عطية الأنصارى، و مسجد بنى عباد نسب إلى بنى عباد بن رضاء بن شقرة بن الحارث بن تميم بن مر، و كانت دار عبد اللّه بن خازم السلمى لعمته دجاجة أم عبد اللّه بن عامر فأقطعته إياها و هو عبد اللّه بن خازم بن أسماء بن الصلت و هى دجاجة بنت أسماء.

و حدثنى المدائنى عن أبى بكر الهذلى و العباس بن هشام عن أبيه عن عوانة، قالا: قدم الأحنف بن قيس على عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه فى أهل البصرة فجعل يسألهم رجلا رجلا و الأحنف فى ناحية البيت فى بت لا يتكلم فقال له عمر: أمالك حاجة؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين، أن مفاتح الخير بيد اللّه و إن إخواننا من أهل الأمصار نزلوا منازل الأمم الخالية بين المياه العذبة و الجنان الملتفة، و إنا نزلنا سبخة بشاشة لا يجف نداها و لا ينبت مرعاها، ناحيتها قبل المشرق البحر الأجاج، و من قبل المغرب الفلاة، فليس لنا زرع و لا ضرع تأتينا منافعنا و ميرتنا فى مثل مرىء النعامة، يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين، و تخرج المرأة

فتوح البلدان، ص: ۳۴۷

لذلك فتربق ولدها كما يربق العنز يخاف بادرة العدو و أكل السبع، فالا ترفع خسيستنا، و تجبر فاقتنا نكن كقوم هلكوا، فألحق عمر ذرارى أهل البصرة فى العطاء، و كتب إلى أبى موسى يأمره أن يحفر لهم نهوا.

فحدثنى جماعة من أهل العلم، قالوا: كان لدجلة العوراء و هى دجلة البصرة خور، و الخور طريق للماء لم يحفره أحد يجرى فيه ماء الأمطار إليها و يتراجع ماؤها فيه عند المد و ينضب فى الجزر، و كان طوله قدر فرسخ، و كان لحده مما يلى البصرة غورة واسعة تسمى فى الجاهلية الأجانة و سمته العرب فى الإسلام الجزارة و هو على مقدار ثلاثة فراسخ من البصرة بالذرع الذى يكون به نهر الأبلة كله أربعة فراسخ و منه يبتدئ النهر الذى يعرف اليوم بنهر الآجانة فلما أمر عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه أبا موسى الأشعرى أن يحتفر لأهل البصرة نهرا ابتدأ الحفر من الأجانة و قادة ثلاثة فراسخ حتى بلغ به البصرة فصار طول نهر الأبلة أربعة فراسخ. ثم إنه أنطم منه ما بين البصرة و بثق الحيرى و ذلك على قدر فرسخ من البصرة.

و كان زياد بن أبى سفيان واليا على الديوان و بيت المال من قبل عبد اللّه ابن عامر بن كريز، و عبد اللّه يومئذ على البصرة من قبل عثمان بن عفان، فأشار على بن عامر أن ينفذ حفر نهر الأبلة من حيث انطم حتى يبلغ به البصرة، و كان يربث ذلك و يدافع به.

فلما شخص بن عامر إلى خراسان و استخلف زيادا أقر حفر أبى موسى الأشعرى على حاله و حفر النهر من حيث أنطم حتى بلغ به البصرة، و ولى ذلك عبد الرحمن بن أبى بكرة، فلما فتح عبد الرحمن الماء جعل يركض فرسه و الماء يكاد يسقيه، و قدم ابن عامر

من خراسان فغضب على زياد، و قال: إنما أردت أن تذهب بذكر النهر دونى فتباعد ما بينهما حتى ماتا

فتوح البلدان، ص: ۳۴۸

و تباعد بسببه ما بين أولادهما، فقال يونس بن حبيب النحوى: أنا أدركت ما بين آل زياد و آل ابن عامر متباعدا.

و حدثنى الأثرم عن أبى عبيدة، قال: قاد أبو موسى الأشعرى نهر الابلة من موضع الأجانة إلى البصرة، و كان شرب الناس قبل ذلك من مكان يقال له دير قاووس فوهته فى دجلة فوق الأبلة بأربعة فراسخ يجرى فى سباخ لا عمارة على حافاته، و كانت الأرواح تدفنه، قال: و لما حفر زياد فيض البصرة بعد فراغه من إصلاح نهر الأبلة قدم ابن عامر من خراسان فلامه، و قال: أردت أن تذهب بشهرة هذا النهر و ذكره، فتباعد ما بينهما و بين أهلهما بذلك السبب، و قال أبو عبيدة: كان احتفاره الفيض من لدن دار فيل مولى زياد و حاجبه إلى موضع الجسر.

و روى محمد بن سعد عن الواقدى و غيره أن عمر بن الخطاب أمر أبا موسى بحفر النهر الآخر و أن يجريه على يد معقل بن يسار المزنى فنسب إليه، و قال الواقدى توفى معقل بالبصرة فى ولاية عبيد اللّه بن زياد البصرة لمعاوية، و قال الوليد بن هشام القحذمى، و على بن محمد بن أبى سيف المدائنى. كلم المنذر بن الجارود العبدى معاوية بن أبى سفيان فى حفر نهر ثار، فكتب إلى زياد فحفر نهر معقل، فقال قوم: جرى على يد معقل بن يسار فنسب إليه، و قال آخرون: بل أجراه زياد على يد عبد الرحمن بن أبى بكرة أو غيره، فلما فرغ منه و أرادوا فتحه بعث زياد معقل بن يسار ففتحه تبركا به لأنه من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فقال الناس: نهر معقل، فذكر القحذمى أن زيادا أعطى رجلا ألف درهم، و قال له: أبلغ دجلة و سل عن صاحب هذا النهر من هو، فإن قال لک رجل:

إنه نهر زياد فأعطه الألف، فبلغ دجلة ثم رجع فقال: ما لقيت أحدا إلا يقول: هو نهر معقل، فقال زياد: «ذلِکَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ»

فتوح البلدان، ص: ۳۴۹

قالوا: و نهر دبيس نسب إلى رجل قصار يقال له دبيس كان يقصر الثياب عليه، و بثق الحيرى نسب إلى نبطى من أهل الحيرة، و يقال كان مولى لزياد، قالوا: و كان زياد لما بلغ بنهر معقل قبته التى يعرض فيها الجند رده إلى مستقبل الجنوب حتى أخرجه إلى أصحاب الصدقة بالجبل فسمى ذلک العطف نهر دبيس، و حفر عبد اللّه بن عامر نهره الذى عند دار فيل، و هو الذى يعرف بنهر الأساورة، و قال بعضهم: الأساورة حفروه، و نهر عمرو:

نسب إلى عمرو بن عتبة بن أبى سفيان، و نهر أم حبيب نسب إلى أم حبيب بنت زياد. و كان عليه قصر كثير الأبواب فسمى الهزاردر، و قال على بن محمد المدائنى: تزوج شيرويه الأسوارى مرجانة أم عبيد اللّه بن زياد فبنى لها قصرا فيه أبواب كثيرة فسمى هزاردر.

و قال أبو الحسن قال قوم: سمى هزاردر لأن شيرويه اتخذ فى قصره ألف باب، و قال بعضهم: نزل ذلک الموضع ألف أسوار فى ألف بيت أنزلهم كسرى فقيل هزاردر، و نسب نهر حرب إلى حرب بن سلم بن زياد و كان عبد الأعلى بن عبد اللّه بن عبد اللّه بن عامر أدعى أن الأرض التى كانت عليه كانت لابن عامر و خاصم فيها حربا، فلما توجه القضاء لعبد الأعلى أتاه حرب فقال له: خاصمتک فى هذا النهر و قد ندمت على ذلک و أنت شيخ العشيرة و سيدها فهو لک، فقال عبد الأعلى بن عبد اللّه: بل هو لک فانصرف حرب فلما كان العشى جاء موالى عبد الأعلى و نصحاؤه فقالوا: و اللّه ما أتاک حرب حتى توجه لک القضاء عليه، فقال: و اللّه لا رجعت فيما جعلت له أبدا، و النهر المعروف بيزيدان: نسب إلى يزيد بن عمر الأسيدى صاحب شرطة عدى بن أرطاة، و كان رجل أهل البصرة فى زمانه.

و قالوا: أقطع عبد اللّه بن عامر بن كريز عبد اللّه بن عمير بن عمرو بن مالک الليثى و هو أخوه لأمه دجاجة بنت أسماء بن الصلت السلمية ثمانية

فتوح البلدان، ص: ۳۵۰

آلاف جريب فحفر لها النهر الـذى يعرف بنهر ابن عميرة، قالوا: و كان عبد اللّه بن عامر حفر نهر أم عبد اللّه دجاجة و يتولاه غيلان بن خرشـة الضبى و هو النهر الـذى قال حارثـة بن بـدر الغـدانى لعبـد اللّه بن عامر و قـد سايره لم أر أعظم بركة من هذا النهر يسـتقى منه الضـعفاء من أبواب دورهم و يـأتيهم منـافعهم فيه إلى منـازلهم، و هو مغيض لميـاههم، ثم أنه ساير زيادا بعـد ذلك فى ولايته فقال ما رأيت نهرا شرا منه ينز منه دورهم و يبغضون له فى منازلهم و يغرق فيه صبيانهم.

و روى قوم أن غيلان بن خرشة القائل هذا: و الأول أثبت، و نهر سـلم نسب إلى سلم بن زياد أبى سفيان، و كان عبد اللّه بن عامر حفر نهرا تولاه نافـذ مولاه فغلب عليه فقيل نهر نافـذ، و هو لآل الفضل بن عبد الرحمن ابن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، قال أبو اليقظـان: أقطع عثمان بن عفان العباس بن ربيعـة بن الحارث دارا بالبصـرة و أعطاه مائـة ألف درهم، و كان عبـد الرحمن بن عباس يلقب رائض البغال لجودة ركوبه لها و تابعه الناس بعـد هرب ابن الأشـعث إلى سجسـتان فهرب من الحجاج، و طلحتان نهر طلحـة ابن أبى نافع مولى طلحـة بن عبيد اللّه، و نهر حميدة نسب إلى امرأة من آل عبد الرحمن بن سـمرة بن حبيب بن عبد شـمس يقال حميد و هى امرأة عبـد العزيز بن عبـد اللّه بن عـامر، و خيرتـان لخيرة بنت ضـمرة القشـيرية امرأة المهلب و لها مهلبان كان المهلب وهبه لها، و يقال: بل كان لها فنسب إلى المهلب و هى أم أبى عيينـة ابنه، و جبيران لجبير بن حيـة، و خلفان قطيعـة عبد اللّه بن خلف الخزاعى أبى طلحة الطلحات، طليقان لآل عمران بن حصين الخزاعى من ولد خالد بن طليق بن محمد بن عمران و كان خالد ولى قضاء البصرة.

و قـال القحـذمى نهرمرة لابن عامر ولى حفره له مرة مولى أبى بكر الصـديق فغلب على ذكره، و قال أبو اليقظان و غيره: نسب نهر مرة إلى مرة

فتوح البلدان، ص: ٣٥١

ابن أبى عثمان مولى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق، و كان سـريا سأل عائشة أم المؤمنين أن تكتب له إلى زياد و تبدأ به فى عنوان كتابها فكتبت له إليه بالوصايـة به و عنونته: إلى زياد بن أبى سـفيان من عائشـة أم المؤمنين، فلما رأى زياد أنها قد كاتبته و نسـبته إلى أبى سـفيان سـر بذلك و أكرم مرة و ألطفه، و قال للناس: هذا كتاب أم المؤمنين إلى فيه و عرضه عليهم ليقرءوا عنوانه، ثم أقطعه مائة جريب على نهر الابلة و أمره فحفر لها نهرا فنسب إليه، و كان عثمان بن مرة من سراة أهل البصرة و قد خرجت القطيعة من أيدى ولده و صارت لآل الصفاق بن حجر بن بجير العقوى من الأزد.

قالوا: و درجاه جنك من أموال ثقيف، و إنما قيل له ذلك لمنازعات كانت فيه، و جنك بالفارسيـة صـخب إنسان: نسب إلى أنس بن مالك فى قطيعـة من زياد. نهر بشار نسب إلى بشار بن مسـلم بن عمرو الباهلى أخى قتيبـة، و كان أهدى إلى الحجاج فرسا فسـبق عليه فأقطعه سـبعمائة جريب و يقال أربعمائـة جريب فحفر لها النهر، و نهر فيروز نسب إلى فيروز حصـين، و يقال إلى باشـكار كان يقال له فيروز، و قال القحـذمى: نسب إلى فيروز مولى ربيعة بن كلدة الثقفى، و نهر العلاء نسب إلى العلاء بن شـريك الهذلى أهدى إلى عبد الملك شـيئا أعجبه فأقطعه مائـة جريب، و نهر ذراع نسب إلى ذراع النمرى من ربيعة و هو أبو هارون بن ذراع، و نهر حبيب نسب إلى حبيب ابن شهاب الشامى التاجر فى قطيعة من زياد و يقال من عثمان، و نهر أبى بكرة نسب إلى أبى بكرة بن زياد.

و حـدثنى العقوى الـدلال قال: كانت الجزيرة بين النهرين سـبخة فاقطعها معاويـة بعض بنى أخوته، فلما قـدم الفتى لينظر إليها أمر زياد بالماء فأرسل فيها فقال الفتى: إنما أقطعنى أمير المؤمنين بطيحة لا حاجة لى فيها فابتاعها زياد منه

فتوح البلدان، ص: ٣٥٢

بمائتى ألف درهم و حفر أنهارها و أقطع منها رواذان لرواد بن أبى بكرة، و نهر الراء صـيدت فيه سـمكة تسـمى الراء فسمى بها و عليه أرض حمران الذى أقطعه إياها معاوية، نهر مكحول نسب إلى مكحول بن عبيد اللّه الأحمسى و هو ابن عم شيبان صاحب مقبرة شيبان بن عبـد اللّه الـذى كـان على شـرطة ابن زيـاد، و كان مكحول يقول الشعر فى الخيل فكانت قطيعـة من عبـد الملك بن مروان، و قال القحذمى نهر مكحول نسب إلى مكحول بن عبد اللّه السعدى.

و قال القحذمى شط عثمان اشتراه عثمان بن أبى العاصى الثقفى من عثمان ابن عفان بمال له بالطائف، و يقال أنه اشتراه بدار له بالمدينة فزادها عثمان ابن عفان فى المسجد و أقطع عثمان بن أبى العاصى أخاه حفص بن أبى العاصى حفصان، و أقطع أبا أمية بن أبى العاصى أخاه أميتان، و أقطع الحكم بن أبى العاصى حكما، و أقطع أخاه المغيرة مغيرتان، قال: فكان نهر الأرحاء لأبى عمرو بن أبى العاصى الثقفى.

و قال المدائنى: أقطع زياد فى الشط الجموم و هى زيادان، و قال لعبد اللّه ابن عثمان أنى لا أنفذ إلا ما عمرتم، و كان يقطع الرجل القطيعة و يدعه سنتين فإن عمرها و إلا أخذها منه، فكانت الجموم لأبى بكرة ثم صارت لعبد الرحمن ابن أبى بكرة، أزرقان نسب إلى الأزرق بن مسلم مولى بنى حنيفة، و نسب محمدان إلى محمد بن على بن عثمان الحنفى، زيادان نسب إلى زياد مولى بنى الهيثم، و هو جد مؤنس بن عمران بن جميع بن يسار وجد عيسى بن عمر النحوى و حاجب بن عمر لأمهما، و نهر أبى الخصيب نسب إلى أبى الخصيب مرزوق مولى المنصور أمير المؤمنين، و نهر الأمير بالبصرة حفره المنصور ثم وهبه لابنه جعفر فكان يقال نهر أمير المؤمنين، ثم قيل نهر الأمير ثم ابتاعه الرشيد، و أقطع منه و باع و نهر ربا للرشيد نسب إلى سورجى و القرشى كان عبيد اللّه بن عبد الأعلى الكريزى و عبيد اللّه بن عمر بن الحكم

فتوح البلدان، ص: ۳۵۳

الثقفى اختصما فيه ثم اصطلحا على أن أخذ كل واحد منهما نصفه فقيل القرشى و العربى، و القندل خور من أخوار دجلة سده سليمان بن على و عليه قطيعة المنذر بن الزبير بن العوام و فيه نهر النعمان بن المنذر صاحب أقطعه أيام كسرى و كان هناك قصر للنعمان، و نهر مقاتل نسب إلى مقاتل ابن جارية بن قدامة السعدى، و عميران نسب إلى عبد اللّه بن عمير الليثى، و سيحان كان للبرامكة و هم سموه سيحان، و الجوبرة صيد فيها الجوبرة فسميت بذلك، حصينان لحصين بن أبى الحر العنبرى، عبيد لان لعبيد اللّه بن أبى بكرة، عبيدان لعبيد بن كعب النميرى، منقذان لمنقذ بن علاج السلمى، عبد الرحمانان كان لأبى بكرة بن زياد فاشتراه أبو عبد الرحمن مولى هشام، و نافعان لنافع بن الحارث الثقفى، و أسلمان لأسلم بن زرعة الكلابى، و حمرانان لحمران بن أبان مولى عثمان، و قتيبتان لقتيبة بن مسلم، و خشخشان لآل الخشخاش العنبرى.

و قال القحذمى: نهر البنات بنات زياد أقطع كل بنت ستين جريبا و كذلك كان يقطع العامة، و قال: أمر زياد عبد الرحمن بن تبع الحميرى، و كان على قطائعه أن يقطع نافع بن الحارث الثقفى ما مشى فمشى فانقطع شسعه فجلس، فقال حسبك، فقال: لو علمت لمشيت إلى الابلة فقال:

دعنى حتى أرمى بنعلى فرمى بها حتى بلغت الاجانة، سعيدان لآل سعيد بن عبد الرحمن بن عباد بن أسيد و كانت سليمانان قطيعة لعبيد بن قسيط صاحب الطوف أيام الحجاج فرابط بها رجل من الزهاد يقال له سليمان بن جابر فنسبت إليه، و عمران لعمر بن عبيد اللّه بن معمر التيمى، و فيلان لفيل مولى زياد، و خالدان نسب إلى خالد بن عبد اللّه بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية، نهر يزيد الإباضى و هو يزيد بن عبد اللّه الحميرى، المسمارية قطيعة مسمار مولى زياد و له بالكوفة ضيعة، قال القحذمى و كان

فتوح البلدان، ص: ۳۵۴

بلال بن أبى بردة الذى فتق نهر معقل فى فيض البصرة، و كان قبل ذلك مكسورا يفيض إلى القبة التى كان زياد يعرض فيها الجند و احتفر بلال نهر بلال و جعل على جنبتيه حوانت و نقل إليها السوق و جعل ذلك ليزيد بن خالد القسرى، قالوا: و حفر بشير بن عبيد اللّه بن أبى بكرة المرغاب و سماه باسم مرغاب مرو، و كانت القطيعة التى فيها المرغاب لهلال بن أحوز المازنى أقطعه إياها يزيد بن عبد الملك و هى ثمانية آلاف جريب فحفر بشير المرغاب و السواقى و المعترضات بالتغلب و قال هذه قطيعة لى و خاصمه حميرى بن هلال فكتب خالد بن عبد اللّه القسرى إلى مالك بن المنذر بن الجارود و هو على أحداث البصرة أن خل بين الحميرى و بين المرغاب و أرضه، و ذلك أن بشيرا أشخص إلى خالد فتظلم فقبل قوله، و كان عمرو بن يزيد الأسيدى يعنى بحميرى و يعينه فقال

لمالك بن المنذر أصلحك اللّه ليس هذا خل إنما هو حل بين حميرى و بين المرغاب، قال: و كانت لصعصعة بن معاوية عم الأحنف قطيعة بحيال المرغاب و إلى جنبها فجاء معاوية بن معاوية معينا لحميرى، فقال بشير هذا مسرح إبلنا و بقرنا و حميرنا و دوابنا و غنمنا فقال معاوية: أمن أجل تلط بقرة عقفاء و اتان وديق تريد أن تغلبنا على حقنا، و جاء عبد اللّه بن أبى عثمان بن عبد اللّه بن خالد بن أسيد فقال:

أرضنا و قطيعتنا فقال له معاوية أسمعت بالذى تخطى النار فدخل اللهب فى استه فأنت هو، قالوا: و كانت سويدان لعبيد اللّه بن أبى بكرة قطيعة مبلغها أربعمائة جريب فوهبها لسويد بن منجوف السدوسى، و ذلك أن سويدا مرض و عاده ابن أبى بكرة فقال له كيف تجدك، قال صالحا إن شئت قال:

قد شئت فما ذاك، قال: إن أعطيتنى مثل الذى أعطيت ابن معمر فليس على بأس فأعطاه سويدان فنسبت إليه.

قال المدائنى: حفر يزيد بن المهلب نهر يزيد فى قطيعة لعبيد اللّه بن أبى

فتوح البلدان، ص: ۳۵۵

بكرة، فقال لبشير بن عبيد اللّه اكتب لى كتابا بأن هذا النهر فى حقى، قال:

لا و لئن عزلت لأخاصمنك، جبران لآل كلثوم بن جبر نهر ابن أبى برذعة نسب إلى أبى برذعة بن عبيد اللّه بن أبى بكرة، و المسرقانان قطيعة لآل أبى بكرة و أصلها مائة جريب فمسحها مساح المنصور ألف جريب فأقروا فى أيدى آل أبى بكرة منها مائة و قبضوا الباقى، قطيعة هميان لهميان بن عدى السدوسى، كثيران لكثير بن سيار، بلالان لبلال بن أبى بردة كانت القطيعة لعباد بن زياد فاشتراها، شبلان لشبل بن عميرة بن يثربى الضبى، نهر سلم نسب إلى سلم بن عبيد اللّه بن أبى بكرة، النهر الرباحى نسب إلى رباح مولى آل جدعان، سبخة عائشة إلى عائشة بنت عبد اللّه بن خلف الخزاعى، قالوا: و احتفر كثير بن عبد اللّه السلمى و هو أبو العاج عامل يوسف بن عمر الثقفى على البصرة نهرا من نهر ابن عتبة إلى الخستل فنسب إليه، نهر أبى شداد نسب إلى أبى شداد مولى زياد، بثق سيار لفيل مولى زياد و لكن القيم عليه كان سيار مولى بنى عقيل فغلب عليه أرض الأصبهانيين شرا من بعض العرب، و كان هؤلاء الأصبهانيون قوما أسلموا و هاجروا إلى البصرة، و يقال أنهم كانوا مع الأساورة الذين صاروا بالبصرة، و دار ابن الأصبهانى بالبصرة نسبت إلى عبد اللّه بن الأصبهانى و كان له أربعمائة مملوك لقى المختار مع مصعب و هو على ميمنته.

حدثنى عباس بن هشام عن أبيه عن بعض آل الأهتم، قال: كتب يزيد ابن عبد الملك إلى عمر بن هبيرة أنه ليست لأمير المؤمنين بأرض العرب خرصة فسر على القطائع فخذ فضولها لأمير المؤمنين فجعل عمر يأتى القطيعة فيسأل عنها ثم يمسحها حتى وقف على أرض، فقال: لمن هذه فقال صاحبها لى فقال و من أين هى لك فقال:

و رثناهن عن أباء صدقو يورثها إذا متنا بنينا

فتوح البلدان، ص: ۳۵۶

قال: ثم أن الناس ضجوا من ذلك فأمسك، قالوا: صلتان نسب إلى الصلت بن حريث الحنفى، و قاسمان قطيعة القاسم بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ورثه إياها أخوه عون، و نهر خالدان الأجمة لآل خالد بن أسيد و آل أبى بكرة و نهر ماسوران كان فيه رجل شرير يسعى بالناس و يبحث عليهم فنسب النهر إليه، و الماسور بالفارسية الجرير الشرير، جبيران أيضا، قطيعة جبير بن أبى زيد من بنى عبد الدار، معقلان قطيعة معقل بن يسار من زياد، و ولده يقولون: من عمرو لم يقطع عمر أحدا على النهرين، جندلان لعبيد اللّه بن جندل الهلالى، نهر التوت قطيعة عبد اللّه ابن نافع بن الحارث الثقفى و قال القحذمى: كان نهر سليمان بن على لحسان ابن أبى حسان النبطى، و النهر الغوثى كان عليه صاحب مسلحة يقال له غوث فنسب إليه، و قال بعضهم جعل مغيثا للمرغاب فسمى الغوث ذات الحفافين على نهر معقل، و دجلة كانت لعبد الرحمن بن أبى بكرة فاشتراها عربى التمار مولى أمة اللّه بنت أبى بكرة، نهر أبى سبرة الهذلى، قطيعة حريانان قطيعة حرب بن عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاصى، قطيعة الحباب للحباب بن يزيد المجاشعى، نهر

جعفر كان لجعفر مولى سلم ابن زياد، و كان خراجيا، بثق شيرين نسب إلى شيرين امرأة كسرى ابن هرمز.

و قال القحذمى و المدائنى: كانت مهلبان التى تعرف فى الديوان بقطيعة عمر بن هبيرة لعمر بن هبيرة أقطعه إياها يزيد بن عبد الملك حين قبض مال يزيد بن المهلب و أخوته و ولده و كانت للمغيرة بن المهلب و فيها نهر كان زاذان فروخ حفره فعرف به و هى اليوم لآل سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب رفع إلى أبى العباس أمير المؤمنين فيها فأقطعه إياها فخاصمه آل المهلب فى أمرها فقال: كانت المغيرة فقالوا: نحن نجيز ذلك مات المغيرة بن المهلب قبل

فتوح البلدان، ص: ۳۵۷

أبيه فورثت ابنته النصف فلك ميراثك من أمك و رجع الباقى إلى أبيه فهو بين الورثة. قال: و للمغيرة ابن. قالوا: و مالك و لابن المغيرة؟ أنت لا ترثه! إنما هو خالك فلم يعطهم شيئا و هى ألف و خمسمائة جريب.

كوسجان نسب إلى عبد اللّه بن عمرو الثقفى الكوسج. و قال المدائنى:

كانت كوسجان لأبى بكرة فخاصمه أخوه نافع فخرجا إليها و كل واحد منهما يدعيها و خرج إليها عبد اللّه بن عمرو الكوسج فقال لهما: أراكما تختصمان فحكمانى فحكماه. فقال: قد حكمت بها لنفسى فسلماها له. قال: و يقال أنه لم يكن للوسج شرب فقال لأبى بكرة و نافع: اجعلا لى شربا بقدر وثبة فأجاباه إلى ذلك فيقال أنه وثب ثلاثين ذراعا.

قالوا: و بالفرات أرضون أسلم أهلها عليها حين دخلها المسلمون و أرضون خرجت من أيدى أهلها إلى قوم مسلمين بهبات و غير ذلك من أسباب الملك فصيرت عشرية و كانت خراجية فردها الحجاج إلى الخراج. ثم ردها عمر بن عبد العزيز إلى الصدقة. ثم ردها عمر بن هبيرة إلى الخراج. فلما ولى هشام بن عبد الملك رد بعضها إلى الصدقة. ثم أن المهدى أمير المؤمنين جعلها كلها من أراضى الصدقة. و قال جعفر: إن كان لأم جعفر بنت مجزاة بن ثور السدوسى امرأة أسلم صاحب أسلمان.

قال القحذمى: حدثنى أرقم بن ابراهيم أنه نظر إلى حسان النبطى يشير من الجسر، و معه عبد الأعلى بن عبد اللّه بحوز كل شىء من حد نهر الفيض لولد هشام بن عبد الملك، فلما بلغ دار عبد الأعلى رفع الذرع. فلما كانت الدولة المباركة قبض ذلك أجمع فوقف أبو جعفر الجبان فيما وقف على أهل المدينة و أقطع المهدى العباسة ابنته امرأة محمد بن سليمان الشرقى عبادان قطيعة لحمران بن أبان مولى عثمان من عبد الملك بن مروان و بعضها فيما يقال من زياد

فتوح البلدان، ص: ۳۵۸

و كان حمران من سبى عين التمر يدعى أنه من التمر بن قاسط فقال الحجاج ذات يوم و عنده عباد بن حصين الحبطى: ما يقول حمران لئن انتمى إلى العرب و لم يقل أن أباه أبى و أنه مولى لعثمان لأضربن عنقه، فخوج عباد من عند الحجاج مبادرا فأخبر حمران بقوله، فوهب له غربى النهر و حبس الشرقى فنسب إلى عباد بن الحصين، و قال: هشام بن الكلبى: كان أول من رابط بعبادان عباد بن الحصين، قال: و كان الربيع بن صبح الفقيه و هو مولى بنى سعد جمع مالاـ من أهل البصرة فحصن به عبادان و رابط فيها، و الربيع يروى عن الحسن البصرى، و كان خرج غازيا إلى الهند فى البحر فمات فدفن فى جزيرة من الجزائر فى سنة ستين و مائة.

قال القحذمى: خالدان القصر، و خالدان هبساء كانا لخالد بن عبد اللّه بن خالد بن أسيد، و خالدان ليزيد بن طلحة الحنفى و يكنى أبا خالد، قال: و نهر عدى كان خورا من نهر البصرة حتى فتقه عدى بن أرطاة الفزارى عامل عمر ابن عبد العزيز من بثق شيرين، قال: و كان سليمان أقطع يزيد بن المهلب ما اعتمل من البطيحة فاعتمل الشرقى و الجبان و الخست و الريحية و مغيرتان و غيرها فصارت حوزا فقبضها يزيد بن عبد الملك ثم أقطعها هشام ولده ثم حيزت بعده.

قال القحذمى: و كان الحجاج أقطع خيرة بنت ضمرة القشيرية امرأة المهلب عباسان فقبضها يزيد بن عبد الملك فأقطعها العباس بن الوليد بن عبد الملك، ثم قبضت فأقطعها أبو العباس أمير المؤمنين سليمان بن على، قال:

و كانت القاسمية مما نضب عنه الماء فافتعل القاسم بن سليمان مولى زياد كتابا ادعى أنه من يزيد بن معاوية باقطاعه إياها، الخالية

لخالد بن صفوان بن الأهتم كانت للقاسم بن سليمان المالكية لمالك بن المنذر بن الجارود، الحاتمية لحاتم بن قبيصة بن المهلب.

فتوح البلدان، ص: ۳۵۹

حدثني جماعة من أهل البصرة. قالوا: كتب عدى بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز و أمر أهل البصرة أن يكتبوا فى حفر نهر لهم فكتب إليه وكيع ابن أبى سود التميمى. أنك إن لم تحفر لنا نهرا فما البصرة لنا بدار، و يقال:

أن عديا التمس فى ذلك الإضرار ببهز بن يزيد بن المهلب فنفعه. قالوا فكتب عمر يأذن له فى حفر نهر فحفر نهر عدى و خرج الناس ينظرون إليه فحمل عدى الحسن البصرى على حمار كان عليه و جعل يمشى.

قالوا: و لما قدم عبد اللّه بن عمر بن عبد العزيز عاملا على العراق من قبل يزيد بن الوليد أتاه أهل البصرة فشكوا إليه ملوحة مائهم. و حملوا إليه قارورتين فى أحدهما ماء البصرة و فى الأخرى ماء من ماء البطيحة فرأى بينهما فصلا فقالوا: أنك إن حفرت لنا نهرا شربنا من هذا العذب. فكتب بذلك إلى يزيد فكتب إليه يزيد أن بلغت نفقة هذا النهر خراج العراق ما كان فى أيدينا فأنفقه عليه. فحفر النهر الذى يعرف بنهر عمرو. قال رجل ذات يوم فى مجلس بن عمرو اللّه أنى أحسب نفقة هذا النهر تبلغ ثلاثمائة ألف أو أكثر فقال ابن عمر. لو بلغت خراج العراق لأنفقته عليه.

قالوا. و كانت الولاة و الأشراف بالبصرة يستعذبون الماء من دجلة و يحتفرون الصهاريج. و كان للحجاج بها صهريج معروف يجتمع فيه ماء المطر و كان لابن عامر و زياد و ابن زياد صهاريج يبيحونها الناس.

قالوا: و بنى المنصور رحمه اللّه بالبصرة فى دخلته الأولى قصره الذى عند الحبس الأكبر و ذلك فى سنة اثنتين و أربعين و مائة و بنى فى رحلته الثانية المصلى بالبصرة و قال القحذمى: الحبس الأكبر إسلامى، قالوا: و وقف محمد بن سليمان بن على ضيعة له على أحواض اتخذها بالبصرة فغلتها تنفق على دواليبها و إبلها و مصلحتها.

فتوح البلدان، ص: ۳۶۰

و حدثنى روح بن عبد المؤمن عن عمه أبى هشام عن أبيه، قال: وفد أهل البصرة على ابن عمر بن عبد العزيز بواسط فسألوه حفر نهر لهم فحفر لهم نهر ابن عمر، و كان الماء الذى يأتى نزرا قليلا، و كان عظم ماء البطيحة يذهب فى نهر الدير، فكان الناس يستعذبون من الابلة حتى قدم سليمان بن على البصرة و اتخذ المغيثة و عمل مسنياتها على البطيحة فحجز الماء عن نهر الدبر و صرفه إلى نهر ابن عمرو أنفق على المغيثة ألف ألف درهم، فقال: شكا أهل البصرة إلى سليمان ملوحة الماء و كثره ما يأتيهم من ماء البحر فسكر القندل فعذب ماؤهم قال: و اشترى سليمان بن على موضع السجن من ماله فى دار ابن زياد فجعله سجنا و حفر الحوض الذى فى الدهناء و هى رحبة بنى هاشم.

و حدثنى بعض أهل العلم بضياع البصرة، قال: كان أهل الشعيبية من الفرات جعلوها لعلى بن أمير المؤمنين الرشيد فى خلافة الرشيد على أن يكونوا مزارعين له فيها و يخفف مقاسمتهم فتكلم فيها فجعلت عشرية من الصدقة و قاسم أهلها على ما رضوا به و قام له بأمرها شعيب بن زياد الواسطى الذى لبعض ولده دار بواسط على دجلة فنسبت إليه.

و حدثنى عدة من البصريين منهم روح بن عبد المؤمن، قالوا لما اتخذ سليمان بن على المغيثة أحب المنصور أن يستخرج ضيعة من البطيحة فأمر باتخاذ السبيطة فكره سليمان بن على و أهل البصرة ذلك، و اجتمع أهل البصرة إلى باب عبد اللّه بن على و هو يومئذ عند أخيه سليمان هاربا من المنصور فصاحوا يا أمير المؤمنين انزل إلينا نبايعك، فكفهم سليمان و فرقهم و أوفد إلى المنصور سوار بن عبد اللّه التميمى ثم العنزى و داود بن أبى هند مولى بنى بشير و سعيد بن أبى عروبة و اسم أبى عروبة بهران فقدموا عليه و معهم صورة البطيحة فأخبروه أنهم يتخوفون أن يملح ماءهم، فقال: ما أراه

فتوح البلدان، ص: ۳۶۱

كما ظننتم و أمر بالإمساك، ثم أنه قدم البصرة فأمر باستخراج السبيطة فاستخرجت له فكانت منها أجمة لرجل من الدهاقين يقال له

سبيط، فحبس عنه الوكيل الذى قلد القيام بأمر الضيعة و استخراجها بعض ثمنها و ضربه فلم يزل على باب المنصور يطالب بما بقى له من ثمن أجمعته و يختلف فى ذلك إلى ديوانه حتى مات فنسبت الضيعة إليه بسبب أجمته فقيل السبيطية.

و قالوا قنطرة قرة بالبصرة نسبت إلى قرة بن حيان الباهلى، و كان عندها نهر قديم ثم اشترته أم عبد اللّه بن عامر فتصدقت به مغيضا لأهل البصرة و ابتاع عبد اللّه بن عامر السوق فتصدق به، قالوا و مر عبيد اللّه بن زياد يوم نعى يزيد بن معاوية على نهر أم عبد اللّه فإذا هو بنخل فأمر به فعقر، و هدم حمام حمران بن أبان و موضعه اليوم يعمل فيه الرباب.

قالوا: و مسجد الحامرة نسب إلى قوم قدموا اليمامة عجم من عمان ثم صاروا منها إلى البصرة على حمير فأقاموا بحضرة هذا المسجد، و قال بعضهم بنوه ثم جدد بعد.

و حدثنى على الأثرم عن أبى عبيدة عن أبى عمرو بن العلاء، قال: كان قيس بن مسعود الشيبانى على الطف من قبل كسرى فهو اتخذ المنجشانية على ستة أميال من البصرة و جرت على يد عضروط يقال له منجشان فنسبت إليه، قال: و فوق ذلك روضة الخيل كانت مهارته ترعى فيها.

و قال ابن الكلبى: نسب الماء الذى يعرف بالحوأب إلى الحوأب بنت كلب بن وبرة، و كانت عند مر بن أد بن طابخة، و نسب حمى ضرية إلى ضرية بنت ربيعة بن نزار و هى أم حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، قالوا نسب حلوان إلى حلوان هذا

.

فتوح البلدان، ص: ۳۶۲

أمر الأساورة و الزط

حدثنى جماعة من أهل العلم، قالوا: كان سياه الأسوارى على مقدمة يزدجرد، ثم أنه بعث به إلى الأهواز فنزل الكلبانية و أبو موسى الأشعرى محاصر السوس، فلما رأى ظهور الإسلام و عز أهله و أن السوس قد فتحت و الأمداد متتابعة إلى أبى موسى أرسل إليه: إنا قد أحببنا الدخول معكم فى دينكم على أن نقاتل عدوكم من العجم معكم و على أنه إن وقع بينكم اختلاف لم نقاتل بعضكم مع بعض، و على أنه ان قاتلنا العرب منعتمونا منهم و أعنتمونا عليهم، و على أن ننزل بحيث شئنا من البلدان و نكون فيمن شئنا منكم، و على أن نلحق بشرف العطاء و يعقد لنا بذلك الأمير الذى بعثكم، فقال أبو موسى بل لكم ما لنا و عليكم ما علينا، قالوا لا نرضى، فكتب أبو موسى بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر، أن أعطهم جميع ما سألوا، فخرجوا حتى لحقوا بالمسلمين و شهدوا مع أبى موسى حصار تستر فلم يظهر منهم نكاية، فقال لسياه يا عون ما أنت و أصحابك كما كنا نظن، فقال له أخبرك أنه ليست بصائرنا كبصائركم و لا لنا فيكم حرم نخاف عليها و نقاتل، و إنما دخلنا فى هذا الدين فى بدء أمرنا تعوذا و ان كان اللّه قد رزق خيرا كثيرا، ثم فرض لهم فى شرف العطاء، فلما صاروا إلى البصرة سألوا أى الأحياء أقرب نسبا إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فقيل: بنو تميم و كانوا على أن يحالفوا الأزد فتركوهم و حالفوا بنى تميم، ثم خطت لهم خططهم فنزلوا و حفروا نهرهم و هو يعرف بنهر الأساورة، و يقال أن عبد اللّه بن عامر حفره.

و قال أبو الحسن المدائنى: أراد شيرويه الأسوارى أن ينزل فى بكر بن وائل مع خالد بن معمر و بنى سدوس فأبى سياه ذلك فنزلوا فى بنى تميم و لم

فتوح البلدان، ص: ۳۶۳

يكن يومئذ الأزد بالبصرة و لا عبد شمس، قال فانضم إلى الأساورة السيابجة و كانوا قبل الإسلام بالسواحل و كذلك الزط و كانوا بالطفوف يتتبعون الكلأ فلما اجتمعت الأساورة و الزط و السيابجة تنازعتهم بنو تميم فرغبوا فيهم فصارت الأساورة فى بنى سعد و الزط و السيابجة فى بنى حنظلة فأقاموا معهم يقاتلون المشركين و خرجوا مع ابن عامر إلى خراسان و لم يشهدوا معهم الجمل و صفين و لا

شيئا من حروبهم حتى كان يوم مسعود، ثم شهدوا بعد يوم مسعود الربذة، و شهدوا أمر ابن الأشعث معه فأضربهم الحجاج فهدم دورهم و حط أعطياتهم و أجلى بعضهم، و قال: كان فى شرطكم أن لا تعينوا بعضنا على بعض.

و قد روى: أن الأساورة لما انحازوا إلى الكلبانية وجه أبو موسى إليهم الزبير بن زياد الحارثى فقاتلهم، ثم أنهم استأمنوا على أن يسلموا و يحاربوا العدو و يحالفوا من شاءوا و ينزلوا بحيث أحبوا، قالوا: و انحاز إلى هؤلاء الأساورة قوم من مقاتلة الفرس ممن لا أرض له فلحقوا بهم بعد أن وضعت الحرب أوزارها فى النواحى فصاروا معهم و دخلوا فى الإسلام.

و قال المدائنى: لما توجه يزدجرد إلى أصبهان دعا سياه فوجه إلى إصطخر فى ثلاثمائة فيهم سبعون رجلا من عظمائهم و أمره أن ينتخب من أحب من أهل كل بلد و مقاتلته، ثم اتبعه يزدجرد، فلما صار بإصطخر وجهه إلى السوس و أبو موسى محاصر لها، و وجهه الهرمزان إلى تستر فنزل سياه الكلبانية، و بلغ أهل السوس أمر يزدجرد و هربه فسألوا أبا موسى الصلح فصالحهم فلم يزل سياه مقيما بالكلبانية حتى سار أبو موسى إلى تستر فتحول سياه فنزل بين رامهرمز و تستر حتى قدم عمار فجمع سياه الرؤساء الذين خرجوا معه من أصبهان، فقال: قد علمتم بما كنا نتحدث به من أن

فتوح البلدان، ص: ۳۶۴

هؤلاء القوم سيغلبون على هذه المملكة و يروا دوابهم فى إيوان إصطخر و أمرهم فى الظهور على ما ترون فانظروا لأنفسكم و ادخلوا فى دينهم فأجابوه إلى ذلك فوجه شيرويه فى عشرة إلى أبى موسى فأخذوا ميثاقا على ما وصفنا من الشرط و أسلموا.

و حدثنى غير المدائنى عن عوانة، قال: حالفت الأساورة الأزد ثم سألوا عن أقرب الحيين من الأزد و بنى تميم نسبا إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم و الخلفاء و أقربهم مددا فقيل بنو تميم فحالفوهم و سيد بنى تميم يومئذ الأحنف بن قيس و قد شهد وقعة الربذة أيام ابن الزبير جماعة من الأساورة فقتلوا خلقا بعدتهم من النشاب و لم يخطئ لأحد منهم رمية، و أما السيابجة و الزط و الاندغار فإنهم كانوا فى جند الفرس ممن سبوه و فرضوا له من أهل السند و من كان سبيا من أولى الغزاة، فلما سمعوا بما كان من أمر الأساورة أسلموا و أتوا أبا موسى فأنزلهم البصرة كما أنزل الأساورة.

و حدثنى روح بن عبد المؤمن، قال حدثنى يعقوب بن الحضرمى عن سلام، قال: أتى الحجاج بخلق من زط السند و أصناف ممن بها من الأمم معهم أهلوهم و أولادهم و جواميسهم فأسكنهم بأسافل كسكر، قال روح: فغلبوا على البطيحة و تناسلوا بها، ثم أنه ضوى إليهم قوم من أباق العبيد و موالى باهله و خولة محمد بن سليمان بن على و غيرهم، فشجعوهم على قطع الطريق و مبارزة السلطان بالمعصية، و إنما كانت غايتهم قبل ذلك أن يسألوا الشيء الطفيف و يصيبوا غرة من أهل السفينة فيتناولوا منها ما أمكنهم اختلاسه، و كان الناس فى بعض أيام المأمون قد تحاموا الاجتياز بهم و انقطع عن بغداد جميع ما كان يحمل إليها من البصرة فى السفن فلما استخلف المعتصم باللّه تجرد لهم، و ولى محاربتهم رجلا من أهل خراسان يقال له عجيف بن عنبثة، و ضم إليه من

فتوح البلدان، ص: ۳۶۵

القواد و الجند خلقا و لم يمنعه شيئا طلبه من الأموال، فرتب بين البطائح و مدينة السلام خيلا مضمرة ملهوبة الأذناب، و كانت أخبار الزط تأتيه بمدينة السلام فى ساعات من النهار أو أول الليل و أمر عجيفا فسكر عنهم الماء بالمؤن العظام حتى أخذوا فلم يشذ منهم أحد و قدم بهم إلى مدينة السلام فى الزواريق فجعل بعضهم بخانقين و فرق سائرهم فى عين زربة و الثغور.

قالوا: و كانت جماعة السيابجة موكلين ببيت مال البصرة، يقال أنهم أربعون، و يقال أربعمائة، فلما قدم طلحة بن عبيد اللّه و الزبير بن العوام البصرة و عليها من قبل على بن أبى طالب عثمان بن حنيف الأنصارى أبوا أن يسلموا بيت المال إلى قدوم على رضى اللّه عنه فأتوهم فى السحر فقتلوهم و كان عبد اللّه بن الزبير المتولى لأمرهم فى جماعة تسرعوا إليهم معه، و كان على السيابجة يومئذ أبو سالمة الزطى، و كان رجلا صالحا، و قد كان معاوية نقل من الزط و السيابجة القدماء إلى سواحل الشام و انطاكية بشرا، و قد كان الوليد بن عبد الملك نقل قوما من الزط إلى انطاكية و ناحيتها.

قالوا: و كان عبيد اللّه بن زياد سبى خلقا من أهل بخارى و يقال بل نزلوا على حكمه، و يقال بل دعاهم إلى الأمان و الفريضة فنزلوا على ذلك و رغبوا فيه فأسكنهم البصرة، فلما بنى الحجاج مدينة واسط نقل كثيرا منهم إليها فمن نسلهم اليوم بها قوم منهم خالد الشاطر المعروف بابن مارقلى، قال و لاندغار من ناحية كرمان مما يلى سجستان

.

فتوح البلدان، ص: ۳۶۶

فتح كور الأهواز

قالوا: غزا المغيرة بن شعبة سوق الأهواز فى ولايته حين شخص عتبة بن غزوان من البصرة فى آخر سنة خمس عشرة و أول سنة ست عشرة فقاتله البيرواز دهقانها ثم صالحه على مال ثم أنه نكث، فغزاها أبو موسى الأشعرى حين ولاه عمر بن الخطاب البصرة بعد المغيرة، فافتتح سوق الأهواز عنوة و فتح نهرتيرى عنوة، و ولى ذلك بنفسه فى سنة سبع عشرة.

و قال أبو مخنف و الواقدى فى روايتهما: قدم أبو موسى البصرة فاستكتب زيادا، و اتبعه عمر بن الخطاب بعمران بن الحصين الخزاعى و صيره على تعليم الناس الفقه و القرآن، و خلافة أبى موسى إذا شخص عن البصرة، فسار أبو موسى إلى الأهواز، فلم يزل يفتح رستاقا رستاقا و نهرا نهرا، و الأعاجم تهرب من بين يديه فغلب على جمع أرضها إلا السوس، و تستر و مناذر، و رامهرمز.

و حدثنى الوليد بن صالح، قال: حدثنى مرحوم العطار عن أبيه عن شويس العدوى، قال: أتينا الأهواز و بها ناس من الزط و الأساورة فقاتلناهم قتالا شديدا فظفرنا بهم فأصبنا سبيا كثيرا اقتسمناهم، فكتب إلينا عمر أنه لا طاقة لكم بعمارة الأرض فخلوا ما فى أيديكم من السبى و اجعلوا عليهم الخراج فرددنا السبى و لم نملكهم.

قالوا: و سار أبو موسى إلى مناذر، فحاصر أهلها فاشتد قتالهم فكان المهاجر بن زياد الحارثى أخو الربيع بن زياد بن الديان فى الجيش فأراد أن يشرى نفسه و كان صائما، فقال الربيع لأبى موسى: أن المهاجر عزم على أن يشرى نفسه و هو صائم، فقال أبو موسى: عزمت على كل صائم أن يفطر

فتوح البلدان، ص: ۳۶۷

أولا يخرج إلى القتال، فشرب المهاجر شربة ماء، و قال: قد أبررت عزمة أميرى و اللّه ما شربتها من عطش، ثم راح فى السلاح فقاتل حتى استشهد أخذ أهل مناذر رأسه و نصبوه على قصرهم بين شرفتين، و له يقول القائل:

و فى مناذر لما جاش جمعهمراح المهاجر فى حل بأجمال

و البيت بيت بنى الديان نعرفهفى آل مذحج مثل الجوهر الغالى

و استخلف أبو موسى الأشعرى الربيع بن زياد على مناذر و سار إلى السوس، ففتح الربيع مناذر عنوة، فقتل المقاتلة، و سبى الذرية و صارت مناذر الكبرى و الصغرى فى أيدى المسلمين، فولاهما أبو موسى عاصم بن قيس بن الصلت السلمى، و ولى سوق الأهواز سمرة بن جندب الفزارى حليف الأنصار و قال قوم: أن عمر كتب إلى أبى موسى و هو محاصر مناذر يأمره أن يخلف عليها و يسير إلى السوس فخلف الربيع بن زياد.

حدثنى سعدويه، قال: حدثنا شريك عن أبى إسحاق عن المهلب بن أبى صفرة، قال حاصرنا مناذر فأصبنا سبيا، فكتب عمر: أن مناذر كقرية من القرى السواد فردوا عليهم ما أصبتم.

قالوا. و سار أبو موسى إلى السوس فقاتل أهلها ثم حاصرهم حتى نفد ما عندهم من الطعام فضرعوا إلى الأمان، و سأل مرزبانهم أن يؤمن ثمانون منهم على أن يفتح باب المدينة و يسلمها فسمى الثمانين و أخرج نفسه منهم فأمر به أبو موسى فضربت عنقه و لم يعرض للثمانين، و قتل من سواهم من المقاتلة و أخذ الأموال و سبى الذرية، و رأى أبو موسى فى قلعتهم بيتا و عليه ستر فسأل عنه فقيل أن فيه

جثة دانیال النبی علیه السلام و علی أنبیاء اللّه و رسله، فأنهم کانوا أقحطوا فسألوا أهل بابل دفعه إلیهم لیستسقوا به ففعلوا، و کان بختنصر سبی دانیال و أتی به بابل فقبض بها، فکتب أبو موسی بذلک إلی عمر

فتوح البلدان، ص: ۳۶۸

فکتب إلیه عمر أن کفنه و أدفنه فسکر أبو موسی نهرا حق إذا انقطع دفنه ثم أجری الماء علیه.

حدثنی أبو عبید القاسم بن سلام، قال: حدثنا مروان بن معاویة عن حمید الطویل عن حبیب عن خالد بن زید المزنی، و کانت عینه أصیبت بالسوس قال: حاصرنا مدینتها، و أمیرنا أبو موسی فلقینا جهدا ثم صالحه دهقانها علی أن یفتح له المدینة و یؤمن له مائة من أهله ففعل، و أخذ عهد أبی موسی، فقال له: أعزلهم فجعل یعزلهم و أبو موسی یقول لأصحابه:

إنی لأرجو أن یغلبه اللّه علی نفسه فعزل المائة و بقی عدو اللّه، فأمر به أبو موسی أن یقتل فنادی: رویدک أعطیک مالا کثیرا فأبی و ضرب عنقه.

قالوا: و هادن أبو موسی أهل رامهرمز، ثم انقضت هدنتهم فوجه إلیهم أبا مریم الحنفی فصالحهم علی ثمانمائة ألف درهم.

حدثنی روح بن عبد المؤمن، قال: حدثنی یعقوب عن أبی عاصم الرامهرمزی، و کان قد بلغ المائة أو قاربها، قال: صالح أبو موسی أهل رامهرمز علی ثمانمائة ألف أو تسعمائة ألف، ثم أنهم غدروا ففتحت بعد عنوة ففتحها أبو موسی فی آخر أیامه.

قالوا: و فتح أبو موسی سرق علی مثل صلح رامهرمز، ثم أنهم غدروا فوجه إلیها حارثة بن بدر الغدانی فی جیش کثیف فلم یفتحها، فلما قدم عبد اللّه بن عامر فتحها عنوة، و قد کان حارثة ولی سرق بعد ذلک، و فیه یقول أبو الأسود الدؤلی:

أحار بن بدر قد ولیت أمارةفکن جرزا فیها تخون و تسرق

فإن جمیع الناس: اما مکذبیقول بما تهوی: و اما مصدق

یقولون أقوالا بظن و شبهةفإن قیل هاتوا حققوا لم یحققوا

و لا تعجزن فالعجز أسوء عادةفحظک من مال العراقین سرق

فتوح البلدان، ص: ۳۶۹

فلما بلغ الشعر حارثة قال:

جزاک اله الناس خیر جزائهفقد قلت معروفا و أوصیت کافیا

أمرت بحزم لو أمرت بغیرهلألفیتنی فیه لأمرک عاصیا

قالوا: و سار أبو موسی إلی تستر و بها شوکة العدو وحدهم، فکتب إلی عمر یستمده، فکتب عمر إلی عمار بن یاسر یأمره بالمسیر إلیه فی أهل الکوفة فقدم عمار جریر بن عبد اللّه البجلی، و سار حتی تستر، و علی میمنته یعنی میمنة أبی موسی البراء بن مالک أخو أنس بن مالک، و علی میسرته مجزاة بن ثور السدوسی، و علی الخیل أنس بن مالک، و علی میمنة عمار البراء بن عازب الأنصاری، و علی میسرته حذیفة بن الیمان العبسی، و علی خیله قرظة بن کعب الأنصاری، و علی رجالته النعمان بن مقرن المزنی، فقاتلهم أهل تستر قتالا شدیدا، و حمل أهل البصرة و أهل الکوفة حتی بلغوا ناب تستر فضاربهم البراء بن مالک علی الباب حتی استشهد رحمه اللّه و دخل الهرمزان و أصحابه المدینة بشر حال، و قد قتل منهم فی المعرکة تسعمائة و أسر ستمائة ضربت أعناقهم بعد و کان الهرمزان من أهل مهرجا نقذف، و قد حضر وقعة جلولاء مع الأعاجم، ثم أن رجلا من الأعاجم استأمن إلی المسلمین علی أن یدلهم علی عورة المشرکین فأسلم و اشترط أن یفرض لولده و یفرض له، فعاقده أبو موسی علی ذلک، و وجه رجلا من شیبان یقال له أشرس بن عوف فخاض به دجیل علی عرق من حجارة ثم علا به المدینة و أراه الهرمزان، ثم رده إلی العسکر، فندب أبو موسی أربعین رجلا مع مجزاة بن ثور و أتبعهم مائتی رجل و ذلک فی اللیل و المستأمن یقدمهم فأدخلهم المدینة، فقتلوا الحرس و کبروا علی سور المدینة فلما سمع ذلک الهرمزان هرب إلی قلعته و کانت موضع خزانته و أمواله، و عبر أبو موسی حین أصبح حتی دخل

المدينة فاحتوى عليها، و قال الهرمزان

فتوح البلدان، ص: ۳۷۰

ما دل العرب على عورتنا إلا بعض من معنا ممن رأى إقبال أمرهم و أدبار أمرنا، و جعل الرجل من الأعاجم يقتل أهله و ولده و يلقيهم فى دجيل خوفا من أن يظفر بهم العرب، و طلب الهرمزان الأمان و أبى أبو موسى أن يعطيه ذلك إلا على حكم عمر فنزل على ذلك، و قتل أبو موسى من كان فى القلعة ممن لا أمان له و حمل الهرمزان إلى عمر فاستحياه و فرض له، ثم أنه اتهم بممالأة أبى لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة على قتل عمر رضى اللّه عنه فقال عبيد اللّه بن عمر أمض بنا ننظر إلى فرس لى فمضى و عبيد اللّه خلفه فضربه بالسيف و هو غافل فقتله.

حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنا مروان بن معاوية عن حميد عن أنس، قال حاصرنا تستر فنزل الهرمزان فكنت الذى أتيت به إلى عمر بعث بى أبو موسى فقال له عمر: تكلم فقال: أ كلام حى أم كلام ميت، فقال: تكلم لا بأس فقال الهرمزان: كنا معشر العجم ما خلى اللّه بيننا و بينكم نقضيكم و نقلتكم فلما كان اللّه معكم لم يكن لنا بكم يدان، فقال عمر: ما تقول يا أنس، قلت تركت خلفى شوكة شديدة و عدوا كلبا، فإن قتلته بئس القوم من الحياة فكان أشد لشوكتهم و أن استحييته طمع القوم فى الحياة، فقال عمر: يا أنس سبحان اللّه، قاتل البراء بن مالك، و مجزاة بن ثور السدوسى، قلت: فليس لك إلى قتله سبيل، قال: و لم أعطاك أصبت منه، قلت: و لكنك قلت له لا بأس فقال: متى لتجيئن معك بمن شهد و إلا بدأت بعقوبتك، قال:

فخرجت من عنده فإذا الزبير بن العوام قد حفظ الذى حفظت فشهد لى فخلى سبيل الهرمزان فأسلم و فرض له عمر.

و حدثنى اسحاق بن أبى إسرائيل، قال: حدثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى، قال: كفيتك أن تستر كانت صلحا فكفرت فسار إليها المهاجرون فقتلوا المقاتلة و سبوا الذرارى فلم يزالوا فى أيدى سادتهم حتى كتب عمر خلوا ما فى أيديكم.

فتوح البلدان، ص: ۳۷۱

قال: و سار أبو موسى إلى جنديسابور و أهلها منخوبون فطلبوا الأمان فصالحهم على أن لا يقتل منهم أحدا و لا يسبيه و لا يعرض لأموالهم سوى السلاح ثم أن طائفة من أهلها توجهوا إلى الكلبانية، فوجه إليهم أبو موسى الربيع بن زياد فقتلهم و فتح الكلبانية، و استأمنت الأساوره فأمنهم أبو موسى فأسلموا، و يقال، أنهم استأمنوا قبل ذلك فلحقوا بأبى موسى و شهدوا تستر و اللّه أعلم.

و حدثنى عمر بن حفص العمرى عن أبى حذيفة عن أبى الأشهب عن أبى رجاء، قال: فتح الربيع بن زياد الثيبان من قبل أبى موسى عنوة ثم غدروا ففتحها منجوف بن ثور السدوسى، قال: و كان مما فتح عبد اللّه بن عامر سنبيل و الزط، و كان أهلهما قد كفروا، فاجتمع إليهم أكراد من هذه الأكراد، و فتح أيذج بعد قتال شديد، و فتح أبو موسى السوس و تستر و دورق عنوة، و قال المدائنى: فتح ثات ابن ذى الحرة الحميرى قلعة ذى الرناق.

حدثنى المدائنى عن أشياخه و عمر بن شبة عن مجالد بن يحيى أن مصعب بن الزبير: ولى مطرف بن سيدان الباهلى أحد بنى جآوة شرطته فى بعض أيام ولايته العراق لأخيه عبد اللّه بن الزبير فأتى مطرف بالنابى بن زياد بن ظبيان أحد بنى عائش بن مالك بن تيم اللّه بن ثعلبة بن عكابة و برجل من بنى نمير قطعا الطريق فقتل النابى و ضرب النميرى بالسياط و تركه، فلما عزل مطرف عن الشرطة و ولى الأهواز جمع عبيد اللّه بن زياد بن ظبيان له جمعا و خرج يريده فالتقيا فتواقفا و بينهما نهر فعبر مطرف بن سيدان فعاجله ابن ظبيان فطعنه فقتله فبعث مصعب مكرم بن مطرف فى طلبه، فسار حتى صار إلى الموضع الذى يعرف اليوم بعسكر مكرم فلم يلق بن ظبيان و لحق بن ظبيان بعبد الملك بن مروان و قاتل معه مصعبا فقتله و احتز رأسه، و نسب

فتوح البلدان، ص: ۳۷۲

عسكر مكرم إلى مكرم بن مطرف هذا، قال البعيث السكرى.

سقينا ابن سيدان بكأس رويةكفتنا و خير الأمر ما كان كافيا

و يقال أيضا أن عسكر مكرم إنما نسب إلى مكرم بن الفزر أحد بنى جعونة بن الحارث بن نمير و كان الحجاج وجهه لمحاربة خرزاد بن باس حين عصى و لحق بإيذج و تحصن فى قلعة تعرف به، فلما طال عليه الحصار نزل مستخفيا متنكرا ليلحق بعبد الملك، فظفر به مكرم و معه درتان فى قلنسوته فأخذه و بعث به إلى الحجاج فضرب عنقه.

و ذكروا: أنه كانت عند عسكر مكرم قرية قديمة وصل بها البناء بعد، ثم لم يزل يزاد فيه حتى كثر فسمى ذلك أجمع عسكر مكرم و هو اليوم مصر جامع.

و حدثنى أبو مسعود عن عوانة، قال ولى عبد اللّه بن الزبير البصرة حمزة ابن عبد اللّه بن الزبير فخرج إلى الأهواز، فلما رأى جبلها قال: كأنه قيقعان، و قال الثورى الأهواز سمى بالفارسية هو زمسير، و إنما سميت الأخواز فغيرها الناس، فقالوا: الأهواز، و أنشد الأعرابى:

لا ترجعنى إلى الأخواز ثانيةو قعقعان الذى فى جانب السوق

و نهر بط الذى أمسى يؤرقنىفيه البعوض بلسب غير تشفيق

فما الذى وعدته نفسه طمعامن الحصينى أو عمرو بمصدوق

و قال نهر البط نهر كانت عنده مراع للبط فقالت العامة: نهر بط كما قالوا: دار بطيخ، و سمعت من يقول: أن النهر كان لامرأة تسمى البطئة فنسب إليها ثم حذف.

حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن محمد بن اللّه عن الزهرى، قال:

افتتح عمر السواد و الأهواز عنوة فسئل عمر قسمة ذلك، فقال: فما لمن جاء من المسلمين بعدنا فأقرهم على منزلة أهل الذمة.

فتوح البلدان، ص: ٣٧٣

و حدثنى المدائنى عن على بن حماد و سحيم بن حفص و غيرهما، قالوا قال أبو المختار يزيد بن قيس بن يزيد بن الصعق كلمة رفع فيها على عمال الأهواز و غيرهم إلى عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه.

أبلغ أمير المؤمنين رسالةفأنت أمين اللّه فى النهى و الأمر

و أنت أمين اللّه فينا، و من يكن أمينا لرب العرش يسلم له صدرى

فلا تدعن أهل الرساتيق و القرىيسيغون مال اللّه فى الآدم الوفر

فأرسل إلى الحجاج فاعرف حسابهو أرسل إلى جزء و أرسل إلى بشر

و لا تنسين النافعين كليهماو لا ابن غلاب من سراة بنى نصر

و ما عاصم منها بصفر عيابهو ذاك الذى فى السوق مولى بنى بدر

و أرسل إلى النعمان و اعرف حسابهو صهر بنى غزوان أنى لذو خبر

و شبلا فسله المال و ابن محرشفقد كان فى أهل الرساتيق ذا ذكر

فقاسمهم أهلى فداؤك أنهمسيرضون إن قاسمتهم منك بالشطر

و لا تدعونى للشهادة: أننىأغيب و لكنى أرى عجب الدهر

نؤوب إذا آبوا و نغزوا إذا غزوافإنى لهم وفر: و لسنا أولى وفر

إذا التاجر الدارى جاء بفارةمن المسك راحت فى مفارقهم تجرى

فقاسم عمر هؤلاء الذين ذكرهم أبو المختار شطر أموالهم حتى أخذ نعلا و ترك نعلا، و كان فيهم أبو بكرة، فقال: أنى لم آل لك شيئا، فقال له: أخوك على بيت المال و عشور الابلة و هو يعطيك المال تتجر به فأخذ منه عشرة آلاف، و يقال: قاسمه شطر ماله، و قال الحجاج الذى ذكره الحجاج بن عتيك الثقفى و كان على الفرات و جزء بن معاوية عم الأحنف كان على سرق، و بشر ابن المحتفز كان على جنديسابور، و النافعان نفيع أبو بكرة و نافع بن الحرث ابن كلدة أخوه، و ابن غلاب خالد بن الحرث من بنى دهمان

کان علی بیت

فتوح البلدان، ص: ۳۷۴

المال بأصبهان و عاصم بن قیس بن الصلت السلمی کان علی مناذر و الذی فی السوق سمرة بن جندب علی سوق الأهواز، و النعمان بن عدی بن نضلة بن عبد العزی بن حرثان أحد بنی عدی بن کعب بن لؤی کان علی کور دجلة، و هو الذی یقول:

من مبلغ الحسناء أن خلیلهابمیسان یسقی فی زجاج و حنتم

إذا شئت غنتنی دهاقین قریةو صناجة تجذو علی کل منسم

لعل أمیر المؤمنین یسوءهتنادمنا بالجوسق المنهدم

فلم بلغ عمر شعره، قال: إی و اللّه إنه لیسوءنی ذلک و عزله، و صهر بنی غزوان مجاشع بن مسعود السلمی کانت عنده بنت عتبة بن غزوان و کان علی أرض البصرة و صدقاتها، و شبل بن معبد البجلی ثم الأحمسی کان علی قبض المغانم، و ابن محرش أبو مریم الحنفی کان علی رام هرمز، قال عوسجة ابن زیاد الکاتب أقطع الرشید أمیر المؤمنین عبید اللّه بن المهدی مزارعة الأهواز فدخل فیها شبهة فرفع فی ذلک قوم إلی المأمون فأمر بالنظر فیها و الوقوف علیها، فما لم تکن فیه شبهه أنفذ و ما شک فیه سمی المشکوک فیه و ذلک معروف بالأهواز.

فتح کور فارس و کرمان

قالوا: کان العلاء بن الحضرمی و هو عامل عمر بن الخطاب علی البحرین وجه هرثمة بن عرفجة البارقی من الأزد، ففتح جزیرة فی البحر مما یلی فارس، ثم کتب عمر إلی العلاء أن یمد به عتبة بن فرقد السلمی ففعل، ثم لما ولی عمر عثمان بن أبی العاصی الثقفی البحرین و عمان فدوخهما و اتسقت له طاعة أهلهما وجه أخاه الحکم بن أبی العاصی فی البحر إلی فارس فی جیش عظیم من عبد القیس و الأزد و تمیم و بنی ناجیة و غیرهم، ففتح جزیرة أبر کاوان، ثم صار إلی

فتوح البلدان، ص: ۳۷۵

توج و هی من أرض أردشیر خره، و معنی أردشیر خره بهاء أردشیر، و فی روایة أبی مخنف: أن عثمان بن أبی العاصی نفسه قطع البحر إلی فارس فنزل توج ففتحها و بنی بها المساجد و جعلها دارا للمسلمین و أسکنها عبد القیس و غیرهم فکان یغیر منها علی أرجان و هی متاخمة لها، ثم أنه شخص عن فارس إلی عمان و البحرین لکتاب عمر إلیه فی ذلک و استخلف أخاه الحکم، و قال غیر أبی مخنف: أن الحکم فتح توج و أنزلها المسلمین من عبد القیس و غیرهم سنة تسع عشرة، و قالوا: أن شهرک مرزبان فارس و والیها أعظم ما کان من قدوم العرب فارس و اشتد علیه و بلغته نکایتهم و بأسهم و ظهورهم علی کل من لقوه من عدوهم فجمع جمعا عظیما و سار بنفسه حتی أتی راشهر من أرض سابور و هی بقرب توج، فخرج إلیه الحکم بن أبی العاصی و علی مقدمته سوار بن همام العبدی فاقتتلوا قتالا شدیدا و کان هناک واد قد و کل به شهرک رجلا من نقابه فی جماعة و أمره أن لا یجتازه هارب من أصحابه إلا قتله فأقبل رجل من شجعاء الأساورة مولیا من المعرکة، فأراد الرجل قتله، فقال له: لا تقتلنی فإنما نقاتل قوما منصورین: اللّه معهم، و وضع حجرا فرماه ففلقه، ثم قال: أ تری هذا السهم الذی فلق الحجر و اللّه ما کان لیخدش بعضهم لو رمی به، قال: لا بد من قتلک: فبینا هو فی ذلک إذ أتاه الخبر بقتل شهرک و کان الذی قتله سوار ابن همام العبدی حمل علیه فطعنه فأرداه عن فرسه و ضربه بسیفه حتی فاضت نفسه و حمل ابن شهرک علی سوار فقتله، و هزم اللّه المشرکین و فتحت راشهر عنوة، و کان یومها فی صعوبته و عظیم النعمة علی المسلمین فیه کیوم القادسیة و توجه بالفتح إلی عمر بن الخطاب عمرو بن الأهتم التمیمی، فقال:

جئت الإمام باسراع لأخبرهبالحق من خبر العبدی سوار

أخبار أروع میمون نقیبتهمستعمل فی سبیل اللّه مغوار

فتوح البلدان، ص: ۳۷۶

و قال بعض أهل توج: أن توج مصرت بعد مقتل شهرك و اللّه أعلم، قالوا: ثم أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه كتب إلى عثمان بن أبى العاصى فى إتيان فارس فخلف على عمله أخاه المغيرة، و يقال: هو حفص بن أبى العاصى و كان جزلا و قدم توج فنزلها فكان يغزو منها ثم يعود إليها، و كتب عمر إلى أبى موسى و هو بالبصرة يأمره أن يكانف عثمان بن أبى العاصى و يعاونه فكان يغزو فارس من البصرة ثم يعود إليها، و بعث عثمان بن أبى العاصى هرم بن حيان العبدى إلى قلعة يقال لها شبير ففتحها عنوة بعد حصار و قتال. و قال بعضهم: فتح هرم قلعة الستوج عنوة و أتى عثمان جره من سابور ففتحها و أرضها بعد ان قاتله أهلها صلحا على أداء الجزية و الخراج و نصح المسلمين، و فتح عثمان بن أبى العاصى كازرون من سابور و غلب على أرضها، و فتح عثمان النوبندجان من سابور أيضا و غلب عليها و اجتمع أبو موسى و عثمان بن أبى العاصى فى آخر خلافة عمر رضى اللّه عنه ففتحا أرجان صلحا على الجزية و الخراج و فتحا شيراز و هى من أرض أردشير خره على أن يكونوا ذمة يؤدون الخراج إلا من أحب منهم الجلاء و لا يقتلوا و لا يستعبدوا، و فتحا سينيز من أرض أردشير خره و ترك أهلها عمارا للأرض، و فتح عثمان حصن جنابا بأمان، و أتى عثمان بن أبى العاصى درابجرد، و كانت شادر و أن علمهم و دينهم و عليها الهربذ فصالحه الهربذ على مال أعطاه إياه و على أن أهل درابجرد كلهم أسوة من فتحت بلاده من أهل فارس، و اجتمع له جمع بناحية جهرم ففضهم، و فتح أرض جهرم، و أتى عثمان فصالحه عظيمها على مثل صلح درابجرد، و يقال أن الهربذ صالح عليها أيضا، و أتى عثمان بن أبى العاصى مدينة سابور فى سنة ثلاث و عشرين و يقال فى سنة أربع و عشرين قبل أن تأتى أبا موسى ولايته البصرة من قبل عثمان بن عفان فوجد أهلها هائبين للمسلمين و رأى أخو شهرك

فتوح البلدان، ص: ۳۷۷

فى منامه كأن رجلا من العرب دخل عليه فسلبه قميصه فنخب ذلك قلبه فامتنع قليلا ثم طلب الأمان و الصلح، فصالحه عثمان على أن لا يقتل أحدا و لا يسبيه، و على أن تكون له ذمة و يعجل مالا. ثم أن أهل سابور نقضوا و غدروا ففتحت فى سنة ست و عشرين فتحها عنوة أبو موسى و على مقدمته عثمان ابن أبى العاصى.

و قال معمر بن المثنى و غيره: كان عمر بن الخطاب أمر أن يوجه الجارود العبدى سنة اثنتين و عشرين إلى قلاع فارس فلما كان بين جره و شيراز تخلف عن أصحابه فى عقبة هناك سحرا لحاجته و معه أدوات فأحاطت به جماعة من الأكراد فقتلوه فسميت تلك العقبة عقبة الجارود.

قالوا: و لما ولى عبد اللّه بن عامر بن كريز البصرة من قبل عثمان بن عفان بعد أبى موسى الأشعرى سار إلى إصطخر فى سنة ثمان و عشرين فصالحه ماهك عن أهلها، ثم خرج يريد جور، فلما فارقها نكثوا و قتلوا عامله عليهم، ثم لما فتح جور كر عليهم ففتحها، قالوا: و كان هرم بن حيان مقيما على جور و هى مدينة أردشير خره، و كان المسلمون يعانونها ثم ينصرفون عنها فيعاونون إصطخر و يفزون نواحى كانت تنتقض عليهم، فلما نزل ابن عامر بها قاتلوه ثم تحصنوا ففتحها بالسيف عنوة، و ذلك فى سنة تسع و عشرين و فتح ابن عامر أيضا السكاريان و فشجاتن، و هى الفيشجان من درابجرد و لم تكونا دخلتا فى صلح الهربذ و انتقضتا.

و حدثنى جماعة من أهل العلم: أن جور غزيت عدة سنين فلم يقدر عليها حتى فتحها ابن عامر، و كان سبب فتحها أن بعض المسلمين قام يصلى ذات ليلة و إلى جانبه جراب له فيه خبز و لحم، فجاء كلب فجره وعدا به حتى دخل المدينة من مدخل لها خفى فظاهر المسلمون بذلك المدخل حتى دخلوا منه و فتحوها،

فتوح البلدان، ص: ۳۷۸

قالوا: و لما فرغ عبد اللّه بن عامر من فتح جور كر على أهل إصطخر و فتحها عنوة بعد قتال شديد و رمى بالمناجيق و قتل بها من الأعاجم أربعين ألفا و أفنى أكثر أهل البيوتات و وجوه الأساورة، و كانوا قد لجأوا إليها، و بعض الرواة يقول أن ابن عامر رجع إلى إصطخر حين بلغه نكثهم ففتحها ثم صار إلى جور و على مقدمته هرم بن حيان ففتحها، و روى الحسن بن عثمان الزيادى أن أهل

إصطخر غدروا فی ولایة عبد اللّه بن عباس رضی اللّه عنهما العراق لعلی رضی اللّه عنه ففتحها.

و حدثنی العباس بن هشام عن أبیه عن أبی مخنف، قال: توجه ابن عامر إلی إصطخر، و وجه علی مقدمته عبید اللّه بن معمر التیمی فاستقبله أهل إصطخر برامجرد فقاتلهم فقتلوه فدفن فی بستان برامجرد، و بلغ ابن عامر الخبر فأقبل مسرعا حتی واقعهم و علی میمنته أبو برزة نضلة بن عبد اللّه الأسلمی، و علی میسرته معقل بن یسار المزنی، و علی الخیل عمران بن الحصین الخزاعی و علی الرجال خالد بن المعمر الذهبی فقاتلهم فهزمهم حتی أدخلهم إصطخر و فتحها اللّه عنوة، فقتل فیها نحوا من مائة ألف و أتی درابجرد ففتحها و کانت منتقضة ثم وجه إلی کرمان.

حدثنی عمر الناقد، قال: حدثنا مروان بن معاویة الفزاری عن عاصم الأحول عن فضیل بن زید الرقاشی، قال: حاصرنا شهریاج شهرا جرارا و کنا ظننا إنا سنفتحها فی یومنا فقاتلنا أهلها ذات یوم و رجعنا إلی معسکرنا و تخلف عبد مملوک منافرا ظنوه فکتب لهم أمانا و رمی به إلیهم فی سهم، قال: فرحنا للقتال و قد خرجوا من حصنهم، فقالوا: هذا أمانکم، فکتبنا بذلک إلی عمر فکتب إلینا أن العبد المسلم من المسلمین ذمته کذمتهم فلینفذ أمانه فأنفذناه.

و حدثنی القاسم بن سلام، قال: حدثنا أبو النضر عن شعبة عن عاصم

فتوح البلدان، ص: ۳۷۹

عن الفضیل، قال: کنا مصافی العدو بسیراف ثم ذکر نحو ذلک. و حدثنا سعدویه، قال: حدثنا عباد بن العوام عن عاصم الأحول عن الفضیل بن زید الرقاشی، قال: حاصر المسلمون حصنا فکتب عبد أمانا و رمی به إلیهم فی مشقص فقال المسلمون: لیس أمانه بشیء، فقال القوم: لسنا نعرف الحر من العبد، فکتاب بذلک إلی عمر، فکتب أن عبد المسلمین منة ذمته ذمتهم.

و أخبرنی بعض أهل فارس: أن حصن سیراف یدعی سوریانج فسمته العرب شهریاج، و بفسا قلعة تعرف بخرشة بن مسعود من بنی تمیم، ثم من بنی شقرة کان مع ابن الأشعث فتحصن فی هذه القلعة، ثم أو من فمات بواسط و له عقب بفسا.

و أما کرمان فام عثمان بن أبی العاصی الثقفی لقی مرزبانها فی جزیرة ابرکاوان و هو فی خف فقتله فوهن أمر أهل کرمان و نخبت قلوبهم فلما صارا ابن عامر إلی فارس وجه مجاشع بن مسعود السلمی إلی کرمان فی طلب یزدجرد، فأتی بیمنذ فهلک جیشه بها، ثم لما توجه ابن عامر یرید خراسان ولی مجاشعا کرمان ففتج بیمنذ عنوة و استبقی أهلها و أعطاهم أمانا و بها قصر یعرف بقصر مجاشع، و فتح مجاشع بروخروة و أتی الشیرجان و هی مدینة کرمان و أقام علیها أیاما یسیرة و أهلها متحصنون و قد خرجت لهم خیل فقاتلهم ففتحها عنوة و خلف بها رجلا، ثم أن کثیرا من أهلها جلوا عنها، و قد کان أبو موسی الأشعری وجه الربیع بن زیاد ففتح ما حول الشیرجان و صالح أهل بم و الاندغار، فکفر أهلها و نکثوا، فافتتحها مجاشع بن مسعود و فتح جیرفت عنوة و سار فی کرمان فدوخها، و أتی القفص و تجمع له بهرموز خلق ممن جلا۔ من الأعاجم فقاتلهم فظفر بهم و ظهر علیهم، و هرب کثیر من أهل کرمان فرکبوا البحر و لحق بعضهم بمکران و أتی بعضهم

فتوح البلدان، ص: ۳۸۰

سجستان، فأقطعت العرب منازلهم و أرضیهم فعمروها و أدوا العشر فیها و احتفروا القنی فی مواضع منها، و ولی الحجاج قطعن بن قبیصة بن مخارق الهلالی فارس و کرمان و هو الذی انتهی إلی نهر فلم یقدر أصحابه علی اجازته، فقال: من جاز فله ألف درهم فجازوه فوفی لهم فکان ذلک أول یوم سمیت الجائزة فیه، قال الشاعر و هو الجحاف بن حکیم:

فدی للأکرمین بنی هلال‌علی علاتهم أهلی و مالی

هم سنوا الجوائز فی معدفصارت سنة أخری اللیالی

رماحهم تزید علی ثمانو عشر حین تختلف العوالی

و کان قبیصة بن مخارق من أصحاب النبی صلی اللّه علیه و سلم، و فی قطن یقول الشاعر:

كم من أمير قد أصبت حباءهو آخر حظى من امارته الحزن

فهل قطن إلا كمن كان قبلهفصبرا على ما جاء يوما به قطن

قالوا: و كان ابن زياد ولى شريك بن الأعور الحارثى- و هو شريك بن الحارث- كرمان، و كتب ليزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى إليه فأقطعه أرضا بكرمان فباعها بعد هرب بن زياد من البصرة، و ولى الحجاج الحكم بن نهيك الهجيمى كرمان بعد أن كان ولاه فارس فبنى مسجد أرجان و دار أمارتها

.

فتوح البلدان، ص: ۳۸۱

فتح سجستان و كابل

حدثنى على بن محمد و غيره أن عبد اللّه بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس توجه يريد خراسان سنة ثلاثين فنزل بعسكره شق الشيرجان من كرمان و وجه الربيع بن زياد بن أنس بن الديان الحارثى إلى سجستان فسار حتى نزل الفهرج، ثم قطع المفازة، و هى خمسة و سبعون فرسخا، فأتى رستاق زالق و بين زالق و بين سجستان خمسة فراسخ و زالق حصن، فأغار على أهله فى يوم مهرجان فأخذ دهقانه فافتدى نفسه بأن ركز عنزة ثم غمرها ذهبا و فضة و صالح الدهقان على حقن دمه.

و قال أبو عبيدة معمر بن المثنى صالحه على أن يكون بلده كبعض ما افتتح من بلاد فارس و كرمان، ثم أتى قرية يقال لها: كركويه على خمسة أميال من زالق فصالحوه و لم يقاتلوه، ثم نزل رستاقا يقال له هيسون فأقام له أهله النزل و صالحوه على غير قتال، ثم أتى زالق و أخذ الأدلاء منها إلى زرنج و سار حتى نزل الهندمند، و عبر واديا يترع منه يقال له نوق و أتى ذوشت و هى من زرنج على ثلثى ميل فخرج إليه أهلها فقاتلوه قتالا شديدا و أصيب رجال من المسلمين، ثم كر المسلمون و هزموهم حتى اضطروهم إلى المدينة بعد أن قتلوا منهم مقتلة عظيمة، ثم أتى الربيع ناشروز و هى قرية فقاتل أهلها و ظفر بهم و أصاب بها عبد الرحمن أبا صالح بن عبد الرحمن الذى كتب للحجاج مكان زادانفروخ ابن نيرى، و ولى خراج العراق لسليمان بن عبد الملك و أمه فاشترته امرأة من بنى تميم ثم من بنى مرة بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم يقال لها عبلة، ثم مضى من ناشروذ إلى شرواذ و هى قرية فغلب عليها و أصاب بها جد إبراهيم بن بسام فصار لابن عمير

فتوح البلدان، ص: ۳۸۲

الليثى، ثم حاصر مدينة زرنج بعد أن قاتله أهلها فبعث إليه أبرويز مرزبانها يستأمنه ليصالحه فأمر بجسد من أجساد القتلى فوضع له فجلس عليه و اتكأ على آخر و أجلس أصحابه على أجساد القتلى، و كان الربيع آدم أفوه طويلا فلما رآه المرزبان هاله فصالحه على ألف و صيف مع كل و صيف جام من ذهب و دخل الربيع المدينة ثم أتى سناروذ و هو واد فعبره و أتى القريتين، و هناك مربط فرس رستم فقاتلوه فظفر، ثم قدم زرنج فأقام بها سنتين، ثم أتى ابن عامر و استخلف بها رجلا من بنى الحارث بن كعب فأخرجوه و أغلقوها، و كانت ولاية الربيع سنتين و نصفا، و سبى فى ولايته هذه أربعين ألف رأس، و كان كاتبه الحسن البصرى، ثم ولى ابن عامر عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس سجستان، فأتى زرنج فحصر مرزبانها فى قصره فى يوم عيد لهم فصالحه على ألفى ألف درهم و ألفى وصيف و غلب ابن سمرة على ما بين زرنج و كش من ناحية الهند و غلب من ناحية طريق الرخج على ما بينه و بين بلاد الدوار، فلما انتهى إلى بلاد الدوار حصرهم فى حبل الزور ثم صالحهم فكانت عدة من معه من المسلمين ثمانية آلاف فأصاب كل رجل منهم أربعة آلاف، و دخل على الزور و هو صنم من ذهب عيناه ياقوتتان فقطع يده و أخذ الياقوتتين، ثم قال للمرزبان: دونك الذهب و الجوهر، و إنما أردت أن أعلمك أنه لا يضر و لا ينفع و فتح بست و زابل بعهد.

حدثنى الحسين بن الأسود قال: حدثنا وكيع عن حماد بن زيد عن يحيى ابن عتيق عن محمد بن سيرين أنه كره سبى زابل و قال: أن

عثمان ولث لهم ولثا، قال وكيع: عقد لهم عقدا و هو دون العهد، قالوا: و أتى عبد الرحمن زرنج فأقام بها حتى اضطرب أمر عثمان، ثم استخلف أمير بن أحمر اليشكرى و انصرف من سجستان، لأمير يقول، زياد الأعجم:

لو لا أمير هلكت يشكرو يشكر هلكى على كل حال

فتوح البلدان، ص: ۳۸۳

ثم أن أهل زرنج أخرجوا أميرا و أغلقوها، و لما فرغ على بن أبى طالب عليه السلام من أمر الجمل خرج حسكة بن عتاب الحبطى و عمران بن الفصيل البرجمى فى صعاليك من العرب حتى نزلوا زالق و قد نكث أهلها، فأصابوا منها مالا، و أخذوا جد البخترى الأصم بن مجاهد مولى شيبان، ثم أتوا زرنج و قد خافهم مرزبانها فصالحهم و دخلوها و قال الراجز:

بشر سجستان بجوع و حرببابن الفصيل و صعاليك العرب

لا ـ فضة يغنيهم و لا ـ ذهب و بعث على بن أبى طالب عبد الرحمن بن جزء الطائى إلى سجستان فقتله حسكة، فقال على: لأقتلن من الحبطات أربعة آلاف، فقيل له: أن الحبطات لا يكونون خمسمائة.

و قال أبو مخنف: و بعث على رضى اللّه عنه عون بن جعدة بن هبيرة المخزومى إلى سجستان فقتله بهدالى اللص الطائى فى طريق العراق، فكتب على إلى عبد اللّه بن العباس يأمره أن يولى سجستان رجلا فى أربعة آلاف فوجه ربعى بن الكاس العنبرى فى أربعة آلاف و خرج معه الحصين بن أبى الحر و اسم أبى الحر مالك بن الخشخاش العنبرى، و ثات بن ذى الحرة الحميرى، و كان على مقدمته، فلما وردوا سجستان قاتلهم حسكة فقتلوه و ضبط ربعى البلاد فقال راجزهم.

نحن الذين اقتحموا سجستانعلى بن عتاب و جند الشيطان

يقدمنا الماجد عبد الرحمنإنا وجدنا فى منير الفرقان

أن لا نوالى شيعة ابن عفان و كان ثابت يسمى عبد الرحمن، و كان فيروز حصين ينسب إلى حصين ابن أبى الحر و هذا هو من سبى سجستان، ثم لما ولى معاوية بن أبى سفيان

فتوح البلدان، ص: ۳۸۴

استعمل ابن عامر على البصرة، فولى عبد الرحمن بن سمرة سجستان فأتاها و على شرطته عباد بن الحصين الحبطى و معه من الأشراف عمر بن عبيد اللّه بن معمر التيمى، و عبد اللّه بن خازم السلمى و قطرى بن الفجاءة، و المهلب بن أبى صفرة فكان يغزو البلد قد كفر أهلها فيفتحه عنوة أو يصالح أهله حتى بلغ كابل، فلما صار إليها نزل بها فحاصر أهلها أشهرا و كان يقاتلهم و يرميهم بالمنجنيق حتى ثلث ثلثة عظيمة، فبات عليها عباد بن الحصين ليلة يطاعن المشركين حتى أصبح فلم يقدروا على سدها، و قاتل بن خازم معه عليها فلما أصبح الكفرة خرجوا يقاتلون المسلمين فضرب بن خازم فيلا كان معهم فسقط على الباب الذى خرجوا منه فلم يقدروا غلقه فدخلها المسلمون عنوة، و قال أبو مخنف: الذى عقر الفيل المهلب و كان الحسن البصرى يقول: ما ظننت أن رجلا يقوم مقام ألف حتى رأيت عباد بن الحصين.

قالوا: و وجه عبد الرحمن بن سمرة ببشارة الفتح عمر بن عبيد اللّه بن معمر و المهلب بن أبى صفرة، ثم خرج عبد الرحمن فقطع وادى نسل، ثم أتى خواش و قوزان بست ففتحها عنوة، و سار إلى رزان فهرب أهلها غلب عليها، ثم سار إلى خشك فصالحه أهلها، ثم أتى الرخج فقاتلوه فظفر بهم و فتحها، ثم سار إلى ذابلستان فقاتلوه و قد كانوا نكثوا ففتحها و أصاب سبيا، و أتى كابل و قد نكث أهلها ففتحها، ثم ولى معاوية عبد الرحمن بن سمرة سجستان من قبله و بعث إليه بعهده فلم يزل عليها حتى قدم زياد البصرة فأقره أشهرا ثم ولاها الربيع بن زياد و مات ابن سمرة بالبصرة سنة خمسين و صلى عليها زياد و هو الذى

قال له النبى صلى اللّه عليه و سلم «لا تسأل الأمارة فإنك أوتيتها عن غير مسئلة أعنت عليها و إن أعطيتها عن مسئلة و كلت إليها و إذا حلفت على يمين فرأيت خيرا منها فأت الذى هو خير و كفر عن يمينك»

و كان عبد الرحمن قدم بغلمان من سبى كابل فعملوا له مسجدا فى قصره بالبصرة على بناء كابل.

فتوح البلدان، ص: ۳۸۵

قالوا: ثم جمع كابل شاه للمسلمين و أخرج من كان منهم بكابل و جاء رتبيل فغلب على ذابلستان و الرخج حتى انتهى إلى بست، فخرج الربيع بن زياد فى الناس فقاتل رتبيل ببست، و هزمه و اتبعه حتى أتى الرخج فقاتله بالرخج و مضى ففتح بلاد الداور، ثم عزل زياد بن أبى سفيان الربيع بن زياد الحارثى و ولى عبيد اللّه بن أبى بكرة سجستان فغزا، فلما كان برزان بعث إليه رتبيل يسأله الصلح عن بلاده و بلاد كابل على ألف ألف و مائتى ألف، فأجابه إلى ذلك و سأله أن يهب له مائتى ألف تفعل فتم الصلح على ألف ألف درهم، و وفد عبيد اللّه على زياد فأعلمه ذلك فأمضى الصلح، ثم رجع عبيد اللّه بن أبى بكرة إلى سجستان فأقام بها إلى أن مات زياد، و ولى سجستان بعد موت زياد عباد بن زياد من قبل معاوية، ثم لما ولى يزيد بن معاوية ولى سلم بن زياد خراسان و سجستان فولى سلم أخاه يزيد بن زياد سجسان، فلما كان موت يزيد أو قبل ذلك بقليل غدر أهل كابل و نكثوا و أسروا أبا عبيدة بن زياد فسار إليهم يزيد بن زياد فقاتلهم و هم بجنزة فقتل يزيد بن زياد و كثير ممن كان معه و انهزم سائر الناس، و كان فيمن استشهد زيد بن عبد اللّه بن أبى مليكة بن عبد اللّه بن جدعان القرشى، و صلة بن أشيم أبو الصهباء العدوى زوج معاذة العدوية، فبعث سلم بن زياد طلحة بن عبد اللّه بن خلف الخزاعى الذى يعرف بطلحة الطلحات ففدى أبا عبيدة بخمسمائة ألف درهم، و سار طلحة من كابل إلى سجستان واليا عليها من قبل سلم بن زياد فجبى و أعطى زواره و مات بسجستان و استخلف رجلا من بنى يشكر فأخرجته المضرية و وقعت العصبية و غلب كل قوم على مدينتهم فطمع فيهم رتبيل، ثم قدم عبد العزيز بن عبد اللّه بن عامر واليا على سجستان من قبل القباع، و هو الحارث بن عبد اللّه بن أبى ربيعة المخزومى فى أيام ابن الزبير فأدخلوه مدينة زرنج و حاربوا رتبيل فقتله أبو عفراء

فتوح البلدان، ص: ۳۸۶

عمير المازنى و انهزم المشركون، و أرسل عبد العزيز بن ناشرة التميمى إلى عبد العزيز أن خذ جميع ما فى بيت المال و انصرف ففعل، و أقبل ابن ناشرة حتى دخل زرنج و مضى وكيع بن أبى سود التميمى فرد عبد العزيز و أدخله المدينة حين فتحت للحطابين و أخرج بن ناشرة فجمع جمعا فقاتله عبد العزيز ابن عبد اللّه و معه وكيع فعثر بابن ناشرة فرسه فقتل، فقال أبو حزابة، و يقال حنظلة بن عرادة.

ألا لا فتى بعد ابن ناشرة الفتىو لا شيء إلا قد تولى و أدبرا

أ كان حصادا للمنايا ازدرعنهفهلا تركن النبت ما كان أخضرا

فتى حنظلى ما تزال يمينهتجود بمعروف و تنكر منكرا

لعمرى: لقد هدت قريش عروشناأروع نفاح العشيات أزهرا

و استعمل عبد الملك بن مروان أمية بن عبد اللّه بن خالد بن أسيد بن أبى العيص على خراسان فوجه ابنه عبد اللّه بن أمية على سجستان و عقد له عليها و هو بكرمان، فلما قدمها غزا رتبيل الملك بعد رتبيل الأول المقتول، و قد كان هاب المسلمين فصالح عبد اللّه حين نزل بست على ألف ألف ففعل و بعث إليه بهدايا و رقيق فأبى قبول ذلك، و قال: ان ملأ لى هذا الرواق ذهبا و إلا فلا صلح بينى و بينه، و كان غزاء فخلى له رتبيل البلاد حتى إذا أو غل فيها أخذ عليه الشعاب و المضايق و طلب إليهم أن يخلوا عنه و لا يأخذ منهم شيئا فأبى ذلك و قال: بل تأخذ ثلاثمائة ألف درهم صلحا و تكتب لنا بها كتابا و لا تغزو بلاد ناما كنت اليا و لا تحرق و لا تخرب ففعل، و بلغ عبد الملك بن مروان ذلك فعزله، ثم و لما ولى الحجاج بن يوسف العراق وجه عبيد اللّه بن أبى بكرة إلى سجستان فحار و وهن، و أتى الرخج و كانت البلاد مجدبة فسار حتى نزل بالقرب من كابل و انتهى إلى شعب فأخذه عليه العدو و لحقهم رتبيل فصالحهم عبيد اللّه على أن

فتوح البلدان، ص: ۳۸۷

يعطوه خمسمائة ألف درهم و يبعث إليه بثلاثة من ولده نهار و الحجاج و أبى بكرة رهناء و يكتب لهم كتابا أن لا يغزوهم ما كان واليا، فقال له شريح بن هانئ الحارثى: اتق اللّه و قاتل هؤلاء القوم فإنك إن فعلت ما تريد أن تفعله أوهنت الإسلام بهذا الثغر، و كنت قد فررت من الموت الذى إليه مصيرك فاقتتلوا و حمل شريح فقتل و قاتل الناس فأفلتوا و هم مجهودون و سلكوا مفازة بست فهلك كثير من الناس عطشا و جوعا و مات عبيد اللّه بن ابى بكرة كمدا لما نال الناس و أصابهم، و يقال أنه اشتكى أذنه فمات و استخلف على الناس ابنه أبا برذعة، ثم أن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث خلع و خرج إلى سجستان مخالفا لعبد الملك بن مروان و الحجاج فهادن رتبيل و صار إليه، ثم أن رتبيل أسلمه خوفا من الحجاج، و ذلك أنه كتب إليه يتوعده فألقى نفسه فوق جبل و يقال من فوق سطح و سقط معه الذى كان يحفظه و كان قد سلسل نفسه معه فمات، فأتى الحجاج برأسه فصالح الحجاج رتبيل على أن لا يغزوه سبع سنين، و يقال تسع سنين على أن يؤدى بعد ذلك فى كل سنة بتسعمائة ألف درهم عروضا، فلما انقضت السنون ولى الحجاج الأشهب بن بشر الكلبى سجستان فعاسر رتبيل فى العرض التى أداها فكتب إلى الحجاج يشكوه إليه فعزله الحجاج.

قالوا: ثم لما ولى قتيبة بن مسلم الباهلى خراسان و سجستان فى أيام الوليد ابن عبد الملك ولى أخاه عمرو بن مسلم سجستان فطلب الصلح من رتبيل دراهم مدرهمة فذكر أنه لا يمكنه إلا ما كان فارق عليه الحجاج من العروض، فكتب عمرو بذلك إلى قتيبة فسار قتيبة إلى سجستان، فلما بلغ رتبيل قدومه أرسل إليه أنا لم نخلع يدا من الطاعة و إنما فارقتمونا على عروض فلا تظلمونا، فقال قتيبة للجند: أقبلوا منه العروض فانه ثغر مشئوم فرضوا بها، ثم انصرف قتيبة إلى خراسان بعد أن ذرع زرعا فى أرض زرنج ليأس العدو من

فتوح البلدان، ص: ۳۸۸

انصرافه فيذعن له فلما حصد ذلك الزرع منعت منه الأفاعى فأمر به فأحرق و استخلف قتيبة على سجستان ابن عبد اللّه بن عمير الليثى أخى عبد اللّه بن عامر لأمه، ثم ولى سليمان بن عبد الملك و ولى يزيد بن المهلب العراق فولى يزيد مدرك بن المهلب أخاه سجستان فلم يعطه رتبيل شيئا، ثم ولى معاوية بن يزيد فرضخ له ثم ولى يزيد بن عبد الملك فلم يعط رتبيل عماله شيئا، قال ما فعل قوم كانوا يأتونا خماص البطون سود الوجوه من الصلاة نعالهم خوص، قالوا:

انقرضوا، قال: أولئك أو فى منكم عهدا و أشد بأسا، و إن كنتم أحسن منهم وجوها، و قيل له ما بالك كنت تعطى الحجاج الأتاوة و لا تعطيناها، فقال:

كان الحجاج رجلا لا يظفر فيما أنفق إذا ظفر ببغيته و لو لم يرجع إليه درهم و أنتم لا تنفقون درهما إلا إذا طمعتم فى أن يرجع إليكم مكانه عشرة، ثم لم يعط أحدا من عمال بنى أمية و لا عمال أبى مسلم على سجستان من تلك الأتاوة شيئا.

قالوا: و لما استخلف المنصور أمير المؤمنين ولى معن بن زائدة الشيبانى سجستان فقدمها و بعث عماله عليها و كتب إلى رتبيل يأمره بحمل الأتاوة التى كان الحجاج صالح عليها، فبعث بابل و قباب تركية و رقيق و زاد فى قيمة ذلك للواحد ضعفه، فغضب معن و قصد الرخج و على مقدمته يزيد بن مزيد فوجد رتبيل قد خرج عنها و مضى إلى ذابلستان ليصيف بها، ففتحها و أصاب سبايا كثيرة، و كان فيهم فرج الرخجى و هو صبى و أبوه زياد فكان فرج يحدث أن معنا رأى غبارا ساطعا أثارته حوافر حمير و حشية فظن أن جيشا قد أقبل نحوه ليحاربه و يتخلص السبى و الأسرى من يده فوضع السيف فيهم فقتل منهم عدة كثيرة ثم أنه تبين أمر الغبار و رأى الحمير فأمسك، و قال فرج: لقد رأيت أبى حين أمر معن بوضع السيف فينا و قد حنى على و هو يقول اقتلونى و لا تقتلوا ابنى.

قالوا: و كانت عدة من سبى و أسر زهاء ثلاثين ألفا فطلب ماوند خليفة

فتوح البلدان، ص: ۳۸۹

رتبيل الأمان على أن يحمله إلى أمير المؤمنين، فآمنه و بعث به إلى بغداد مع خمسة آلاف من مقاتلهم فأكرمه المنصور و فرض له وقوده، قالوا: و خاف معن الشتاء و هجومه فانصرف إلى بست، و أنكر قوم من الخوارج سيرته فاندسوا مع فعلة كانوا يبنون فى منزله بناء، فلما بلغوا التسقيف احتالوا لسيوفهم فجعلوها فى حزم القصب ثم دخلوها عليه قبته و هو يحتجم ففتكوا به وشق بعضهم بطنه

بخنجر كان معه، و قال أحدهم و ضربه على رأسه أبو الغلام الطاقى و الطاق رستاق بقرب زرنج فقتلهم يزيد بن مزيد فلم ينج منهم أحد، ثم أن يزيد قام بأمر سجستان، و اشتدت على العرب و العجم من أهلها وطأته فاحتال بعض العرب فكتب على لسانه إلى المنصور كتابا يخبره فيه إن كتب المهدى إليه قد حيرته و أدهشته و يسأله أن يعفيه من معاملته، فأغضب ذلك المنصور و شتمه و أقر المهدى كتابه فعزله و أمر بحبسه و بيع كل شىء له، ثم أنه كلم فيه فأشخص إلى مدينة السلام فلم يزل بها مخبوءا حتى لقيه الخوارج على الجسر فقاتلهم فتحرك أمره قليلا، ثم توجه إلى يوسف البرم بخراسان فلم يزل فى ارتفاع و لم يزل عمال المهدى و الرشيد رحمهما اللّه يقبضون الأتاوة من رتبيل سجستان على قدر قوتهم و ضعفهم و يولون عمالهم النواحى التى قد غلب عليها الإسلام و لما كان المأمون بخراسان أديت إليه الأتاوة مضعفة و فتح كابل و أظهر ملكها الإسلام و الطاعة و أدخلها عامله و اتصل إليها البريد فبعث إليه منها بأهليلج غض ثم استقامت بعد ذلك حينا.

و حدثنى العمرى عن الهيثم بن عدى، قال: كان فى صلحات سجستان القديمة أن لا يقتل لهم ابن عرس لكثرة الأفاعى عندهم قال، و قال: أول من دعا أهل سجستان إلى رأى الخوارج رجل من بنى تميم يقال له عاصم أو ابن عاصم

.

فتوح البلدان، ص: ۳۹۰

فتوح خراسان

قالوا: وجه أبو موسى الأشعرى عبد اللّه بن بديل بن ورقاء الخزاعى غازيا فأتى كرمان و مضى حتى بلغ الطبسين و هما حصنان يقال لأحدهما طبس و للآخر كرين، و هما جرم فيهما نخل و هما بابا خراسان، فأصاب مغنما و أتى قوم من أهل الطبسين عمر بن الخطاب فصالحوه على ستين ألفا، و يقال خمسة و سبعين ألفا و كتب لهم كتابا.

و يقال: بل توجه عبد اللّه بن بديل من أصبهان من تلقاء نفسه، فلما استخلف عثمان بن عفان ولى عبد اللّه بن عامر بن كريز البصرة فى سنة ثمان و عشرين و يقال فى سنة تسع و عشرين و هو ابن خمس و عشرين سنة فافتتح من أرض فارس ما افتتح ثم غزا خراسان فى سنة ثلاثين و استخلف على البصرة زياد بن أبى سفيان و بعث على مقدمته الأحنف بن قيس، و يقال عبد اللّه ابن حازم بن أسماء بن الصلت بن حبيب السلمى، فأقر صلح الطبسين، و قدم ابن عامر الأحنف بن قيس إلى قوهستان، و ذلك أنه سأل عن أقرب مدينة إلى الطبسين فدل عليها فلقيته الهياطلة و هم أتراك، و يقال بل هم قوم من أهل فارس كانوا يلوطون فنفاهم فيروز إلى هراة فصاروا مع الأتراك فكانوا معاونين لأهل قوهستان فهزمهم و فتح قوهستان عنوة، و يقال بل ألجأهم إلى حصنهم ثم قدم عليه ابن عامر فطلبوا الصلح فصالحهم على ستمائة ألف درهم.

و قال معمر بن المثنى: كان المتوجه إلى قوهستان أمير بن أحمر اليشكرى و هى بلاد بكر بن وائل إلى اليوم، و بعث ابن عامر يزيد الجرشى أبا سالم بن يزيد إلى رستاق زام من نيسابور ففتحه عنوة، و فتح باخرز و هو رستاو من نيسابور، و فتح أيضا جوين و سبى سبيا و وجه ابن عامر الأسود بن كلثوم

فتوح البلدان، ص: ۳۹۱

العدوى عدى الرباب و كان ناسكا إلى بيهق و هو رستاق من نيسابور فدخل بعض حيطان أهله من ثلمة كانت فيه و دخلت معه طائفة من المسلمين و أخذ العدو عليهم تلك الثلمة فقاتل الأسود حتى قتل و من معه، و قام بأمر الناس بعده أدهم بن كلثوم فظفر و فتح بيهق، و كان الأسود يدعو ربه أن يحشره من بطون السباع و الطير فلم يواره أخوه و دفن من استشهد من أصحابه، و فتح ابن عامر بشت من نيسابور و أشبندورخ و زاوة و خواف و اسبرائن و أرغيان من نيسابور، ثم أتى أبر شهر و هى مدينة نيسابور فحصر أهلها أشهرا و كان على كل ربع منها رجل موكل به. و طلب صاحب ربع من تلك الأرباع الأمان على أن يدخل المسلمين المدينة فأعطيه و

أدخلهم إياها ليلا- ففتحوا الباب و تحصن مرزبانها فى القهندز و معه جماعة فطلب الأمان على أن يصالحه من جميع نيسابور على وظيفة يؤديها فصالحه على ألف ألف درهم و يقال سبعمائة ألف درهم. و ولى نيسابور حين فتحها قيس بن الهيثم السلمى و وجه ابن عامر عبد اللّه بن خازم السلمى إلى حمراتدز من نسا و هو رستاق ففتحه، و أتاه صاحب نسا فصالحه على ثلاثمائة ألف درهم، و يقال على احتمال الأرض من الخراج على أن لا يقتل أحدا و لا يسبيه.

و قدم بهمنة عظيم أبيورد على ابن عامر فصالحه على أربعمائة ألف و يقال وجه إليها ابن عامر عبد اللّه بن خازم فصالح أهلها على أربعمائة ألف درهم، و وجه عبد اللّه بن عامر عبد اللّه بن خازم إلى سرخس فقاتلهم، ثم طلب زاذويه مرزبانها الصلح على إيمان مائة رجل، و أن يدفع إليه النساء فصارت ابنته فى سهم ابن خازم و اتخذها و سماها ميثاء، و غلب ابن خازم على أرض سرخس، و يقال أنه صالحه على أن يؤمن مائة نفس فسمى له المائة و لم يسم نفسه فقتله و دخل سرخس عنوة، و وجه ابن خازم من سرخس يزيد بن

فتوح البلدان، ص: ۳۹۲

سالم مولى شريك بن الأعور إلى كيف و بينة ففتحها، و أنى كنازتك مرزبان طوس ابن عامر فصالحه عن طوس على ستمائة ألف درهم، و وجه ابن عامر جيشا إلى هراة عليه أوس بن ثعلبة بن رقى، و يقال خليد بن عبد اللّه الحنفى فبلغ عظيم هراة ذلك فشخص إلى ابن عامر و صالحه عن هراة و بادغيس و بوشنج غير طاغون و باغون فإنهما فتحا عنوة، و كتب له ابن عامر:

بسم اللّه الرحمن الرحيم: هذا ما أمر به عبد اللّه بن عامر عظيم هراة و بوشنج و بادغيس، أمره بتقوى اللّه، و مناصحة المسلمين، و إصلاح ما تحت يديه من الأرضين، و صالحه عن هراة سهلها و جبلها على أن يؤدى من الجزية ما صالحه عليه، و أن يقسم ذلك على الأرضين عدلا بينهم، فمن منع ما عليه فلا عهد له و لا ذمة، و كتب ربيع بن نهشل و ختم ابن عامر.

و يقال أيضا: أن ابن عامر سار بنفسه فى الدهم إلى هراة فقاتل أهلها ثم صالحه مرزبانها عن هراة و بوشنج و بادغيس على ألف ألف درهم، و أرسل مرزبان مرو الشاهجان يسأل الصلح فوجه ابن عامر إلى مرو حاتم بن النعمان الباهلى فصالحه على ألفى ألف و مائتى ألف درهم، و قال بعضهم ألف ألف درهم و مائتى ألف جريب من بر و شعير، و قال بعضهم ألف ألف و مائة ألف أوقية و كان فى صلحم أن يوسعوا للمسلمين فى منازلهم و أن عليهم قسمة المال و ليس على المسلمين إلا قبض ذلك و كانت مرو صلحا كلها إلا قرية منها يقال لها السنج فإنها أخذت عنوة.

و قال أبو عبيدة صالحه على و صائف و وصفاء و دواب و متاع، و لم يكن عند القوم يومئذ عين و كان الخراج كله على ذلك حتى ولى يزيد بن معاوية فصيره مالا، و وجه عبد اللّه بن عامر الأحنف بن قيس نحو طخارستان، فأتى الموضع الذى يقال له قصر الأحنف و هو حصن من مرو الروذ، و له رستاق

فتوح البلدان، ص: ۳۹۳

عظيم يعرف برستاق الأحنف و يدعى بشق الجرذ فحصر أهله فصالحوه على ثلاثمائة ألف، فقال الأحنف أصالحكم على أن يدخل رجل منا القصر فيؤذن فيه و يقيم فيكم حتى انصرف فرضوا، و كان الصلح عن جميع الرستاق و مضى الأحنف إلى مرو الروذ فحصر أهلها و قاتلوهم قتالا شديدا فهزمهم المسلمون فاضطروهم إلى حصنهم، و كان المرزبان من ولد باذام صاحب اليمن أو ذا قرابة له، فكتب إلى الأحنف: انه دعانى إلى الصلح إسلام باذام فصالحه على ستين ألفا، و قال المدائنى: قال قوم ستمائة ألف، و قد كانت للأحنف خيل سارت و أخذت رستاقا يقال له بغ و استاقت منه مواشى فكان الصلح بعد ذلك.

و قال أبو عبيدة: قاتل الأحنف أهل مرو الروذ مرات، ثم أنه مر برجل يطبخ قدرا لأصحابه أو يعجن عجينا فسمعه يقول: إنما نبتغى للأمير أن يقاتلهم من وجه واحد من داخل الشعب، فقال فى نفسه: الرأى ما قاله الرجل فقاتلهم و جعل المرغاب عن يمينه و الجبل عن يساره، و المرغاب نهر يسيح بمرو الروذ ثم يغيض فى رمل ثم يخرج بمرو الشاهجان فهزمهم و من معهم من الترک ثم طلبوا الأمان فصالحه.

و قال غير أبى عبيدة: جمع أهل طخارستان للمسلمين فاجتمع أهل الجوزجان و الطالقان و الفارياب و من حولهم فبلغوا ثلاثين ألفا و جاءهم أهل الصغانيان و هم فى الجانب الشرقى من النهر فرجع الأحنف إلى قصره فوفى له أهله و خرج ليلا فسمع أهل خباء يتحدثون و رجلا يقول. الرأى للأمير أن يسير إليهم فيناجزهم حيث لقيهم فقال رجل يوقد تحت خزيرة أو يعجن. ليس هذا برأى و لكن الرأى أن ينزل بين المرغاب و الجبل فيكون المرغاب عن يمينه و الجبل عن يساره فلا يلقى من عدوه و ان كثروا

فتوح البلدان، ص: ۳۹۴

إلا مثل عدة أصحابه، فرأى ذلك صوابا ففعله و هو فى خمسة آلاف من المسلمين أربعة آلاف من العرب و ألف من مسلمى العجم فالتقوا و هز رايته و حمل و حملوا فقصد ملك الصغانيان للأحنف، فأهوى له بالرمح فانتزع الأحنف الرمح من يده، و قاتل قتالا شديدا، فقتل ثلاثة ممن معهم الطبول منهم كان يقصد قصد صاحب الطبل فيقتله، ثم أن اللّه ضرب وجوه الكفار فقتلهم المسلمون قتلا ذريعا و وضعوا السلاح أنى شاءوا منهم و رجع الأحنف إلى مرو الروذ، و لحق بعض العدو بالجوزجان فوجه إليهم الأحنف الأقرع بن حابس التميمى فى خيل: و قال: يا بنى تميم تحابوا و تبادلوا تعتدل أموركم و ابدءوا بجهاد بطونكم و فروجكم يصلح لكم دينكم، و لا تغلوا يسلم لكم جهادكم، فسار الأقرع فلقى العدو بالجوزجان فكانت فى المسلمين جولة، ثم كروا فهزموا الكفرة، و فتحوا الجوزجان عنوة، و قال ابن الغريزة النهشلى:

سقى صوب الصحاب إذا استهلتمصارع فتية بالجوزجان

إلى القصرين من رستاق حوفأفادهم هناك الأقرعان

و فتح الأحنف مطالقان صلحا و فتح الفارياب، و يقال بل فتحها أمير ابن أحمر، ثم سار الأحنف إلى بلخ و هى مدينة طخارى فصالحهم أهلها على أربعمائة ألف و يقال سبعمائة ألف، و ذلك أثبت، فاستعمل على بلخ أسيد ابن المتشمس، ثم سار إلى خارزم و هى من سقى النهر جميعا و مدينتها شرقية فلم يقدر عليها فانصرف إلى بلخ و قد جبى أسيد صلحها.

و قال أبو عبيدة: فتح ابن عامر ما دون النهر، فلما بلغ أهل ما وراء النهر أمره طلبوا إليه أن يصالحهم ففعل، فيقال أنه عبر النهر حتى أتى موضعا موضعا و قيل بل أتوه فصالحوه و بعث من قبض ذلك، فأتته الدواب و الوصفاء و الوصائف و الحرير و الثياب، ثم أنه أحرم شكر اللّه و لم يذكر غيره عبوره

فتوح البلدان، ص: ۳۹۵

النهر و مصالحته أهل الجانب الشرقى، و قالوا: أنه أهل بعمرة و قدم على عثمان و استخلف قيس بن الهيثم فسار قيس بعد شخوصه فى أرض طخارستان فلم يأت بلدا منها إلا صالحه أهله فأذعنوا له حتى أتى سمنجان فامتنعوا فحصرهم حتى فتحها عنوة، و قد قيل أن ابن عامر جعل خراسان بين ثلاثة الأحنف ابن قيس و حاتم بن النعمان الباهلى و قيس بن الهيثم، و الأول أثبت، ثم أن ابن خازم افتعل عهدا على لسان بن عامر و تولى خراسان فاجتمعت بها جموع الترك ففضهم ثم قدم البصرة قبل قتل عثمان.

و حدثنى الحسين بن الأسود، قال: حدثنا وكيع بن الجراح عن ابن عون عن محمد بن سيرين أن عثمان بن عفان عقد لمن وراء النهر، قالوا و قدم ماهويه مرزبان مرو على بن أبى طالب فى خلافته و هو بالكوفة فكتب له إلى الدهاقين و الأساورة و الدهشلارين أن يؤدوا إليه الجزية فانتقضت عليهم خراسان فبعث جعدة بن هبيرة المخزومى و أمه أم هانئ بنت أبى طالب فلم يفتحها و لم تزل خراسان ملتاثة حتى قتل على عليه السلام، قال أبو عبيدة أول عمال على خرسان عبد الرحمن بن أبزى مولى خزاعة ثم جعدة بن هبيرة بن أبى وهب ابن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم.

قالوا: و استعمل معاوية بن أبى سفيان قيس بن الهيثم بن قيس بن الصلت السلمى على خراسان فلم يعرض لأهل النكث، و جبى أهل الصلح فكان عليها سنة أو قريبا منها، ثم عزله و ولى خالد بن المعمر فمات بقصر مقاتل أو بعين التمر، و يقال أن معاوية ندم على توليته فبعث إليه بثوب مسموم و يقال بل دخلت فى رجله زجاجة فنزف منها حتى مات، ثم ضم معاوية إلى عبد اللّه بن عامر مع

البصرة خراسان، فولى بن عامر قيس بن الهيثم السلمى خراسان و كان أهل بادغيس و هراة و بوشنج و بلخ على نكثهم

فتوح البلدان، ص: ۳۹۶

فسار إلى بلح فأخرب نوبهارها، و كان الذى تولى ذلك عطاء بن السائب مولى بنى الليث و هو الخشل، و إنما سمى عطاء الخشل و اتخذ قناطر على ثلاثة أنهار من بلخ على فرسخ فقيل قناطر عطاء، ثم أن أهل بلخ سألوا الصلح و مراجعة الطاعة فصالحهم قيس ثم قدم على ابن عامر فضربه مائة و حبسه.

و استعمل عبد اللّه بن خازم فأرسل إليه أهل هراة و بوشنج و بادغيس، فطلبوا الأمان و الصلح فصالحهم، و حمل إلى بن عامر مالا و ولى زياد بن أبى سفيان البصرة فى سنة خمس و أربعين، فولى أمير بن أحمر مرو، و خليد بن عبد اللّه الحنفى أبر شهر، و قيس بن الهيثم مرو الروذ، و الطالقان، و الفارياب و نافع بن خالد الطاحى من الأزدهراة، و بادغيس، و بوشنج و قادس من أنواران فكان أمير أول من أسكن العرب مرو، ثم ولى زياد الحكم ابن عمرو الغفارى، و كان عفيفا و له صحبة و إنما قال لحاجبه فيل ايتنى بالحكم و هو يريد الحكم بن أبى العاصى الثقفى، و كانت أم عبد اللّه بنت عثمان بن أبى العاصى عنده فأتاه بالحكم بن عمرو، فلما رآه تبرك به، و قال رجل صالح من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فولاه خراسان فمات بها فى سنة خمسين و كان الحكم أول من صلى من وراء النهر.

و حدثنى أبو عبد الرحمن الجعفى، قال: سمعت عبد اللّه بن المبارك يقول لرجل من أهل الصغانيان كان يطلب معنا الحديث أ تدرى من فتح بلادك قال لا- قال: فتحها الحكم بن عمرو الغفارى، ثم ولى زياد بن أبى سفيان الربيع ابن زياد الحارثى سنة إحدى و خمسين خراسان، و حول معه من أهل المصريين زهاء و خمسين ألفا بعيالاتهم، و كان فيهم بريدة بن الحصيب الأسلمى أبو عبد اللّه و بمرو توفى أيام يزيد بن معاوية، و كان أيضا أبو برزة الأسلمى عبد اللّه ابن نضلة و بهامات و أسكنهم دون النهر، و الربيع أول من أمر الجند بالتناهد

فتوح البلدان، ص: ۳۹۷

و لما بلغه مقتل حجر بن عدى الكندى غمه ذلك، فدعا بالموت فسقط من يومه فمات، و ذلك سنة ثلاث و خمسين و استخلف عبد اللّه ابنه فقاتل أهل آمل و هى آمويه و زم، ثم صالحهم و رجع إلى مرو فمكث بها شهرين ثم مات، و مات زياد فاستعمل معاوية عبيد اللّه بن زياد على خراسان و هو ابن خمس و عشرين سنة فقطع النهر فى أربعة و عشرين ألفا فأتى بيكند، و كانت خاتون بمدينة بخارى، فأرسلت إلى الترك تستمدهم فجاءها منهم دهم فلقيهم المسلمون فهزموهم و حووا عسكرهم و أقبل المسلمون يخربون و يحرقون، فبعث إليهم خاتون تطلب الصلح و الأمان فصالحها على ألف ألف و دخل المدينة، و فتح رامدين و بيكند و بينهما فرسخان، و رامدين تنسب إلى بيكند، و يقال إنه فتح الصغانيان و قدم معه البصرة بخلق من أهل بخارى ففرض لهم ثم ولى معاوية سعيد بن عثمان بن عفان خراسان فقطع النهر، و كان أول من قطعه بجنده فكان معه رفيع أبو العالية الرياحى و هو مولى لامرأة من بنى رياح فقال رفيع أبو العالية رفعة و علو.

فلما بلغ خاتون عبوره النهر حملت إليه الصلح و أقبل أهل السغد و الترك و أهل كش و نسف و هى نخشب إلى سعيد فى مائة ألف و عشرين ألفا فالتقوا ببخارى و قد ندمت خاتون على أدائها الأتاوة و نكثت العهد، فحضر عبد لبعض أهل تلك الجموع فانصرف بمن معه فانكسر الباقون، فلما رأت خاتون ذلك أعطته الرهن و أعادت الصلح و دخل سعيد مدينة بخارى، ثم غزا سعيد ابن عثمان سمرقند فأعانته خاتون بأهل بخارى، فنزل على باب سمرقند و حلف أن لا يبرح أو يفتحها و يرمى قهندزها، فقاتل أهلها ثلاثة أيام و كان أشد قتالهم فى اليوم الثالث ففقئت عينه و عين المهلب بن أبى صفرة، و يقال أن عين المهلب فقئت بالطالقان، ثم لزم العدو المدينة و قد فشت فيهم الجراح، و أتاه رجل فدله على قصر فيه أبناء ملوكهم و عظمائهم فسار إليهم و حصرهم،

فتوح البلدان، ص: ۳۹۸

فلما خاف أهل المدينة أن يفتح القصر عنوة و يقتل من فيه طلبوا الصلح فصالحهم على سبعمائة ألف درهم و على أن يعطوه رهنا من أبناء عظمائهم، و على أن يدخل المدينة و من شاء و يخرج من الباب الآخر فأعطوه خمسة عشر من أبناء ملوكهم، و يقال أربعين، و يقال ثمانين و رمى القهندز فثبت الحجر فى كوته ثم انصرف، فلما كان بالترمذ حملت إليه خاتون الصلح و أقام على الترمذ حتى فتحها صلحا، ثم لما قتل عبد اللّه بن خازم السلمى أتى موسى ابنه ملك الترمذ فأجاره و ألجأه و قوما كانوا معه فأخرجه عنها و غلب عليها و هو مخالف، فلما قتل صارت فى أيدى الولاة ثم انتقض أهلها ففتحها قتيبة بن مسلم، و فى سعيد يقول مالك ابن الريب:

هبت شمال خريق أسقطت ورقاو اصفر بالقاع بعد الخضرة الشيح

فارحل هديت و لا نجعل غنيمتناثلجا يصفقه بالترمذ الريح

إن الشتاء عدو ما نقاتلهفاقفل هديت و ثوب الدق مطروح

و يقال أن هذه الأبيات لنهار بن توسعة فى قتيبة و أولها:

كانت خراسان أرضا إذ يزيد بهافكل باب من الخيرات مفتوح

فاستبدلت قتبا جعدا أناملهكأنما وجهه بالجل منضوح

و كان قثم بن العباس بن عبد المطلب مع سعيد بن عثمان فتوفى بسمرقند، و يقال استشهد بها، فقال عبد اللّه بن العباس حين بلغته وفاته شتان ما بين مولده و مقبره فأقبل يصلى فقيل له ما هذا، فقال: أما سمعتم اللّه يقول:

(وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ وَ إِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخاشِعِينَ) و حدثنى عبد اللّه بن صالح، قال: حدثنا شريك عن جابر عن الشعبى، قال: قدم قثم على سعيد بن عثمان بخراسان، فقال له سعيد: أعطيك من المغنم ألف سهم، فقال: لا و لكن أعطنى سهما لى و سهما لفرسى، قال: و مضى سعيد بالرهن الذين أخذهم من السند حتى ورد بهم المدينة، فدفع ثيابهم و مناطقهم إلى

فتوح البلدان، ص: ۳۹۹

مواليه و ألبسهم جباب الصوف و ألزمهم السقى و السوانى و العمل فدخلوا عليه مجلسه ففتكوا به ثم قتلوا أنفسهم، و فى سعيد يقول مالك بن الريب:

و ما زلت يوم السغد ترعد واقفامن الجبن حتى خفت أن تتنصرا

و قال خالد بن عقبه بن أبى معيط:

ألا إن خير الناس نفسا و والداسعيد بن عثمان قتيل الأعاجم

فإن تكن الأيام أردت صروفهاسعيدا فمن هذا من الدهر سالم

و كان سعيد احتال لشريكه فى خراج خراسان فأخذ منه مالا فوجه معاوية من لقيه بحلوان فأخذ المال منه، و كان شريكه أسلم بن زرعة، و يقال إسحاق بن طلحة بن عبيد اللّه، و كان معاوية قد خاف سعيدا على خلعه و لذلک عاجله بالعزل، ثم ولى معاوية عبد الرحمن بن زياد خراسان، و كان شريفا و مات معاوية و هو عليها، ثم ولى يزيد بن معاوية سلم بن زياد فصالحه أهل خارزم على أربعمائة ألف و حملوها إليه و قطع النهر و معه امرأته أم محمد بنت عبد اللّه بن عثمان بن أبى العاصى الثقفى، و كانت أول عربية عبر بها النهر و أتى سمرقند فأعطاه أهلها ألف دية، و ولد له ابن سماه السغدى، و استعارت امرأة من امرأة صاحب السغد حليها فكسرته عليها و ذهبت به، و وجه سلم بن زياد و هو بالسغد جيشا إلى خجندة و فيهم أعشى همدان فهزموا فقال الأعشى:

ليت خيلى يوم الخجندة لم يهزم و غودرت فى المكر سليبا تحضر الطير مصرعى و تروحت إلى اللّه فى الدماء خضيبا ثم رجع سلم إلى مرو ثم غزا منها فقطع النهر و قتل بندون السغدى، و قد كان السغد جمعت له فقاتلها، و لما مات يزيد بن معاوية التاث الناس على سلم و قالوا: بئس ما ظن ابن سميه أن ظن أنه يتأمر علينا فى الجماعة و الفتنة كما قيل لأخيه عبيد اللّه بالبصرة فشخص عن خراسان و أتى عبد اللّه بن الزبير فأغرمه

فتوح البلدان، ص: ۴۰۰

أربعة آلاف ألف درهم و حبسه، و كان سلم يقول: ليتنى أتيت الشام و لم آنف من حدمة أخى عبيد اللّه بن زياد، فكنت أغسل رجله و لم آت ابن الزبير فلم يزل بمكـة حتى حصـر ابن الزبير الحجـاج بن يوسف فنقب السـجن و صـار إلى الحجـاج ثم إلى عبـد الملك، فقال له عبـد الملك: أما و اللّه لو أقمت بمكـة ما كان لها وال غيرك، و لا كان بها عليك أمير و ولاه خراسان، فلما قدم البصـرة مات بها.

قالوا: و قد كان عبد اللّه بن خازم السـلمى تلقى سـلم بن زياد منصـرفه من خراسان بنيسابور، فكتب له سلم عهدا على خراسان و أعانه بمائـة ألف درهم، فـاجتمع جمع كثير من بكر بن وائـل و غيرهم، فقالوا: على ما يأكل هؤلاء خراسان دوننا فأغاروا على ثقل ابن خازم فقاتلوهم عنه فكفوا.

و أرسل سـليمان بن مرثد أحد بنى سـعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ابن عكابة من المراثد بن ربيعة إلى ابن خازم أن العهد الـذى معـك لو اسـتطاع صـاحبه أن يقيم بخراسـان لم يخرج عنها و يوجهك، و أقبل سـليمان فنزل بمشـرعة سـليمان و نزل ابن خازم بمرو، و اتفقا على أن يكتبا إلى ابن الزبير فأيهما أمره فهو الأمير ففعلا، فولى ابن الزبير عبد اللّه بن خازم خراسان فقدم إليه بعهده عروة بن قطبة بعد سـتة أشـهر فأبى سليمان أن يقبل ذلك، و قال: ما ابن الزبير بخليفة و إنما هو رجل عائذ بالبيت فحاربه ابن خازم و هو فى سـتة آلاف و سـليمان فى خمسـة عشـر ألفا فقتل سـليمان قتله قيس بن عاصم السـلمى و احتز رأسه و أصـيب من أصـحاب ابن خازم رجال، و كان شـعار ابن خازم حمر لا ينصـرون، و شـعار سـليمان يا نصـر اللّه اقترب، و اجتمع فل سليمان إلى عمر بن مرثد بالطالقان، فسـار إليه ابن خـازم فقـاتله فقتله، و اجتمعت ربيعـة إلى أوس بن ثعلبـة بهراة فاسـتخلف ابن خازم موسـى ابنه و سار إليه، و كانت بين أصحابهما وقائع، و اغتنمت الترك ذلك فكانت تغير

فتوح البلدان، ص: ۴۰۱

حتى بلغت قرب نيسابور و دس ابن خازم إلى أوس من سـمه فمرض، و اجتمعوا للقتال فحض ابن خازم أصـحابه فقال: اجعلوه يومكم و اطعنوا الخيل من مناخرها فإنه لم يطعن فرس قط فى منخره إلا أدبر فاقتتلوا قتالا شديدا، و أصابت أوسا جراحة و هو عليل فمات منها بعد أيام، و ولى ابن خازم ابنه محمدا هراة، و جعل على شرطته بكير ابن و شاح و صفت له خراسان.

ثم أن بنى تميم هاجوا بهراة و قتلوا محمدا فظفر أبوه بعثمان بن بشر بن المختفز فقتله صبرا، و قتل رجلا من بنى تميم فاجتمع بنو تميم فتناظروا، و قالوا ما نرى هـذا يقلع عنا فيصـير جماعة منا إلى طوس فإذا خرج إليهم خلعه من بمرو منا، فمضـى بجير بن وقاء الصـريمى من بنى تميم إلى طوس فى جماعـة فـدخلوا الحصن ثم تحولوا إلى أبرشـهر و خلعوا ابن خازم فوجه ابن خازم ثقله مع ابنه موسـى إلى الترمذ، و لم يأمن عليه من بمرو من بنى تميم، و ورد كتاب عبد الملك بن مروان على ابن خازم بولاية خراسان فأطعم رسوله الكتاب، و قال: ما كنت لألقى اللّه و قـد نكثت بيعـة ابن حوارى رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم و بايعت ابن طريـده، فكتب عبد الملك إلى بكير بن و شاح بولايته خراسان فخاف ابن خازم أن يأتيه فى أهل مرو، و قـد كان بكير خلع ابن خازم، و أخـذ السـلاح و بيت المال و دعى أهل مرو إلى بيعـة عبـد الملك فبايعوه، فمضـى ابن خازم يريد ابنه موسـى و هو بالترمذ فى عياله و ثقله فاتبعه بحير فقاتله بقرب مرو، و دعيا و كيف بن الدورقية القريعى، و اسم أبيه عميرة و أمه من سبى دورق نسب إليه بدرعه و سـلاحه فلبسه و خرج فحمل على ابن خازم و معه بجير بن وقاء فطعناه و قعـد وكيع على صـدره، و قال: يا لثارات دويلـة و دويلة أخو وكيع لأمه، و كان مولى لبنى قريع قتله ابن خازم فتنخم ابن خازم فى وجهه، و قال لعنك اللّه أ تقتل كبش مضر بأخيك علج لا يساوى كفا من نوى، و قال وكيع:

فتوح البلدان، ص: ۴۰۲ ذق يا ابن عجلى مثل ما قد أذقتنىو لا تحسبنى كنت عن ذاك غافلا

عجلى أم ابن خازم و كان يكنى أبا صالـح، و كنيـة وكيع بن الدورقية أبو ربيعة و قتل مع عبد اللّه بن خازم ابناه عنبسة و يحيى و طعن طهمـان مولى ابن خازم، و هو جـد يعقوب بن داود كاتب أمير المؤمنين المهـدى بعـد أبى عبيـد اللّه، و أتى بكير بن وشاح برأس ابن

خازم فبعث به إلى عبد الملك بن مروان فنصبه بدمشق، و قطعوا يده اليمنى و بعثوا بها إلى ولد عثمان بن بشر ابن المحتفز المزنى.
و كان وكيع جافيا عظيم الخلقة صلى يوما و بين يديه نبت فجعل يأكل منه فقيل له: أ تأكل و أنت تصلى، فقال: ما كان اللّه أحرم نبتا أنبته بماء السماء على طين الثرى، و كان يشرب الخمر فعوتب عليها، فقال: فى الخمر تعاتبونى و هى تجلو بولى حتى تصيره كالفضة.
قالوا: و غضب قوم لابن خازم و وقع الاختلاف، و صارت طائفة مع بكير بن وشاح، و طائفة مع بجير، فكتب وجوه أهل خراسان و خيارهم إلى عبد الملك يعلمونه أنه لا تصلح خراسان بعد الفتنة إلا برجل من قريش، فولى أمية بن عبد اللّه بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية خراسان، فولى بكير ابن و شاح طخارستان، ثم ولاه غزو ما وراء النهر: ثم عزم أمية على غزو بخارى ثم إتيان موسى بن عبد اللّه بن خازم بالترمذ فانصرف بكير إلى مرو و أخذ ابن أمية فحبسه و دعى الناس إلى خلع أمية فأجابوه، و بلغ ذلك أمية فصالح أهل بخارى على فدية قليلة و اتخذ السفن. و قد كان بكير أحرقها و رجع و ترك موسى بن عبد اللّه فقدم فقاتله بكير. ثم صالحه على أن يوليه أى ناحية شاء، ثم بلغ أمية أنه يسعى فى خلعه بعد ذلك، فأمر إذا دخل داره أن يأخذ فدخلها فأخذ و أمر بحبسه فوثب به بجير بن وقاء فقتله.
فتوح البلدان، ص: ۴۰۳
و غزا أمية الختل و قد نقضوا بعد أن صالحهم سعيد بن عثمان فافتتحها، أن الحجاج بن يوسف ولى خراسان مع العراقين، فولى خراسان المهلب بن أبى صفرة، و اسمه ظالم بن سراق بن صبح بن العتيك من الأزد، و يكنى أبا سعيد سنة تسع و تسعين فغزى كثيرة، و فتح الختل و قد انتقضت، و فتح خجندة فأدت إليه السغد الأتاوة، و غزاكش و نسف و رجع فمات بزاغول من مرو الروذ بالشوصة، و كان بدء علته الحزن على ابنه المغيرة بن المهلب و استخلف المهلب ابنه يزيد بن المهلب فغازا مغازى كثيرة و فتح البتم على يد مخلد بن يزيد بن المهلب.
و ولى الحجاج يزيد بن المهلب و صار عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب إلى هراة فى فل ابن الأشعث و غيرهم، و كان خرج مع ابن الأشعث فقتل الرقاد العتكى و جبى الخراج فسار إليه يزيد فاقتتلوا فهزمهم يزيد و أمر بالكف عن اتباعهم و لحق الهاشمى بالسند، و غزا يزيد خارزم و أصاب سبيا فلبس الجند ثياب السبى فماتوا من البرد، ثم ولى الحجاج المفضل بن المهلب بن أبى صفرة ففتح بادغيس و قد انتقضت و شومان و آخرون و أصاب غنائم قسمها بين الناس.
قالوا: و كان موسى بن عبد اللّه بن خازم السلمى بالترمذ، فأتى سمرقند فأكرمه ملكها طرخون، فوثب رجل من أصحابه على رجل من السغد فقتله فأخرجه و من معه و أتى صاحب كش. ثم أتى الترمذ و هو حصن فنزل على دهقان الترمذ و هيأ له طعاما فلما أكل اضطجع. فقال له الدهقان:
أخرج فقال: لست أعرف منزلا مثل هذا. و قاتل أهل الترمذ حتى غلب عليها. فخرج دهقانها و أهلها إلى الترك يستنصرونهم فلم ينصروهم. و قالوا:
لعنكم اللّه فما ترجون بجبر أتاكم رجل فى مائة و أخرجكم عن مدينتكم و غلبكم عليها.
فتوح البلدان، ص: ۴۰۴
ثم تتام أصحاب موسى إليه ممن كان مع أبيه و غيرهم، و لم يزل صاحب الترمذ و أهلها بالترك حتى أعانوا و أطافوا جميعا بموسى و من معه فبيتهم موسى و حوى عسكرهم و أصيب من المسلمين ستة عشر رجلا، و كان ثابت و حريث ابنا قطبة الخزاعيان مع موسى فاستجاشا طرخون و أصحابه لموسى فأنجده و أنهض إليه بشرا كثيرا فعظمت دالتهما عليه و كانا الآمرين و الناهيين فى عسكره فقيل له إنما لك الاسم و هذان صاحبا العسكر و الأمر، و خرج إليه من أهل الترمذ خلق من الهياطلة و الترك و اقتلوا قتالا شديدا فغلبهم المسلمون و من معهم فبلغ ذلك الحجاج، فقال: احمد للّه الذى نصر المنافقين على المشركين، و جعل موسى من رؤس من قاتله جوسقين عظيمين، و قتل حريث بن قطبة بنشابة أصابته فقال أصحاب موسى لموسى: قد أراحنا اللّه من حريث فأرحنا من ثابت فإنه لا

يصفو عيش معه، و بلغ ثابتا ما يخوضون فيه فلما استثبته لحق بحشورا و استنجد طرخون فأنجده، فنهض إليه موسى فغلب على ربض المدينهٔ، ثم كبرت أمداد السغد فرجع إلى الترمذ فتحصن بها و أعانه أهل كش و نسف و بخارى فحصر ثابت موسى و هو فى ثمانين ألفا فوجه موسى يزيد بن هزيل كالمعزى لزياد القصير الخزاعى و قد أصيب بمصيبهٔ فالتمس الغرهٔ من ثابت فضربه بالسيف على رأسه ضربهٔ عاش بعدها سبعهٔ أيام ثم مات و ألقى يزيد نفسه فى نهر الصغانيان فنجا و قام طرخون بأمر أصحابه فبيتهم موسى فرجعت الأعاجم إلى بلادها، و كان أهل خراسان يقولون: ما رأينا مثل موسى قاتل مع أبيه سنتين لم يفل، ثم أتى الترمذ فغلب عليها و هو فى عدهٔ يسيرهٔ و أخرج ملكها عنها ثم قاتل الترك و العجم فهزمهم و أوقع بهم فلما عزل يزيد ابن المهلب و تولى المفضل بن المهلب خراسان وجه عثمان بن مسعود، فسار حتى نزل جزيرهٔ بالترمذ تدعى اليوم جزيرهٔ عثمان، و هو فى خمسهٔ عشر ألفا

فتوح البلدان، ص: ۴۰۵

فضيق على موسى و كتب إلى طرخون فقدم عليه، فلما رأى موسى الذى ورد عليه خرج من المدينهٔ و قال لأصحابه الذين خلفهم فيها: أن قتلت فادفعوا المدينهٔ إلى مدرك بن المهلب و لا تدفعوها إلى ابن مسعود، و حال الترك و السغد بين موسى و الحصن و عثر به فرسه فسقط فارتدف خلف مولى له، و جعل يقول: الموت كريه فنظر إليه عثمان فقال وثبهٔ موسى و رب الكعبهٔ و قصد له حتى سقط و مولاه فانطووا عليه فقتلوه و قتل أصحابه فلم ينج منهم إلا رقيهٔ بن الحرفانه دفعه إلى خالد بن أبى برزهٔ الأسلمى، و كان الذى أجهز على موسى بن عبد اللّه و اصل بن طيسلهٔ العنبرى، و دفعت المدينهٔ إلى مدرك ابن المهلب و كان قتله فى آخر سنهٔ خمس و ثمانين و ضرب رجل ساق موسى و هو قتيل فلما ولى قتيبهٔ قتله.

قالوا: ثم ولى الحجاج قتيبهٔ بن مسلم الباهلى خراسان، فخرج يريد آخرون فلما كان بالطالقاه تلقاه دهاقين بلخ فعبروا معه النهر فأتاه حين عبر النهر ملك الصغانيان بهدايا و مفتاح من ذهب و أعطاه الطاعهٔ و دعاه إلى نزول بلاده و كان ملك آخرون و شومان قد ضيق على ملك الصغانيان و غزاه فلذلك أعطى قتيبهٔ ما أعطاه و دعاه إلى ما دعاه إليه، و أتى قتيبهٔ ملك كفيان بنحو ما أتاه به ملك الصغانيان و سلما إليه، بلديهما، فانصرف قتيبهٔ إلى مرو و خلف أخاه صالحا على ما وراء النهر ففتح صالح كاسان و اورشت، و هى من فرغانهٔ و كان نصر بن سيار معه فى جيشه و فتح بيعنخر و فتح خشكت من فرغانهٔ و هى مدينتها القديمهٔ، و كان آخر من فتح كاسان و أورشت، و قد انتقض أهلها نوح بن أسد فى خلافهٔ أمير المؤمنين المنتصر بالله رحمه اللّه.

قالوا: و أرسل ملك الجوزجان إلى قتيبهٔ فصالحه على أن يأتيه فصار إليه، ثم رجع فمات بالطالقان. ثم غزا قتيبهٔ بيكند سنهٔ سبع و ثمانين و معه

فتوح البلدان، ص: ۴۰۶

نيزك فقطع النهر من زم إلى بيكند، و هى أدنى مدائن بخارى إلى النهر فغدروا و استنصروا السغد فقاتلهم و أغار عليهم و حصرهم فطلبوا الصلح ففتحها عنوهٔ و غزا قتيبهٔ تومشكت و كرمينيهٔ سنهٔ ثمان و ثمانين و استخلف على مرو بشار بن مسلم أخاه فصالحهم و افتتح حصونا صغارا و غزا قتيبهٔ بخارى ففتحها على صلح، و قال أبو عبيدهٔ معمر بن المثنى أتى قتيبهٔ بخارى فاحترسوا منه، فقال دعونى أدخلها فأصلى ركعتين فأذنوا له فى ذلك فاكمن لهم قوما، فلما دخلوا كاثروا أهل الباب و دخلوا فأصاب فيها مالا عظيما و غدر بأهلها، قال:

و أوقع قتيبهٔ بالسغد و قتل نيزك بطخارستان و صلبه و افتتح كش و نسف و هى نخشب صلحا.

قالوا: و كان ملك خارزم ضعيفا، و كان أخوه خر زاد قد ضاده و قوى عليه، فبعث ملك خارزم إلى قتيبهٔ أنى أعطيك كذا و كذا و أدفع إليك المفاتيح على أن تملكنى على بلادى دون أخى، و خارزم ثلاث مدائن يحاط بها فارقين و مدينهٔ الفيل أحصنها.

و قال على بن مجاهد إنما مدينهٔ الفيل سمرقند، فنزل الملك أحصن المدائن و بعث إلى قتيبهٔ بالمال الذى صالحه عليه و بالمفاتيح فوجه قتيبهٔ أخاه عبد الرحمن بن مسلم إلى خرزاد فقاتله و ظفر بأربعهٔ آلاف أسير فقتلهم، و ملك ملك خارزم الأول على ما شرط له،

فقال له أهل مملكته:

أنه ضعيف و وثبوا عليه فقتلوه، فولى قتيبة أخاه عبيد اللّه بن مسلم خوارزم، و غزا قتيبة سمرقند، و كانت ملوك السغد تنزلها قديما، ثم نزلت اشتيخن، فحصر قتيبة أهل سمرقند و التقوا مرارا فاقتتلوا، و كتب ملك السغد إلى ملك الشاش و هو مقيم بالطاربند، فأتاه فى خلق من مقاتلته فلقيهم المسلمون فاقتتلوا أشد قتال، ثم أن قتيبة أوقع بهم و كسرهم فصالحه غوزك على الفى ألف و مائتى ألف درهم فى كل عام و على أن يصلى فى المدينة فدخلها و قد اتخذ له غوزك طعاما فأكل و صلى و اتخذ مسجدا و خلف بها جماعة من

فتوح البلدان، ص: ۴۰۷

المسلمين فيهم الضحاك بن مزاحم صاحب التفسير، و يقال: أنه صالح قتيبة على سبعمائة ألف درهم و ضيافة المسلمين ثلاثة أيام، و كان فى صلحه بيوت الأصنام و النيران فأخرجت الأصنام فسلبت حليتها و أحرقت، و كانت الأعاجم تقول أن فيها أصناما من استخف بها هلك فلما حرقها قتيبة بيده أسلم منهم خلق، فقال المختار بن كعب الجعفى فى قتيبة:

دوخ السغد بالقبائل حتى ترك السغد بالعراء قعودا

و قال أبو عبيدة و غيره لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد عليه قوم من أهل سمرقند فرفعوا إليه أن قتيبة دخل مدينتهم و أسكنها المسلمين على غدر فكتب عمر إلى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضيا ينظر فيما ذكروا فان قضى بإخراج المسلمين أخرجوا فنصب لهم جميع بن حاضر الباجى فحكم بإخراج المسلمين على أن ينابذوهم على سواء فكره أهل مدينة سمرقند الحرب و أقروا المسلمين فأقاموا بين أظهرهم.

و قال الهيثم بن عدى: حدثنى ابن عياش الهمذانى، قال: فتح قتيبة عامة الشاش و بلغ أسبيجاب، و قيل كان فتح حصن أسبيجاب قديما ثم غلب عليه الترك و معهم قوم من أهل الشاش، ثم فتحه نوح بن أسد فى خلافة أمير المؤمنين المعتصم بالله و بنى حوله سورا يحيط بكروم أهله و مزارعهم.

و قال أبو عبيدة معمر بن المثنى فتح قتيبة خارزم و فتح سمرقند عنوة، و قد كان سعيد بن عثمان صالح أهلها ففتحها قتيبة بعده و لم يكونوا نقضوا و لكنه استقل صلحهم، قال: و فتح بيكند و كش و نسف و الشاش، و غزا فرغانة ففتح بعضها و غزا السغد و أشر و سنة، قالوا: و كان قتيبة مستوحشا من سليمان بن عبد الملك و ذلك أنه سعى فى بيعة عبد العزيز بن الوليد فأراد دفعها عن سليمان، فلما مات الوليد. و قام سليمان خطب الناس فقال

فتوح البلدان، ص: ۴۰۸

أنه قد وليكم هبنقة العائشى، و ذلك أن سليمان كان يعطى و يصطنع أهل النعم و اليسار و يدع من سواهم، و كان هبنقة و هو يزيد بن ثروان يؤثر سمان ابله بالعلف و المرعى، و يقول: أنا لا أصلح ما أفسد اللّه و دعا الناس إلى خلعه فلم يجبه أحد إلى ذلك فشتم بنى تميم و نسبهم إلى الغدر، و قال لستم بنى تميم و لكنكم بنى ذميم، و ذم بنى بكر بن وائل، و قال: يا أخوة مسلمة، و ذم الأزد فقال بدلتم الرماح بالمراد و بالسفن أعنة الحصن، و قال:

يا أهل السافلة و لا أقول أهل العالية لأضعنكم بحيث وضعكم اللّه، قال:

فكتب سليمان إلى قتيبة بالولاية و أمره بإطلاق كل من فى حبسه و أن يعطى الناس أعطياتهم و يأذن لمن أراد القفول فى القفول و كانوا متطلعين إلى ذلك و أمر رسوله باعلام الناس ما كتب به، فقال قتيبة: هذا من تدبيره على و قام فقال: أيها الناس إن سليمان قد مناكم مخ أعضاد البعوض و أنكم ستدعون إلى بيعة أنور صبى لا تحل ذبيحته و كانوا حنقين عليه لشتمه إياهم فاعتذر من ذلك، و قال: انى غضبت فلم أدر ما قلت و ما أردت لكم إلا الخير فتكلموا، و قالوا: إن أذن لنا فى القفول كان خيرا له.

و إن لم يفعل فلا يلومن إلا نفسه، و بلغه ذلك فخطب الناس فعدد إحسانه إليهم و ذم قلة وفائهم له و خلافهم عليه و خوفهم بالأعاجم

الـذین اسـتظهر بهم علیهم، فأجمعوا علی حربه و لم یجیبوه بشـیء و طلبوا إلی الحصـین بن المنذر أن یولوه أمرهم فأبی و أشار علیهم بوکیع بن حسـان بن قیس بن أبی سود بن کلب بن عوف بن مالک بن غدانـة بن یربوع بن حنظلـة التمیمی، و قال: لا یقوی علی هـذا الأمر غیره لأنه أعرابی جاف تطیعه عشیرته و هو من بنی تمیم و قد قتل قتیبة بنی الأهتم فهم یطلبونه بدمائهم فسعوا إلی وکیع فأعطاهم یده فبایعوه، و کان السفیر بینه و بینهم قبل ذلک حیان مولی مصقلة و بخراسان یومئذ من مقاتلة أهل البصرة أربعون

ألفا و من أهل الکوفة سبعة آلاف و من الموالی سبعة آلاف، و إن وکیعا تمارض و لزم منزله فکان قتیبة یبعث إلیه و قد طلی رجلیه و ساقه بمغرة فیقول أنا علیل لا تمکننی الحرکـة، و کان إذا أرسل إلیه قوما یأتونه به تسـللوا و أتوا وکیعا فأخبروه فـدعا وکیع بسـلاحه و برمـح و أخذ خمار أم ولده فعقده علیه، و لقیه رجل یقال له إدریس فقال له یا أبا مطرف أنک ترید أمرا و تخاف ما قد أمنک الرجل منه فاللّه اللّه، فقال وکیع: هـذا إدریس رسول إبلیس أ قتیبة یؤمننی و اللّه لا آتیه حتی أوتی برأسه، و دلف نحو فسـطاط قتیبة و تلاحق به و قتیبة فی أهل بیته و قوم وفوا له فقال صالح أخوه لغلامه:

هـات قوسـی، فقـال له بعضـهم و هو یهزأ به: لیس هـذا یوم قوس و رماه رجل من بنی ضـبة فأصاب رهابته فصـرع و أدخل الفسـطاط فقضـی و قتیبة عند رأسه و کان قتیبة یقول لحیان و هو علی الأعاجم أحمل فیقول لم یأن ذلک بعد و حملت العجم علی العرب، فقال حیان: یا معشـر العجم لم تقتلون أنفسـکم لقتیبة أ لحسن بلائه عندکم فانحاز بهم إلی بنی تمیم و تهایج الناس و صبر مع قتیبة أخوته و أهـل بیته و قوم من أبناء ملوک السـغد أنفوا من خـذلانه و قطعت أطناب الفسـطاط و أطناب الفازة فسـقطت علی قتیبـة و سـقط عمود الفـازة علی هـامته فقتله فـاحتز رأسه عبـد اللّه بن علوان، و قـال قوم منهم هشام بن الکلبی: بل دخلوا علیه فسـطاطه فقتله جهم بن زحر الجعفی و ضـربه سعد بن مجد و احتز رأسه بن علوان، قالوا: و قتل معه جماعة من أخوته و أهل بیته و أم ولده الصماء و نجا ضرار بن مسـلم أمنه بنو تمیم، و أخـذت الأزد رأس قتیبـة و خاتمه و أتی وکیع برأس قتیبـة فبعث به إلی سـلیمان مع سـلیط بن عطیة الحنفی. و أقبل الناس یسـلبون باهلة فمنع من ذلک، و کتب وکیع إلی أبی مجاز لاحق بن حمیدة بعهده علی مرو فقبله و رضـی الناس به، و کان قتیبة یوم قتل ابن خمس و خمسین سنة، و لما قبل وکیع بن أبی سود بصارم بخراسان

و ضـبطها فأراد سـلیمان تولیته إیاها فقیل له أن وکیعا ترفعه الفتنـة و تضـعه الجماعـة و فیه جفاء و إعرابیـة، و کان وکیع یدعو بطسـت فیبول و الناس ینظرن إلیه فمکث تسعة أشـهر حتی قـدم علیه یزید بن المهلب، و کان بالعراق، فکتب إلیه سـلیمان أن یأتی خراسان و بعث إلیه بعهـده فقـدم یزیـد مخلدا ابنه فحاسب وکیعا و حبسه، و قال له: أد مال اللّه فقال: أو خازنا للّه کنت، و غزا مخلد البتم ففتحها ثم نقضوا بعـده فترکهم و مـال عنهم فطمعوا فی انصـرافه، ثم کر علیهم حتی دخلهـا و دخلها جهم بن زحر و أصاب بها مالا و أصـناما من ذهب فأهل البتم ینسبون إلی ولائه، قال أبو عبیدة معمر بن المثنی: کانوا یرون أن عبد اللّه بن عبد اللّه بن الأهتم أبا خاقان قد کتب إلی الحجاج یسـعی بقتیبـة و یخبر بما صار إلیه من المال و هو یومئذ خلیفة قتیبة علی مرو، و کان قتیبة إذا غزا اسـتخلفه علی مرو، فلما کانت غزوة بخاری و ما یلیها و اسـتخلفه أتاه بشـیر أحد بنی الأهتم، فقال له: أنک قد انبسـطت إلی عبد اللّه و هو ذو غوائل حسود فلا نأمنه أن یعزلک فیسـتفسدنا قال إنما قلت هـذا حسدا لابن عمک، قال فلیکن عذری عندک فإن کان ذلک عذرتنی و غزا، فکتب بما کتب به إلی الحجـاج فطوی الحجـاج کتـابه فی کتـابه إلی قتیبـة، فجـاء الرسول حتی نزل السـکة بمرو و جاوزهـا، و لم یـأت عبـد اللّه فـأحس بالشـر فهرب فلحق بالشـام فمکث زمنا یبیع الخمر و الکتانیات فی رزمـة علی عنقه یطوف بها، ثم أنه وضع خرقـة و قطنـة علی إحدی عینیه ثم عصـبها و اکتنی بأبی طینة، و کان یبیع الزیت فلم یزل علی هذه الحال حتی هلک الولید بن عبد الملک، و قام سلیمان فألقی عنه ذاک الـدنس و الخرقـة و قام بخطبـة تهنئة لسـلیمان و وقوعا فی الحجاج و قتیبة، و کان قد بایع لعبد العزیز بن الولید و خلع سلیمان فتفرق الناس و هم یقولون: أبو طینة الزیات أبلغ الناس، فلما انتهی إلی قتیبة کتاب ابن الأهتم إلی الحجاج و قد فاته عکر علی

فتوح البلدان، ص: ۴۱۱

بنى عمه و بنيه، و كان أحدهم شيبة أبو شبيب فقتل تسعه أناسى منهم أحدهم بشير:

فقال له بشير: اذكر عذرى عندك فقال قدمت رجلا و أخرت رجلا يا عدو اللّه فقتلهم جميعا، و كان وكيع بن أبى سود قبل ذلك على بنى تميم بخراسان فعزله عنهم قتيبة و استعمل رجلا من بنى ضرار الضبى، فقال حين قتلهم: قتلنى اللّه أنا أقتله و يفقدوه فلم يصل الظهر و لا العصر، فقالوا له: أنك لم تصل، فقال:

و كيف أصلى لرب قتل منا عامتهم صبيان و لم يغضب لهم.

و قال أبو عبيدة: غزا قتيبة مدينة فيل ففتحها، و قد كان أمية بن عبد اللّه بن خالد بن أسيد فتحها ثم نكثوا و رامهم يزيد بن المهلب فلم يقدر عليها، فقال كعب الأشقرى:

أعطتك فيل بأيديها و حق لهاو رامها قبلك الفجاجة الصلف

يعنى يزيد بن المهلب، قالوا: و لما استخلف عمر بن عبد العزيز كتب إلى ملوك ما وراء النهر يدعوهم إلى الإسلام فأسلم بعضهم، و كان عامل عمر على خراسان الجراح بن عبد اللّه الحكمى فأخذ مخلد بن يزيد و عمال يزيد فحبسهم و وجه الجراح عبد اللّه بن معمر اليشكرى إلى ما وراء النهر فأوغل فى بلاد العدو و هم بدخول الصين فأحاطت به الترك حتى افتدى منهم و تخلص و صار إلى الشاش، و رفع عمر الخراج على من أسلم بخراسان و فرض لمن أسلم و ابتنى الخانات، ثم بلغ عمر عن الجراح عصبية و كتب إليه أنه لا يصلح أهل خراسان إلا السيف فأنكر ذلك و عزله و كان عليه دين فقضاه، و ولى عبد الرحمن بن نعيم الغامدى حرب خراسان و عبد الرحمن بن عبد اللّه القشيرى خراجها.

قال و كان الجراح بن عبد اللّه يتخذ نقرا من فضة و ذهب و يصيرها تحت

فتوح البلدان، ص: ۴۱۲

بساط فى مجلسه على أوزان مختلفة، فإذا دخل عليه الداخل من أخوته و المعتزين به رمى إلى كل امرئ منهم مقدار ما يؤهل له، ثم ولى يزيد بن عبد الملك فولى مسلمة بن عبد الملك العراق و خراسان، فولى مسلمة سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبى العاص بن أمية خراسان و سعيد هذا يلقب حذيفة، و ذلك أن بعض دهاقين ما وراء النهر دخل عليه و عليه معصفر و قد رجل شعره، فقال: هذا حذيفة يعنى دهقانه، و كان سعيد صهر مسلمة على ابنته فقدم سعيد سورة بن الحر الحنظلى، ثم ابنه فتوجه إلى ما وراء النهر فنزل اشتيخن و قد صارت الترك إليها فحاربهم و هزمهم و منع الناس من طلبهم حينا، ثم لقى الترك ثانية فهزموهم و أكثروا القتل فى أصحابه و ولى سعيد نصر بن سيار و فى سعيد يقول الشاعر:

فسرت إلى الأعداء تلهو بلعبةفايرك مشهور و سيفك مغمد

و شخص قوم من وجوه أهل خراسان إلى مسلمة يشكون سعيدا فعزله و ولى سعيد بن عمر الجرشى خراسان، فلما قدمها أمر كاتبه بقراءة عهده و كان لحانا، فقال سعيد: أيها الناس أن الأمير برىء مما تسمعون من هذا اللحن و وجه إلى السغد يدعوهم إلى الفئة و المراجعة و كف عن مهايجتهم حتى أتته رسله بإقامتهم على خلافة فزحف إليهم فانقطع عن عظيمهم زهاء عشرة آلاف رجل، و فارقوهم مائلين إلى الطاعة، و افتتح الجرشى عامة حصون السغد و نال من العدو نيلا شافيا.

و كان يزيد بن عبد الملك ولى عهده هشام بن عبد الملك و الوليد بن يزيد بعده، فلما مات يزيد بن عبد الملك قام هشام فولى عمر بن هبيرة الفزارى العراق فعزل الجرشى و استعمل على خراسان مسلم بن سعيد فغزا افشين فصالحه على ستة آلاف رأس و دفع إليه قلعته ثم انصرف إلى مرو، و ولى

فتوح البلدان، ص: ۴۱۳

طخارستان نصر بن سيار فخالفه خلق من العرب فأوقع بهم ثم سفرت بينهم السفراء فاصطلحوا.

و استعمل هشام خالد بن عبد اللّه القسرى على العراق فولى أسد بن عبد اللّه أخاه خراسان و بلغ ذلك مسلم بن سعيد، فسار حتى أتى فرغانة فأناخ على مدينتها فقطع الشجر و أخرب العمارة و انحدر عليه خاقان الترك فى عسكره فارتحل عن فرغانة و سار فى يوم واحد ثلاث مراحل حتى قامت دوابه و تطرفت الترك عسكره فقاب بعض الشعراء:

غزوت بنا من خشية العزل عاصيافلم تنج من دنيا معن غرورها

و قدم أسد سمرقند فاستعمل عليها الحسن بن أبى العمرطة، فكانت الترك تطرف سمرقند و تغير، و كان الحسن ينفر كلما أغاروا فلا يلحقهم، فخطب ذات يوم فدعا على الترك فى خطبته، فقال: اللهم أقطع آثارهم و عجل أقدارهم و أنزل عليهم الصبر فشتمه أهل سمرقند، و قالوا: لا بل أنزل اللّه علينا الصبر و زلزل أقدامهم.

و غزا أسد جبال نمرود فصالحه نمرود و أسلم و غزا الختل، فلما قدم بلخ أمر ببناء مدينتها و نقل الدواوين إليها و صار إلى الختل فلم يقدر منها على شىء و أصاب الناس ضر و جوع و بلغه عن نصر بن سيار كلام فضربه و بعث به إلى خالد مع ثلاثة نفر اتهموا بالشغب، ثم شخص أسد عن خراسان و خلف عليها الحكم بن عوانة الكلبى، و استعمل هشام أشرس بن عبد اللّه السلمى على خراسان، و كان معه كاتب نبطى يسمى عميرة و يكنى أبا أمية فزين له الشر فزاد أشرس وظائف خراسان و استخف بالدهاقين، و دعا أهل ما وراء النهر إلى الإسلام و أمر بطرح الجزية عمن أسلم فسارعوا إلى الإسلام و انكسر الخراج، فلما رأى أشرس ذلك أخذ المسألة فأنكروا ذلك و ألاحوا منه

فتوح البلدان، ص: ۴۱۴

و غضب لهم ثابت قطنة الأزدى، و إنما قيل له قطنة لأن عينه فقئت فكان يضع عليها قطنة فبعث إليهم أشرس من فرق جمعهم و أخذ ثابتا فحبسه ثم خلاه بكفالة و وجهه فى وجه فخرجت عليه الترك فقتلته.

و استعمل هشام فى سنة اثنتى عشرة و مائة الجنيد بن عبد الرحمن المرى على خراسان فلقى الترك فحاربهم و وجه طلائع له فظفروا بابن خاقان و هو سكران يتصيد، فأخذوه فأتوا به الجنيد بن عبد الرحمن فبعث به إلى هشام، و لم يزل يقاتل الترك حتى دفعهم، فكتب إلى هشام يستمده فأمده بعمرو بن مسلم فى عشرة آلاف رجل من أهل البصرة و بعبد الرحمن بن نعيم فى عشرة آلاف من أهل الكوفة و حمل إليه ثلاثين ألف قناة و ثلاثين ألف ترس و أطلق يده فى الفريضة ففرض لخمسة عشر ألف رجل، و كانت للجنيد مغاز و انتشرت دعاة بنى هشام فى ولايته و قوى أمرهم و كانت وفاة الجنيد بمرو، و ولى هشام خراسان عاصم بن عبد اللّه بن يزيد الهلالى، و قال أبو عبيدة معمر بن المثنى التاثث نواح من طخارستان ففتحها الجنيد بن عبد الرحمن و ردها إلى صلحها و مقاطعتها.

قال: و كان نصر بن سيار غزا اشر و سنة أيام مروان بن محمد فلم يقدر على شىء منها، فلما استخلف أمير المؤمنين العباس رحمه اللّه و من بعده من الخلفاء كانوا يولون عمالهم فينقصون حدود أرض العدو و أطرافها و يحاربون من نكث البيعة و نقض العهد من أهل القبالة و يعيدون مصالحة من امتنع من الوفاء بصلحه بنصب الحرب له.

قالوا: و لما استخلف المأمون أمير المؤمنين أغزى السغد و أشروسنة و من انتقض عليه من أهل فرغانة الجند و ألح عليهم بالحروب و بالغارات أيام مقامه بخراسان و بعد ذلك، و كان مع تسريته الخيول إليهم يكاتبهم بالدعاء إلى الإسلام و الطاعة و الترغيب فيهما.

فتوح البلدان، ص: ۴۱۵

و وجه إلى كابل شاه جيشا فأدى الأتاوة و أذعن بالطاعة و اتصل إليها البريد حتى حمل إليها منها إهليلج وصل رطبا، و كان كاوس ملك اشروسنة كتب إلى الفضل بن سهل المعروف بذى الرياستين، و هو وزير المأمون و كاتبه يسأله الصلح على مال يؤديه على أن لا يغزى المسلمين بلده فأجيب إلى ذلك، فلما قدم المأمون رحمه اللّه إلى مدينة السلام امتنع كاوس من الوفاء بالصلح، و كان له قهرمان أثير عنده قد زوج ابنته من الفضل بن كاوس فكان يفرط الفضل عنده و يقربه من قبله و يذم حيدر بن كاوس المعروف بالأفشين و يشنعه، فوثب حيدر على القرمان فقتله على باب كنب مدينتهم و هرب إلى هاشم بن محوز الختلى، و كان هاشم ببلده

مملکا علیه، فسأله أن یکتب إلی أبیه فی الرضی علیه، و کان کاوس قد زوج أم جنید حین قتل قهرمانه طرادیس و هرب ببعض دهاقینه.

فلما بلغ حیدر ذلک أظهر الإسلام و شخص إلی مدینة السلام، فوصف للمأمون سهولة الأمر فی أشر و سنة و هون علیه ما یهوله الناس من خبروها و وصف له طریقا مختصرة إلیها، فوجه المأمون أحمد بن أبی خالد الأحول الکاتب لغزوها فی جیش عظیم، فلما بلغ کاوس إقباله نحوه بعث الفضل ابن کاوس إلی الترک یستنجدهم فأنجده منهم الدهم، و قدم أحمد بن أبی خالد بلد أشر و سنة فأناخ علی مدینتها قبل موافاة الفضل بالأتراک فکان تقدیر کاوس فیه أن یسلک الطریق البعیدة و أنه لا یعرف هذه الطریق المختصرة فسقط فی یده و نخب قلبه فاستسلم و خرج فی الطاعة و بلغ الفضل خبره فانحاز بالأتراک إلی مفازة هناک ثم فارقهم و سار جلدا حتی أتی أباه فدخل فی أمانه و هلک الأتراک عطشا، و ورد کاوس مدینة السلام فأظهر الإسلام و ملکه المأمون علی بلاده، ثم ملک حیدر ابنه و هو الأفشین بعده، و کان المأمون رحمه اللّه یکتب إلی عماله علی خراسان فی غزو من لم یکن علی

فتوح البلدان، ص: ۴۱۶

الطاعة و الإسلام من أهل ما وراء النهر، و یوجه رسله فیفرضون لمن رغب فی الدیوان و أراد الفریضة من أهل تلک النواحی و أبناء ملوکهم و یستمیلهم بالرغبة فإذا و ردوا بابه شرفهم و أسنی صلاتهم و أرزاقهم، ثم استخلف المعتصم بالله فکان علی مثل ذلک حتی صار حل شهود عسکره من جند أهل ما وراء النهر من السغد و الفراعنة و الأشروسنة و أهل الشاش و غیرهم، و حضر ملوکهم بابه و غلب الإسلام علی ما هناک، و صار أهل تلک البلاد یغزون من وراءهم من الترک، و أعزی عبد اللّه بن طاهر ابنه طاهر بن عبد اللّه بلاد الغوزیة، ففتح مواضع لم یصل إلیها أحد قبله.

و حدثنی العمری عن الهیثم بن عدی عن ابن عیاش أن قتیبة أسکن العرب ما وراء النهر حتی أسکنهم أرض فرغانة و الشاش.

فتوح السند

أخبرنا علی بن محمد بن عبد اللّه بن أبی سیف، قال: ولی عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه عثمان بن أبی العاصی الثقفی البحرین و عمان سنة خمس عشرة فوجه أخاه الحکم إلی البحرین و مضی إلی عمان فأقطع جیشا إلی تانه، فلما رجع الجیش کتب إلی عمر یعلمه ذلک، فکتب إلیه عمر: یا أخا ثقیف حملت دودا علی عود و إنی أحلف بالله لو أصیبوا لأخذت من قومک مثلهم، و وجه الحکم أیضا إلی بروص، و وجه أخاه المغیرة بن أبی العاصی إلی خور الدیبل، فلقی العدو فظفر، فلما ولی عثمان بن عفان رضی اللّه عنه، و ولی عبد اللّه بن عامر بن کریز العراق کتب إلیه یأمره أن یوجه إلی ثغر الهند من یعلم علمه و ینصرف إلیه بخبره فوجه حکیم بن جبلة العبدی، فلما رجع أوفده إلی عثمان فسأله عن حال البلاد فقال: یا أمیر المؤمنین قد عرفتها و تنحرتها، قال فصفها لی، قال: ماؤها و شل

فتوح البلدان، ص: ۴۱۷

و ثمرها دقل و لصها بطل، إن قل الجیش فیها ضاعوا، و إن کثروا جاعوا، فقال له عثمان: أ خابر أم ساجع، قال: بل خابر فلم یغزها أحدا، فلما کان آخر سنة ثمان و ثلاثین و أول سنة تسع و ثلاثین فی خلافة علی بن أبی طالب رضی اللّه عنه توجه إلی ذلک الثغر الحارث بن مرة العبدی متطوعا بإذن علی فظفر و أصاب مغنما و سبیا و قسم فی یوم واحد ألف رأس، ثم إنه قتل و من معه بأرض القیقان إلا قلیلا و کان مقتله فی سنة اثنتین و أربعین و القیقان من بلاد السند مما یلی خراسان، ثم غزا ذلک الثغر المهلب بن أبی صفرة فی أیام معاویة سنة أربع و أربعین فأتی بنة و الأهواز و هما بین الملتان و کابل فلقیه العدو فقاتله و من معه، و لقی المهلب ببلاد القیقان ثمانیة عشر فارسا من الترک علی خیل محذوفة فقاتلوه فقتلوا جمیعا، فقال المهلب: ما جعل هؤلاء الأعاجم أولی بالتمشیر منا فحذف الخیل فکان أول من حذفها من المسلمین و فی بنة یقول الأزدی:

أ لم تر أن الأزد ليلة بيتوابيتة كانوا خير جيش المهلب

ثم ولى عبـد اللّه بن عامر فى زمن معاويـة بن أبى سـفيان عبـد اللّه بن سوار العبدى، و يقال ولاه معاوية من قبله ثغر الهند، فغزا القيقان فأصـاب مغنما، ثم وفـد إلى معاويـة و أهـدى إليه خيلا قيقانيـة و أقام عنـده، ثم رجع إلى القيقان فاسـتجاشوا الترك فقتلوه و فيه يقول الشاعر:

و ابن سوار على عدته موقد النار و قتال السغب

و كـان سـخيا لم يوقـد أحـد نارا غير ناره فى عسـكره، فرأى ذات ليلـة نارا فقال: ما هـذه، فقالوا: امرأة نفساء يعمل لها خبيص فأمر أن يطعم الناس الخبيص ثلاثا و ولى زياد بن أبى سـفيان فى أيام معاوية سنان بن سلمة بن المحبق الهذلى، و كان فاضلا متألها، و هو أول من أحلف الجند بالطلاق فأتى الثغر ففتح مكران عنوة و مصرها و أقام بها و ضبط البلاد، و فيه يقول الشاعر:

فتوح البلدان، ص: ۴۱۸ رأيت هذيلا أحدثت فى يمينها طلاق نساء ما يسوق لها مهرا

لهان على حلفة ابن محبق إذا رفعت أعناقها حلقا صفرا

و قال ابن الكلبى: كان الـذى فتـح مكران حكيم بن جبلـة العبدى، ثم اسـتعمل زياد على الثغر راشد بن عمرو الجديدى من الأزد فأتى مكران، ثم غزا القيقان فظفر، ثم غزا الميد فقتل، و قام بأمر الناس سـنان بن سـلمة فولاه زياد الثغر فأقام به سـنتين، و قال أعشـى همدان فى مكران:

و أنت تسير إلى مكران فقد شحط الورد و المصدر

و لم تك حاجتى مكران و لا الغزو فيها و لا المتجر

و حدثت عنها و لم آتها فما زالت من ذكر آخر

بأن الكثير بها جائع و أن القليل بها معور

و غزا عباد بن زياد ثغر الهنـد من سجسـتان فأتى سـناروذ ثم أخـذ على حوى كهز إلى الروذبار من أرض سجسـتان إلى الهندمند فنزل كش و قطع المفازة حتى أتى القنـدهار فقاتل أهلها فهزمهم و فلهم و فتحها بعـد أن أصـيب رجال من المسـلمين، و رأى قلانس أهلها طوالا فعمل عليها فسميت العبادية و قال ابن مفرغ:

كم بالجروم و أرض الهند من قدم و من سرائنك قتلى لا هم قبروا

بقندهار و من تكتب منيته بقندهار يرجم دونه الخبر

ثم ولى زياد المنذر بن الجارود العبدى و يكنى أبا الأشـعث ثغر الهند، فغزا البوقان و القيقان فظفر المسـلمون و غنموا و بث السرايا فى بلادهم، و فتح قصدار و سبابها، و كان سنان قد فتحها إلا أن أهلها انتقضوا، و بها مات فقال الشاعر:

حل بقصدار فأضحى بها فى القبر لم يغفل مع الغافلين

فتوح البلدان، ص: ۴۱۹ للّه قصدار و أعنابها أى فتى دنيا أجنت و دين

ثم ولى عبيـد بن زياد بن حرى الباهلى، ففتـح اللّه تلك البلاد على يده و قاتل بها قتالا شديدا فظفر و غنم، و قال قوم: أن عبيد اللّه بن زياد ولى سنان ابن سلمة، و كان حرى على سراياه و فى حرى بن حرى يقول الشاعر:

لو لا طعانى بالبوقان ما رجعت منه سرايا ابن حرى باسلاب

و أهـل البوقـان اليوم مسـلمون و قـد بنى عمران بن موسـى بن يحيى بن خالـد البرمكى بهـا مدينـة سـماها البيضـاء و ذلـك فى خلافة المعتصم بـالله، و لما ولى الحجاج ابن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل الثقفى العراق ولى سـعيد بن أسـلم بن زرعـة الكلابى مكران و ذلـك الثغر فخرج عليه معاويـة و محمـد ابنـا الحـارث العلافيـان فقتـل و غلب العلافيان على الثغر و اسم علاف هو ربان بن حلوان بن عمران ابن الحـاف بن قضاعـة، و هو أبو جرم، فولى الحجاج مجاعـة بن سـعر التميمى ذلك الثغر فغزا مجاعـة فغنم و فتـح طوائف من

قنداییل، ثم أتم فتحها محمد ابن القاسم و مات مجاعة بعد سنة بمکران قال الشاعر:

ما من مشاهدک التی شاهدتهاإلا یزینک ذکرها مجاعا

ثم استعمل الحجاج بعد مجاعة محمد بن هارون بن ذراع النمری فأهدی إلی الحجاج فی ولایته ملک جزیرة الیاقوت نسوة ولدن فی بلاده مسلمات و مات آباؤهن و کانوا تجارا فأراد التقرب بهن، فعرض للسفینة التی کنا فیها قوم من مید الدیبل فی بوارج فأخذوا السفینة بما فیها فنادت امرأة منهن و کانت من بنی یربوع یا حجاج، و بلغ الحجاج ذلک فقال: یا لبیک فأرسل إلی داهر یسأله تخلیة النسوة. فقال: إنما أخذهن لصوص لا أقدر علیهم، فأغزی الحجاج عبید اللّه بن نبهان الدیبل فقتل، فکتب إلی بدیل بن طهفة البجلی و هو بعمان یأمره أن یسیر إلی الدیبل، فلما لقیهم نفر به فرسه فأطاف به العدو

فتوح البلدان، ص: ۴۲۰

فقتلوه و قال بعضهم قتله زط البدهة، قال: و إنما سمیت هذه الجزیرة جزیرة الیاقوت لحسن وجوه نسائها، ثم ولی الحجاج محمد بن القاسم بن محمد بن الحکم بن أبی عقیل فی أیام الولید بن عبد الملک فغزا السند، و کان محمد بفارس و قد أمره أن یسیر إلی الری و علی مقدمته أبو الأسود جهم بن زحر الجعفی فرده إلیه و عقد له علی ثغر السند و ضم إلیه ستة آلاف من جند أهل الشام و خلقا من غیرهم و جهزه بکل ما احتاج إلیه حتی الخیوط و المال، و أمره أن یقیم بشیراز حتی یتتام إلیه أصحابه و یوافیه ما عدله، فعمد الحجاج إلی القطن المحلوج فنقع فی الخل الخمر الحاذق، ثم جفف فی الظل فقال: إذا صرتم إلی السند فان الخل بها ضیق فانقعوا هذا القطن فی الماء ثم اطبخوا به و اصطبغوا، و یقال أن محمدا لما صار إلی الثغر کتب یشکو ضیق الخل علیهم فبعث إلیه بالقطن المنقوع فی الخل، فسار محمد بن القاسم إلی مکران فأقام بها أیاما ثم أتی قنزبور ففتحها ثم أتی ارمائیل ففتحها و کان محمد بن هارون بن ذراع قد لقیه فانضم إلیه و سار معه فتوفی بالقرب منها فدفن بقنبیل، ثم سار محمد بن القاسم من ارمائیل و معه جهم بن زحر الجعفی فقدم الدیبل یوم جمعة و وافته سفن کان حمل فیها الرجال و السلاح و الأداة فخندق حین نزل الدیبل، و رکزت الرماح علی الخندق، و نشرت الأعلام، و أنزل الناس علی رایاتهم، و نصب منجنیقا تعرف بالعرس کان یمد فیها خمسمائة رجل، و کان بالدیبل بد عظیم علیه دقل طویل و علی الدقل رایة حمراء إذا هبت الریح أطافت بالمدینة و کانت تدور و البد فیما ذکروا منارة عظیمة یتخذ فی بناء لهم فیه صنم لهم أو أصنام یشهر بها و قد یکون الصنم فی داخل المنارة أیضا و کل شیء أعظموه من طریق العبادة فهو عندهم بد، و الصنم بد أیضا، و کانت کتب الحجاج ترد علی محمد و کتب محمد ترد علیه بصفة ما قبله و استطلاع رأیه فیما یعمل به فی کل ثلاثة أیام، فورد علی محمد من الحجاج

فتوح البلدان، ص: ۴۲۱

کتاب ان أنصب العرس و اقصر منها قائمة و لتکن مما یلی المشرق ثم ادع صاحبها فمره أن یقصد برمیته للدقل الذی وصفت لی فرمی الدقل فکسر فاشتد طرة الکفر من ذلک، ثم أن محمدا ناهضهم و قد خرجوا إلیه فهزمهم حتی ردهم، و أمر بالسلالیم فوضعت و صعد علیها الرجال، و کان أولهم صعودا رجل من مراد من أهل الکوفة ففتحت عنوة، و مکث محمد یقتل من فیها ثلاثة أیام و هرب عامل داهر عنها و قتل سادنی بیت آلهتهم، و اختط محمد للمسلمین بها و بنی مسجدا و أنزلها أربعة آلاف.

قال محمد بن یحیی: فحدثنی منصور بن حاتم النحوی مولی آل خالد بن أسید أنه رأی الدقل الذی کان علی منارة البد مکسورا، و أن عنبسة بن إسحاق الضبی العامل کان علی السند فی خلافة المعتصم بالله رحمه اللّه هدم أعلی تلک المنارة و جعل فیها سجنا و ابتدأ فی مرمة المدینة بما نقض من حجارة تلک المناورة فعزل قبل استتمام ذلک، و ولی بعده هارون بن أبی خالد المرور و ذی فقتل بها.

قالوا: و أتی محمد بن القاسم البیرون و کان أهلها بعثوا سمنیین منهم إلی الحجاج فصالحوه فأقاموا لمحمد العلوفة و أدخلوه مدینتهم و وفوا بالصلح و جعل محمد لا یمر بمدینة إلا فتحها حتی عبر نهرا دون مهران فأتاه سمنیة سربیدس فصالحوه عمن خلفهم و وظف

عليهم الخراج و سار إلى سهيان ففتحها، ثم سار إلى مهران فنزل فى وسطه فبلغ ذلك داهر و استعد لمحاربته و بعث محمد بن القاسم محمد بن مصعب بن عبد الرحمن الثقفى إلى سدوسا فى خيل و حمارات، فطلب أهلها الأمان و الصلح و سفر بينه و بينهم السمنية فأمنهم و وظف عليهم خرجا و أخذ منهم رهنا و انصرف إلى محمد و معه من الزط أربعة آلاف فصاروا مع محمد، و ولى سدوسان رجلا، ثم أن محمدا احتال لعبور مهران حتى عبره مما يلى بلاد راسل ملك قصة من الهند على جسر عقده و داهر

فتوح البلدان، ص: ۴۲۲

مستخف به لاه عنه و لقيه محمد و المسلمون و هو على فيل و حوله الفيلة و معه التكاكره فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله و ترجل داهر و قاتل فقتل عند المساء و انهزم المشركون فقتلهم المسلمون كيف شاءوا و كان الذى قتله فى رواية المدائنى رجلا من بنى كلاب و قال:

الخيل تشهد يوم داهر و القناو محمد بن القاسم بن محمد

أنى فرجت الجمع غير معردحتى علوت عظيمهم بمهند

فتركته تحت العجاج مجدلامتعفر الخدين غير مؤسد

فحدثنى منصور بن حاتم، قال: داهر و الذى قتله مصوران ببروص و بديل بن طهفة مصور بقند و قبره بالديبل.

و حدثنى على بن محمد المدائنى عن أبى محمد الهندى عن أبى الفرج قال:

لما قتل داهر غلب محمد بن القاسم على بلاد السند، و قال ابن الكلبى: كان الذى قتل داهر القاسم بن ثعلبة بن عبد اللّه بن حصن الطائى.

قالوا و فتح محمد بن القاسم راور عنوة و كانت بها امرأة لداهر فخافت أن تؤخذ فأحرقت نفسها و جواريها و جميع مالها، ثم أتى محمد بن القاسم بزهمناباذ العتيقة و هى على رأس فرسخين من المنصورة، و لم تكن المنصورة يومئذ إنما كان موضعا غيضة، و كان فل داهر ببرهمناباذ هذه فقاتلوه ففتحها محمد عنوة و قتل بها ثمانية آلاف و قيل ستة و عشرين ألفا و خلف فيها عامله و هى اليوم خراب، و سار محمد يريد الرور و بغرور فتلقاه أهل ساوندرى فسألوه الأمان فأعطاهم إياه و اشترط عليهم ضيافة المسلمين و دلالتهم و أهل ساوندرى اليوم مسلمون، ثم تقدم إلى بسمد فصالح أهلها على مثل صلح ساوندرى و انتهى محمد إلى الرور و هى من مدائن السند و هى على جبل فحصرهم

فتوح البلدان، ص: ۴۲۳

أشهرا ففتحها صلحا على أن لا يقتلهم و لا يعرض لبدهم و قال: ما البد إلا ككنائس النصارى و اليهود و بيوت نيران المجوس و وضع عليهم الخراج بالرورويني مسجدا، و سار محمد إلى السكة و هى مدينة دون يباس ففتحها و السكة اليوم خراب، ثم قطع نهر يباس إلى الملتان فقاتله أهل الملتان فأبلى زائدة بن عمير الطائى، و انهزم المشركون فدخلوا المدينة و حصرهم محمد و نفدت أزواد المسلمين فأكلوا الحمر، ثم أتاهم رجل مستأمن فدلهم على مدخل الماء الذى منه شربهم و هو ماء يجرى من نهر بسمد فيصير فى مجتمع له مثل البركة فى المدينة و هم يسمونه البلاح فغوره، فلما عطشوا نزلوا على الحكم فقتل محمد المقاتلة و سبى الذرية و سبى سدنة البد و هم ستة آلاف، و أصابوا ذهبا كثيرا فجمعت تلك الأموال فى بيت يكون عشرة أذرع فى ثمانى أذرع يلقى ما أودعه فى كوة مفتوحة فى سطحه فسميت الملتان، فرج بيت الذهب و الفرج الثغر و كان بد الملتان بدا تهدى إليه الأموال و ينذر له النذور و يحج إليه السند فيطوفون به و يحلقون رؤسهم و لحاهم عنده، و يزعمون أن صنما فيه هو أيوب النبى صلى اللّه عليه و سلم.

قالوا: و نظر الحجاج فإذا هو قد أنفق على محمد بن القاسم ستين ألف ألف و وجد ما حمل إليه عشرين و مائة ألف ألف، فقال: شفينا غيظنا و أدركنا ثارنا و ازددنا ستين ألف ألف درهم و رأس داهر، و مات الحجاج فأتت محمدا وفاته فرجع عن الملتان إلى الرورو بغرور، و كان قد فتحها فأعطى الناس و وجه إلى البيلمان جيشا فلم يقاتلوا و أعطوا الطاعة و سالمه أهل سرست و هى مغزى أهل

البصرة الیوم و أهلها المید الذی یقطعون فی البحر، ثم أتی محمد الکیرج فخرج إلیه دوهر فقاتله فانهزم العدو و هرب دوهر، و یقال قتل و نزل أهل المدینة علی حکم محمد فقتل و سبی قال الشاعر:

نحن قتلنا داهرا و دوهرا* و الخیل تردی منسرا فمنسرا

فتوح البلدان، ص: ۴۲۴

و مات الولید بن عبد الملک، و ولی سلیمان بن عبد الملک فاستعمل صالح ابن عبد الرحمن علی خراج العراق، و ولی یزید بن أبی کبشة السکسکی السند فحمل محمد بن القاسم مقیدا مع معاویة بن المهلب، فقال محمد متمثلا:

أضاعونی و أی فتی أضاعوا* لیوم کریهة و سداد ثغر فبکی أهل الهند علی محمد و صوروه بالکیرج فحبسه صالح بواسط فقال:

فلئن ثویت بواسط و بأرضهارهن الحدید مکبلا مغلولا

فلرب فتیة فارس قد رعتهاو لرب قرن قد ترکت قتیلا

و قال:

لو کنت جمعت القرار لوطئتإناث أعدت للوغی و ذکور

و ما دخلت خیل السکاسک أرضناو لا کان من عک علی أمیر

و لا کنت للعبد المزونی تابعافیا لک دهر بالکرام عثور

فعذبه صالح فی رجال من آل أبی عقیل حتی قتلهم، و کان الحجاج قتل آدم أخا صالح، و کان یری رأی الخوارج، و قال حمزة بن بیض الحنفی:

إن المروءة و السماحة و الندیلمحمد بن القاسم بن محمد

ساس الجیوش لسبع عشرة حجةیا قرب ذلک سوددا من مولد

و قال آخر:

ساس الرجال لسبع عشرة حجةو لداته عن ذاک فی أشغال

و مات یزید بن أبی کبشة بعد قدومه أرض السند بثمانیة عشر یوما و استعمل سلیمان بن عبد الملک حبیب بن المهلب علی حرب السند فقدمها و قد رجع ملوک الهند إلی ممالکهم فرجع حلیشة بن داهر إلی برهمناباذ و نزل حبیب علی شاطئ مهران فأعطاه أهل الرور الطاعة و حارب قوما فظفر

فتوح البلدان، ص: ۴۲۵

بهم، ثم مات سلیمان بن عبد الملک و کانت خلافة عمر بن عبد العزیز بعده فکتب إلی الملوک یدعوهم إلی الإسلام و الطاعة علی أن یملکهم و لهم ما للمسلمین و علیهم ما علیهم، و قد کانت بلغتهم سیرته و مذهبه فأسلم حلیشة و الملوک و تسموا بأسماء العرب، و کان عمرو بن مسلم الباهلی عامل عمر علی ذلک الثغر فغزا بعض الهند فظفر و هرب بنو المهلب إلی السند فی أیام یزید ابن عبد الملک فوجه إلیهم هلال بن أحوز التمیمی فلقیهم فقتل مدرک بن المهلب بقندابیل و قتل المفضل و عبد الملک و زیاد و مروان و معاویة بنی المهلب و قتل معاویة بن یزید فی آخرین.

و ولی الجنید بن عبد الرحمن المری من قبل عمر بن هبیرة الفزاری ثغر السند، ثم ولاه إیاه هشام بن عبد الملک فلما قدم خالد بن عبد اللّه القسری العراق کتب هشام إلی الجنید یأمره بمکاتبته فأتی الجنید الدیبل، ثم نزل شط مهران فمنعه حلیشة العبور و أرسل إلیه أنی قد أسلمت و ولانی الرجل الصالح بلادی و لست آمنک فأعطاه رهنا و أخذ منه رهنا بما علی بلاده من الخراج، ثم أنهما ترادا الرهن و کفر حلیشة و حارب و قیل أنه لم یحارب و لکن الجنید یجنی علیه، فأتی الهند فجمع جموعا و أخذ السفن و استعد للحرب فسار إلیه الجنید فی السفن فالتقوا فی بطیحة الشرقی فأخذ حلیشة أسیرا و قد جنحت سفینته فقتله و هرب صصه بن داهر و هو یرید أن

يمضـي إلى العراق فيشكو غـدر الجنيـد، فلم يزل الجنيـد يؤنسه حتى وضع يـده فى يـده فقتله و غزا الجنيد الكيرج، و كانوا قد نقضوا فاتخـذ كباشا نطاحـة فصك بها حائط المدينة حتى ثلمه و دخلها عنوة فقتل و سبى و غنم و وجه العمال إلى مرمد و المندل و دهنج و بروص، و كـان الجنيـد يقول القتـل فى الجزع أكـبر منه فى الصبر، و وجه الجنيـد جيشـا إلى أزين و وجه حبيب بن مرة فى جيش إلى أرض المالية فأغاروا على أزين و غزوا بهريمد فحرقوا ربضها، و فتح الجنيد

فتوح البلدان، ص: ۴۲۶

البيلمان و الجزر، و حصل فى منزله سوى ما أعطى زواره أربعين ألف ألف و حمل مثلها قال جرير:

أصبح زوار الجنيد و صحبهيحيون صلت الوجه حما مواهبه

و قال أبو الجويرية:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرمقوم بإحسانهم أو مجدهم قعدوا

محسدون على ما كان من كرملا ينزع اللّه منهم ماله حسدوا

ثم ولى بعد الجنيد تميم بن زيد العتبى فضـعف و وهن و مات قريبا من الديبل بماء يقال له ماء الجواميس، و إنما سمى ماء الجواميس لأنه يهرب بها إليه من دباب زرق تكون بشاطئ مهران، و كان تميم من أسـخياء العرب وجـد فى بيت المال بالسـند ثمانيـة عشـر ألف ألف درهم طاطريـة فاسـرع فيهـا، و كان قـد شـخص معه فى الجنـد فتى من بنى يربوع يقال له خنيس و أمه من طيء إلى الهنـد فأتت الفرزدق فسألته أن يكتب إلى تميم فى اقفاله و عاذت بقبر غالب أبيه، فكتب الفرزدق إلى تميم:

أتتنى فعاذت يا تميم بغالبو بالحفرة السافى عليها ترابها

فهب لى خنيسا و اتخذ فيه منةلحوبة أم ما يسوغ شرابها

تميم بن زيد لا تكونن حاجتىبظهر و لا يجفى عليك جوابها

فلا تكثر الترداد فيها فإننىملول لحاجات بطىء طلابها

فلم يدر ما اسم الفتى أهو خنيش أم خنيس فأمر أن يقفل كل من كان اسـمه على مثل هذه الحروف، و فى أيام تميم خرج المسـلمون عن بلاد الهنـد و رفضوا مراكزهم فلم يعودوا إليها إلى هـذه الغاية، ثم ولى الحكم بن عوانة الكلبى و قد كفر أهل الهند إلا أهل قصـة فلم ير للمسلمين ملجأ يلجأون إليه فبنى من وراء البحيرة مما يلى الهند مدينة سماها المحفوظة و جعلها مأوى لهم

فتوح البلدان، ص: ۴۲۷

و معاذا و مصـرها، و قال لمشايخ كلب من أهل الشام ما ترون أن نسميها، فقال بعضهم دمشق، و قال بعضهم حمص، و قال رجل منهم سمهـا تـدمر، فقال: دمر اللّه عليك يا أحمق و لكنى أسـميها المحفوظـة و نزلها، و كان عمرو ابن محمـد بن القاسم مع الحكم، و كان يفوض إليه و يقلـده جسـيم أموره و أعمـاله، فأغزاهـا من المحفوظـة، فلما قـدم عليه و قـد ظفر أمره فبنى دون البحيرة مدينـة و سـماها المنصورة فهى التى ينزلهـا العمـال اليوم، و تخلص الحكم ما كان فى أيـدى العـدو مما غلبوا عليه و رضـى الناس بولايته، و كان خالد يقول وا عجبـا و ليت فتى العرب فرفض يعنى تميمـا و وليت أبخـل النـاس فرضـى به، ثم قتـل الحكم بها، ثم كان العمال بعـد يقاتلون العدو فيأخذون ما استـطف لهم و يفتحون الناحية قد نكث أهلها، فلما كان أول الدولة المباركة ولى أبو مسـلم عبد الرحمن بن مسـلم مغلسا البعدى ثغر السـند و أخذ على طخارستان و سار حتى صار إلى منصور ابن جمهور الكلبى و هو بالسند فلقيه منصور فقتله و هزم جنـده، فلمـا بلغ أبـا مسـلم ذلـك عقـد لموسـى بن كعب التميمى ثم وجهه إلى السـند، فلما قـدمها كان بينه و بين منصور بن جمهور مهران، ثم التقيـا فهزم منصورا و جيشه و قتـل منظورا أخـاه و خرج منصور مفلولاـ هاربـا حتى ورد الرمـل فمـات عطشا، و ولى موسـى السـند فرم المنصورة و زاد فى مسـجدها و غزا و افتتـح، و ولى أمير المؤمنين المنصور رحمه اللّه هشام بن عمرو التغلبى السـند ففتح ما استـغلق، و وجه عمرو بن جمل فى بوارج إلى نارند و وجه إلى ناحية الهند فافتتح قشميرا و أصاب سبايا و رقيقا كثيرا، و فتح الملتان و

کان بقندابیل متغلبة من العرب فأجلاهم عنها، و أتی القندهار فی السفن ففتحها و هدم البد و بنی موضعه مسجدا، فأخصبت البلاد فی ولایته فتبرکوا به و دوخ الثغر و حکم أموره، ثم ولی ثغر السند عمر بن حفص بن عثمان هزار مرد ثم داود بن یزید بن حاتم، و کان معه أبو الصمة

فتوح البلدان، ص: ۴۲۸

المتغلب الیوم و هو مولی لکندة، و لم یزل أمر ذلک الثغر مستقیما حتی ولیه بشر بن داود فی خلافة المأمون فعصی و خالف فوجه إلیه غسان بن عباد و هو رجل من أهل سواد الکوفة فخرج بشر إلیه فی الأمان و ورد به مدینة السلام، و خلف غسان علی الثغر موسی بر یحیی بن خالد بن برمک، فقتل باله ملک الشرقی و قد بذل له خمسمائة ألف درهم علی أن یستبقه، و کان باله هذا التوی علی غسان و کتب إلیه فی حضور عسکره فیمن حضره من الملوک فأبی ذلک، و أثر موسی أثرا حسنا و مات سنة إحدی و عشرین و استخلف ابنه عمران بن موسی فکتب إلیه أمیر المؤمنین المعتصم بالله بولایة الثغر فخرج إلی القیقان و هم زط فقاتلهم فغلبهم، و بنی مدینة سماها البیضاء و أسکنها الجند، ثم أتی المنصورة و صار منها إلی قندابیل و هی مدینة علی جبل و فیها متغلب یقال له محمد بن الخلیل فقاتله و فتحها و حمل رؤساءها إلی قصدار، ثم غزا المید و قتل منهم ثلاثة آلاف و سکر سکرا یعرف بسکر المید و عسکر عمران علی نهر الرور ثم نادی بالزط الذین بحضرته فأتوه فختم أیدیهم و أخذ الجزیة منهم و أمرهم بأن یکون مع کل رجل منهم إذا اعترض علیه کلب، فبلغ الکلب خمسین درهما، ثم غزا المید و معه وجوه الزط، فحفر من البحر نهرا أجراه فی بطیحتهم حتی ملح ماءهم و شن الغارات علیهم، ثم وقعت العصبیة بین النزاریة و الیمانیة فمال عمران إلی الیمانیة فسار إلیه عمر بن عبد العزیز الهباری فقتله و هو غار، و کان جد عمر هذا ممن قدم السند مع الحکم بن عوانة الکلبی.

و حدثنی منصور بن حاتم، قال: کان الفضل بن ماهان مولی بنی سامة فتح سندان و غلب علیها و بعث إلی المأمون رحمه اللّه بفیل و کاتبه و دعا له فی مسجد جامع اتخذه بها، فلما مات قام محمد بن الفضل بن ماهان مقامه فسار

فتوح البلدان، ص: ۴۲۹

فی سبعین بارجة إلی مید الهند فقتل منهم خلقا و افتتح فالی و رجع إلی سندان و قد غلب علیها أخ له یقال له ماهان بن الفضل، و کاتب أمیر المؤمنین المعتصم بالله و أهدی إلیه ساجا لم یر مثله عظما و طولا، و کانت الهند فی أمر أخیه فمالوا علیه فقتلوه و صلبوه، ثم أن الهند بعد غلبوا علی سندان فترکوا مسجدها للمسلمین یجمعون فیه و یدعون للخلیفة.

و حدثنی أبو بکر مولی الکریزیین: أن بلدا یدعی العسیفان بین قشمیر و الملتان، و کابل، کان له ملک عاقل، و کان أهل ذلک البلد یعبدون صنما قد بنی علیه بیت و أبدوه، فمرض ابن الملک فدعی سدنة ذلک البیت، فقال لهم: أدعوا الصنم أن یبرئ ابنی فغابوا عنه ساعة، ثم أتوه فقالوا قد دعوناه و قد أجابنا إلی ما سألناه فلم یلبث الغلام أن مات، فوثب الملک علی البیت فهدمه و علی الصنم فکسره و علی السدنة فقتلهم، ثم دعا قوما من تجار المسلمین فعرضوا علیه التوحید فوحد و أسلم، و کان ذلک فی خلافة أمیر المؤمنین المعتصم بالله رحمه اللّه.

فی أحکام أرض الخراج

قال بشر بن غیاث، قال أبو یوسف: إنما أرض أخذت عنوة مثل السواد، و الشام. و غیرهما فإن قسمها الإمام بین من غلب علیها فهی أرض عشر و أهلها رقیق، و أن لم یقسمها الإمام وردها للمسلمین عامة، کما فعل عمر بالسواد فعلی رقاب أهلها الجزیة، و علی الأرض، و لیسوا برقیق، و هو قول أبی حنیفة، و حکی الواقدی عن سفیان الثوری مثل ذلک، و قال الواقدی قال مالک بن أنس، و ابن أبی ذئب: إذا أسلم کافر من أهل العنوة أقرت أرضه فی یده یعمرها و یؤدی الخراج عنها و لا اختلاف فی ذلک و قال مالک و ابن

فتوح البلدان، ص: ۴۳۰

أبی ذنب، و سفیان الثوری، و ابن أبی لیلی عن الرجل یسلم من أهل العنوة الخراج فی الأرض و الزکاة من الزرع بعد الخراج، و هو قول الأوزاعی، و قال أبو حنیفة و أصحابه لا یجتمع الخراج و الزکاة علی رجل، و قال مالک، و ابن أبی ذئب، و سفیان، و أبو حنیفة: إذا زرع الرجل أرضه الخراجیة مرات فی السنة لم یؤخذ منه إلا خراج واحد، و قال ابن أبی لیلی: یؤخذ منه الخراج کلما أدرکت له غلة، و هو قول ابن أبی سبرة، و أبی شمر، و قال أبو الزناد، و مالک، و أبو حنیفة، و سفیان، و یعقوب، و ابن أبی لیلی، و ابن أبی سبر، و زفر، و محمد بن الحسن، و بشر بن غیاث: إذا عطل رجل أرضه قیل له أزرعها و أد خراجها و إلا فادفعها إلی غیرک یزرعها. فأما أرض العشر فانه لا یقال له فیها شیء إن زرع أخذت منه الصدقة، و إن أبی فهو أعلم، و قالوا: إذا عطل رجل أرضه سنتین ثم عمرها أدی خراجا واحدا و قال أبو شمر: یؤدی الخراج للسنتین.

و قال أبو حنیفة، و سفیان، و مالک، و ابن أبی ذئب، و أبو عمرو الأوزاعی: إذا أصابت الغلات آفة أو غرق سقط الخراج عن صاحبها و إذا کانت أرض من أراضی الخراج لعبد أو مکاتب او امرأة فإن أبا حنیفة قال علیها الخراج فقط، و قال سفیان، و بن أبی ذئب. و مالک: علیها الخراج و فیما بقی من الغلة العشر.

و قال أبو حنیفة، و الثوری فی أرض الخراج بنی مسلم أو ذمی فیها بناء من حوانیت أو غیرها أنه لا شیء علیه فإن جعلها بستانا ألزم الخراج و قال مالک و ابن أبی ذئب: نری إلزامه الخراج لأن انتفاعه بالبناء کانتفاعه بالزرع فأما أرض العشر فهو أعلم ما اتخذ فیها. و قال أبو یوسف فی أرض موات من أرض العنوة یحییها المسلم إنها له و هی أرض خراج إن کانت تشرب من ماء الخراج فإن استنبط لها عینا أو سقاها من ماء السماء فهی أرض عشر، و قال بشر: هی أرض عشر شربت من ماء الخراج أو غیره. و قال أبو حنیفة. و الثوری

فتوح البلدان، ص: ۴۳۱

و أصحابهما و مالک، و بن أبی ذئب، و اللیث بن سعد فی أرض الخراج التی لا- تنسب إلی أحد تقعد المسلمون فیها فیتبایعون و یجعلونها سوقا أنه لا خراج علیهم فیها، و قال أبو یوسف: إذا کانت فی البلاد سنة أعجمیة قدیمة لم یغیره الإسلام و لم یبطلها فشکاها قوم إلی الإمام لما ینالهم من مضرتها فلیس له أن یغیرها، و قال مالک، و الشافعی: یغیرها و إن قدمت لأن علیه نفی کل سنة جائرة سنها أحد من المسلمین فضلا عن ما سن أهل الکفر.

العطاء فی خلافة عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه

حدثنا عبد اللّه بن صالح بن مسلم العجلی، قال: حدثنا إسماعیل بن المجالد عن أبیه مجالد بن سعید عن الشعبی قال: لما افتتح عمر العراق و الشام و جبی الخراج جمع أصحاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، فقال إنی قد رأیت أن أفرض العطاء لأهله، فقالوا نعم رأیت الرأی یا أمیر المؤمنین، قال:

فبمن أبدأ قالوا: بنفسک، قال لا و لکنی أضع نفسی حیث وضعها اللّه.

و أبدأ بآل رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم ففعل فکتب عائشة أم المؤمنین یرحمها اللّه فی اثنی عشر ألفا، و کتب سائر أزواج النبی صلی اللّه علیه و سلم فی عشرة آلاف، و فرض لعلی بن أبی طالب فی خمسة آلاف، و فرض مثل ذلک لمن شهد بدرا من بنی هاشم. و حدثنی عبد الأعلی بن حماد النرسی، قال: حدثنا حماد بن سلمة عن الحجاج ابن أرطاة عن حبیب بن أبی ثابت أن أزواج النبی صلی اللّه علیه و سلم کن یتتابعن إلی العطاء، محمد بن سعد عن الواقدی عن عائذ بن یحیی عن أبی الحویرث عن جبیر بن الحویرث بن نقید أن عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه استشار المسلمین فی تدوین الدیوان، فقال له علی بن أبی طالب: تقسم کل سنة

فتوح البلدان، ص: ۴۳۲

ما اجتمع إلیک من مال و لا تمسک منه شیئا، و قال عثمان: أری مالا کثیرا یسع الناس و أن لم یحصوا حتی یعرف من أخذ ممن لم یأخذ حسبت أن ینتشر الأمر فقال له الولید بن هشام بن المغیرة: قد جئت الشام فرأیت ملوکها قد دونوا دیوانا و جندوا جندا فدون

دیوانا و جند جندا، فأخذ بقوله فدعا عقیل ابن أبی طالب و مخرمهٔ بن نوفل و جبیر بن مطعم، و کانوا من لسان قریش فقال: اکتبوا الناس علی منازلهم فبدءوا ببنی هاشم، اتبعوهم أبا بکر و قومه ثم عمر و قومه علی الخلافهٔ، فلما نظر إلیه عمر، قال: وددت و اللّه أنه هکذا و لکن ابدءوا بقرابهٔ النبی صلی اللّه علیه و سلم الأقرب فالأقرب حتی تضعوا عمر حیث وضعه اللّه تعالی، محمد عن الواقدی عن أسامهٔ بن زید بن أسلم عن أبیه عن جده، قال: جاءت بنو عدی إلی عمر فقالوا: أنت خلیفهٔ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و خلیفهٔ أبی بکر، و أبو بکر خلیفهٔ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فلو جعلت نفسک حیث جعلک هؤلاء القوم الذین کتبوا.

قال: بخ بخ بنی عدی أردتم الاکل علی ظهری و أن أهب حسناتی لکم: لا و اللّه حتی تأتیکم الدعوهٔ، و أن یطبق علیکم الدفتر- یعنی و لو أن تکتبوا آخر الناس أن لی صاحبین سلکا طریقا فإن خالفتهما خولف أبی، و اللّه ما أدرکنا الفضل فی الدنیا و ما نرجو الثواب علی عملنا إلا بمحمد صلی اللّه علیه و سلم فهو شرفنا و قومه أشرف العرب ثم الأقرب فالأقرب، و اللّه لئن جاءت الأعاجم بعمل و جئنا بغیر عمل لهم أولی بمحمد منا یوم القیامهٔ، فان من قصر به عمله لم یسرع به نسبه، محمد بن سعد عن الواقدی عن محمد ابن عبد اللّه عن الزهری عن سعید عن قوم آخرین سماهم الواقدی، دخل حدیث بعضهم فی حدیث بعض، قالوا: لما أجمع عمر علی تدوین الدیوان و ذلک فی المحرم سنهٔ عشرین بدأ ببنی هاشم فی الدعوهٔ، ثم الأقرب فالأقرب برسول اللّه

فتوح البلدان، ص: ۴۳۳

صلی اللّه علیه و سلم فکان القوم إذا استووا فی القرابهٔ قدم أهل السابقهٔ، ثم انتهی إلی الأنصار فقالوا بمن نبدأ فقال ابدءوا برهط سعد بن معاذ الأشهلی من الأوس ثم الأقرب فالأقرب لسعد، و فرض عمر لأهل الدیوان ففضل أهل السوابق و المشاهد فی الفرائض، و کان أبو بکر قد سوی بین الناس فی القسم فقیل لعمر فی ذلک، فقال: لا أجعل من قاتل رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم کمن قاتل معه، فبدأ بمن شهد بدرا من المهاجرین و الأنصار و فرض لکل رجل منهم خمسهٔ آلاف درهم فی کل سنهٔ حلیفهم و مولاهم معهم بالسواء، و فرض لمن کان له إسلام کاسلام أهل بدر و من مهاجرهٔ الحبشهٔ ممن شهد أحدا أربعهٔ آلاف درهم لکل رجل، و فرض لأبناء البدریین ألفین ألفین إلا حسنا و حسینا فإنه ألحقهما بفریضهٔ أبیهما لقرابتهما برسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، ففرض لکل واحد منهما خمسهٔ آلاف، و فرض للعباس بن عبد المطلب خمسهٔ آلاف لقرابته برسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، و قال بعضهم:

فرض له سبعهٔ آلاف درهم، و قال سائرهم لم یفضل أحدا علی أهل بدر إلا أزواج النبی صلی اللّه علیه و سلم فإنه فرض لهن اثنی عشر ألفا اثنی عشر ألفا و ألحق بهن جویریهٔ بنت الحارث و صفیهٔ بنت حیی بن أخطب، و فرض لمن هاجر قبل الفتح لکل رجل منهم ثلاثهٔ آلاف درهم و فرض لمسلمهٔ الفتح لکل رجل منهم ألفین و فرض لغلمان أحداث من أبناء المهاجرین کفرائض مسلمهٔ الفتح، و فرض لعمر بن أبی سلمهٔ أربعهٔ آلاف. فقال محمد بن عبد اللّه بن جحش: لم تفضل عمر علینا فقد هاجر آباؤنا و شهدوا بدرا. فقال عمر: أفضله لمکانه من النبی صلی اللّه علیه و سلم فلیأت الذی یستغیث بأم مثل أم سلمهٔ أغیثه. و فرض لأسامهٔ ابن زید أربعهٔ آلاف. فقال عبد اللّه بن عمر: فرضت لی فی ثلاثهٔ آلاف و فرضت لاسامهٔ فی أربعهٔ آلاف و قد شهدت ما لم یشهد أسامهٔ. فقال عمر:

فتوح البلدان، ص: ۴۳۴

زدته لأنه کان أحب إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم منک، و کان أبوه أحب إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم من أبیک، ثم فرض للناس علی منازلهم و قراءتهم القرآن و جهادهم، ثم جعل من بقی من الناس بابا واحدا، فالحق من جاءه من المسلمین بالمدینهٔ فی خمسهٔ و عشرین دینارا لکل رجل، و فرض لآخرین معهم، و فرض لأهل الیمن و قیس بالشام و العراق لکل رجل ما بین ألفین إلی ألف إلی تسعمائهٔ إلی خمسمائهٔ إلی ثلاثمائهٔ و لم ینقص أحدا من ثلاثمائهٔ و قال: لئن کثر المال لا فرض لکل رجل أربعهٔ آلاف درهم ألفا لسفره و ألفا لسلاحه و ألفا یخلفه لأهله و ألفا لفرسه و نعله، و فرض لنساء مهاجرات فرض لصفیهٔ بنت عبد المطلب ستهٔ آلاف درهم و لأسماء بنت عمیس ألف درهم و لأم کلثوم بنت عقبهٔ ألف درهم، و لأم عبد اللّه بن مسعود ألف درهم.

و قال الواقدی: فقد روی أنه فرض للنساء المهاجرات ثلاثهٔ آلاف درهم لکل واحدهٔ، قال الواقدی فی إسناده: و أمر عمر فکتب له

عمال أهل العوالى، فكان يجرى عليهم القوت، ثم كان عثمان فوسع عليهم فى القوت و الكسوة، و كان عمر يفرض للمنفوس مائة درهم، فإذا ترعرع بلغ به مائتى درهم، فإذا بلغ زاده، و كان إذا أتى باللقيط فرض له مائة، و فرض له رزقا يأخذه وليه كل شهر بقدر ما يصلحه ثم ينقله من سنة إلى سنة، و كان يوصى بهم خيرا و يجعل رضاعهم و نفقتهم من بيت المال.

و حدثنا محمد بن سعد عن الواقدى، قال حدثنى: حزام بن هشام الكعبى عن أبيه، قال: رأيت عمر بن الخطاب يحمل ديوان خزاعة حتى ينزل قديد فتأتيه بقديد فلا يغيب عنه امرأة بكر و لا ثيب فيعطيهن فى أيديهن، ثم يروح فينزل عسفان فيفعل ذلك أيضا حتى توفى، محمد بن سعد عن الواقدى عن أبى بكر بن أبى سبرة عن محمد بن زيد، قال: كان ديوان حمير على عهد عمر على

فتوح البلدان، ص: ۴۳۵

حده، محمد بن سعد قال: حدثنا الواقدى، قال: حدثنى عبيد اللّه بن عمر العمرى عن جهم بن أبى جهم، قال قدم خالد بن عرفطة العذرى على عمر، فسأله عما وراءه، فقال: تركتهم يسألون اللّه لك أن يزيد فى عمرك من أعمارهم ما وطئ أحد القادسية إلا و عطاؤه ألفان أو خمس عشرة مائة، و ما من مولود ذكرا كان أو أنثى إلا الحق فى مائة و جريبين فى كل شهر، قال عمر:

إنما هو حقهم و أنا أسعد بأدائه إليهم لو كان من مال الخطاب ما أعطيتهموه، و لكن قد علمت أن فيه فضلا، فلو أنه إذا خرج عطاء أحد هؤلاء ابتاع منه غنما فجعلها بسوادهم فإذا خرج عطاؤه ثانية ابتاع الرأس و الرأسين فجعله فيها فإن بقى أحد من ولده كان لهم شىء قد اعتقدوه، فإنى لا أدرى ما يكون بعدى، و إنى لأعم بنصيحتى من طوقنى اللّه أمره،

فإن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، قال: من مات غاشا لرعيته لم يرح ريح الجنة.

و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن محمد بن عمرو عن الحسن، قال:

كتب عمر إلى حذيفة أن أعط الناس أعطيتهم و أرزاقهم، فكتب إليه انا قد فعلنا و بقى شىء كثير، فكتب إليه: أنه فيئهم الذى أفاءه اللّه عليهم ليس هو لعمر و لا لآل عمر فأقسمه بينهم قال: و حدثنا وهب بن بقية و محمد بن سعد، قالا: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أنبأنا محمد بن عمر عن أبى سليمة عن أبى هريرة أنه قدم على عمر من البحرين، قال: فلقيته فى صلاة العشاء الآخرة فسلمت عليه، فسألنى عن الناس، ثم قال لى: ما جئت به، قلت: جئت بخمسمائة ألف، قال: هل تدرى ما تقول قلت:

جئت بخمسمائة ألف، قال: ما ذا تقول؟ قلت مائة ألف و مائة ألف، و مائة ألف، فعددت خمسا، فقال: أنك ناعس، فأرجع إلى أهلك فنم، فإذا أصبحت فأتنى، قال أبو هريرة فغدوت إليه فقال ما جئت به قلت خمسمائة ألف، قال: أطيب؟ قلت: نعم لا أعلم إلا ذاك

فتوح البلدان، ص: ۴۳۶

فقال للناس: أنه علينا مال كثير، فإن شئتم أن نعده لكم عددا، و إن شئتم أن نكيله لكم كيلا فقال له رجل. يا أمير المؤمنين أنى قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدونون ديوانا يعطون الناس عليه، قال: فدون الديوان و فرض للمهاجرين الأولين فى خمسة آلاف، و للأنصار فى أربعة آلاف، و لأزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم فى اثنى عشر ألفا.

قال يزيد، قال محمد: فحدثنى ابن خصيفة عن عبد اللّه بن رافع عن برزة بنت رافع، قالت: لما خرج العطاء أرسل عمر إلى زينب بنت جحش بالذى لها، فلما أدخل إليها، قالت: غفر اللّه لعمر، غيرى من أخواتى كانت أقوى على قسم هذا منى، قالوا: هذا كله لك، قالت: سبحان اللّه و استترت منه بثوب، ثم قالت صبوه و اطرحوا عليه ثوبا. ثم قالت لى: ادخلى يديك و اقبضى منه قبضة فاذهبى بها إلى بنى فلان و بنى فلان من ذوى رحمها و أيتام لها.

فقسمته حتى بقيت منه بقية تحت الثوب. قالت برزة بنت رافع: فقلت غفر اللّه لك يا أم المؤمنين، و اللّه لقد كان لنا فى هذا المال حق، قالت فلكم ما تحت الثوب فوجدنا تحته خمسمائة و ثمانين درهما، ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت اللهم لا يدركنى عطاء لعمر بعد عامى هذا، قال فماتت.

حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح عن الليث عن محمد بن عجلان، قال: لما دون عمر الدواوين. قال: بمن نبدأ قالوا:

بنفسک قال:

لا أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أما منا فبرهطه نبدأ ثم بالأقرب فالأقرب.

حدثنا عمرو الناقد. قال: حدثنا عبد الوهاب الثقفى عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب ألحق الحسن و الحسين بأبيهما ففرض لهما خمسة آلاف درهم و حدثنا الحسين بن على بن الأسود. قال: حدثنا وكيع عن سفيان الثورى عن جعفر بن محمد عن أبيه. قال: لما وضع عمر الديوان استشار

فتوح البلدان، ص: ۴۳۷

الناس بمن يبدأ، فقالوا: ابدأ بنفسك. قال لا و لكنى أبدأ بالأقرب فالأقرب من رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. فبدأ بهم.

حدثنا الحسين بن الأسود. قال: حدثنا وكيع عن سفيان عن أبى إسحاق عن مصعب بن أسعد: أن عمر فرض لأهل بدر فى ستة آلاف ستة آلاف. و فرض لأمهات المؤمنين فى عشرة آلاف عشرة آلاف.

و فضل عائشة بألفين لحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إياها. و فرض لصفية و جويرية فى ستة آلاف ستة آلاف. و فرض لنساء من المهاجرات فى ألف ألف. منهن أم عبد و هى أم عبد اللّه بن مسعود.

حدثنا الحسين. قال حدثنا وكيع عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم. قال: فرض لأهل عمر بدر عربهم و مواليهم فى خمسة آلاف خمسة آلاف. و قال لأفضلنهم على من سواهم.

حدثنا الحسين. حدثنا وكيع عن إسرائيل عن جابر عن عامر. قال كان فيهم خمسة من العجم. منهم تميم الدارى. و بلال. قال وكيع. الدار من لحم و لكنى الشعبى قال هذا.

حدثنا الحسين. قال حدثنا وكيع عن سفيان عن الأسود بن قيس عن شيخ لهم. قال: سمعت عمر يقول لئن بقيت إلى قابل لألحقن سفلة المهاجرين فى ألفين ألفين.

و حدثنا أبو عبيد. قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح المصرى عن الليث بن سعد عن عبد الرحمن بن خالد الفهمى عن ابن شهاب: ان عمر حين دون الدواوين فرض لأزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم اللاتى نكح نكاحا اثنى عشر ألف درهم اثنى عشر ألف درهم. و فرض لجويرية و صفية بنت حيى بن أخطب ستة آلاف درهم ستة آلاف درهم. لأنهما كانتا مما أفاء اللّه على رسوله.

فتوح البلدان، ص: ۴۳۸

و فرض للمهاجرين الذين شهدوا بدرا خمسة آلاف خمسة آلاف، و فرض للأنصار الذين شهدوا بدرا أربعة آلاف أربعة آلاف، و عم بفريضته كل صريح و حليف و مولى شهد بدرا فلم يفضل أحدا على أحد.

حدثنا عمرو الناقد و أبو عبيد، قال: حدثنا أحمد بن يونس عن أبى خيثمة قال: حدثنا أبو إسحاق عن مصعب بن سعد: أن عمر فرض لأهل بدر من المهاجرين و الأنصار ستة آلاف ستة آلاف، و فرض لنساء النبى صلى اللّه عليه و سلم عشرة آلاف عشرة آلاف، و فضل عليهن عائشة ففرض لها اثنى عشر ألف درهم، و فرض لجويرية و صفية ستة آلاف ستة آلاف، و فرض للمهاجرات الأول أسماء بنت عميس، و أسماء بنت أبى بكر، و أم عبد اللّه بن مسعود ألفا ألفا.

حدثنا الحسين بن الأسود، قال حدثنا وكيع عن محمد بن قيس الأسدى قال: حدثنى والدتى أم الحكم أن عليا الحقها مائة من العطاء.

و حدثنا الحسين قال: حدثنا وكيع عن سفيان عن الشيبانى عن يسير بن عمرو: أن سعدا فرض لمن قرأ القرآن فى ألفين ألفين، قال: فكتب إليه عمر لا تعط على القرآن أحدا.

حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنا سعيد بن أبى مريم عن ابن لهيعة عن يزيد ابن أبى حبيب: أن عمر جعل عمرو بن العاصى فى مائتين لأنه أمير، و عمير بن وهب الجمحى فى مائتين، لصبره على الضيق، و بسر بن أبى أرطاة فى مائتين، لأنه صاحب فتح. و قال رب فتح قد فتحه اللّه على يده، فقال أبو عبيد: يعنى بهذا العدد الدنانير.

و قال أبو عبيد: حدثنا عبد اللّه بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب أن عمر كتب إلى عمرو بن العاصى أن افرض لمن بايع تحت الشجرة فى مائتين من العطاء، قال: يعنى مائتى دينار، و أبلغ ذلك لنفسك بأمارتك، و افرض لخارجة بن حذافة فى شرف العطاء لشجاعته.

فتوح البلدان، ص: ۴۳۹

و حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح عن الليث بن سعد عن محمد ابن عجلان: أن عمر فضل أسامة بن زيد على عبد اللّه بن عمر فلم يزل الناس لعبد اللّه حتى كلم عمر، فقال: أ تفضل على من ليس بأفضل منى؟ فرضت له فى ألفين ولى فى ألف و خمسمائة درهم! فقال عمر: فعلت ذلك لأن زيد بن حارثة كان أحب إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من عمر، و أن أسامة كان أحب إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من عبد اللّه بن عمر.

و حدثنى يحيى بن معين، قال. حدثنا يحيى بن سعيد عن خارجة بن مصعب عن عبيد اللّه بن عمر عن نافع أو غيره عن ابن عمر أنه كلم أباه فى تفضيل أسامة عليه فى العطاء، و قال: و اللّه ما سبقنى إلى شىء، فقال عمر: أن أباه كان أحب إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من أبيك، و أنه كان أحب إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم منك.

حدثنا محمد بن الصباح البزار: حدثنا هشيم عن منصور عن الحسن، قال:

أن قوما قدموا على عامل لعمر بن الخطاب فأعطى العرب منهم و ترك الموالى فكتب إليه عمر: أما بعد فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم و السلام.

حدثنا أبو عبيد حدثنا خالد بن عمرو عن إسرائيل عن عمار الدهنى عن سالم بن أبى الجعد أن عمر جعل عطاء عمار بن ياسر ستة آلاف درهم.

حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنا خالد عن إسرائيل عن إسماعيل بن سميع عن مسلم البطين: أن عمر جعل عطاء سلمان أربعة آلاف درهم.

و حدثنا روح بن عبد المؤمن، قال: حدثنى يعقوب عن حماد عن حميد عن أنس، قال: فرض عمر للهرمزان فى ألفى من العطاء.

حدثنى العمرى، قال حدثنى أبو عبد الرحمن الطائى عن المجالد عن الشعبى، قال: لما هم عمر بن الخطاب فى سنة عشرين بتدين الدواوين، دعا بمخرمة بن نوفل

فتوح البلدان، ص: ۴۴۰

و جبير بن مطعم، فأمرهما أن يكتبا الناس على منازلهم فكتبوا بنى هاشم، ثم اتبعوهم، أبا بكر و قومه، و عمر و قومه. فلما نظر عمر فى الكتاب، قال: وددت أتى فى القرابة برسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كذا ابدءوا بالأقرب فالأقرب، ثم ضعوا عمر بحيث وضعه اللّه، فشكر العباس بن عبد المطلب رحمه اللّه على ذلك و قال: وصلتك رحم، قال فلما وضع عمر الديوان، قال أبو سفيان بن حرب: أ ديوان مثل ديوان بنى الأصفر، أنك إن فرضت للناس اتكلوا على الديوان و تركوا التجارة، فقال عمر: لا بد من هذا فقد كثر فى المسلمين، قال: و فرض عمر لدهقان نهر الملك و لابن النخيرخان، و لخالد و جميل ابنى بصبهرى دهقان الفلاليج، و لبسطام بن نرسى دهقان بابل و خطرنية، و للرفيل دهقان العال، و الهرمزان، و لجفينة العبادى فى ألف ألف، و يقال أنه فضل الهرمزان ففرض له ألفين.

و حدثنا أبو عبيد عن إسماعيل بن عياش عن أرطاة بن المنذر عن حكيم ابن عمير أن عمر بن الخطاب كتب إلى أمراء الأجناد و من أعتقتم من الحمراء فأسلموا فألحقوهم بمواليهم لهم ما لهم و عليهم ما عليهم، و أن أحبوا أن يكونوا قبيلة وحدهم فأجعلهم اسوتهم فى العطاء.

حدثنا هشام بن عمار عن بقية عن أبى بكر بن عبد اللّه بن أبى مريم عن أبيه عن أبى عبيدة أن رجالا- من أهل البادية سألوه أن يرزقهم، فقال و اللّه لا أرزقكم حتى أرزق أهل الحاضرة. و حدثنا أبو عبيدة قال حدثنا أبو اليمان، قال: حدثنا صفوان بن عمرو، قال.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن حصين: أن مر للجند بالفريضة، و عليك بأهل الحاضرة.

حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنا سعيد بن أبى مريم عن عبيد اللّه بن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر أن عمر كان لا يعطى أهل مكة عطاء و لا يضرب عليهم بعثا، و يقول: كذا و كذا.

فتوح البلدان، ص: ۴۴۱

حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن شعبة عن عدى بن ثابت عن أبى حازم عن أبى هريرة، قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، «من ترك كلا فإلينا و من ترك مالا فلورثته»

حدثنى هشام بن عمار الدمشقى، قال، حدثنا الوليد بن مسلم عن سليمان بن أبى العاتكة و كلثوم بن زياد، قال. حدثنى سليمان بن حبيب أن عمر أرض لعيال المقاتلة و ذريتهم العشرات، قال. فأمضى عثمان و من بعده من الولاة ذلك و جعلوها موروثة يرثها ورثة الميت ممن ليس فى العطاء، حتى كان عمر بن عبد العزيز، قال سليمان، فسألنى عن ذلك، فأخبرته بهذا فأنكر الوراثة، و قال اقطعها و أعم بالفريضة. فقلت. فإنى أتخوف أن يستن بك من بعدك فى قطع الوراثة و لا- يستن بك فى عموم الفريضة، قال: صدقت و تركهم.

حدثنى بكر بن الهيثم: حدثنا عبد اللّه بن صالح عن ابن لهيعة عن أبى قبيل، قال: كان عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه يفرض للمولود إذا ولد فى عشرة فإذا بلغ أن يفرض له ألحق بالفريضة، فلما كان معاوية فرض ذلك للفطيم، فلما كان عبد الملك بن مروان قطع ذلك كله إلا عمن شاء.

حدثنا عفان، قال: حدثنا يزيد، قال أنبأنا يحيى بن المتوكل عن عبد اللّه ابن نافع عن ابن عمر أن عمر كان لا يفرض للمولود حتى يفطم، ثم نادى مناديه لا تعجلوا أولادكم عن الفطام فانا نفرض لكل مولود فى الإسلام. و حدثنا عمرو الناقد، قال حدثنا أحمد بن يونس عن زهير بن معاوية عن أبى إسحاق أن جده مر على عثمان. فقال له: كم معك من عيالك يا شيخ؟ قال، معى كذا، قال قد فرضنا لك و فرضنا لعيالك مائة مائة.

حدثنا أبو عبيد. قال، حدثنا مروان بن شجاع الجزرى، قال، أثبتنى عمر بن عبد العزيز و أنا فطيم فى عشرة دنانير. حدثنا ابراهيم بن محمد الشامى،

فتوح البلدان، ص: ۴۴۲

قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان الثورى عن أبى الجحاف عن رجل من خثعم، قال ولد لى فأتيت به عليا فأثبته فى مائة.

حدثنى عمرو الناقد، قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن عبد اللّه بن شريك عن بشر بن غالب، قال سئل الحسين بن على أو قال الحسن بن على شك عمرو متى يجب سهم المولود؟ قال إذا استهل.

حدثنى عمرو الناقد، قال. حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد أن ثلاثة مملوكين لبنى عفان شهدوا بدرا، فكان عمر يعطى كل انسان منهم كل سنة ثلاثة آلاف درهم. حدثنا أبو عبيد قال حدثنا ابن أبى عدى عن سفيان عن زهير بن ثابت أو ابن ابى ذئب عن ذهل بن أوس:

ان عليا أتى بمنبوذ فأثبته فى مائة.

و حدثنى عمرو و القاسم بن سلام قالا حدثنا أحمد بن يونس عن زهير و حدثنى عبد اللّه صالح المقرى عن زهير بن معاوية قال حدثنا أبى إسحاق عن حارثة بن المضرب أن عمر بن الخطاب أمر بجريب من طعام فعجن ثم خبز ثم برد بزيت، ثم دعا بثلاثين رجلا فأكلوا منه غداءهم حتى أصدرهم، ثم فعل بالعشى مثل ذلك، فقال يكفى الرجل جريبان كل شهر، فكان يرزق الناس الرجل و المرأة و المملوك جريبين كل شهر، قال عبد اللّه بن صالح أن الرجل كان يدعو على صاحبه فيقول رفع اللّه جريبيك أى قطعهما عنك بالموت، فبقى ذلك فى ألسن الناس إلى اليوم.

حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنى أبو اليمان عن صفوان بن عمر عن أبى الزاهرية أن أبا الدرداء، قال رب سنة راشدة مهدية قد سنها عمر فى أمة محمد صلى اللّه عليه و سلم منها المديان و القسطان. حدثنا أبو عبيدة، قال حدثنا سعيد بن أبى مريم عن ابن لهيعة عن قيس بن رافع أنه سمع سفيان بن وهب

فتوح البلدان، ص: ۴۴۳

يقول قال عمرو أخذ المدى بيد و القسط بيد: أنى قد فرضت لكل نفس مسلمة فى كل شهر مديى حنطة و قسطى زيت و قسطى خل، فقال رجل:

و العبد، قال: نعم و العبد.

حدثنى هشام بن عمار، قال: حدثنا يحيى بن حمزة، قال: حدثنى تميم ابن عطية، قال: حدثنى عبد اللّه بن قيس: أن عمر بن الخطاب صعد المنبر، فحمد اللّه و اثنى عليه، ثم قال: أنا أجرينا عليكم أعطياتكم و أرزاقكم فى كل شهر و فى يديه المدى و القسط، قال: فحركهما، و قال: فمن انتقصهم فعل اللّه به كذا و كذا و دعا عليه حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنا ابن أبى زائدة عن معقل بن عبيد اللّه عن عمر بن عبد العزيز أنه كان إذا استوجب الرجل عطاءه ثم مات أعطاه ورثته.

حدثنا عفان و خلف البزار و وهب بن بقية، قالوا: أنبأنا يزيد بن هارون، قال: أنبأنا إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم، قال: قال الزبير بن العوام لعثمان بن عفان رضى اللّه عنهما بعد موت عبد اللّه بن معسود: أعطنى عطاء عبد اللّه فعياله أحق به من بيت المال فأعطاه خمسة عشر ألفا قال يزيد قال إسماعيل: و كان الزبير وصى بن مسعود.

و حدثنى بن أبى شيبة، قال: حدثنا عبيد اللّه بن موسى عن على بن صالح بن حى عن سماك بن حرب. أن رجلا مات فى الحى بعد ثمانية أشهر مضت من السنة فأعطاه عمر ثلثى عطائه.

امر الخاتم

حدثنا عفان بن مسلم، قال: حدثنا شعبة، قال: أنبانا قتادة قال:

سمعت أنس بن مالك يقول: لما أراد رسول اللّه عليه و سلم أن يكتب إلى ملك الروم قيل له أنهم لا يقرءون الكتاب إلا أن يكون مختوما، قال:

فتوح البلدان، ص: ۴۴۴

فاتخذ خاتما من فضة، فكأنى أنظر إلى بياضه فى يده و نقش عليه محمد رسول اللّه.

حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود الزهرانى، قال: حدثنا حماد بن زيد قال أنبانا أيوب عن نافع عن ابن عمر أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم اتخذ خاتما من فضة و جعل فصه من باطن كفه. حدثنى محمد بن حبان الحيانى قال: حدثنا زهير عن حميد عن أنس بن مالك، قال: كان خاتم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من فضة كله و فصه منه. حدثنا عمرو الناقد، قال: حدثنا يزيد بن هارون عن حميد عن الحسن، قال: كان خاتم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من ورق و كان فصه حبشيا.

حدثنا هدبة خالد، قال، حدثنا همام بن يحيى عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك أن النبى صلى اللّه عليه و سلم، قال، قد صنعت خاتما فلا ينقشن أحد على نقشه،

حدثنا بكر بن الهيثم، قال، حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى و قتادة، قالا، اتخذ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خاتما من فضة و نقش عليه محمد رسول اللّه، فكان أبو بكر يختم به ثم عمر ثم عثمان، و كان فى يده فسقط من يده فى البئر فنزفت فلم يقدر عليه، و ذلك فى النصف من خلافته، فاتخذ خاتما و نقش عليه محمد رسول اللّه فى ثلاثة أسطر، قال قتادة و خربة.

حدثنا هناد، قال: حدثنا الأسود بن شيبان، قال: أخبرنا خالد بن سمير قال: انقش رجل يقال له معن بن زائدة على خاتم الخلافة فأصاب

مالا ـ من خراج الکوفة علی عهد عمر، فبلغ ذلک عمر، فکتب إلی المغیرة بن شعبة أنه بلغنی أن رجلا یقال له معن بن زائدة انتقش علی خاتم الخلافة فأصاب به مالا من خراج الکوفة، فإذا أتاک کتابی هذا فنفذ فیه امری و أطع رسولی فلما صلی المغیرة العصر و أخذ الناس مجالسهم خرج و معه رسول عمر فاشرأب

فتوح البلدان، ص: ۴۴۵

الناس ینظرون إلیه حتی وقف علی معن ثم قال للرسول: أن أمیر المؤمنین أمرنی أن أطیع أمرک فیه فمرنی بما شئت، فقال الرسول أدع لی بجامعة أعلقها فی عنقه فأتی بجامعة فجعلها فی عنقه و جبذها جبذا شدیدا، ثم قال للمغیرة أحبسه حتی یأتیک فیه أمر أمیر المؤمنین ففعل، و کان السجن یومئذ من قصب فتمحل معن للخروج و بعث إلی أهله أن ابعثوا لی بناقتی و جاریتی و عباءتی القطوانیة ففعلوا فخرج من اللیل و أردف جاریته، فسار حتی إذا رهب أن یفضحه الصبح أناخ ناقته و علقها، ثم کمن حتی کف عنه الطلب.

فلما أمسی أعاد علی ناقته العباءة و شد علیها و أردف جاریته، ثم سار حتی قدم علی عمر و هو موقظ المتهجدین لصلاة الصبح و معه درته، فجعل ناقته و جاریته ناحیة ثم دنا من عمر فقال. السلام علیک یا أمیر المؤمنین و رحمة اللّه و برکاته، فقال: و علیک. من أنت؟ قال: معن بن زائده جئتک تائبا، قال: أبت فلا یحیک اللّه، فلما صلی صلاة الصبح، قال للناس:

مکانکم، فلما طلعت الشمس، قال: هذا معن بن زائدة انتقش علی خاتم الخلافة فأصاب فیه مالا من خراج الکوفة فما تقولون فیه، فقال قائل:

اقطع یده، و قال قائل: أصلبه و علی ساکت فقال له عمر: ما تقول أبا الحسن قال: یا أمیر المؤمنین رجل کذب کذبة عقوبته فی بشره فضربه عمر ضربا شدیدا- أو قال مبرحا- و حبسه فکان فی الحبس ما شاء اللّه ثم أنه أرسل إلی صدیق له من قریش أن کلم أمیر المؤمنین فی تخلیة سبیلی، فکلمه القرشی، فقال یا أمیر المؤمنین معن بن زائدة قد أصبته من العقوبة بما کان له أهلا، فإن رأیت أن تخلی سبیله، فقال عمر: ذکرتنی الطعن و کنت ناسیا، علی بمعن فضربه ثم أمر به إلی السجن فبعث معن إلی کل صدیق له: لا تذکرونی لأمیر المؤمنین، فلبث محبوسا ما شاء اللّه ثم أن

فتوح البلدان، ص: ۴۴۶

عمر انتبه له، فقال: معن فأتی به فقاسمه و خلی سبیله.

حدثنی المفضل الیشکری و أبو الحسن المدائنی عن بن جابان عن بن المقفع قال: کان ملک الفرس إذا أمر بأمر وقعه صاحب التوقیع بین یدیه و له خادم یثبت ذکره عنده فی تذکرة تجمع لکل شهر فیختم علیها الملک خاتمه و تخزن ثم ینفذ التوقیع إلی صاحب الزمام و إلیه الختم فینفذه إلی صاحب العمل فیکتب به کتابا من الملک و ینسخ فی الأصل ثم ینفذ إلی صاحب الزمام فیعرضه علی الملک فیقابل به ما فی التذکرة ثم یختم بحضرة الملک أو أوثق الناس عنده.

و حدثنی المدائنی عن مسلمه بن محارب، قال کان زیاد بن أبی سفیان أول من اتخذ من العرب دیوان زمام و حاتم امتثالا لما کانت الفرس تفعله.

حدثنی مفضل الیشکری، قال: حدثنی بن جابان عن بن المقفع، قال کان لملک من ملوک فارس خاتم للسر، و خاتم للرسل، و خاتم للتخلید یختم به السجلات و الاقطاعات و ما أشبه ذلک من کتب الشریف، و خاتم للخراج فکان صاحب الزمام یلیها، و ربما أفرد بخاتم السر و الرسائل رجل من خاصة الملک.

و حدثنی أبو الحسن المدائنی عن ابن جابان عن بن المقفع، قال:

کانت الرسائل بحمل المال تقرأ علی الملک و هی یومئذ تکتب فی صحف بیض و کان صاحب الخراج یأتی الملک کل سنة بصحف موصلة قد أثبت فیها مبلغ ما اجتبی من الخراج و ما أنفق فی وجوه النفقات، و ما حصل فی بیت المال فیختمها و یجریها، فلما کان کسری بن هرمز ابرویز تأذی بروائح تلک الصحف و أمر أن لا یرفع إلیه صاحب دیوان خراجه ما یرفع إلا فی صحف مصفرة

بالزعفران و ماء الورد و أن لا تكتب الصحف التى تعرض عليه بحمل المال و غير ذلك إلا مصفرة ففعل ذلك، فلما ولى صالح بن

فتوح البلدان، ص: ۴۴۷

عبد الرحمن خراج العراق تقبل منه ابن المقفع بكور دجلة، و يقال بالبهقباذ فحمل مالا فكتب رسالته فى جلد و صفرها فضحك صالح، و قال أنكرت أن يأتى بها غيره يقول لعلمه بأمور العجم.

قال أبو الحسن، و أخبرنى مشايخ من الكتاب أن دواوين الشام إنما كانت فى قراطيس، و كذلك الكتب إلى ملوك بنى أمية فى حمل المال و غير ذلك، فلما ولى أمير المؤمنين المنصور أمر وزيره أبا أيوب الموريانى أن يكتب الرسائل بحمل الأموال فى صحف، و أن تصفر الصحف، فجرى الأمر على ذلك.

أمر النقود

حدثنا الحسين بن الأسود، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنى الحسن بن صالح، قال: كانت الدراهم من ضرب الأعاجم مختلفة كبارا و صغارا فكانوا يضربون منها مثقالا و هو وزن عشرين قيراطا و يضربون منها وزن اثنى عشر قيراطا و يضربون عشرة قراريط و هى أنصاف المثاقيل فلما جاء اللّه بالإسلام و احتيج فى أداء الزكاة إلى الأمر الواسط فأخذوا عشرين قيراطا و اثنى عشر قيراطا و عشرة قراريط فوجدوا ذلك اثنين و أربعين قيراطا، فضربوا على وزن الثلث من ذلك و هو أربعة عشر قيراطا فوزن الدرهم العربى أربعة عشر قيراطا من قراريط الدينار العزيز، فصار وزن كل عشرة دراهم سبع مثاقيل و ذلك مائة و أربعون قيراطا وزن سبعة.

و قال غير الحسن بن صالح: كانت دراهم الأعاجم ما العشرة منها وزن عشرة مثاقيل، و ما العشرة منها وزن ستة مثاقيل، و ما العشرة منها وزن خمسة مثاقيل فجمع ذلك فوجد إحدى و عشرين مثقالا فأخذ ثلثه و هو سبعة مثاقيل فضربوا دارهم وزن العشرة منها سبعة مثاقيل القولان ترجع إلى شيء واحد، و حدثنى محمد

فتوح البلدان، ص: ۴۴۸

ابن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر الأسلمى، قال: حدثنا عثمان بن عبد اللّه ابن موهب عن أبيه عن عبد اللّه بن ثعلبة بن صعير، قال: كانت دنانير هرقل ترد على أهل مكة فى الجاهلية و ترد عليهم دراهم الفرس البغلية، فكانوا لا يتبايعون إلا على أنها تبر و كان المثقال عندهم، معروف الوزن وزنه اثنان و عشرون قيراطا إلا كسرا، و وزن العشرة الدراهم سبعة مثاقيل فكان الرطل اثنى عشر أوقية و كل أوقية أربعين درهما، فأقر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ذلك و أقره أبو بكر و عمر و عثمان و على فكان معاوية فأقر ذلك على حاله ثم ضرب مصعب بن الزبير فى أيام عبد اللّه بن الزبير دراهم قليلة كسرت بعد فلما ولى عبد الملك بن مروان سأل و فحص عن أمر الدراهم و الدنانير فكتب إلى الحجاج بن يوسف أن يضرب الدراهم على خمسة عشر قيراطا من قراريط الدنانير، و ضرب هو الدنانير الدمشقية، قال عثمان قال أبى: فقدمت المدينة و بها نفر من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و غيرهم من التابعين فلم ينكروا ذلك قال محمد بن سعد: وزن الدرهم من دراهمنا هذه أربعة عشر قريطا من قراريط مثقالنا الذى جعل عشرين قيراطا و هو وزن خمسة عشر قيراطا من إحدى و عشرين قيراطا و ثلاثة أسباع.

حدثنى محمد بن سعد، قال حدثنا محمد بن عمر، قال حدثنى اسحاق بن حازم عن المطلب بن السائب عن أبى وداعة السهمى أنه أراه وزن المثقال، قال فوزنته فوجدته وزن مثقال عبد الملك بن مروان، قال هذا كان عند أبى وداعة بن ضبيرة السهمى فى الجاهلية.

و حدثنى محمد بن سعد، قال: حدثنا الواقدى عن سعيد بن مسلم بن بابك عن عبد الرحمن بن سابط الجمحى، قال: كانت لقريش أوزان فى الجاهلية فدخل الإسلام فأقرت على ما كانت عليه، كانت قريش تزن الفضة بوزن

فتوح البلدان، ص: ۴۴۹

تسميه درهما و تزن الذهب بوزن تسميه دينارا فكل عشرة من أوزان الدراهم سبعة أوزان الدنانير، و كان لهم وزن الشعيرة و هو واحد

من الستين من وزن الدرهم، و كانت لهم الأوقية وزن أربعين درهما و النش وزن عشرين درهما، و كانت لهم النواة و هى وزن خمسة دراهم فكانوا يتبايعون بالتبر على هذه الأوزان، فلما قدم صلى اللّه عليه و سلم مكة أقرهم على ذلك.

و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى، قال حدثنى ربيعة عن عثمان عن وهب ابن كيسان، قال رأيت الدنانير و الدراهم قبل أن ينقشها عبد الملك ممسوحة و هى وزن الدنانير التى ضربها عبد الملك.

و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن عثمان بن عبد اللّه بن موهب عن أبيه، قال: قلت لسعيد بن المسيب: من أول من ضرب الدنانير المنقوشة، فقال عبد الملك بن مروان، و كانت الدنانير ترد رومية و الدراهم كسروية فى الجاهلية.

و حدثنى محمد بن سعد، قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن أبيه أن أول من ضرب وزن سبعة الحارث بن عبد اللّه بن أبى ربيعة المخزومى أيام ابن الزبير.

و حدثنى محمد بن سعد، قال: حدثنى محمد بن عمر، قال: حدثنا ابن أبى الزناد عن أبيه: أن عبد الملك أول من ضرب الذهب عام الجماعة سنة أربع و سبعين قال أبو الحسن المدائنى: ضرب الحجاج الدراهم آخر سنة خمس و سبعين ثم أمر بضربها فى جميع النواحى سنة ست و سبعين.

و حدثنى داود الناقد، قال: سمعت مشايخنا يحدثون أن العباد من أهل الحيرة كانوا يتروجون على مائة وزن ستة يريدون وزن ستين مثقالا دراهم و على مائه وزن ثمانية يريدون ثمانين مثقالا دراهم و على مائة وزن خمسة يريدون وزن خمسين مثقالا دراهم و على مائة وزن مائة مثقال، قال داود

فتوح البلدان، ص: ۴۵۰

الناقد: رأيت درهما عليه ضرب هذه الدراهم بالكوفة سنة ثلاث و سبعين فأجمع النقاد أنه معمول، و قال رأيت درهما شاذا لم ير مثله عليه عبيد اللّه ابن زياد فأنكر أيضا.

حدثنى محمد بن سعد، قال: حدثنى الواقدى عن يحيى بن النعمان الغفارى عن أبيه، قال: ضرب مصعب الدراهم بأمر عبد اللّه بن الزبير سنة سبعين على ضرب الأكاسرة و عليها بركة و عليها اللّه، فلما كان الحجاج غيرها. و روى عن هشام بن الكلبى أنه، قال: ضرب مصعب مع الدراهم دنانير أيضا.

حدثنى داود الناقد، قال: حدثنى أبو الزبير الناقد، قال: ضرب عبد الملك شيئا من الدنانير فى سنة أربع و سبعين ثم ضربها سنة خمس و سبعين و أن الحجاج ضرب دراهم بغلية كتب عليها بسم اللّه الحجاج، ثم كتب عليها بعد سنة اللّه أحد اللّه الصمد، فكره ذلك الفقهاء فسميت مكروهة، قال:

و يقال: أن الأعاجم كرهوا نقصانها فسميت مكروهة، قال: و سميت السميرية بأول من ضربها و اسمه سمير.

حدثنى عباس بن هشام الكلبى عن أبيه، قال: حدثنى عوانة بن الحكم أن الحجاج سأل عما كانت الفرس تعمل به فى ضرب الدراهم فاتخذ دار ضرب و جمع فيها الطباعين، فكان يضرب المال للسلطان مما يجتمع له من التبر و خلاصة الزيوف و الستوقة و البهرجة، ثم أذن للتجار و غيرهم فى أن تضرب لهم الأوراق و استغلها من فضول ما كان يؤخذ من فضول الأجرة للصناع و الطباعين و ختم أيدى الطباعين، فلما ولى عمر بن هبيرة العراق ليزيد بن عبد الملك خلص الفضة أبلغ من تخليص من قبله وجود الدراهم فاشتد فى الغيار، ثم ولى خالد بن عبد اللّه البجلى، ثم القسرى العراق لهشام بن عبد الملك فاشتد فى النقود أكثر من شدة ابن هبيرة حتى أحكم أمرها أبلغ من أحكامه، ثم ولى يوسف ابن عمر بعده فأفرط فى الشدة على الطباعين و أصحاب

فتوح البلدان، ص: ۴۵۱

الغيار و قطع الأيدى و ضرب الأبشار، فكانت الهبيرية، و الخالدية، و اليوسفية: أجود نقود بنى أمية، و لم يكن المنصور يقبل فى الخراج من نقود بنى أمية غيرها فسميت الدراهم الأولى المكروهة.

حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی عن بن أبی الزناد عن أبیه: أن عبد الملک بن مروان أول من ضرب الذهب و الورق بعد عام الجماعة، قال فقلت لأبی: أ رأیت قول الناس أن ابن مسعود کان یأمر بکسر الزیوف، قال تلک زیوف ضربها الأعاجم فغشوا فیها.

حدثنی عبد الأعلی بن حماد النرسی، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال:

حدثنا داود بن أبی هند عن الشعبی عن علقمة بن قیس أن ابن مسعود کانت له بقایة فی بیت المال فباعها بنقصان، فنهاه عمر بن الخطاب عن ذلک، فکان یدینها بعد ذلک.

حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی عن قدامة بن موسی أن عمر و عثمان کانا إذا وجدا الزیوف فی بیت المال جعلاها فضة.

حدثنی الولید بن صالح عن الواقدی عن ابن أبی الزناد عن أبیه أن عمر بن عبد العزیز أتی برجل یضرب علی غیر سکة السلطان فعاقبه و سجنه و أخذ حدیده فطرحه فی النار.

حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی عن کثیر بن زید عن المطلب بن عبد اللّه بن حنطب أن عبد الملک بن مروان أخذ رجلا یضرب علی غیر سکة المسلمین فأراد قطع یده ثم ترک ذلک و عاقبه. قال المطلب: فرأیت من بالمدینة من شیوخنا حسنوا ذلک من فعله و حمدوه. قال الواقدی و أصحابنا یرون فیمن نقش علی خاتم الخلافة المبالغة فی الأدب و الشهرة، و أن لا یرون علیه قطعا و ذلک رأی أبی حنیفة و الثوری، و قال مالک، و ابن أبی ذئب،

فتوح البلدان، ص: ۴۵۲

و أصحابهما: نکره قطع الدرهم إذا کانت علی الوفاء و ننهی عنه لأنه من الفساد، و قال الثوری، و أبو حنیفة و أصحابه لا بأس بقطعها إذا لم یضر ذلک بالإسلام و أهله.

حدثنی عمرو الناقد، قال: حدثنا إسماعیل بن ابراهیم عن ابن عون عن ابن سیرین أن مروان بن الحکم أخذ رجلا بقطع الدراهم فقطع یده فبلغ ذلک زید بن ثابت، فقال لقد عاقبه، قال إسماعیل یعنی دراهم فارس.

قال محمد بن سعد، و قال الواقدی: عاقب أبان بن عثمان و هو علی المدینة من یقطع الدراهم ضربة ثلاثین و طاف به و هذا عندنا فیمن قطعها و دس فیها المفرغة و الزیوف.

و حدثنی محمد عن الواقدی عن صالح بن جعفر عن ابن کعب فی قوله (أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِی أَمْوالِنا ما نَشؤُا) قال: قطع الدراهم.

حدثنا محمد بن خالد بن عبد اللّه، قال: حدثنا یزید بن هارون، قال:

أنبأنا یحیی بن سعید، قال: ذکر لابن المسیب رجل یقطع الدراهم، فقال سعید: هذا من الفساد فی الأرض.

حدثنا عمرو الناقد، قال: حدثنا إسماعیل بن ابراهیم، قال: حدثنا یونس بن عبید عن الحسن، قال کان الناس و هم أهل کفر قد عرفوا موضع هذا الدرهم من الناس فجودوه و أخلصوه، فلما صار إلیکم غششتموه و أفسدتموه. و لقد کان عمر بن الخطاب قال: هممت أن أجعل الدراهم من جلود الإبل فقیل له إذا لا بعیر فأمسک.

أمر الخط

حدثنی عباس بن هشام بن محمد السائب الکلبی عن أبیه عن جده و عن الشرقی بن القطامی، قال: اجتمع ثلاثة نفر من طیء ببقة، و هم مرامر بن مرة

فتوح البلدان، ص: ۴۵۳

و أسلم بن سدرة، و عامر بن جدرة فوضعوا الخط و قاسوا هجاء العربیة علی هجاء السریانیة، فتعلمه منهم قوم من أهل الأنبار، ثم تعلمه أهل الحیرة من أهل الأنبار، و کان بشر بن عبد الملک أخو أکیدر بن عبد الملک بن عبد الجن الکندی ثم السکونی صاحب دومة الجندل یأتی الحیرة فیقیم بها الحین، و کان نصرانیا فتعلم بشر الخط العربی من أهل الحیرة، ثم أتی مکة فی بعض شأنه فرآه سفیان بن

أمیة بن عبد شمس، و أبو قیس بن عبد مناف بن زهرة بن کلاب یکتب فسألاه أن یعلمهما الخط فعلمهما الهجاء، ثم أراهما الخط، فکتبا، ثم ان بشرا و سفیان و أبا قیس أتوا الطائف فی تجارة فصحبهم غیلان بن سلمة الثقفی فتعلم الخط منهم و فارقهم بشر و مضی إلی دیار مضر، فتعلم الخط منه عمرو بن زرارة ابن عدس فسمی عمرو الکاتب، ثم أتی بشر الشام فتعلم الخط منه ناس هناک و تعلم الخط من الثلاثة الطائیین أیضا رجل من طابخة کلب فعلمه رجلا من أهل وادی القری فأتی الوادی یتردد فأقام بها و علم الخط قوما من أهلها.

و حدثنی الولید بن صالح و محمد بن سعد، قالا: حدثنا محمد بن عمر الواقدی عن خالد بن الیاس عن أبی بکر بن عبد اللّه بن أبی جهم العدوی قال: دخل الإسلام و فی قریش سبعة عشر رجلا کلهم یکتب عمر بن الخطاب و علی بن أبی طالب، و عثمان بن عفان، و أبو عبیدة بن الجراح، و طلحة و یزید ابن أبی سفیان، و أبو حذیفة بن عتبة بن ربیعة، و حاطب بن عمرو أخو سهیل بن عمرو العامری عن قریش، و أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومی، و أبان بن سعید بن العاصی بن أمیة، و خالد بن سعید أخوه، و عبد اللّه بن سعد بن أبی سرح العامری، و حویطب بن عبد العزی العامری و أبو سفیان ابن حرب بن أمیة، و معاویة بن أبی سفیان، و جهیم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، و من حلفاء قریش العلاء بن الحضرمی.

فتوح البلدان، ص: ۴۵۴

و حدثنی بکر بن الهیثم، قال: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهری عن عبید اللّه بن عبد اللّه بن عقبة أن النبی صلی اللّه علیه و سلم، قال للشفاء بنت عبد اللّه العدویة من رهط عمر بن الخطاب: ألا تعلمین حفصة رقنة النملة کما علمتها الکتابة، و کانت الشفاء کاتبة فی الجاهلیة.

و حدثنی الولید بن صالح عن الواقدی عن أسامة بن زید عن عبد الرحمن ابن سعد، قال کانت حفصة زوج النبی صلی اللّه علیه و سلم تکتب. و حدثنی الولید عن الواقدی عن بن أبی سبرة عن علقمة بن أبی علقمة عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان أن أم کلثوم بنت عقبة کانت تکتب.

و حدثنی الولید عن الواقدی عن فروة عن عائشة بنت سعد أنها قالت علمنی أبی الکتاب. و حدثنی الولید عن الواقدی عن موسی بن یعقوب عن عمته عن أمها کریمة بنت المقداد أنها کانت تکتب.

حدثنی الولید عن الواقدی عن ابن أبی سبرة عن ابن عون عن ابن میاح عن عائشة أنها کانت تقرأ المصحف و لا تکتب. و حدثنی الولید عن الواقدی عن عبد اللّه بن یزید الهذلی عن سالم سبلان عن أم سلمة أنها کانت تقرأ و لا تکتب.

و حدثنی الولید و محمد بن سعد عن الواقدی عن أشیاخه. قالوا: أول من کتب لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم مقدمه المدینة أبی بن کعب الأنصاری و هو أول من کتب فی آخر الکتاب و کتب فلان، فکان إذا لم یحضر دعا رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم زید بن ثابت الأنصاری فکتب له فکان أبی و زید یکتبان الوحی بین یدیه و کتبه إلی من یکاتب من الناس و ما یقطع و غیر ذلک.

قال الواقدی: و أول من کتب له من قریش عبد اللّه بن سعد بن أبی

فتوح البلدان، ص: ۴۵۵

سرح، ثم ارتد و رجع إلی مکة و قال لقریش أنا آتی بمثل ما یأتی به محمد، و کان یمل علیه «الظالمین» فیکتب «الکافرین» یمل علیه «سمیع علیم» فیکتب «غفور رحیم» و أشباه ذلک، فأنزل اللّه (وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَری عَلَی اللَّهِ کَذِباً أَوْ قالَ أُوحِیَ إِلَیَّ وَ لَمْ یُوحَ إِلَیْهِ شَیْءٌ وَ مَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ) فلما کان یوم فتح مکة أمر رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بقتله فکلمه فیه عثمان بن عفان و قال أخی من الرضاع و قد أسلم فأمر رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بترکه، و ولاه عثمان مصر فکتب لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم عثمان بن عفان و شرحبیل بن حسنة الطابخی من خندف حلیف قریش و یقال بل هو کندی، و کتب له جهیم بن الصلت بن مخرمة، و خالد بن سعید و أبان ابن سعید بن العاصی و العلاء بن الحضرمی، فلما کان عام الفتح: أسلم معاویة کتب له أیضا و دعاه

یوما و هو یأکل فأبطأ فقال: لا أشبع اللّه بطنه فکان یقول لحقتنی دعوهٔ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و کان یأکل فی الیوم سبع کلات و أکثر و أقل.

و قال الواقدی و غیره. کتب حنظلهٔ بن الربیع بن رباح الأسیدی من بنی تیم بین یدی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم مرهٔ فسمی حنظلهٔ الکاتب و قال الواقدی: کان الکتاب بالعربیهٔ فی الأوس و الخزرج قلیلا و کان بعض الیهود قد علم کتاب العربیهٔ، و کان تعلمه الصبیان بالمدینهٔ فی الزمن الأول فجاء الإسلام و فی الأوس و الخزرج عدهٔ یکتبون و هم سعد بن عبادهٔ بن دلیم و المنذر بن عمرو و أبی بن کعب و زید بن ثابت، فکان یکتب العربیهٔ و العبرانیهٔ و رافع بن مالک و أسید بن حضیر و معن بن عدی البلوی حلیف الأنصار و بشیر بن سعد و سعد بن الربیع و أوس بن خولی و عبد اللّه بن أبی المنافق.

قال: فکان الکلمهٔ منهم و الکامل من یجمع إلی الکتاب الرمی و العوم، رافع ابن مالک و سعد بن عبادهٔ و أسید بن حضیر و عبد اللّه بن أبی و أوس بن خولی

فتوح البلدان، ص: ۴۵۶

و کان من جمع هذه الأشیاء فی الجاهلیهٔ من أهل یثرب سوید بن الصامت و حضیر الکتائب.

قال الواقدی، و کان جفینهٔ العبادی من أهل الحیرهٔ نصرانیا ظئرا لسعد ابن أبی وقاص فاتهمه عبید اللّه بن عمر بمشایعهٔ أبی لؤلؤهٔ علی قتل أبیه فقتله و قتل ابنیه.

حدثنا إسحاق بن أبی إسرائیل، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبی الزناد عن أبیه عن خارجهٔ بن زید أن أباه زید بن ثابت، قال: أمرنی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أن أتعلم له کتاب یهود و قال لی أنی لا آمن یهودا علی کتابی فلم یمر بی نصف حتی تعلمته فکنت أکتب له إلی یهود، و إذا کتبوا إلیه قرأت کتابهم.

تم کتاب

تعریف مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبهٔ/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمهٔ فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّهٔ" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیهٔ الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذهٔ هذه المدینهٔ، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرهٔ الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحهٔ صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَهْ ۱۳۴۰ الهجریّهٔ الشمسیّهٔ (=۱۳۸۰ الهجریّهٔ القمریّهٔ)، مؤسَّسهً و طریقهً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّهٔ" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَهْ ۱۳۸۵ الهجریّهٔ الشمسیّهٔ (=۱۴۲۷ الهجریّهٔ القمریّهٔ) تحتَ عنایهٔ سماحهٔ آیهٔ الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَهٔ جمعٍ من خرّیجی الحوزات العلمیّهٔ و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّهٔ، ثقافیّهٔ و علمیّهٔ...

الأهداف: الدّفاع عن ساحهٔ الشیعهٔ و تبسیط ثَقافهٔ الثّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّهٔ، تخلیف المطالب النّافعهٔ – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلهٔ أو الرّدیئهٔ – فی المحامیل (=الهواتف المنقولهٔ) و الحواسیب (=الأجهزهٔ الکمبیوتریّهٔ)، تمهید أرضیّهٍ واسعهٍ جامعهٍ ثَقافیّهٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت

–علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ– فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.